رواية

أولاد لوسيفر

الجزء الأول (فارس وجواد)

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

إهداء

إهداء إلى أبي وأمي اللذان لولا حلوهما ومرهما لما كانت تشكلت شخصيتي كما أنا عليها الآن.

إهداء إلى أخي وصديقي وحبيبي أيمن، الذي أنعمني به الله كي يكون لي عضدي، ويشتد به أزري.

إهداء إلى صغيرتي وحلوتي وأول داعم لي في الحياة وشريكتي في كل شيء، التي ستظل طفلة في نظري برغم رجاحتها التي تفوقني الكثير.

إهداء إلى مشاغبة حياتي، إهداء لأول فرحتنا في كل شيء، إهداء إلى نشوة حياتنا أم أجمل طفل في العالم (زينو).

إهداء إلى الجندي المجهول الذي كان ومازال له أثر كبير فيما وصلت إليه.

إهداء إلى كل من دعمني وأعجب بما قمت به في أعمالي السابقة.

وفي النهاية أهدي هذا العمل كذلك لكل من خذلني ولم يدعمني، لأني متأكدة سيأتي يوم وتصفق لي.

أحبكم جميعًا رانيا رمضان بنت البروفيسور

رواية أولاد لوسيفر تنقسم لعدة أجزاء

تدور أحداثها حول صراع

بين الأنس والجن خلال مغامرات

وأزمنة مختلفة فهل يا ترى

من سينتصر...!

خليفة الله أم خليفة لوسيفر...؟!

أنت لي أنا وحدي وإن قررت أن تكون لغيري؛ حياتك ستصبح جحيم.

*****

أرجوكِ لا تتركيني، أنا تركت العالم أجمع وهربت إليك يا مصدر الأمان بالنسبة لي.

*****

لقد تخلى العالم كله عنك، ولكن لن أتخلى عنك أبدًا.

*****

أحبك يا صديقي ويا أخي الذي لم تنجبه أمي... أصدقاء وأخوة إلى الأبد.

*****

الفصل الأول

الهروب

في فجر اليوم العاشر من شهر نوفمبر عام ٢٠١٩ في الإسكندرية يهرول شاب أسمر طويل ذا ملامح حادة تدل على قسوة الحياة التي مر بها، ذا جسد رياضي مما يدل على قوته، ذا عيون واسعة مكحلة ذات رموش سوداء كثيفة، وشعر أسود طويل ناعم منسدل على كتفيه.

يجري بسرعة ويده ملطخة بالدم، يهرول باكيًا بطريقة لا تتناسب مع هيبة هيئته، يبكي بطريقة توحي بأنه له قلب حاني برغم قسوة الدنيا.

صار يبحث عن أول مصدر للماء كي يغسل يده إلى أن وجد صنبور في شارع من الشوارع المظلمة الهادئة التي لا يوجد بها إلا القليل من الشباب في الزاوية وغير واعيين بما حولهم، لأنهم يتعاطوا المخدرات.

غسل يده وهو مستمر في البكاء، من ثم ضرب الماء على وجهه بقوة أملًا أن يكون كل ما يمر به حلم لا حقيقة.

ولكن لا يوجد أي تأثير مزال على نفس الحال مما يؤكد له أن ما حدث واقع لا مفر منه.

صار يبكي أكثر وأكثر لأنه لم يكن يتوقع أبدًا أنه سيصل إلى هذه الحالة في يوم من الأيام.

وضع رأسه تحت الصنبور عسى أن يفيق من ذلك الكابوس.
رفع رأسه من تحت الصنبور والماء يقطر من شعره الطويل الناعم على ملابسه مما أبرز عضلات صدره أكثر، عندما وجد أن لا مفر من ذلك الواقع، استمر بالهرولة إلى أن وصل كورنيش البحر ووقف أمامه باكيًا مفكرًا في الانتحار.
امسك بسور الكورنيش وهو يهم بالانتحار، ولكنه توقف للحظة وهو ينظر لماء البحر من علٍ يتذكر حياته للوهلة الأخيرة، تذكر حياته القاسية برؤية ظلمة البحر، تردد لوهلة كيف له أن ينهي حياته بالانتحار يعني إنه لم يهنأ في حياته وفي النهاية يقرر أن يخسر أخرته بيده، ترك السور وعدل من وقفته ولكن قدماه لم تعد قادرة على حمله فخر واقعًا على ركبتيه وصار يبكي بحرقة رافعًا رأسه للسماء وصرخ قائلًا:
-ياااااارب... ساعدني... أنا لا استحق ما أنا به الآن يا الله.
ومن ثم شعر بضعفه أكثر فخر برأسه على الأرض باكيًا...
ولكن قبل أن تلمس رأسه الأرض سمع صوت الأذان:
-الله أكبر... الله أكبر.
هنا شعر بيد الله الحانية... شعر أن الله معه يشعر به وبضعفه وانكساره، وكلمة الله أكبر جعلته يشعر أن ليس عليه أن ينكسر ما دام معه الكبير الذي بيده وحده أن ينتشله مما وقع فيه.
فجأة شعر أن الله القوي مده ببعض من القوة، فجمع شتاته من جديد ولم يجد أحد يهرب له في ذلك الوقت سوى الله.
تنفس الصعداء ومسح دمعه وهم ماشيًا بمنتهى الوهن إلى الجبار كي يجبر قلبه مما لحق به.

وضع قدمه على عتبة المسجد حينها شعر بأن الحمل قد زال عن ظهره، لا يدري كيف ولكن يشعر أن هناك طاقة روحية تحيط به كالهالة رافعةً إياه، إلى أن صار جسده طافيًا من شدة خلاء روحه من كل الطاقة السلبية، ولكن سرعان ما أفاق من شروده بمجرد أن وضع قدمه الأخرى داخل المسجد، رأى أمامه لفظ الجلالة الله بشكل ضخم ومبهر، لم يستطع أن يتحمل عظمة وهيبة ذلك الاسم وهو الاسم الأعظم للرب، خر ساجدًا باكيًا لله طالبًا منه العون، بكى بحرقة إلى أن تقرب منه رجل مسن ذا جلباب أبيض وابتسامة صافية، حاول أن يلمس كتفه بلمسة خفيفة فرفع فارس رأسه وعينه صارت حمراء من شدة البكاء، ظل الرجل واضعًا يده على كتفه مهونًا عليه قائلًا:

-هون عليك يا ولدي، سامحني لأني قطعت دعائك مع الله، ولكن أنا قلبي ألمني جدًا بمجرد أن رأيتك داخلًا المسجد.

الرجل يتكلم بتأثر ولكن فارس ينظر له فاقد التركيز يفكر في الله هل سينجده من الكارثة التي هو بها أم لا؟

حاول الرجل أن يرفع فارس من على الأرض وقال له:

-قم يا بني هيا توضأ، الصلاة سوف تقام، قم يا ولدي ولا تقلق من شيء ما دام لجئت لله وحده فلن يخزيك الله أبدًا.

وقف فارس ورفع رأسه فرأى اسماء الله الحسنى المزخرفة بها

المسجد فأخذ يطلب المدد بكل اسم تراه عينه، ومن ثم وهو يهم واقفًا رأى اسم الرسول محمد صل الله عليه وسلم فطلب منه المدد والعون، ترجى الله أن ينجده بحبه لحبيبه محمد، ومن ثم توضأ وأثناء وضوئه طلب من الله أن يغسله من كل ذنب أذنبه سواء كان يعلمه أو لا يعلمه.

الصلاة قد أوشكت على البدء والناس اصطفوا حينها طلب من الله وهو يبكي بصمت رافعًا رأسه:

-يا رب ليس لي سواك، يا رب سخر لي من ينجدني مما أنا به، أرجوك يا الله أعطِ لي سبيل للنجاة، يا منجي نجني.

ومن ثم بدأت الصلاة ومع كل آية يسمعها يبكي، وكالعادة عندما تضيق بنا الحياة نشعر أن ليس لدينا سوى الله، مع كل آية من كتابه العزيز نشعر برسالته لنا، وكأن أثناء رخائنا عقلنا لا يستوعب رسائل الله لأن العقل مشغول بالنعم عن المنعم، بينما عندما تظلم الحياة وتغلق الدنيا كل أبوابها في وجهنا لا نجد سواه الواحد الباقي حينها لا نجد أحد قابل أن يسمعنا أو يكلمنا سواه.

وبمجرد أن سمع فارس آية {إياك نعبد وإياك نستعين} ظل يكررها وأجهش بالبكاء إلى أن سمعه من حوله، استمر على هذا الحال في ركوعه وفي سجوده لم يكن يرغب في أن يرفع رأسه منه لأنه يعلم أن العبد يكون قريب لله أثناء سجوده، يريد أن يكون قريب لله كي يستجيب له.

انتهت الصلاة فأخذه الرجل السمح الملامح والروح وجعله يسند على أحد أعمدة المسجد، وقام من مكانه وجلب له ماء

بارد، وعندما رجع وجد فارس أجهش في البكاء، فربت على كتفه وقال له بلين ورفق:
-هون، هون عليك يا ولدي، أنا مثل أبيك وأنت مثل ابني ومنذ أن رأيتك شعرت بطاقتك أنت شاب صالح، صدقني لن يخزيك الله، إن حياتنا مثل محطة القطار، عندما جئنا للحياة لم نختار القطار الخاص بنا ولا حتى وجهتنا، ولكن بمجرد أن نشب بإمكاننا في حالة أن لم يعجبنا وجهة قطار حياتنا أن ننزل منه وأن نستقل قطار آخر ينتقل للوجهة التي نريدها، ولكن الغباء هو أن ننزل من القطار الذي لا يعجبنا وجهته ونظل هكذا في المحطة واقفين محلنا لا نفعل شيء سوى أننا ننظر للناس الذين يتعايشون في حياتهم سواء الراضين عن وجهتهم ومن هم غير راضين ولكنهم مستمرين، في النهاية سوف ترى أن الكل وصل للنهاية، منهم من وصل لهدفه ومبتغاه ومنهم من ضيع مجهوده في طريق لا يحبه ولكنه تعايش مع ظروف ومواقف ليست على هواه، ولكنه سيظل أفضل ممن نزل من قطاره وظل محله سر لا يحرك ساكنًا.
مسح فارس دمعه وهو ينظر للرجل السمح وقال له متسائلًا:
-أتظن أن الله سوف يخرجني مما أنا به...؟
-كل ما عليك أن تغير وجهتك وكفى يا بني.
غير وجهتك وهناك سوف تجد يد الله وعونه.
ظل فارس ينظر له يحاول أن يفهم، ينظر له بنظرة من يريد أن يطمئن بأي كلمة تعيد له الأمل من جديد:
-ولكن كيف؟ قل لي كيف...؟ أرجوك.

-لا أستطيع أن أقول لك كيف... كيف هذه عند الله وحده، اتركها على الله، هو وحده مدبر لك أمرك للنهاية، هيا قم معي وقرر من الآن من ستكون...؟

هم فارس واقفًا مع الرجل السمح طيب القلب، ومن ثم نظر له الرجل وابتسم له وقال:

-أنا واثق بك يا بني، وأنت كل ما عليك أن تثق في الله وحده.

من ثم تركه وهم خارجًا من المسجد، وفارس لا يدري ماذا عليه أن يفعل...؟ ومن ثم التفت له الرجل عندما كان يرتدي حذائه ومن ثم أشر على أذنه لفارس وابتسم ورحل.

*****

خرج فارس من المسجد ولكنه لا يدري إلى أين ستأخذه قدماه، ها هو النهار قد بزغ، فجأة وهو يمشي سمع صوت قطار، تذكر الرجل الكبير وكلامه عن الحياة وتغيير وجهة حياته، تذكر إشارته الأخيرة له، قال فارس في قرارة نفسه:

-يمكن الله أرسل لي هذا الرجل كي يدلني على سبيل النجاة.

دخل فارس محطة القطار ولكنه لم يكن يدري ماذا عليه أن يفعل، ولكن كل ما يدريه أنه يريد أن يبعد وكفى، فجأة رأى أن القطار الذي أوشك على الرحيل هو القطار المؤدي للقاهرة.

ولكنه شرد لوهلة وقال في قرارة نفسه:

-ولكن ماذا سأفعل في القاهرة ليس لي أحد بها...؟!

ومن ثم تنهد بحسرة وأردف متألمًا:

-ليس لي أحد في أي مكان لا القاهرة فقط... أنا خلقت وحيد وسأظل وحيد... يبدو أن الوحدة مكتوبة عليّ للأبد.

ومن ثم هم بشراء تذكرة وركب القطار غير مفكرًا كثيرًا مما سوف يجده في القاهرة قرر أن يتركها على الله كما قال له الرجل الكبير.

ولكن بمجرد أن ركب القطار شعر أن التعب سيطر على كل أعضاء جسده، سرح قليلًا في مستقبله، فكر قليلًا وسأل نفسه: "ترى ما يخبئه لي القدر...!".

ولكن سرعان ما غلبه النعاس وراح في سبات عميق، ولكنه استيقظ بعد مرور بعض الوقت عندما مر مسؤول التذاكر مرة أخرى كي يسأله عن تذكرته، تعجب فارس بأنه كيف نام من دون أن يشعر...! ومن ثم عدل من جلسته ونظر لمسؤول التذاكر باستغراب وقال له وهي يفرك عينه كي يفيق:

-ولكنك قد رأيتها أول ما ركبت القطار.

كرر الرجل كلامه بصرامة تليق بضخامته وشاربه الكث:

-قلت لك أريد أن أرى التذكرة لا تكثر الكلام.

هم فارس بإخراج محفظته ولكنه لم يجدها، هم واقفًا كي يتأكد من وجودها، بحث جيدًا في كل الجيوب من دون أي فائدة، لم يجد شيء، توتر فارس، لقد سرقت محفظته بكل ما لديه من مال وهويته الشخصية.

نظر فارس لمسؤول التذاكر وقال له بدهشة يتخللها التوتر:

-لقد سُرقت، أنا أعلم أنك متأكد بأني كان معي محفظة وتذكرة أنت شاهد على امتلاكي محفظة وعليك الآن أن تساعدني في إجادها.

نظر له مسؤول التذاكر باستحقار وقال له بقسوة وهو يمسكه من ذراعه:

-هذا المشهد أراه يوميًا، لو تركت كل من يقول لي ذلك سوف تصير غابة، أنا التزم بالقانون والشروط وكفى.
أمسك فارس بقبضته القوية يد الرجل الممسكة به ودفعه بقوة وصرخ قائلًا:
-لا تتجرأ على لمسي، أنا لست بكاذب بل أنا من تمت سرقتي.
ومن ثم نظر فارس لمن يجلس بجواره وقال باندهاش من عدم دفاعه عنه:
-قل شيء أنا كنت بجوارك ولقد رأيتني وأنا أعطِه التذكرة.
تظاهر الرجل بعدم الانتباه ولم يرد.
زاد غضب فارس وهم ممسكًا بالرجل وقال له:
-لمَ لا تتكلم...! قل ما رأيته وكفى.
نظر له الرجل وهو يحاول أن يفك قبضة فارس وأردف ببرود:
-لم تعطه شيء، أنت كنت نائم.
صرخ فارس به وأردف وهو ينظر حوله للناس وقال:
-كاذبان، كاذبان أنا أعلم جيدًا أنكما متفقان سويًا، على الأقل دعوني أفتش ذلك الرجل أكيد هو من سرق المحفظة.
سحبه مسؤول التذاكر من ياقته بقوة وقال له بقسوة:
-هيا أنزل في هذه المحطة لن تكمل إلى القاهرة.
هنا لم يتمالك فارس نفسه وأمسك بمسؤول التذاكر ودفعه بقوة ومن قوة الدفعة ارتطمت رأس مسؤول التذاكر في إحدى أعمدة القطار.
هنا عندما وضع المسؤول يده على رأسه ورأى دمه صرخ قائلًا وهو يأشر بيده ناحية فارس:

-امسكوا هذا الكلب، يجب أن يلقى القبض عليه الآن.
نظر فارس مصدومًا مما حدث يود أن يدافع عن نفسه ويقول إنه لم يقصد بل إنه هو من تمت سرقته... ولكن في نفس اللحظة أفاق من شروده وأطلق قدمه للريح ودفع من هم أمامه وقفز من القطار يهرول بسرعة وصار لا يدري يهرب من ماذا أو ماذا؟
فخرج من المحطة من ثم اختبأ وراء إحدى الأشجار وهو يسند بيده على جزع الشجرة، يحاول أن يلتقط أنفاسه وهو منحني، ولكن سرعان ما خر على ركبتيه وسند رأسه على جزع الشجرة وهو يقول متحسرًا:
-لمَ يحدث معي ذلك يا رب...! لمَ عندما أهرب من مصيبة أقع في مصيبة أخرى، لمَ يا رب...؟! أرجوك ساعدني، أنا تعبت.
نظر حوله لا يدري أين هو بالضبط...؟ قام من مكانه وعدل من ملابسه وسأل أحد المارة:
-لو سمحت ما اسم المنطقة التي أنا بها...؟
نظر له الرجل مستغربًا:
-نحن في دمنهور...
نظر له فارس مستغربًا وقال:
-دمنهور...!
تركه الرجل ولم يعره انتباه.
ولكن فارس الآن يشعر أنه ضائع لا يدري أي شيء في هذا المكان وكل المال الذي كان معه ضاع منه لا يدري أين سينام وكيف سيعيش وسيأكل...!
الآن فارس لا يملك سوى هاتفه والساعة التي يرتديها.

قرر أن يبحث عن عمل ولكنه ظل طوال يومه ولم يجد أي فرصة له في أي مجال.
كان كلما يتعب من كثرة المشي والتجول يذهب للمسجد لتأدية الصلاة الحالية، منها كي يرتاح من المعاناة التي يمر بها ومنها طالبًا للعون من المعين.
ولكن في المساء بدأ الجوع يقرص معدته، لذا قرر أن يبيع ساعته كي يستطيع أن يشتري طعام.
ابتاع شطيرتين أحدهما كبدة والأخرى سجق وأردف قائلًا والدمع ينهمر من عينيه ولكنه رسم ابتسامه منبعثة من الحنين والاشتياق:
-سأكل السجق من أجلك يا صديقي، أعلم أنك تحبه.
ولكن سرعان ما اختفت البسمة عن وجهه وصار يبكي بجنون وقال باكيًا وهو يزيل طرف الشطيرة عن فمه:
-أطلب منك أن تسامحني يا صديقي، لم أكن أقصد، صدقني.
ومن ثم بعد أن هدأ من بكائه حاول أن يأكل ليس لأنه يشتهي الأكل ولكن لكي يسكت معدته التي تقرصه من شدة الجوع.
بعد أن أنتهى من الأكل أي أثناء منتصف الليل شعر أن النعاس كاد أن يغلبه والجو قد ازداد برودة فقرر أن يبحث عن مأوى له. بحث بعينه يمينًا ويسارً إلى أن وجد بيت قديم تعرض للاحتراق الكامل... ولم يرى أي ضوء ينبعث من داخله... لذا قرر أن يتسلل بخفه من جوار محل البقالة المجاور للبيت المهجور، ومن ثم تمكن من التسلل ودخل من البوابة الحديدية الصغيرة الصدئة، الباب كان مواربًا قليلًا ولكنه أصدر القليل

من الصرير عندما حاول فتحه فاكتفى بفتح القليل منه وأندس للداخل.
صعد درجات السلم، كانت أغلب الدرجات متآكلة، والجدران ملطخة بالدخان الأسود ومليئة بالشروخ إلى أن وصل أمام باب الشقة، كان الباب ملقى على الأرض والشقة كانت مفتوحة، وكل الأبواب في الشقة متفحمة وساقطة أرضًا حتى النوافذ الخشبية انتهى بها الحال بنفس الوضع، وبمجرد أن وضع رجله عن أرضية الشقة بعدما تجاوز الباب الذي عندما مر عليه أصدر صوت حشرجة وكأنه مر فوق صدر رجل ينازع الموت، التفت حوله ولكنه لم يجد أحد، فعلم أنه مجرد صوت عادي صادر من حركته، ومن ثم عندما وطأت قدماه أرضية الشقة سمع صوت تكسير زجاج، فنظر للأسفل فلم يرى بوضوح لأن الضوء في الشقة مجرد ضوء قليل منبعث من إضاءة الشارع، اضطر أن يقوم بتشغيل مصباح هاتفه ولكن بطارية هاتفه قد أوشكت على النفاد ولكن قرر أن يلقي الضوء قليلًا ومن ثم يغلقه.
وجد أسفل قدمه أرضية الشقة كلها فتات زجاج قد غطاءه الرماد الأسود، والأثاث متآكل ومتفحم تمامًا، بدأت القشعريرة تسري في جسده، يشعر أن عامود الفقري قد أثلج لأنه شعر أن هناك حركة وراء ظهره مع فحيح، ولكنه التفت سريعًا وصوب ضوء هاتفه مباشرة لمصدر الحركة والصوت، ولكنه لم يجد شيء فتنفس الصعداء وحاول أن يلتقط أنفاسه وتذكر أنه في شهر نوفمبر وأن الجو شديد البرودة والرياح هي سبب الحركة والصوت أكيد.

من ثم سمع صوت فهم مفزوعًا، ولكنه سرعان ما تدارك أن هاتفه يصدر صوت تحذير أن بطاريته سوف تنفد، لذا قرر أن يبحث عن مكان ينام به ولا يراه أحد من الجيران داخل الشقة، صوب ضوء هاتفه إلى داخل الغرف، كل الغرف تعرضت للاحتراق التام وتهشم كل ما بها، ومن ثم قرر أن ينام في غرفة في آخر الشقة لأنها الوحيدة التي لم تنزع نافذتها الخشبية فحاول مواربة النافذة ومن ثم نام أسفل تلك النافذة وحاول أن يستأنس بالقليل من الضوء المنبعث من خلالها لأنه أغلق هاتفه تمامًا.

حاول أن ينكمش في ذاته كي يشعر بالقليل من الدفء ولكن استمر جسده في الارتجاف، لا يدري أهو يرتجف من الخوف أم من الصقيع، ومن ثم وهو يتنفس دخل لأنفه بعض من الرماد والتراب الذي على الأرض فبدأ في السعال ولكنه حاول مسرعًا أن يكتم سعاله كي لا يدري عنه أحد ولكن بمجرد مرور دقيقة أخرى على سعاله سمع صوت خطوات قادم من الردهة في الخارج...

صوت وقع الخطوات يقترب منه ببطيء وصوت تهشم فتات الزجاج يفتت قلبه من شدة الخوف، لا يدري ماذا عليه أن يفعل، أيهرب قافزًا من النافذة أم يواجه...؟

ولكن في النهاية قرر أن يواجه.

وبسرعة هم بضم النافذة فحل الظلام في الغرفة، وبذلك يمكنه أن يرى القادم من الخارج على أثر الضوء الخافت ولكن لن يراه من هو قادم إلا بالتدقيق لأنه منزوي في ركن الغرفة

وسوف يستغل تلك الثواني للانقضاض مسرعًا ومن ثم الهرب.
ولكنه انتظر لأكثر من دقيقة وهو كاتم أنفاسه متأهب للهجوم ولكنه لم يعد يسمع أي خطوات.
فقرر أن يخرج لكي يتأكد بنفسه مع أخذ الحيطة والاستعداد للهجوم... ولكنه بحث في الشقة كلها ولم يجد أحد، حينها بدأ يرتاح قليلًا وقرر أن يعود مرة إلى تلك الغرفة كي ينام، أخذ يتحسس على أثر الضوء الخافت القادم من الخارج كي يفتح النافذة قليلًا ولكن قبل أن يهم بفتح النافذة سمع صوت وقع الخطوات ولكن هذه المرة لا يرى شيء، يحاول أن يتفحص المكان حوله جيدًا ولكنه لا يرى صاحب صوت تلك الخطوات ولكن بمجرد أن وقعت عينه على تلك المرآة المكسورة وجد بها انعكاس لعيون...
عيون صفراء مضيئة للغاية...
عيون أشبه بعيون ال...

ولم يكمل تخمينه أو تفكيره وهو يهم بفتح النافذة كي يرى جيدًا إلا ووجد ذلك الجسم ينقض عليه بقوة فيسقطه أرضًا فارتطم رأسه بقوة ومن ثم...

الفصل الثاني

الخُسْرَان

يد شاب تحمل سكين تقترب من فتاة لا نرى من ملامحها شيئًا، لا نرى سوى ظهرها وشعرها الأسود الطويل، واليد تقترب أكثر وأكثر، إلى أن التفتت الفتاة مسرعةً عندما شعرت بأنفاس أحد خلفها، ملامح الذعر رسمت على وجهها، وها هي اليد تنقض كي تطعنها ولكن فجأة...

يقطع الكابوس صوت رنين الهاتف...

في اليوم الثالث عشر من شهر مارس عام ٢٠٣٧ لندن-إنجلترا يصدر صوت نغمة رنين الهاتف ولكن أين الهاتف أنا لا أراه...! تظهر شابة ذات ١٦عامًا جميلة سمراء ذات شعر أسود فاحم مموج يخفي القليل من ملامحها التي بدأت ترسم عليها ملامح الإزعاج من صوت الرنين.

إن غرفتها يغلب عليها اللون البني الفاتح والبرتقالي مما يدل على أنها شخصية تحب الطبيعة وشخصية مندفعة بعض الشيء.

لمست خاتمها ذا الحجر الزمردي الأخضر القاتم، ومن ثم أنبعث في الهواء شاشة، تلك الشاشة من الخلف محتواها مبهم ولكن من الأمام كانت تعرض اسم ليندا هي من تتصل، قامت بلمس تلك الشاشة المنبثقة في الهواء وأغلقت المكالمة كي تكمل نومها وقامت بوضع الغطاء البرتقالي على رأسها كي تحجب ضوء النهار عن عينها الذي تشعر أنه مثل اللص الذي يريد أن يسرق النوم من عينها، فاختبأت تحت غطائها هاربة

منه قبل أن يلاحظها ويسرق منها أعز ما تملك ألا وهي راحة ولذة النوم، ولكن راحتها لم تدم دقيقة إلا وسمعت صوت إشعار رسالة ما، قامت برفع ذلك الغطاء في عصبية ولمست حجر خاتمها مرة أخرى فأنبعثت تلك الشاشة مرة أخرى برسالة من ليندا تخبرها أن عليها أن تتأهب لرحلة تخييم في أحدى الغابات ومن ثم في اليوم التالي سيذهبون لتسلق الجبال.
تحمست فريدة كثيرًا لتلك الرحلة وطلبت من ليندا أن تأتي لبيتها بعد ساعة وستكون جاهزة للسفر.
همت جالسة على السرير وداعبت شعرها كي تفق قليلًا، مسحت وجهها بيدها كي تبعد عنها النوم المتمسك بها، ومن ثم تلمس خاتمها وتقول له اتصل بأمي.
ردت أمها عليها فتطلب منها أن تحضر لها الفطور قبل أن تتأهب للذهاب.
بعد عشر دقائق جهزت وخرجت من دورة المياه مرتدية سروال يحمل نقشة الجيش ومن فوق ترتدي "كت" أسود.
طرقت أمها باب غرفتها فأذنت لها بالدخول بصوت مكتوم لأنها كانت تضع مساكة شعرها في فمها وهي تحاول أن ترفع شعرها الأسود الطويل تسريحة ذيل حصان، ومن ثم دخلت أمها ونظرت لها مستغربة وقالت لها متسائلة:
-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة...؟
ردت عليها فريدة وهي ما زالت تنظر لنفسها في المرآة ولا تضع من مساحيق التجميل شيئًا سوى الكحل الذي يبرز جمال عينيها العربيتين ومن ثم قامت بإنزال غرة على جانبي وجهها العريض، إن فريدة طويلة جدًّا وعريضة بعض الشيء ولكنها

جسدها رياضي بالفعل، فريدة جميلة جدًّا كأنثى ولكن أحيانًا تشعر بسبب تصرفاتها أنها للرجال أقرب، ومن ثم قالت لأمها:
-سوف أسافر يا وتين، ها أنا ذا سوف أجهز حقيبة الظهر الخاصة بالسفر، ستكون مغامرة لبضع أيام وسوف أعود مرة أخرى.
قطبت أمها حاجبها وأعلنت رفضها وقالت:
-لا... لن تسافري مرة أخرى ألا تتذكرين آخر مرة سافرتِ بها جئتِ وساقك مكسور... ألم تتعلمي...!
-وتين، أرجوكِ ارحميني من نبرك وفألك السيء ذا، أنتِ تعلمين أني سافرت عدة مرات ولم يصبني شيء، فأرجوكِ قدمي الخير كي أجده.
ضمت أمها يديها على صدرها وقالت بحزم:
-ولكن هذه المرة لا يوجد سفر، أنا رأيت رؤيا سيئة تخصك يا بنيتي، إن أصدقائك لا يحبونك، وخاصة توماس ذلك الشاب أنا غير مرتاحة له بتاتًا أنه سوف يؤذ...
قالت فريدة وهي تضع ملابسها في الحقيبة الجيشية الكبيرة بسرعة بطريقة تفتقر للأنوثة بعض الشيء:
-وتين توقفي عن الثرثرة ها، أنا لست صغيرة، وأنا أخبرك لكي تعلمي أني ذاهبة، لا من أجل أن أخذ الإذن، أنا كبيرة الآن وصاحبة قرار ومسؤولة عن صحيفة حياتي فدعيني أزينها أو ألوثها كما أشاء، وهيا اجمعي لي كل ما لديكِ على هيئة شطائر ليس لدي وقت.
همت أمها بالخروج من الغرفة وهي تتمتم:
-اصنعي شطائرك بنفسك يا حضرة الناضجة...

نظرت لها فريدة باستغراب وأردفت:
-كان بإمكاني أن أطلب من الروبوت تحضير الفطور ولكن ليس لدي وقت للانتظار... ولكن شكرًا يا وتين.
ومن ثم قبل أن تخرج من الغرفة تمامًا وقفت عند باب الغرفة وهي تنظر بتحد لفريدة التي تنظر لها بلا مبالاة:
-آه... ها أنا سوف أنزل حالًا وسوف أقول لوالدكِ، تصرفِ أنتِ معه... لا أدري لمَ أنتِ متهورة هكذا لقد أخذت من طباع صديقتي كثيرًا... لا داعٍ لذكرها... ولكن عنادكِ لن ينفعك يا فريدة وأباكِ سيكون في صفي اليوم.
ومن ثم همت أمها بالنزول على السلم ولم تكترث لبنتها، فقالت فريدة بصوت عال:
-حسنًا، سوف اتصرف واقنعه، اخرجِ أنتِ منها ولا تزيدي الشرارة بنزين يا زوجة أبي.
نزلت فريدة الدرج وخرجت من البيت متجهة إلى حديقة بيتها، بدأت تتسحب بخفة الفراشة التي تتناسب مع رشاقة جسمها، ومن ثم تطوق أباها الجالس على كرسيه متطلع إلى كتاب في يديه، قبلت رقبته وقالت له في حماسة وهي تلتف لكي تجلس على الكرسي الذي أمامه:
-صباح الخير على أحلى مراد في الكون.
ترك والدها الكتاب بجانب فنجان القهوة الذي انتهى من احتسائه ومن ثم نزع نظارته وهو يبتسم لها قائلًا وهو يهم بإمساك يدها:
-أهلًا بوردتي الفريدة.

في نفس اللحظة ابتسمت فريدة لوالدها ومن ثم نظرت إلى أمها وهي تخرج لها لسانها متحدية إياها وتقول لأبيها:
-مراد، أريدك أن تصارحني بشيء، هل حقًا هذه الساحرة الشريرة التي تقف عقبة في طريقي دائمًا هي أمي...؟
دافعت أمها عن نفسها وهي تنظر لزوجها وتقول:
-أقسم لك يا مراد هي من تتعبني وتعاندني، لقد غُلبت منها حقًا.
حاول مراد أن يهدأ الوضع بين كلتا الاثنتين المبتلى بهما ويقول:
-ريدا حبيبتي إن أمك لا يوجد أحن من قلبها ولم ترفض لكِ طلب قط، كل ما في الأمر أنها تخاف عليكِ بعض الشيء.
وقفت فريدة ونظرت لأبيها مسرعةً بعدما سمعت صوت بوق سيارة صديقتها ليندا، وقالت لأبيها وهي تطبع قبلة على خده:
-مراد حبيبي أنا مضطرة أن أخرج في رحلة مع أصدقائي...
وحملت حقيبتها على ظهرها وهي تكمل كلامها في نفس الوقت:
-سوف اطمئنك عليّ من حين لآخر لا تقلق...
صارت ترفع صوتها ترفعه أكثر وأكثر إلى أن وصلت إلى بوابة البيت وهي تقول بلهفة مؤشرة لكلا والديها اللذان إلتفا كي ينظرا جيدًا:
-إلى اللقاء يا مراد، إلى اللقاء يا زوجة أبي ولن اطمئنك على سوف أدع النار تأكل قلبك.
ومن ثم ابتسمت وقالت لهما ضاحكةً وهي تبعث لهما قبلةً في الهواء:
-أحبكما كثيرًا...

ومن ثم اغلقت الباب وراءها.
نظرت وتين لمراد متعجبة لأنه لم يتوقف عن الابتسام وهو يفكر في وحيدته فقررت أن تقطع شروده:
-مراد إن تلك البنت لا أدري لمَ تعاندني، أحيانا لا أشعر أنها ابنتي بل ضرتي أقسم لك.
قهقه مراد قائلًا وهو ممسك يدها:
-إنها وحيدتنا ودلوعتنا فلتفعل ما تشاء.
ومن ثم ملامح الخوف بدأت ترسم على وجهها وهمت تقول:
-ولكن لمَ لم تمنعها من الذهاب يا مراد أنا قلقة عليها كثيرًا، وأنا لا أثق أبدًا في توماس لأن...
رسمت ملامح جادة على وجه مراد وهو يقول لزوجته وهو يربت على كلتا يديها برفق:
-أنتِ لا تثقي في توماس ولكني أثق تمام الثقة في فريدة... وهيا بنا ندخل للبيت، أشعر أني متعب قليلًا، أريد أن ارتاح بعض الشيء قبل المضي للعمل في الجامعة.

*****

ركبت فريدة سيارة دفع رباعي مع صديقتها ليندا وها هما في طريقهما لأخذ كل من إيما وتوماس.
وصلوا إلى الغابة للتخييم ومن ثم تناول الغداء أمام البحيرة.
همت فريدة بإخراج عدة الصيد من سيارة ليندا.
إن فريدة عاشقة للصيد مثل أبيها مراد، بدأت فريدة تتذكر والدها وهي تهم بفتح باب حقيبة السيارة ورسم على ثغرها شبح ابتسامة، ولكن فجأة شعرت أن هناك من يقترب منها تسمع أنفاس تلمس رقبتها، تصلبت مكانها تفكر لثواني، ومن

ثم شيء يلمس كتفها، فبحركة لا إرادية متأهبة للدفاع عن ذاتها التفتت مسرعة، ولكن وجدت توماس الذي أخذ يضحك على ردة فعلها المبالغ به، حاولت أن تلتقط أنفاسها بعدما لكمته بقوة على كتفه، ومن ثم أخذ يساعدها في حمل معدات الصيد
ويحاول أن يلطف الأجواء لأن فريدة استاءت من مزحه كثيرًا:
-ريدا، أنا أسف، كنت أمزح معكِ، أرجوكِ لا تجعلي الوضع هكذا ونحن ما زلنا في بداية الرحلة.
لم تنظر له فريدة وأخذت تمشي متجهة للبحيرة وقالت بلا مبالاة بنظرة كلها كبرياء:
-لم يحدث شيء، ولكنك تعلم جيدًا أنا لا أحب المزح.
وضع توماس أدوات الصيد بجانب الكراسي الموجودة أمام البحيرة، ومن ثم ذهب وترك فريدة تتأمل في البحيرة في هدوء كي تسترخي قليلًا... ومن ثم رأت يد توماس تمتد لها بزجاجة بيرة، فنظرت له بحدة:
-قلت لك أنا لا أشرب هذه الأشياء...
من ثم هم توماس بجرع القليل من زجاجته وغمغم:
-لا تكوني هكذا يا فريدة نحن في رحلة، ونحن لا نشرب دائمًا، نحن نادرًا ما نشرب...
اليوم يمكننا الشرب بينما في الغد لن نشرب لأننا سنقوم برحلة التسلق.
ردت عليه فريدة في حزم:
-قلت لك لن أشرب لا اليوم ولا أي يوم...
ومن ثم همت واقفة وتركته خلفها وهي تنادي على ليندا بصوت عال وتؤشر لها بيدها قائلة:

-اخرجي لي زجاجة عصير برتقال و...
ولم تكمل كلامها إلا ووجدت إيما قادمة تجاهها وتنظر لها في حقد ولكن فريدة قابلت نظرتها بلا مبالاة، ولكن إيما استمرت بالتقرب منها إلى أن وقفت بجوار توماس وتأبطت ذراعه وهي تنظر لها، لم تكترث لها فريدة وتركت لها المكان واتجهت للجلوس مع ليندا.
جلست مع ليندا بجوار النار، فهمزت ليندا لها وقالت بهمس:
-انظرِ إلى إيما كيف تنظر إليك، هي تقف مع توماس ولكن عيونها عليكِ، إنها تغار منكِ حقًا.
ألقت فريدة نظرة سريعة ومن ثم نظرت لليندا بلا اكتراث وقالت وهي تشرب عصير البرتقال بطريقة رجولية بعض الشيء:
-دعكِ منها، أنا لا أشغل بالي بحماقة البنات والغيرة وما إلى ذلك، كل ذلك مجرد تفاهات.
بينما على البحيرة، أخذ صوت إيما يعلو بعض الشيء وهي تتشاجر مع توماس وتقول له:
-لمَ لا تتوقف عن ملاحقة تلك الفتاة، قل لي ما بها يعجبك...؟ إنها أشبه بالرجال يا أحمق.
ازداد غضب توماس وقال لها وهو يضغط على أسنانه:
-لا تتفوهي بوصف مشين لفريدة، وتوقفي عن غيرتك تلك، إنها مجرد صديقة ولا أرغب بتواجدها بمفردها كنت أرغب بمشاركتها اللحظة لا أكثر.
وتبقى المرأة مجنونة في غيرتها حتى ولو كانت أجنبية.

اقتربت إيما من توماس ولمست وجهه الأملس برفق وهي تنظر له بحنو قائلة:
-أنا آسفة يا توماس، ولكن لا أريدك أن تهتم بغيري قط، أريدك لي أنا فقط.
من ثم همت لمعانقته ولكنه دفعها برفق وهو يقول لها وهو يتجه تجاه ليندا وفريدة:
-ولكن بغيرتك تلك تدمرين ما بيننا، لأنك لا تثقي بي...
ومن ثم هم يتحرك، فتبعته وهي تحاول أن تمسك ذراعه، ولكنه أمسك يدها مع ملامح خالية من أي مشاعر على وجهه وقال:
-أرجوكِ انهي الحديث عند هذا الحد، نحن هنا في رحلة ليس لمناقشة أمور في علاقتنا، دعينا نستمتع وكفى.
بمجرد أن اقتربا، نهضت فريدة وهي تقوم بإزالة ما علق في ملابسها ومن ثم أمسك توماس بيدها وسألها بلهفة:
-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة اجلسي أكملي مشروبك...
ولكنه لم يكمل حديثه لأن فريدة نظرت له نظرة احتقار بسبب أنه ممسك بذراعها، تلك النظرة كانت كفيلة أن تحرجه وألا يكمل كلامه، ولكنها بمجرد أن رأت ملامح الإحراج رسمت على وجهه، تمالكت الموقف وقالت وهي تهم بالحراك:
-الغروب قد أوشك وأنا أحب الصيد في ذلك الوقت، أريد سمك على العشاء، هذا كل ما في الأمر.
نظر توماس لليندا وهو يهم بأخذ كرسي إضافي لكي يذهبوا جميعًا للبحيرة للتأمل وللصيد في هدوء...

كان توماس يختلس النظر من حين لآخر لفريدة وإيما لاحظت هذا والغيرة صارت مثل النار التي تلتهم قلبها، فدارت تساؤلات في قرارة نفسها:

-ما يعجبه في تلك السمراء العربية...! أنا أجمل منها أنا بيضاء ووجنتي قد صبغت بالحمرة وشعري ناعم وأشقر، لا أدري لمَ توماس ذوقه سيء إلى هذا الحد...! كيف ينجذب لفتاة تفتقر للأنوثة، ولم يعد منجذب لي أنا...!

ولكن فجأة أنقطع شرودها عندما سمعت صوت توماس يضحك مهللًا لأنه أمسك بسمكة، من ثم وقف كي يقوم بسحبها وهو يتفاخر بذاته، لأن السمكة كانت لكبيرة حقًا...

مر الوقت فغمزت صنارة فريدة بأن هناك سمكة قد أمسكت بالطعم، فسحبت الصنارة في اتزان كما علمها أبيها، ولكن السمكة كانت متوسطة الحجم...

بدأت الشمس تذوب مثل قطعة مثلجات المانجو والفراولة في عمق البحر الذي لونه صار مثل لونها...

كم تعشق فريدة ذلك المشهد، ولكنها تنفر بشدة من الليل الذي يقوم بإنهاء هذا العرض المسرحي الرائع بإنزال ذلك الستار الكالح معلنًا نهاية الاستمتاع والانسجام وبدء الكأبة والظلمة والخوف والرهبة بعد الراحة والاسترخاء.

آخ من هذه الدنيا لمَ جمالها لا يدوم...! أعلم أن قبح الدنيا سيء للغاية ويرهب قلوبنا ويؤلمها، ولكن لولا وجود ظلمة الليل لما عشقنا راحة النهار، لولا خوفنا من الليل لما أحببنا النهار وانتظرناه لكي نشعر بأمانه...

آه كفى ثرثرة هيا أكمل لكم ما حدث.

ها هما ليندا وتوماس همّا بأخذ أدوات الصيد وجمعها من جديد ووضعها في السيارة وأخذت فريدة السمكتين وبدأت بأعدادهما للشوي على النار، وإيما لا تفعل شيء سوى أنها تحملق بها لا أكثر ولا أقل إلى أن جاءا ليندا وتوماس ومن ثم تناولوا السمك واستمتعوا ببرودة الجو ودفيء النار، أنه مزيج متناقض ولكنه جميل، ما أروع تناقض الطبيعة، سبحانه ربي.

ومن ثم أقترح عليهم توماس أن يجلب لهم المرتبات من داخل الخيمتين كي يناموا في العراء تحت النجوم، النجوم حينها كانت متلألئة والقمر كان مكتمل، لذا وافقوا...

ولكنه وهو بداخل خيمته فتح حقيبته وأخرج كيس وأخذه في جيبه ومن ثم خرج لهم وكل منهم أخذ مرتبته منه وقام بفرشها أرضًا...

ها هم يتحدثون سويًا ويضحكون ولكن من حين لآخر يرون خاتم فريدة يومض بشعاعه الزمردي ويقوم بالاهتزاز معلنًا أن هناك اتصال قادم، كانت أمها قلقة عليها كالعادة ومن ثم قالت لها ليندا:

-ردي على أمك يا فريدة.

ردت فريدة في ضجر:

-لا لن أرد، إذا قمت بالرد سوف تسأل الكثير من الأسئلة وتوترني من كثرة قلقها علي...

ومن ثم قال توماس:

-لمَ لا تقومي بغلق إمكانية الاتصال وتريحي عقلك...

-لا أستطيع أن أفعل ذلك، إذا فعلت ذلك سيزيد قلقها عليَّ أكثر

و

من ثم قاطعتها إيما بتهكم:
-أمك ما زالت تعتبركِ طفلة و...
قاطعها توماس بحدة:
-توقفي يا إيما عن طريقتك تلك.
حاولت ليندا أن تغير مجرى الحديث ومن ثم قالت لهم بلهفة وهي ممددة وتشير للسماء:
-انظروا يا رفاق، إنه شهاب، فليتمنى كل منا أمنية.
قالت إيما بصوت حان وهي تمسك بيد توماس:
-اتمنى أن أكون مع توماس لآخر يوم في حياتي.
ومن ثم هم توماس وجلس معتدلًا بعد ما هم من رقدته وقال:
-اتمنى نظل أصدقاء إلى الأبد يا رفاق...
ومن ثم نظر إلى ليندا وقال لها بحماسة:
-وما هي امنيتك يا ليندا...؟
-أنا لدي الكثير من الأماني ولن أفصح عنها لأني أرغب في تحقيقها... ألم تسمع أنك إذا قلت ما تنوي فعله أو ما تتمناه لأحد فلن يحدث ولا يتم أبدًا...
-آه، إن أفكارك صارت تشبه تفكير فريدة إلى حد كبير...
ومن ثم نقل مجرى الحديث إلى فريدة وسألها نفس السؤال، ولكن فريدة كانت شاردة الذهن، أفاقت على وكزة ليندا وهي تقول لها بدهشة:
-ما بكِ اليوم يا فريدة...؟ إنكِ شاردة طول اليوم، ما الذي يشغل بالكِ...! أنتِ لستِ معنا بتاتًا.
تنفست فريدة الصعداء وقالت بهدوء تام:
-لا أدري يا ليندا، ولكن راودني كابوس هذا الصباح و...

قاطعتها ليندا وقالت لها:
-دعكِ منه، أنتِ قلتِ ما هو إلا مجرد كابوس، هيا قولي ما أمنيتك.
ردت فريدة بلا اكتراث:
-أنتِ تعلمي يا ليندا أنا لا أحب التمني ولا أن أطلب شيء، أنا أحقق وأنفذ ما أريد وما أستطيع فعله... لا أحب أن أنظر لشيء لا أستطيع الحصول عليه.
أستمر الحديث يدور بينهم واحد تلو الآخر...
ولكن فجأة هم توماس وهو يتحدث معهم قام بإخراج ذلك الكيس الذي كان يحتوي على سجائر ولكنها لم تكن سجائر عادية بل بها مخدرات.
قام بإشعال سيجارة ومن ثم رأته إيما فابتسمت قائلة:
-يبدو أن رحلتنا قد بدأت التو...
نظرت ليندا متعجبة متسائلة:
-منذ متى وأنت تتعاطى مخدرات...؟ أنا أعلم أنك صرت مدخن فقط لم أدرى أن الوضع ازداد معك إلى هذا الحد.
رد عليها بعدما نفث دخان السيجارة:
-لا اتعاطى مخدرات، أنا أدخن من حين لآخر سجائر الماريجوانا، لا تكبرين الموضوع يا ليندا ولا تصيري مثل فريدة...
من ثم همت إيما بأخذ السيجارة من يده وبدأت في سحب أنفاس منها في انتشاء...
ومن ثم قام بإشعال سيجارة أخرى وسحب نفس منها في انتشاء فقامت ليندا من رقدتها واعتدلت وهي تنظر له بحماس معلنة

الرغبة في أن تجرب فقط... ومدت يدها لأخذ السيجارة من توماس ولكن فجأة منعتها فريدة وهي تمسكها من يدها وتقول لها في حدة:

-ليندا... توقفي، لا تفعلي ذلك...

ترددت ليندا وقالت لتوماس:

-لا، لا أريد أن أجرب أعلم أن شرب الماريجوانا يشتت التركيز...

قال لها توماس كي يقنعها:

-كفي عن هذه الترهات، أنتِ لن تقومي بتدخين الكثير أنكِ فقط سوف تجربين...

تحمست ليندا للفكرة ولم تنظر لفريدة، من ثم سحبت أول نفس، فبدأت تسعل بشدة لأن هذه هي أول مرة تدخن بها.

عندما رأت فريدة أن ليندا غير مهتمة لما قالت فقررت أن تهم بالنهوض، حينها قالت لها ليندا في لهفة وهي ممسكة بالسيجارة:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة...؟

قالت لها فريدة ببال شارد وهي تعطيها ظهرها متجهة للبحيرة:

-أحتاج أن أكون بمفردي قليلًا.

ومن ثم نادت ليندا عليها قائلة وهي تهم بالنهوض:

-انتظري يا فريدة أنا قادمة معكِ...

ولكن توماس قاطعها وقال لها وهو يتبع طيف فريدة الذي ذاب في ظلام الليل:

-دعيها على راحتها يا ليندا، إن فريدة ليست على ما يرام اليوم.

حينها شعرت إيما بضيق بسبب أنه تمسك بليندا، إنها كانت ترغب بشدة أن يكونا بمفردهما، ومن ثم شعرت ليندا بالحزن وقالت له:
-خذ هذه السيجارة أنا لا أحب التدخين.
قال لها وهو لا يبالي:
-كما تريدين...
ومن ثم قالت ليندا وهو ترتعش بعض الشيء:
-سوف أخذ مرتبتي وأدخل خيمتي يا رفاق، إن الجو يزداد برودة، أريد أن أرتاح، لا تسهرا كثيرًا سوف نبدأ رحلتنا في الغد مع شروق الشمس... تصبحا على خير.
حينها ارتاحت إيما وقالت بابتسامة صفراء مصطنعة وهي تلتف لليندا التي أوشكت على دخول خيمتها:
-تصبحين على خير يا ليندا.
قامت ليندا بإغلاق خيمتها جيدًا كي تقي نفسها برودة الجو...
تأففت إيما ومن ثم نظرت لتوماس:
-أوف، إنها ثقيلة الدم مثل صديقتها فريدة، لا أدري لمَ تخرج معهما...!
نظر لها توماس في ضجر:
-توقفِ عن نقد أصدقائي، يجب أن تحترمي وتحبي من أحبهم
و
ولكن قاطعته إيما من كلامه ومن غضبه وهي تحاول الاقتراب منه بلين معلنة انهاء هذا الغضب بقبلة دافئة في هذا الجو الذي ازداد برودة، ولكن فجأة قطع هذا الصمت صوت...
صوت ليندا وهي تنادي عليهما بصوت عال:

-هاااي يا رفاق...
حينها ابتعد توماس عن إيما والتفت لليندا مُنتبه لها التي أكملت قائلة:
-لا تنسا وضع المزيد من الحطب، آه، توماس أرجو منك أن تضع أربع شعلات من النار، شعلة في كل اتجاه، نحن لا ندري ما يوجد بتلك الغابة...
قال لها توماس بحماسة:
-لا تقلقي إن المكان أمان هنا...
قالت ليندا وهي تهم بغلق سحاب الخيمة:
-الاحتياط واجب... تصبح على خير.
نظرت له إيما ولكنه كان شارد الذهن بعدما قام بإشعال سيجارة أخرى من الماريجوانا ولا يعيرها انتباه، والصمت طال بينهما ومن ثم قررت الكلام:
-فيما تفكر يا توماس...؟
استمر توماس في شروده وقال وهو يهز رأسه بلا مبالاة:
-لا أفكر في شيء.
قالت له وهي تمسك يده:
-ألن نخلد للنوم...؟
قال لها وهو ينفث دخان السيجارة تجاه السماء:
-اخلدي أنتِ إلى النوم وأنا سوف ألحق بكِ...
أيست إيما من محاولاتها في التقرب من توماس الذي صار باله مشغول عنها لا بها... فقررت أن تنتظره قليلًا في الخيمة وإذا لم يأتِ سوف تخرج كي تطمئن عليه، ولكن تدخينها لتلك

السيجارة وشربها للبيرة جعلا رأسها ثقيل جدًّا فنامت بدون أن تشعر...
ظل توماس شارد الذهن وها قد أكمل سيجارته، ولكن الحزن بدأ يخيم على عقله، شعور مؤلم عندما يشعر المرء أنه في حياة لا يرغب بها أو أن يكمل مع شريك غير مرتاح معه، عندما تستمر في علاقة صارت بها مشاعرك فاترة تشعر مع كل كلمة من شريك حياتك بأنه يقيدك بقيد في كل أنحاء جسدك إلى أن يصل القيد إلى رقبتك فحبه يخنقك، الحب الغير متبادل أشبه بلعنة أو عذاب شديد عليك أن تهرب منه قبل أن ينهي عليك.
من ثم هم كي يفتح صندوق المشروبات وأخذ منه زجاجة بيرة، وبدأ يشرب كي يتوقف عقله قليلًا عن التفكير في فريدة، ولكن أحيانًا عندما نرغب في نسيان شيء نتذكره بشدة، وعندما نهرب من شيء نجده يلهث لكي يلحق بنا، سحقًا للدنيا دائمًا تعطينا عكس ما نرغب به.
ها هو أخذته قدمه، فصار يمشي على شاطئ البحيرة، إلى أن وصل للمكان الذي به فريدة، كانت جالسة أسفل شجرة كبيرة أمام البحيرة في مكان بعيد عن موقع التخييم...
ولكن بمجرد أن رآها أمامه، لم يتمالك نفسه وأقترب منها وجلس بجوارها أسفل الشجرة وقال لها هامسًا:
-لمَ تهربين مني يا فريدة...؟
ردت عليه فريدة وهو تمسك بحجر وتهم برميه في البحيرة في تململ:

-لا تكبر الموضوع يا توماس، أنا لا أهرب منك ولا أهرب من شيء، لم أتعلم الهرب، لقد نشأت على المواجهة فقط لا غير.
نظر لها توماس وهو يضع يده على وجهها موجهًا إياه صوبه كي تواجه عينها عينه وسألها وعيناه تترقرق بالدمع:
-ما بي لا يعجبك يا فريدة وأنا مستعد أن أتغير من أجلك...!
أبعدت فريدة يده برفق وهمت واقفة كي لا تتأثر بنظرته وقالت:
-كل ما في الأمر أنك غير مناسب لي يا توماس.
هم توماس واقفًا كذلك وسألها وهو يسمك بذراعها وبدأت عيونه تذرف الدمع:
-لمَ لا أناسبك يا فريدة...؟ أنا وأنت نشبه بعض في أشياء كثيرة نفس الميول... كنتِ في بداية الأمر منجذبة لي... لمَ الآن صرت أشعر أنك تكرهيني...؟!
-لم أنجذب إليك قط... أنت مجرد صديق لا أكثر ولا أقل...
قوى قبضته على ذراعها وقال لها بحدة تتناقض مع ألم قلبه ودموعه:
-أنتِ تكذبين يا فريدة، تكذبين، أنا رأيت حبكِ لي في عينيكِ...
-توقف عن وهم نفسك، واتركني أرحل...
-لا لن أتركك... لن أتركك تضيعي من يدي، سوف تكوني لي بالرضا أو بالغصب...
-أتركني وشأني أنت مرتبط الآن و...
-لم أحبها قط... أنا قررت أن أفعل ذلك كي أشعل غيرتك لا أكثر ولا أقل، لذا قررت أن أتقرب من أكثر شخصية تريد أن ترتبط بي، قررت أن أخذ حبها لصالحي كي تكوني لي.

-لا يهمني هذه الترهات، وباعترافك ذا سقطت من نظري أكثر، هذا يعني أنك شخص كاذب لأنك خدعت إيما، أعلم أنها شخصية خبيثة ولكن لا تستحق أن تلعب بمشاعرها هكذا...
-أرجوكِ، دعكِ من إيما، أرجوكِ لا تتركيني و...
ومن ثم هم بالتقرب من فريدة ولكنها دفعته وهي تقول له بحدة:
-أبتعد عني، أنا لم أفكر بك قط لأنك على غير ديني، والآن أنت زدت الأمور سوءًا بكونك مدمن على شرب الخمر والتدخين، أبتعد عني، أنت صرت شخصية سيئة ومخادع... من يخدع فتاة أخرى من أجلي سوف يأتِ وقت ويخدعني أنا كذلك... لا أمان لك يا توماس.
من ثم همت بالرحيل، ولكنه لحق بخطوتها السريعة وقال لها:
-أنتِ السبب في تغيري للأسوأ يا فريدة، أنتِ من جعلتني أهرب من واقعي الذي لا أحبه بالإدمان، صرت أرغب في هروبي من واقعي الذي لا أحبه بذاهبي إلى عوالم أخرى في خيالي.
نظرت له بغضب وقالت له مهددة إياه بسبابتها:
-أقسم لك يا توماس إن لم تتركني أرحل الآن سوف أنهي صدقاتنا إلى الأبد...
ومن ثم همت بالرحيل عندما رأت أن توماس قد تصلب مكانه بعد سماع تهديدها، ومن ثم تحولت عيناه إلى بركتي وقد أوشكت على أن تفيضا من كثرة مياهها، قررت ألا تنظر لعينيه الرماديتين كي لا تتأثر بنظرته المتخاذلة، بدأت تمشي ولم تكترث لما حدث، كل ما تعلمه أن عليها أن تفعل ما هو صحيح وكفى، ولكن فجأة سمعت صوت أوراق شجر يأتي من

خلفها أي أن أحد يتبعها وبمجرد أن التفتت شعرت أن زجاجة كسرت على رأسها، كانت الزجاجة زجاجها سميك جدًّا مما سببت الضربة في فقدانها الوعي، ومن ثم...
أفاقت ولكن لا تدري كم مر من الوقت على فقدانها الوعي، وما زال رأسها يدور ولكن فجأة صرخت بشدة عندما أدركت ما لحق بها ومازال يحدث...
صدمت عندما أدركت أن توماس مثل الحيوان يفترسها، مستغلًا فقدانها للوعي، بكل ما تمتلك من قوة دفعت هذا الحيوان عنها، ولكن قواه كانت تفوق قواها، تحاول دفعه ولكنه لم يتوقف قط عن ما يفعله، ولم تجد ما تدافع به عن نفسها سوى حفنة من التراب ألقتها في عينه، زلزلت اتزانه فقامت بإبعاده عنها وهمت بأخذ ملابسها، حاول جاهدًا أن يفتح عينه، ولكن هي في هذه اللحظة تمكنت من التعلق في فرع شجرة والهبوط مجددًا أرضًا بكل قوتها كي ينكسر، فأخذت تهدده إن اقترب منها سوف تقوم بضربه... ولكنه لم يكترث لتهديدها، إن المخدرات أثرت على تفكيره، ولكن فريدة لم تتردد وقامت بضربه فسقط أرضًا، ارتدت ملابسها وهي تجهش بالبكاء بعدما نظرت لفخذيها اللذان تلوثا بدم شرفها... تبكي بسبب ضعفها، تبكي لأنها كانت تظن أنها قوية، كانت تظن نفسها قوية مثل الرجال ولكن الحقيقة هي أنثى، مهما كان هي أنثى، وستظل ضعيفة مهما يكن... ستظل مطمع مهما حاولت من صنع هالة القوة والرجولة حولها.

هرعت تهرول بعدما ارتدت ملابسها باكية صوب خيمتها، ولكن بمجرد ما أن اقتربت لمكان التخييم، رأت ليندا تلهث تجاهها.
نظرت لها ليندا في دهشة وذعر وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها:
-ما بكِ يا فريدة لمَ تبكين...؟
تعجبت ليندا لأن فريدة لا تبكي أبدًا وترفض الضعف... ولكن فريدة لم ترد عليها وهي تشيح بنظرها بعيد عنها وتمسح دمعها وهي تهم بالذهاب تجاه خيمتها...
ولكن سرعان ما ليندا قطعت تفكيرها بما جرى لفريدة وقالت لها بأسى:
-فريدة، أنا كنت نائمة ولكن فجأة شعرت أن خاتمي يهتز معلنًا أن هناك من يتصل، وكما تعلمي أنا أرد على أي اتصال يرد لهاتفي... كان الرقم غريب فقمت بالرد وأنا ناعسة ولكن الصوت الذي سمعته والخبر الذي نزل على مسامعي كان مثل الصاعقة...
لم تكن فريدة ترد على ليندا، هي تسمع لها ولكن عينيها ممتلئتان بالدمع ولكنها بسبب كبريائها تكبل دمعها بالقيود كي لا يفروا منها أمام ليندا وتعلن عن ضعفها... ولكن ليندا أكملت لها بحزن:
-إن المتصل كان أمك يا فريدة، إنها تريدك بشدة...
كل هذا يسقط على سمع فريدة ولا تحرك ساكنًا، ومن ثم أردفت ليندا بعدما حاولت أن تستجمع قواها مع التقاط أنفاسها:
-إن أباكِ في وضع حرج في مستشفى ال...

لم تكمل ليندا الكلام إلا ونظرت فريدة لها في صدمة، ومن ثم هرعت وهي تبكي مثل الطفلة التي تريد أن تهرب من الكون كله الظالم أهله إلى مصدر الأمان لها وملاذها، ألا وهو أبيها.
أسرعت بدخول خيمتها كي تأخذ مفتاح سيارة ليندا وتهم بالرحيل، ولكن ليندا لحقت بها باكية.
كانت ليندا حساسة جدًّا وما يسعد فريدة يسعدها وما يحزن قلب فريدة يؤلم قلبها أضعاف مضاعفة، كانت ليندا أخت لها لا مجرد صديقة:
-سوف آتِ معك يا فريدة، لن أتركك وحدك...
قالت هذا وهي تجهش بالبكاء وهي تتبع خطى فريدة تجاه السيارة، كانت فريدة لا تسمع ولا ترى أحد أمامها.
فتحت باب السيارة كي تقودها ولكن ليندا منعتها وسحبتها من يدها، ولكن فريدة لا تستجيب لصوتها وتبكي في هستيريا وهي تحاول أن تركب السيارة، ولكن ليندا سحبتها بقوة وضربتها كف على وجهها كي تسمع لها فنظرت لها فريدة بشرود وقد احمرت عيناها بشدة وسمعت ما قالته لها ليندا:
-لن أدعكِ تعودي بمفردك أنا من سوف أقود السيارة، إذا قمتِ بالقيادة لسوف تقومين بحادث أنتِ غير واعية يا فريدة...
بعد الكف صارت فريدة في حالة شرود عيناها تستمر في ذرف الكثير من الدمع معلنة بدء العاصفة...
صار جسدها مرخي فأجلستها ليندا على المقعد الآخر وبدأت القيادة للمستشفى، وطوال الطريق فريدة لا تحرك ساكنًا ولكنها لا تتوقف عن البكاء...

لم تختر ليندا وضع القيادة الذاتي في السيارة لأنه يتحكم في مستوى السرعة الذي يشكل الأمان بينما هي اعتمدت على القيادة بأقصى سرعة كي يصلا إلى المستشفى.
ها هما قد وصلا المستشفى استعادت فريدة رشدها وسألت عن اسم أبيها، فهرعت تبحث بين الغرف على رقم غرفة أبيها...
إلى أن وصلت إلى غرفة أبيها، فقامت بفتح الباب بلهفة، ولكنها ترى الممرضات يقمن بفصل الأجهزة عنه، تنظر إليهن متسائلة رافضة الواقع:
-أنتن تقمن بإزالة الأجهزة لأن أبي صار بخير أليس كذلك...؟
ولكن الممرضات لم يقمن بالرد عليها وأكملن عملهن، فنظرت لأمها الباكية وسألتها بهدوء:
-وتين، توقفي عن البكاء، مراد بخير...
من ثم أخذت تقترب من الطبيب وتقول له والدموع تنهمر من عينها:
-قل لها يا طبيب إن أبي بخير، قل لها أن تتوقف عن البكاء...
نظر لها الطبيب وقال لها بأسى وهو ينظر أرضًا:
-أباكِ توفي و...
أمسكت به فريدة من معطفه بقوة وقالت له بغضب صارخة:
-لا تقل ذلك، أنت طبيب غبي لا تفهم، ولا تعلم كيف تقوم بعملك على أكمل وجه، أنا والدي طبيب ولدي خلفية طبية سأريك ما سأفعل له...
تكمل كلامها وهي تقترب من أبيها وهي تبكي في هيستريا:
-هيا يا أبي افتح عينك، هيا يا مراد أرجوك لا تتركني...
بدأت تضغط بكلتا يديها على قلب أبيها وتقول له صارخة:

-لا أستطيع أن أعيش في هذا العالم من دونك يا مراد، أرجوك أفق...
ها هن الممرضات يحاولن سحبها وإبعادها، ولكنها صارت تدفعهن صارخة وتقول:
-أيها الأغبياء قوموا بتشغيل جهاز صدمات القلب، هيا أنقذوا أبي حالًا...
ومن ثم وهي تدفع الممرضات عنها خرت قواها وفقدت الوعي.

*****

استيقظت فوجدت نفسها معلق لها محاليل بمجرد أن أفاقت حاولت أن تفهم لمَ هي في المستشفى...؟! ومن ثم بدأت تتذكر ما حدث، ولكنها كانت تقول في قرارة نفسها:
-اتمنى كل ما مررت به طوال هذا اليوم أن يكون كابوس، يا رب يكون كابوس.
دخلت أمها الغرفة عليها من ثم أمسكت بيدها وهي تبكي وتمسح بيدها على شعرها، ولكن فريدة كانت تشيح بنظرها عن عيني أمها.
كانت أمها تبكي لفراق زوجها، ولكن كانت تبكي أكثر على ابنتها المتعلقة بأبيها بشدة.

*****

أنهت وتين اجراءات نقل الجثمان إلى مصر، واستعدتا للسفر لمصر، كانت هذه المرة تزور فيها فريدة مصر ولكن جسدها فقط هو الذي سافر ولكن عقلها ظل في لندن يجوب أرجاء البيت مع ذكرياتها هي ووالدها...

*****

مرت الشهور وفريدة في غرفتها في فيلتهم في مصر في منطقة السادس من أكتوبر.
صارت لا تتحدث مع أحد، ولم تعد للندن لكي تكمل عامها الدراسي.
قدرت أمها سوء حالتها، وخسرانها لمن كان لها كل شيء.
ولكن في شهر أغسطس من عام ٢٠٣٨ أي بعد مرور عام وخمس أشهر على تلك الصدمة الكبرى بفقدها أبيها، وتلك الصدمة الأخرى بفقدها شرفها واثبات ضعفها.
حاولت خلال تلك الفترة أن تتعافى من كلتا الصدمتين ولكن أثرهما كان عميق جدًّا، قررت الانتحار ولكنها خافت من عقاب الرب.
حتى أمها تملكتها الوحدة، صارت فجأة شاحبة بغياب حبيبها وشريك حياتها مراد وبفقدها شغف وسعادة بنتها... كم كانت تحب نقاشها هي وبنتها وتشاجرهما سويًا... يقولون إن الشخص الذي تحب أن تتشاجر معه كثيرًا هذا يعني أنك تحبه بشدة.

*****

يد شاب تحمل سكين تقترب من فتاة لا نرى من ملامحها شيئًا، لا نرى سوى ظهرها وشعرها الأسود متوسط الطول، اليد تقترب أكثر وأكثر، إلى أن التفت الفتاة مسرعةً ولكن شعرها يخفي ملامحها التفتت عندما شعرت بأنفاس أحد خلفها وها هي اليد تنقض على طعنها في ظهرها وسقطت أرضًا غارقة في دمها و...

-فريدة... استيقظي يا فريدة.
قامت فريدة مفزوعة من نومها... بدأت أمها تهدأ من روعها... وسألتها ما بها فقالت لها فريدة:
-كابوس يا وتين... كابوس يتكرر معي كثيرًا هو عبارة عن...
قاطعتها أمها وقالت لها وهي تمسح على شعرها لتهدئتها:
-لا يا حبيبتي، لا تذكري الأحلام السيئة أو الكوابيس فقط اتفلي على يسارك ثلاث مرات واستعيذي من الشيطان ومن شر هذه الرؤيا.
ظلت فريدة شاردة بعض الشيء ومن ثم تغاضت عن التفكير.

*****

بعد قليل من الوقت خرجت فريدة لشرفة غرفتها، تحاول أن تتنسم الهواء كي يدخل ويزيل عن روحها غبار الحزن والكأبة من ثم زاد شرودها فذاب بالها في غياهب تفاصيل الفيلا المقابلة لها ذات النوافذ والشرفات المغلقة و...
ولكن أمها تقطع شرودها عندما دخلت وأحضرت لها كوب من القهوة وكيك كي تتناوله...
جلستا سويًا تستمتعان بشمس مصر الدافئة التي تفتقر لها لندن الباردة الغائمة الكئيبة.
قالت لها أمها وهي تنظر لها برفق:
-حبيبتي فريدة، ما رأيك في مصر...؟
تنهدت فريدة وهي شاردة الذهن في السماء الصافية وقالت وهي تتنفس بهدوء:

-إنها جميلة حقًا بالرغم أني لم أرى شيء منها سوى هذا الطريق الذي أراه من شرفتي، ولكن جوها يبعث الدفيء داخل الروح...
-ما رأيك بالاستقرار هنا...؟
نظرت لها فريدة باستغراب وسألتها:
-هنا أين...؟
-في مصر يا فريدة، أنا كنت أرغب بشدة بالعودة والاستقرار في مصر ولكن مراد...
ومن ثم لم تكمل الكلام لأنها لا تريد أن تبعث الحزن داخل فريدة بذكر سيرة أبيها...
نظرت لها فريدة وقالت لها:
-أكملي، ولكن أبي... ماذا...؟
ابتلعت وتين ريقها وقالت لها بحزن لمجيء طيف ذكرى مراد في بالها:
-لأن مراد كان ينتظر أن تكملي دراستك الثانوية والجامعة وتصيري طبيبة مثله ومن ثم يأتِ ويستقر هنا، كما تعلمي أن المغترب مصيره في يوم يعود لوطنه مهما طال غيابه.
-يعني هذا كان هدف مراد...!
أومأت أمها برأسها أن نعم، فقالت لها فريدة وهي تحاول أن تتمالك أعصابها وألا تبكي، وهي ترسم شبح ابتسامة لأمها وتقول:
-وأنا سوف أحقق مراد أبي مراد، ولن أخذله أبدًا...
ابتسمت لها أمها ابتسامة تقاوم العبوس والبكاء، ومن ثم قاطعتها فريدة وهي تهم بدغدغتها:

-توقفي عن البكاء أيتها البومة الكئيبة، لا أدري لمَ من بين الأمهات أنتِ أمي...؟
حينها مسحت وتين دموعها وهي تبتسم وهي تهم بالوقوف وتقول:
-آه وأخيرًا قد عادت ابنتي المشاغبة من جديد.
أخذت فريدة فنجان القهوة وقطعة الكيك ووضعتما على سور الشرفة وسألت أمها وهي تهم بتناول الكيك:
-وتين، هل مراد كان يحب مصر...؟
تنهدت أمها وهي تتقرب منها وسرحت في السماء وقالت بلهفة:
-ومن في الكون لا يعشق مصر...
قاطعتها فريدة بعدما قامت ببلع الكيك بسرعة وقالت بعناد:
-لم أسألك على الكون كله، أنا أسألك على مراد لا أحب اللعب بدفة الحديث ها...
تنهدت وتين وهي تنظر بغضب يتخلله السعادة لابنتها:
-آخ يا ربي أنتِ خلقتِ كي تعانديني وكفى، اسمعيني جيدًا يا ذات اللسان الطويل... إن مراد كان يعشق مصر ويحب كل ما بها ولكن اضطر للسفر لكي يحقق ذاته ليس هربًا منها أو كرهًا فيها كما يفعل قليلين الأصل... ولكن كان هناك دافع آخر للسفر هو أن ذاك البيت...
قاطعتها فريدة بصوت مكتوم وهي ترتشف من فنجان قهوتها وطلبت من أمها بلهفة:
-أريد أن أذهب للأماكن التي كان يحبها مراد قبل أن أسافر.

نظرت لها أمها بسعادة على تغير بنتها للأفضل وخروجها من قوقعة الحزن أخيرًا وأردفت لها بنظرة مليئة بحنو الأمومة:
-كان يحب القاهرة بكل ما فيها من مناطق أثرية أو متحضرة، وكان يحب سيناء بكل ما فيها بلا استثناء، والأقصر وأسوان.
نظرت لها فريدة ببلاها ومن ثم غمغمت:
-لا أدري شيئًا عن كل هذا، دعينا نبدأ من أي مكان ولكن المهم أن نزورهم كلهم خلال هذا الشهر...
وبالفعل بدأت رحلاتهما... وبدأت فريدة تشعر بالقرب أكثر لأمها، كانت دائمًا لا تشعر أنها بحاجة إلى حنان الأم، لأن حب الأب يكفيها، ولكن بعد فقدها لأبيها صارت تحتاج لحنو أمها الذي تبحث بين ثناياه على حب أبيها، وقررت أن تحب أمها بشدة، يكفي أن أبيها كان يهيم بها عشقًا.
مرت الأيام فقررت فريدة السفر للندن والعودة إلى مصر في العطلات فقط، ولكن أثناء وجود فريدة مع أمها في المطار سألت أمها السؤال التي لم تتجرأ أن تسأله كل هذه الفترة:
-أمي، كيف مات أبي...؟
-مات أباكِ بسبب كثرة الإجهاد... لم يكن مراد يفكر في راحته... كان دائمًا ما يفكر في غيره ونفع غيره وكفى... كان في ذلك اليوم يشعر بالإجهاد، طلبت منه أن يرتاح ولكنه أصر أن يذهب لعمله في الجامعة...
ويبدوا أن الإجهاد قد ألم قلبه بشدة ووصل لحالة لم يتم إسعافها ورحل بسلام كما كان يعيش بسلام...
رسمت ملامح الأسى على وجهها وتمتما:
-الله يرحمه.

من ثم جال في خاطر فريدة سؤال راغبة أن تغير مجرى الحديث كي لا تستسلما للحزن:
-أمي، لمَ تؤمنين بالأحلام...؟ ولمَ تعيرنها اهتمامك...؟
-لأنها حق يا بنتي، وكل ما أحلم به يقع.
-ولكن في مرة قلتِ لي أن توماس سوف يؤذيني...
-نعم، أنا غير مرتاحة لهذا الشاب ابتعدي عنه عند رجوعكِ لندن.
-ولكن هذا الحلم كان منذ مدة طويلة لمَ أحذر منه...؟
-ابتعدي عنه لأنه سوف يلحق بكِ أذى كبير... يعني إن لمْ يلحق بكِ أذى عندما حذرتك منه هذا ليس معناه أنه لن يؤذيكِ، ولكن موعد تحقيق الرؤيا لم يأتِ بعد... فانتبهي.
غمغمت فريدة في قرارة نفسها وقالت:
-لقد وقعت الرؤيا ولحق بي الأذى، وأنا كنت أظن أن الأحلام ما هي إلا تخاريف من العقل الباطن.

*****

فتاة تقف شاردة ترتدي عباءة سوداء على كتفها وشاح أصفر وشعرها أسود متوسط الطول فاقتربت منها فريدة كي تفهم ما بها، لمَ هي واقفة بمفردها...؟
ولكن سرعان ما بدأت بطنها بالنزف ومن ثم سقطت أرضًا فبرز السكين المطعونة به في ظهرها...
صعقت فريدة من هول المشهد... حاولت أن تقترب من الفتاة كي تتأكد أنها ما زالت على قيد الحياة أم لا قبل أن تطلب المساعدة...

ولكن سرعان ما تحولت نظرة الفتاة من ساكنة هادئة إلى نظرة كلها شر وتوعد وقالت والدم يخرج من عينها ومن شدقيها:
-ابتعدي عن هنا... لا تعودي إلى مصر من جديد... ابتعدي.
*****
فتحت فريدة عينها على صوت اسم الطائرة للرحلة القادمة...
كانت فريدة متعبة بعض الشيء فقررت أن تنام قليلًا قبل موعد طائرتها...
نظرت لها أمها وقالت لها بلهفة:
-كنت سوف أوقظك الآن...
لم تهتم لما تقوله أمها وهمت بمعانقتها وهي تشعر بأمان وراحة من بعد هذا الكابوس، ولكن سرعان ما بدأت تسمع همهمات أمها... فقالت لها فريدة:
-لا تقلقي عليّ أن احتجتِ لي في أي وقت سوف تجديني بين يديكِ في خلال ساعة...
أوه الرحلة في عام 2038تحتاج ساعة ونحن الآن نحتاج أكثر من خمس ساعات، بالفعل أن التقدم سوف يوفر لنا الكثير من الوقت، ولكن علينا أن نستغل هذا الوقت الذي قمنا بتوفيره فيما هو مفيد وليس للراحة أو إضاعته هبائنا.
*****

الفصل الثالث

الاختراع

عادت فريدة إلى لندن وكان رفيقيها توماس وليندا في انتظارها، لم تكن تتوقع أن ترى توماس بعد فعلته تلك، لقد كانت على استعداد أن ترى ليندا التي اتصلت بها بعد غياب طويل وقالت لها على موعد وصولها...

عندما رأيت توماس رسمت ملامح الغضب على وجه فريدة وقالت لليندا:

-لم أكن أظن أنكِ ستفعلين ذلك، قلت لكِ لا تخبري أحدًا...

وهمت فريدة غاضبة وهرعت خلفها ليندا موضحة:

-توقفي عن تعصبك ذا واسمعيني يا...

قاطعها توماس وقال:

- دعيني أنا أوضح لها

همت فريدة مسرعة وخرجت من المطار، هرع خلفها توماس وقال لها وهو ممسك إياها وهو يلهث محاولًا التقاط أنفاسه:

-هل يمكن أن تعطيني من وقتك دقيقة، أقسم لكِ دقيقة واحدة فقط.

-ولا حتى ثانية، لا أريد أن أرى وجهك.

-صدقيني، دقيقة واحدة ولن تري وجهي مرة أخرى.

وافقت فريدة على مقابلته ولكنها كانت تقف بجانبه أي لا تريد أن تقابل عينها عينه أبدًا، لأنها عندما تنظر له تشعر بالبغض ورغبة في الانتقام على ما فعله، ولكن سرعان ما قطع توماس

شرودها بالتفاته أمامها ونزوله على ركبتيه معتذرًا متأسفًا لها باكيًا:
-فريدة أرجوكِ أعطِ لي فرصة أخرى أثبت لكِ صدق نيتي أني أحبك ولم أكن أقصد أن أذيك، أقسم لكِ أني لم أكن بوعيي...
ولكن فريدة لم تكن تنظر له وبدأت الدموع تلتمع في عينيها ولكنها رفعت رأسها في كبرياء كي تمنع دموعها من النزول.
لأن إذا نزلت دموعها حزنًا على ضعفها ستشعر أنها فقدت ما تبقى من كبريائها وكرامتها.
لم تتمالك نفسها بسماع صوت توماس الباكي النادم فهمت بسحب حقيبتها تاركة إياه، ولكن سرعان ما هم توماس واقفًا ممسكًا بيدها ووقف أمامها وقال لها وهو يمسح دمعه محاولًا تمالك نفسه:
-فريدة يجب أن تصدقي أني لم أكن بوعيي، أنا استيقظت في اليوم التالي بجوار البحيرة ومن ايقظتني كانت إيما جاءت إليّ وكانت مندهشة من وضعي هكذا من دون ملابسي، عندما أفقت لم أكن أدري ما سبب وجودي هناك، ولكن سرعان ما بدأت أتذكر ما حدث في ذلك الوقت كانت إيما لا تتوقف عن السؤال ولكني لم أكن أرد لأني صرت نادمًا على ما فعلته معكِ يا فريدة، وفي ذات اليوم قررت الانفصال عن إيما بل والابتعاد عن هذا الطريق الذي اقحمت نفسي به بسبب حماقتي، لا أدري لمَ فعلت كل ذلك...! ولكن السبب الوحيد هو حبي لكِ، اخترت أن تكون إيما شريكتي كي تغيري وأشعر بحبك ونكون سويًا ولكن لم أفكر قط في الطريق الذي سوف أتبعه بعد علاقتي بإيما، إيما غيرتني للأسوأ صرت مدمن،

وصرت أتخذ أدماني سبيل للهروب من واقعي الذي لا يعجبني، واقعي الكئيب لأنكِ لستِ حبيبتي.
فريدة لم تعر كلامه أهمية وهمت بالتحرك ولكنه أمسك يدها وأكمل كلامه وهو يقابلها وجهًا لوجه:
-أعرف ما يجول في خاطرك تجاهي الآن، أعلم أني لم يجبرني أحد على هذا الطريق وأنا المسؤول الوحيد عن كل ما مررت به، ولكن أقسم لكِ لم أكن أظن أن المخدرات سوف تذهب عقلي وأؤذيكِ، لم أنوي قط ولم تجول هذه الفكرة حتى في خاطري.
قاطعته فريدة في عصبية وعيناها تترقرق بالدمع وقالت:
-مهما تقول لن أغفر لك أبدًا ما سببته لي من ألم خلال كل هذه الفترة، أرجوك لا تظهر أمامي مرة أخرى أريد أن أتعافى مما حدث وألا أتذكره مرة أخرى.
صار توماس يتبعها ويقول لها معتذرًا:
-أنا أسف يا فريدة، كنت أنتظر اليوم الذي أراكِ به كي أعتذر لكِ وكنت أتمنى أن تعطي لي فرصة أخرى لكي أكون معكِ، لأنك لو قبلتِ اعتذاري، هذا معناه أن لي فرصة أخرى للحياة، ولكن إن لم تقبلي اعتذاري فهذا معناه أني لن أستطيع أن أستمر في عذاب نفسي أكثر من ذلك على ما فعلته بكِ وما سببته لكِ من ألم... أرجوكِ لا تكرهيني... وتذكري لي أي ذكرى جميلة بيننا في يوم... لا تهربي مني ثانية يا فريدة... لأني سوف أرحل...
وضغط على حذائه وطار عاليًا.

التفتت فريدة فرأت ليندا تقف بعيدًا تتأمل الموقف، ولكن بمجرد أن رأت فريدة لم تحرك ساكنًا، نظرت بحزن إلى فريدة وضغطت على حذائها وطارت كي تلحق بتوماس...
وقف توماس فوق مبني عالي جدًّا، ولكن ليندا نظرت له وهي تبكي كي لا يترك جدار المبني ومن ثم أردفت:
-توماس، توقف أرجوك، لا تفعل ذلك، أنا أعلم أن فريدة سوف تسامحك، لا تصدق صلابتها، إنها تحتاج إلى بعض الوقت، أرجوك لا تيأس وتستسلم مسرعًا هكذا أرجوك.
تمتم توماس وهو يجهش بالبكاء:
-أريد أن أموت، لأني لا أجد الراحة في حياتي، أنا شخص أحمق ولا أحد يحبني، ولا أحد يرغب في وجودي.
بدأت ليندا تقترب منه بحذر وتقول:
-من قال لك هذا يا توماس، كلنا نحبك، كلنا نرغب في وجودك معنا.
صرخ بها توماس وقال لها وهو يبكي:
-ابتعدي عني يا ليندا، لأنكِ إن حاولتِ منعي سوف تعجلي في موتي قبل أن أطلب السماح من الرب وكل من أعرفهم.
-أرجوك توقف عن التفوه بهذا الكلام، وأزل من بالك هذه الفكرة، وهيا عُد معي.
-لن أعود لأن فريدة لم تسامحني، لا أريد أن أعود للدنيا المصرة على اعطائي أشياء وأشخاص لا أرغب بهم، ودائمًا ما تسلبني كل ما أريد.
نظر لليندا وقال لها باكيًا:
-ليندا سامحيني إن سببت لكِ أذى في يوم من الأيام...

قاطعته ليندا وقالت باكيةً:
-ولكنك لم تأذني أبدًا يا توماس، لطالما كنت المقرب لي منذ الصغر وأني أحبك جدًّا.
ومن ثم رفع رأسه للسماء مجهش بالبكاء وهو يقول:
-يا رب سامحني على ما سوف أقدم عليه، ولكني أطلب منك مغفرتك و...
ومن ثم سمع صوت يأتِ من أمامه ففتح عينه في دهشة:
-وأنا... ألا تريد أن تطلب الغفران مني مرة أخرى قبل الرحيل...!؟
دهش توماس عندما سمع ذلك الصوت، الذي كان صوت فريدة التي كانت محلقة أمامه في الهواء وتنظر له نظرتها المتفائلة التي طالما اعتاد عليها عندما تكون فريدة في مزاج رائق.
فأفلت يد من اليدين الممسكتين بالسور كي يمسح عينيه من الدمع، في تلك اللحظة فقد اتزانه واليد الأخرى فقدت تماسكها ولكن سرعان ما عانقته فريدة معيدة إياه، ومن ثم أمسكت به ليندا واجلساه على سطح المبنى وهما بجواره، من ثم نظر إلى فريدة في دهشة، وهو يقول بعينين مليئتين بالدمع:
-هل هذا حقيقي، هل سامحتني بالفعل يا فريدة؟
نظرت له فريدة باستغراب مداعبة إياه:
-ما هذا السؤال الغبي...! أقسم لك إن سألت مثل هذه الأسئلة مرة أخرى سوف ألقي بك من فوق هذا المبنى وقبل أن ألقي بك سوف أخلع حذائك ذا.
ابتسم لها توماس باكيًا وأردف:
-كم أحب انفعالك يا فريدة.

همت فريدة واقفةً بهمة وقالت لهما:
-هيا يا رفاق أريد أن نخرج سويًا بمناسبة عودتي.
ومن ثم ضربت مقدمة رأسها بكف يدها متذكرة:
-آه... نسيت، لا مانع من قدوم إيما معنا...
نظر لها توماس بحزن:
-ولكني قلت لكِ أننا انفصلنا، ويوجد سبب آخر كذلك فلا يمكن أبدًا أن تكون معنا مرة أخرى.
-لا أريد أن تنفصل عنها بسببي هيا اتصل بها مرة أخرى و..
أنفعل توماس قليلًا وأردف:
-أنا لم أنفصل عنها بسببكِ، أنا لم اتأقلم معها قط، وإيما ماتت في حادث هي ورفيقها بسبب حالة سُكر كان بها وهو يقود.
نظرت له فريدة بحزن وأردفت:
-الحمد لله أنك ابتعدت عن هذا الطريق وها انت معنا سالمًا.
من ثم نظرت نظرتها المشاغبة لليندا التي كانت لا تفعل شيء سوى النظر لهما:
-يبدو أن هناك أمور كثيرة قد تغيرت هنا...
ابتسمت لها ليندا وأردفت وهي تهم واقفة وتأبطت ذراع فريدة ضامة إياها:
-سأخبرك بكل شيء.

*****

قامت فريدة بإعادة آخر عام لها في الثانوية من جديد فأخذت تجد وتجتهد كي تلتحق بكلية الطب التي سبقاها إليها كل من توماس وليندا.

*****

في السابع من شهر أكتوبر عام 2038
-الو.... دكتور جون... أين كنت؟ لقد قلقت عليك كثيرًا.
-أسف يا عزيزتي... كنت مشغول جدًّا من أجل أن أحضر لك هدية عيد ميلادك... ولكني لم أوفق.
-ماذا... هدية؟ أنت أكبر هدية لي في الحياة... أنت صرت لي أبي من بعد موته.
هذا أول عيد ميلاد أشعر فيه أني وحيدة بدون أبي الذي مات ومن دون أمي التي قررت أن تستقر في مصر من بعد وفاة أبي، وها أنت قد أكملت تعاستي ليلة عيد ميلادي بعدم حضورك، بل واقلقتني عليك.
-سامحيني يا عزيزتي... لم أقصد أن أجعلك تعيسة ليلة عيد ميلادك... بل أن المفاجأة التي كنت أود أن تكون جاهزة ليلة عيد ميلادك لم تجهز بعد.
-وما هي هذه المفاجأة...؟
-كيف تكون المفاجأة مفاجأة إذا علمتِ بها يا فريدة...؟
-حسنًا، قل لي أين أنت الآن...؟ أنا ذهبت إلى بيتك وسألت العمة كريستينا ولكنها اجابتني: "أنها لا تعلم أين أنت".
-لقد خرجت مبكرًا ولم أخبرها أني سوف أذهب لمختبري.
-إذن أنت في المختبر الآن، سوف آتِ إليك حالًا.
-فري...!
أغلقت الهاتف بمجرد أن عرفت أين دكتور جون.
بعد ساعة وصلت إلى مختبره، عندما قابلته عانقته بشدة، إنها تحبه جدًّا فهو بالنسبة لها مثل أبيها.

دكتور جون بمجرد أن رآها أمامه فتح ذراعيه إليها مستقبلًا عناقها له، وأردف:
-أوه يا عزيزتي، سامحني عما صدر مني الليلة، ولكن الأمور لم تجري كما خططت لها.
-لا يهمك يا جون، أنت تعرف كم أحبك، أنا حزينة فقط لأني ظننت أصابك مكروه، حمدًا لله أنك بخير.
-لا تحزني يا صغيرتي فلقد أوصاني أباكِ عليكِ وأني مسؤول عنكِ وعن سعادتك.
-لا تقل لي صغيرتي، لقد كبرت يا جون، الليلة عيد ميلادي الثامن عشر، صرت شابة يانعة الآن.
-لا ستظلين صغيرتي إلى آخر يوم في حياتي.
-حسنًا، قل لي الآن ما هي المفاجأة التي جعلتك تتخلف عن ليلة عيد ميلادي...؟
-لقد أكملت الاختراع لتوي ولكني لم أجربة، يجب أن أجري بعض التجارب على أشخاص متطوعين كي أثبت صحة الاختراع.
-وما هذا الاختراع...؟
-اختراع يجعلك تتحكمين بالزمن، ترجعين لأي تاريخ في الماضي، وتكتبي أي تاريخ في المستقبل.
-وكيف أفعل ذلك وما هو شكل هذا الاختراع؟
-إنه يتكون من خمس قطع يا عزيزتي.
عدسات لاصقة، لا تظني أنها للتجميل ولكني صممتها لكي تكون شاشات مصغرة لكي نرى من خلالها.

وسماعتان دقيقتان جدًّا نسمع من خلالهما ما سوف نمر به خلال تلك التجربة.
وخامس قطعة ذاك الجهاز اللوحي إنه يشبه الهاتف أعلم ذلك، ولكنه مبرمج على كتابة التاريخ والسفر عبر الزمن.
-اووه، يعني سوف أختفي من هنا وأسافر عبر الزمن.
-لا يا عزيزتي، لن يحدث ذلك، جسدك سوف يظل هنا في المختبر.
-وكيف سوف أسافر عبر الزمن أن لم أسافر بجسدي.
-سوف تسافرين في رحلة العودة للماضي أو السفر للمستقبل من خلال عقلك فقط، ومن خلال العدسات اللاصقة سوف ترين الواقع في الماضي أو المستقبل.
-ولكن كيف سوف أشعر بهم وكيف سوف يشعرون بي.
-إن العدسات التي ترتدينها تصدر إشعاعات تحيط بك تجعلك مرئية كما تظهر أي شيء حولك، والسماعات التي ترتدينها تصدر ذبذبات تجعلك مسموعة وتمكنك من سماع أي شيء حولك.
-ولكن كيف سوف أكون في الماضي والمستقبل بلا جسدي.
-سوف تسافرين للماضي والمستقبل من خلال روحك فقط، وتلك المعدات التي معك تجعلكِ طيف شفاف أو شخص محسوس به تمامًا.
-لم أفهم يا جون...!
-أنها مغامرة تشبه الحلم إلى حد كبير، ولكنه حلم أنتِ من تختاري أحداثه، والأشخاص التي تريدين أن ترينهم أثنائه. يعني يمكنك أن تعودي لأي يوم في حياتك.

-صدقني يا جون أنا أحاول أن أفهم، وأريد أن أجرب هذا الاختراع حالًا.
-أجننتِ يا فريدة، لا يمكنني أن أجرب الاختراع عليكِ، إن لهذه التجربة توقيت يجب أن تعودي قبل تمام ست ساعات في التجربة.
-يعني إذا استمريت أكثر من ست ساعات ماذا سيحدث يا جون...؟
-لن تعود روحك من جديد إلى جسدك.
الجهاز لن يتحمل أن تطول مدة التجربة أكثر من ست ساعات.
إذا أنتهى شحن الجهاز للمدة المحددة لن يمكنك أن تشحنيه لا في الماضي ولا المستقبل، يجب أن تعودي إلى الواقع من جديد، ونعيد شحن الجهاز لكي نكرر التجربة.
- حسنًا يا جون لقد فهمت كل شيء، إن الأمر بسيط جدًّا.
إنها أفضل مفاجأة صارت لي في حياتي.
إذا كنت تحبني حقًا دعني أجرب هذا الجهاز.
-لا يمكنني، لا أدري ماذا سوف تكون النتائج يا عزيزتي.
-أرجوك، أريد أن أعود بالزمن لليوم الذي تركت فيه البيت لكي أسافر مع اصدقائي وتركت فيه أبي ولم اسمع لتحذير أمي.
ولكني كنت أظن أنها خائفة علي، كنت أظن أنها تظنني ما زلت تلك الفتاة الصغيرة المدللة، لذا تمردت وسافرت وتركتهما.
-اهدئي يا عزيزتي، إن أباكِ أوصاني عليكِ وقال لي أنه يحبك بشدة وأوصاني أن أحبك كما كان يحبك.

أنتِ ابنتي التي حرمت من انجابها.
-إذن إذا كنت تريد أن تنفذ وصية أبي لك، دعني أقوم بهذه التجربة، أريد أن أرى أبي، أريد أن أعانقه، لقد اشت...ق..ت إليه كثيرًا...
-تعالي في حضني يا حبيبتي، توقفي عن البكاء يا عزيزتي، دموعك غالية عندي يا بنيتي، توقفي يا فريدة أنتِ قوية، وهذا أمر الرب وعلينا أن نحمد الرب على قدره.
-أرجوك، دعني أذهب إليه.
-حسنًا يا فريدة، ولكن دعيني أصل الحاسوب الخاص بي بجهاز التحكم الخاص بكِ لأنك يمكن أن تنسي التحكم في الجهاز ويأخذك الوقت، فسوف أقوم أنا بإخراجك من التجربة. وسوف يظهر لي وأسمع كل شيء أنتِ ترينه أو تسمعينه في الحاسوب الخاص بي.
فجأة تغيرت ملامح الحزن والبكاء إلى ملامح فرحة ومن ثم قالت لجون وهي تهم بمسح دموعها:
-ولمَ كل ذلك يا جون، أنا سوف انتبه للوقت.
-على الأقل يا حبيبتي في أول مرة بعد ذلك إذا نجح الأمر سوف أتركك تفعلي ما تشائين.
-حسنًا ها أنا أنتظرك إلى أن تنتهي، ولكن لا أريدك أن تتعب معي أنت لم تنم بعد.
-لا يهمك يا عزيزتي، الليلة ليلة ميلادك وعليّ أن أسعدك.
ومن ثم مر القليل من الوقت ومن ثم نظر لها دكتور جون نظرة تشجيعية وقال لها:
-أنتِ جاهزة يا عزيزتي!

-أنا جاهزة يا جون، بل أنا متحمسة، لم أكن أظن أن بإمكاني أن يعود بي الزمن وأعيش مع أبي آخر أيامه... ولكن هل يمكنني أن أسألك سؤال؟
-أكيد يا فريدة.
-هل يمكنني أن أمنع أبي من الخروج ذلك اليوم كي لا يمر بتلك الأزمة وبذلك عندما أعود للحاضر أجد أبي لم يمت بعد.
-لا، لن يمكنك ذلك يا فريدة، إلا الموت لن يمكنك منعه أبدًا لأنه مكتوب علينا جميعًا في يوم محدد سوف نموت.
يعني إذا منعتِه أن يموت بتلك الطريقة سوف يموت بطريقة أخرى، لأن هذا يومه يا عزيزتي.
-ولكن...
-لا تفكري يا عزيزتي... كل ما عليكِ أن تعودي بالزمن وتقضي هذا اليوم مع والدك، وأهم شيء أنك بالفعل غير موجودة في ذلك التاريخ لأنك مسافرة مع أصدقائك، فلن تكوني عائق لنفسك في ذلك الوقت.
-حسنًا يا جون، لقد فهمت كل شيء الآن.
إذا أنا مستعدة...هيا بنا نبدأ.
جلست على الكرسي ومن ثم ارتدت العدسات ومن ثم وضعت السماعات الدقيقة في أذنها ومن ثم أعطاها دكتور جون جهاز التحكم، أمسكت به في يديها وكتبت التاريخ (٢٠٣٧/٣/١٣) وعنوان بيتها ومن ثم نظرت نظرة وداع إلى جون وعينيها تفيض من الدمع ومن ثم ضغطت على التأكيد.

أوه يا إلهي، في غمضة عين صارت أمام باب بيتها، رنت جرس البيت، فظهرت أمها في الشاشة الموجودة بجوار البوابة فقالت لها مندهشة:

-ها، فريدة، عدتِ بسرعة... ألم تقولي أنكِ سوف تسافري مع أصدقائك.

-لم أستطع أن أرفض طلبكِ، ورغبت في أن أقضي اليوم معكما.

-ادخلي يا فريدة، ولكن أين حقيبتك؟

-أوه، لقد نسيتها، ولكن لا يهم.

-كم أنتِ غريبة يا فريدة، ولكن لمَ لم تفتحي بالمفتاح يا بنيتي؟

-قلت لكِ نسيت حقيبتي يا وتين.

-ليس من طبعك النسيان يا فريدة ولكن لا يهم.

-قولي لي أين مراد؟

في هذه اللحظة قد جاء أبي عن طريق الحديقة الخلفية عندما سمع صوتي.

قال لها مراد عندما رآها:

-فريدة..! م...

لم تجعله يكمل سؤاله حتى لأنها هرولت إليه معانقة إياه بشدة، هرعت إليه بلهفة وقالت له وهي تقبله بجنون:

أبي، أبي حبيبي، لقد اشتقت إليك كثيرًا، آه يا أبي يا حبيبي آه لو تدري كم أحبك.

ومن ثم صارت تبكي بهستيريا، أخذ يربت عليها وهو معانق إياها بشدة ويقول لها:

-يا حبيبتي وأنا أيضًا أحبك، ولكن لمَ تبكي يا حبيبتي اهدئي...!

-أبكي لأني اشتقت إليك كثيرًا.
-لمَ كل هذا الاشتياق، كنا معًا منذ قليل يا فريدتي.
أردفت أمها متعجبة:
-إن فريدة غريبة جدًّا اليوم، تخيل يا مراد أنها قالت لي يا أمي، وهي لا تقل لي تلك الكلمة قط... وها هي تنعتك بأبي...!
ضحك مراد وفريدة ممسكة به مثل الطفلة التي لا تريد أن تترك حضنه، بل صارت تقف بجانبه وهي تضمه، ومن ثم قال مراد لوتين وهو يمسح بيده على شعر فريدة:
-ما أجمل كلمة أبي من بنيتي، إن أي كلمة تكون جميلة من فريدة.
ولكن قولي لي يا صغيرتي ما سبب كل هذا الاشتياق، ولمَ لم تسافري مع أصدقائك؟
لا أدري ولكني فكرت كثيرًا بأن تكون رحلتي معك ومع وتين، ها ما رأيك اليوم نخرج سويًا، ونذهب للتنزه وللعب والذهاب للملاهي وللسينما وأكل المثلجات.
ضحك مراد ونظر لعينيها وأردف:
-كل هذا يا حبيبتي في يوم واحد؟
نظرت إليه وهي تعانقه وتحاول أن تحبس دمع عينيها وأردفت:
-نعم كل هذا، ولن ترفض لي طلبي.
-بالرغم أني متعب يا صغيرتي ولدي عمل مهم ولكن لا يوجد شيء مهم بالنسبة لي سواكِ، أنتِ تتدللين يا حبيبتي.

وبالفعل تنزهوا ولعبوا سويًا وضحكوا كثيرًا واكلوا الوجبات التي يحبونها والمثلجات التي يعشقونها، وشاهدوا فيلم في السينما للفنان المفضل لهم.
مر الوقت وهي لا تترك حضن أبيها، لم تفارقه أبدًا، لم ترفع عينيها عن عينيه، كانت تريد أن تجترع المزيد والمزيد من نظرات عينيه لكي تروي ظمأ اشتياقها إليه.
ومن ثم قرروا أن يجلسوا أمام البحر ويتكلموا، ضحكوا كثيرًا ولم تترك فريدة يد أبيها لحظة، ولكن في لحظة وهو جالس على الكرسي، سرح قليلاً في البحر وفريدة تتحدث إليه ولا يرد، نظر لها أبيها وهو يرسم على وجهه ابتسامة ولكن فريدة شعرت أن خلف هذه الابتسامة ألم بداخله، نظر إليها بعينيه السوداوين اللامعتين المتلألئتين بسبب الدمع النابع من الألم الذي يحاول ألا يظهره إليها ومن ثم قال لها وهو يبتسم:
-فريدة أنا أحبك.
ومن ثم حول نظره إلى وتين وقال لها:
-وتين أنا أحبك ولم أحب غيرك وسأظل أحبك إلى الأبد.
فريدة كوني فريدة يا فري...
وأثناء كلامه كانت فريدة وأمها تقولان:
-وأنا أيضًا أحبك...
وظلا يبكيان ولكنه لم يكن متجاوب معهما، كأنه لا يسمعهما هو فقط يراهما ويقول هذا الكلام، ومن ثم أغمض عينيه.
صرختا فريدة ووتين وها هما يحركانه كي يعود لوعيه:
-مراد... أرجوك افتح عيني...
*****

-ها، أين أنا؟
دكتور جون؟
ماذا حدث؟
رد عليها دكتور جون وهو يمسك بأذنها معاتبًا:
-أخ منك يا فريدة، لم تفعلي شيء مما اتفقنا عليه، ها أنتِ عدتِ بالزمن وغيرتِ الأحداث ولم تتركي أباكِ يذهب و...
-لم أرغب أن تكون نهاية أبي وأنا بعيدة عنه و...
-ولكن حدث ما قلته لكِ... في الوقت المحدد لكل منا سوف نترك الحياة لا مجال للهرب من الموت.
صارت تبكي بجنون فضمها دكتور جون وقام بتهدئتها.
-آه يا جون، أشكرك كثيرًا، اليوم أفضل يوم في حياتي، عشت سعادة لم أعشها قط في حياتي مع أبي.
-الحمد لله أني موجود وأخرجتك، لأن الوقت كان قد أوشك على الانتهاء وأنتِ دخلتِ في حالة هستيريا بسبب حزنك على أباكِ، كنتِ سوف تظلين هناك إلى الأبد.
-آسفة جدًّا يا جون، يبدو أنك متعب، ست ساعات تتابعني ولم تنم قط.
-من قال تابعتك ست ساعات؟
-ألم تقل لي أن التجربة ست ساعات!
-ست ساعات مدة التجربة في العالم الآخر، ولكن في الحقيقة أن التجربة مدتها ست ثوان فقط.
نظرت إليه بدهشة واستغراب متسائلة:
-ولكن كيف تابعت وشاهدت كل ما مررت به خلال ست ساعات في خلال ست ثوان.

-كل الذي رأيته لقطات سريعة، أنا عيني كانت على الوقت وأوقفته على خمس ثوان وخمسون فيمتو ثانية.
-ولكن كيف حدث كل هذا؟
-قلت لكِ أن تلك التجربة أشبه بالحلم، أي حلم نراه أثناء نومنا ومهما طالت مدته لا تتجاوز مدته في الواقع بضع ثوان، إن عالم الأرواح مختلف تمامًا يا عزيزتي.
عانقته بشدة وأردفت:
-أشكرك يا جون على تلك المفاجأة، لقد حققت وصية أبي لك وبالفعل أسعدتني، ولكن هل يمكن أن أطلب طلب!
-أكيد يا بنيتي.
-هل يمكن أن تعطي لي ذلك الفيديو المسجل لتلك التجربة.
-أكيد يا فريدة، ولكن دعيني أغير سرعته للسرعة الطبيعية لأن الأحداث مسجلة بسرعة فائقة جدًّا.
قبلته وشكرته ثنيةً، ومن ثم أوصلها لبيتها، وفي تلك الليلة قامت فريدة بتشغيل الفيديو وكررت لحظات السعادة من جديد ونامت وهي تبكي وتضحك في نفس الوقت.

*****

في صباح اليوم التالي اتصلت فريدة بدكتور جون كي تشكره من جديد على تلك التجربة ومن ثم طلبت منه أن تقابله في المعمل الليلة من أجل أن تكرر الأمر من جديد.
رفض في بداية الأمر ولكن فريدة أصرت إلى أن وافق.
في المساء تقابلا ومن ثم شرع دكتور جون يشرح لها:

-يا فريدة يا حبيبتي لا أستطيع أن أجعلك تجربي الليلة أيضًا، أنتِ بالأمس كدتِ أن تنسي الوقت، ماذا كنت سوف أفعل أنا حينها إذا بقيتِ في العالم الآخر.
-أنت رافض الآن لأنك قلق علي، أعدك سوف انتبه الليلة... كل ما في الأمر أن التجربة كانت جديدة عليّ فقط، لذا لم انتبه.
حك دكتور جون رأسه ذا الشعر الأبيض الناعم الكثيف وأردف متنهدًا:
-حسنًا يا فريدة، ولكن دعيني أكمل الليلة التعديل التي أرغب به على الجهاز، أريد أن أعدل المدة الزمنية المحددة.
-حسنًا موافقة، ولكن يا جون أشعر بالعطش، هل يمكن أن تجلب لي شيء اشربه.
-لا بل سوف أجلب شيء نأكله أيضًا، دقيقة وسوف أعود إليك يا صغيرتي.
بمجرد أن خرج دكتور جون من الغرفة شرعت بارتداء العدسات والسماعات وكتبت نفس التاريخ لكي تقابل أبيها مراد من جديد في نفس اليوم، ولكن في هذه المرة قررت أن تعيش معه تجربة مختلفة.
وبالفعل قضت اليوم مع أبيها من جديد في أماكن مختلفة، وسعادتها ولهفتها كانت لا توصف.
في هذه المرة لم تبكي بل كانت تضحك والسعادة كانت تغمرها، لأنها صارت تشعر بأنها لم تفقده، بل سوف تعود لأي يوم في أي وقت وسوف تقابله من جديد.

ومن ثم تركت الجهاز وآخر مرة نظرت له علمت أنها تبقى لها نصف ساعة، لذا قررت أن تترك الجهاز مع ملابسها على الشاطئ كي تبدأ مغامرة السباحة هي وأبيها في البحر.
شعرت بسعادة تغمرها بمجرد أن رأت أبيها يبتسم لها وهو ينظر إليها كأنها طفلته الصغيرة.
ومن ثم فجأة توقف مراد عن الابتسام ومن ثم رسمت ملامح الألم على وجهه ومن ثم ارتخى جسده على الماء، فقامت بسحبه باكية إلى الشاطئ، ومن ثم شرعت هي وأمها في البكاء، ولكن فجأة رأت فريدة شيء غريب...
أمها تتحول إلى أفعى كبيرة جدًّا وفتحت فاها صارخة قائلة:
-أنتِ من قتلتِه.
ومن ثم شرعت بمهاجمة فريدة، ولكن فريدة هربت مسرعة وقررت أن تهرب للبحر وتعوم لأن الأفعى لن تتمكن من العوم أكيد.
ولكن فجأة بمجرد أن اقتربت الأفعى من الشاطئ تحولت إلى قرش كبير، سبح بسرعة تجاه فريدة، صارت تعوم مسرعة صارخة تشعر بالفزع بسبب فم القرش الذي يريد أن يلتهمها.
ومن ثم بمجرد أن رفعت نظرها عن القرش كي تنظر أمامها، رأت أبيها مراد يعوم وينظر لها فاتح ذراعيه ويقول لي:
-هيا يا صغيرتي، بإمكانك فعلها.
ولكنها صرخت وشعرت بالرعب والتفتت بنظرها للشاطئ فوجدت جثة أبيها هامدة وأمها على الشاطئ تنظر لها صارخة خائفة عليها وتقول لها:
-عودي يا فريدة.

ولكن القرش ها قد اقترب منها.
ومن أمامها أبيها يقول لها: -"هيا يا فريدة"...
ومن ثم تغير أبيها إلى القرش والقرش الذي خلفها صار أبيها.
ومن ثم فتح القرش فاه والتهمها، ولكن فجأة تغير كل شيء وصارت في حفرة عميقة وحولها غابة، ومن ثم جاءت إليها عاصفة قوية فرفعت جسدها في الهواء، صارت تدور في الدوامة الهوائية ومن ثم القتها الدوامة على سحابة ضخمة، شعرت حينها بالأمان لأنها كانت تحملها ومن ثم رأت السحاب تشكل على هيئة درج لكي تتمكن من النزول، ومن ثم شرعت تنزل الدرجة الأولى والثانية والثالثة ولكن الرابعة لقد جعلتها تهوى ساقطة وكانت الأرض تحتها كأنها وحش فاتح فاه بأسنانه الحادة ولكن فجأة.
سمعت صوت دكتور جون يقول لها معاتبًا:
-لمَ فعلتِ ذلك يا فريدة لمَ؟
نظرت إليه باكية مرتجفة، وقالت له وهي تتلعثم في الكلام معانقة إياه:

-ج جو ن، ل قد أنق ذتني، مررت بتجربة مرعبة.

ومن ثم وهي تعانقه نظرت لوقت التجربة كانت 6ثوان و15فيمتوثانية.

سألته مستغربة وهي تمسح دمع عيني بيديها:
-أنا قد تجاوزت الوقت يا جون انظر.
ولكن كيف...؟

ربت على كتفها مهدئًا إياها ولكن نظرته لها كانت نظرة عتاب بسبب فعلتها تلك لأنه خائف عليها كثيرًا ومن ثم أردف:
-لقد كذبت عليكِ يا فريدة وقلت لك فكرة أن الجهاز له مدة محددة ويفصل شحنه، وكذبت عليكِ بشأن أنك سوف تظلين حبيسة ذلك العالم.
-ولمَ كذبت عليّ...؟
-لأني لم أرغب أن تمري بما مررتِ به، أنا قلت إذا قلت لك تلك الفكرة سوف تخافين وسوف تلتزمين بالوقت المحدد لأن بالفعل إذا تجاوزتِ الوقت لن يفصل الجهاز ولكنك سوف تدخلين في المرحلة الثانية من التجربة وهي مرحلة الهلوسة البصرية والسمعية، وتلك المرحلة سوف تؤثر على تفكيرك وسوف تنسين أمر الجهاز تمامًا وأمر الرجوع.
وسوف تظلين في مرحلة هلوسة مستمرة وعقلك لن يتحمل تلك الهلوسة كثيرًا و...
-حسنًا يا جون الآن قد فهمت كل شيء... إن الأمر يشبه فكرة الحلم مثل ما قلت لي.
-نعم يا عزيزتي، إنه حلم ولكن أنتِ المسؤولة عن تفاصيله.
-صحيح يا جون أنت تعرف جيدًا أن أمي تفهم في الأمور المتعلقة بالأحلام ولكني لم أرغب في يوم أن أتعلم منها هذا العلم.
ولكن في مرة سمعتها تقول لجارتنا التونسية أن ما رأته كان النصف الأول منه رؤيا وله معني بينما الجزء الثاني هو عبارة عن هلوسة وليس لها تأويل، أحيانًا عندما يطول الحلم نبدأ في مرحلة الهلوسة كما قلت يا جون.

الآن تذكرت ذلك اليوم بالفعل.
-كلامك صحيح يا فريدة، ولكني أشعر بالضيق بسبب ما فعلتِه الآن.
-سامحني يا جون، أول وآخر مرة اتجرأ وأفعل شيء من دون استئذان.
-أحمد الرب أني معكِ في نفس المكان وأخرجتك من ذلك المأزق.
-أنت منقذي يا جون، ولكن هل يمكن أن أكل تلك البيتزا الشهية، لقد جعت كثيرًا بسبب الفزع الذي شعرت به في تلك التجربة الرهيبة.
ابتسم جون وأردف:
-آه منكِ يا فريدة، أنكِ لا تأخذي الأمور على محمل الجد أكثر من دقيقة.
-أي أمر في الحياة لا يستحق التفكير فيه كثيرًا، ما دام حدث يعني أنتهى، فأهلًا بالجديد.
-حسنًا يا فيلسوفتي، فنانة في اللامبالاة أنتِ.
-وعاشقة للبيتزا لا تنسى مميزاتي.
-في يوم سوف تحققي وصية أباكِ وسوف تكوني فريدة يا فريدة.
-هذا الأمر سوف أفكر فيه فيما بعد، دع الغد قليلًا ودعنا في الحاضر الذي سوف يبرد إذا نسيناه بسبب التفكير فيما سبق وفيما سوف يأتِ.
-حسنًا هيا نأكل ومن ثم نعود للمنزل لكي نرتاح قليلًا.
*****

وبالفعل بمجرد أن عادت للبيت وصارت تشاهد الفيديو المسجل لتلك التجربة تمتمت في قرارة نفسها:
-إنه فيديو مشوق بالفعل، بل سيكون أفضل فيلم إثارة إذا تم تصويره.
لكن بعد أن شاهدت الفيديو لم تستطع أن تنم تلك الليلة بل صارت تفكر في أمها لذا قررت أن تتصل بها:
-أهلًا وتين، كيف حالك؟
-أنا بخير يا فريدة، غريبة تتصلين بي!
-رغبت أن أطمئن عليكِ لأني رأيتك في حلم، ومراد قال لي رسالة.
-ومنذ متى تشغلين بالك بالأحلام...!
-من الآن يا أمي...
-يا أمي مرة واحدة! من معي، من يتحدث إلي...!
-وتين لا تجعليني أندم أني اتصلت بكِ.
-حسنًا يا فريدة قولي لي ماذا رأيتِ؟
-أبي قال "أنه يحبك جدًا ولم يحب ولن يحب غيرك، وقال لي أني فريدة وسوف أكون فريدة".
-الكلام يا صغيرتي في بعض الأحيان يتأول كما هو من دون تفسير.
-ولكني أريد أن أفهم أكثر عن الأحلام.
-أنه لموضوع طويل يحتاج للكثير من الشرح.
-حسنًا يا وتين في أول فرصة اشرحي لي كيف أفهم الأحلام... ما رأيك أن تعودي إلى لندن مرة أخرى؟

-لن أعود يا فريدة، إذا كنتِ ترغبين في تعلم تفسير الأحلام سوف أشرح لكِ كل ما ترغبين معرفته في زيارتك القادمة إلى مصر.

*****

ولكن بمجرد أن أغلقت المكالمة مع أمها استمرت في التفكير أكثر، وبحثت عن المزيد من المعلومات بخصوص الأحلام ولم تفهم شيء.

قرأت عن العلماء الذين اشتهروا بتفسير الأحلام ولم تتوصل لشيء، قالت في قرارة نفسها:

-لكن كيف سوف أفهم وأمي ليست معي...؟

أوه، إنها التاسعة صباحًا، أنا متعبة جدًّا، سوف أنام وغدًا سوف...

غدا ماذا...! أقصد اليوم سوف أفكر.

استيقظت الساعة السابعة مساءً يبدو أن مغامرة الأمس اهلكتها وجعلتها تنام عشر ساعات وبالرغم من ذلك تشعر بالدوار.

بعد أن اكلت اتصلت بدكتور جون وسألته:

-لدي خبر يا جون.

-وما هو يا صغيرتي...؟

-أوه، لم أعد صغيرة يا جون، أنا فكرت فيما مررت به في تجربتك والسفر عبر الزمن ومقابلتي لأبي وخاصة عندما قال لي (كوني فريدة يا فريدة) لذا قررت أن أفكر في حياتي بجدية وأن أبدأ في تحقيق أهدافي.

-وما هي أهدافك يا فريدة؟

-بصراحة، بالأمس لم يكن لدي أهداف محددة ولكن صباح اليوم قبل أن أنام، قررت أن أتعلم تفسير الأحلام وأريد أن أستخدم ذلك الجهاز للسفر عبر الزمن أو السفر للكثير من الأماكن.
-وما دخل الجهاز لتعلم تفسير ما نراه أثناء نومنا؟
-كما تعلم أن أمي تفهم تفسير الأحلام جيدًا وكان هدفها وأنا صغيرة أن تؤلف كتاب عن تفسير الأحلام بأسلوبها المميز البسيط، ولكن كما تعلم الحياة ومشاغلها، أو بالأصح هي لم توفق في ترتيب أمور حياتها وتحقيق أهدافها في وقت واحد. لقد تناست تحقيق هدفها بسبب التأجيل، فكرة أن يؤجل المرء هدفه إلى الغد فهذا معناه أنه لن يقوم بتحقيقه أبدًا.
-صحيح يا فريدة، إن من يريد أن يحقق أحلامه فليبدأ في نفس اللحظة التي راودته الفكرة بها ولا يؤجلها كي لا يتكاسل، ويوم يجر يوم ومن ثم أيام.
-كم أنت رائع يا جون، أنت من جعلتني أفكر من جديد في حياتي، وكما قلت لك أن أمي تفهم في تفسير الأحلام ولكنها في مصر و..
-سوف تسافرين إلي مصر لكي تكوني مع أمك و...
-لا ليس لكي أقابل أمي فقط لأني بإمكاني أن اتواصل معها، ولكني لا أريد أن أفعل شيء أخر.
-إذا ما هي خطتك يا فريدة؟
-أريدك أن تعطي لي ذلك الجهاز وسوف استخدمه بحذر وحرص واتبع التعليمات وسوف أسافر لكي أقابل أهم علماء

تفسير الأحلام عبر العصور وكذلك أهم علماء النفس وسوف أدمج العلمين سويًا بلمستي الخاصة.
-مثل سيغموند فرويد الذي أسس علم التحليل النفسي وأهتم بتفسير الأحلام لكي يستخدمها لمعرفة رغبات العقل اللاواعي...!
-ليس مثله يا جون بالتأكيد، ولكن لا أنكر أنه سيكون من ضمن العلماء الذي أرغب بمقابلتهم، سأرشف من بحور علمهم جميعًا وفي النهاية سوف أخرج بشيء لم يسبق من قبل.
-تعالي يا عالمتي إلى المعمل حالاً وسوف نكمل حديثنا.
مسافة الطريق ومن ثم وصلت لدكتور جون ونظر لها مبتسمًا بفمه الصغير ابتسامته تلك كفيلة أن تغمر فريدة بالبهجة ومن ثم أردف:
-سعيد بك يا فريدة لأنك قررتِ أن تغيري من حياتك.
-الفضل لك يا جون، ها قل لي أين جهازي...؟
-ألن تتوقفي عن تسرعك ذا...؟ قبل أن تأخذي الجهاز دعيني اجربه عليكِ آخر مرة.
-لا يوجد عندي مانع يا جون ولكن لمَ...! لقد جربناه سابقًا...؟
-لأني قد أجريت عليه تعديل اليوم بعد الذي حدث معكِ بالأمس.
-وما هو هذا التعديل؟ لن أمر بكوابيس وهلوسة إذا زادت المدة؟
-حاولت أن أفعل ذلك ولكني لم أوفق في زيادة مدة الرحلة أكثر من ست ثوان.
-ولكن ما هو التعديل...؟

-التعديل أن الجهاز سوف يعيدك تلقائيًا إلى المكان الذي سجلتِ من مكان رحلتك بمجرد أن تتم 6ثوان سوف تستيقظي وتعودي للواقع.
-شكرًا لك يا جون على ما تفعله من أجلي.
أنت أخذت كل الاحتياطات اللازمة، أنا أحبك كثيرًا يا جون.
-وأنا أيضًا أحبك يا بنيتي، هيا بنا نجرب هل سوف ينجح المؤقت أم لا وها أنا بجانبك في حالة عدم نجاح المؤقت سوف اعيدك أنا.
-حسنًا سوف أرجع بالزمن سوف استغل فرصة غيابي وأتقابل مع أبي وأمي.
-هيا نبدأ.
وبالفعل تمكنت من العودة بالزمن وجلست مع أبيها قليلًا الذي لم تعد تشعر أنه مات بل هو معها تقابله متى تشاء.
ومن ثم وقفت مع أمها في المطبخ فاستغربت قليلاً من وجودها معها وأنها تركت أصدقائها ولكن فريدة قطعت تساؤلاتها وقالت:
-أنا كبرت يا أمي وتغيرت طريقة تفكيري.
-هذا أمر يسعدني يا فريدة.
-أريدك أن تعلميني أو بمعني أصح تشرحي لي كل ما يخص الأحلام.
-حسنًا يا صغيرتي، نتناول الغداء سويًا ومن ثم نتكلم فيما تحبين ونحن نحتسي الشاي، ما رأيك يا ريدا؟
-موافقة أكيد يا أحلى وتين في الكون، ها دعيني أساعدك في تجهيز المائدة.

-أووه، لقد كبرت ابنتي بالفعل وها هي تساعدني وتشاركني نفس الميول، إنه يوم سعدي.
-أوه يا أمي سوف تجعليني أرجع في كلامي بسبب مزحك ذا.
-آه من انفعالك يا فريدة ولكن لن ألومك عليها فأنتِ تشبهيني به.
بعدما انتهيا من تناول الغداء احتسيا الشاي سويًا وشاركهما مراد بالاستماع إليهما.
بدأت وتين بمقدمة في علم تفسير الأحلام والرؤى بالرد على أكثر الأسئلة شيوعًا حوله.
صارت فريدة تسأل وأمها تجيب و...
ولكن فجأة انتقلت فريدة إلى مختبر دكتور جون فنظر لها مبتسمًا مطمئنًا:
-الآن أنا مطمئن تمامًا عليكِ أثناء استخدام الجهاز، لقد تفعل المؤقت على عودتك من جديد عند انتهاء الوقت المناسب وقبل الدخول في مرحلة الهلوسة.
نظرت له فريدة وملامح السعادة قد رسمت على وجهها:
-هذا يعني يمكنني أن أخذ هديتي معي الآن واستخدم الجهاز كما أشاء ووقت ما أحب...!
-نعم يمكنك ذلك الآن لأن الجهاز قد اكتمل بالفعل ولكن عليكِ أن لا تستخدمي الجهاز سوى مرة واحدة في اليوم، لأن تلك التجربة إذا تكررت أكثر من مرة في ذات اليوم قد تسبب لك إجهاد ومن ثم اضرار لا داع لذكرها و...
-لا داعي للتوضيح يا جون، من بعد ما حدث المرة الماضية لن أفعل شيء سوى أن اسمع تحذيراتك وكفى.

الفصل الرابع

المغامرة

ها هي فريدة تقضي وقتها عاكفة على الدراسة في بيتها بمفردها، لا يوجد أحد معها، ومن يخدمها هو ذاك الروبوت الذي تعده بطيء مقارنة بسرعة أمها في تحضير لها ما ترغب به.

وبعدما اكتفت من الدراسة، قامت بفك شعرها وأخذت تداعبه وهي تفكر ناظرة للجهاز الموجود على مكتبها وهي تقول في حيرة:

-أرغب في مغامرة جديدة مع أبي، لا أريد أن أكرر ذات اليوم بل أريد أن أعيش أكثر من مغامرة في ذات المرة.

ومن ثم التمعت فكرة جعلتها تبتسم ومن ثم تمتمت:

-اوووه، يا لها من فكرة رائعة سوف أرجع بالزمن ليوم خطوبة مراد ووتين، أظن لا يوجد أحد حضر زفاف أبيه وأمه، سأكون أول من جرب هذا الشعور.

كم أنتِ مجنونة يا فريدة... بل هذا ليس جنون بل مجرد تفريغ طاقة بعد إجهاد الدراسة.

هيا سأعود ليوم العاشر من شهر نوفمبر من عام2019 إلى دمنهور.

أنا أتذكر حكاية أبي وأمي عن هذا اليوم سوف أذهب لمسقط رأس كل من أبي وأمي، الاحتفال كان في بيت جدي محمد.

ضغطت فريدة على الموعد والمكان وفي لمح البصر صارت هناك.
-إن هذا الجهاز يترجم جيدًا ما رأيته في الصورة، أنا بالفعل أمام بيت كبير عليه الكثير من الألوان المضيئة، ولكن كيف سأدخل الآن...؟
لن اسأل كثيرًا لم اعتاد التردد أبدًا، أنا تعلمت المواجهة والاقدام وكفى.
معروف أن المصريين أهل كرم وأنا شكلي غريبة أكيد سوف يكرموني ولن يتركوني.
كل ما احتاجه هي بضع لحظات لا أكثر ولا أقل.
بدأت فريدة الموسيقى تسيطر عليها وتجعلها متحمسة أكثر وأكثر، لم تكن تظن أن الموسيقى المصرية كفيلة بجعل المرء يطير من السعادة لا الاستمتاع فقط.
كان باب البيت مفتوح، وها هم أطفال كثر ينزلون من على الدرج بلهفة وسعادة عارمة، أخذت تنظر لكل شيء باستغراب، إن مصر لها جو وروح لا يمكن أن يجدها المرء سوى فيها، إنها حقًا أعظم بلد وأجمل بلد لعظمة تاريخها وطيبة شعبها.
فدخلت الحفل والكل يرمقها، ولكن لم يتشككوا كثيرًا لأنهم ظنوا أنها من المدعوين من طرف مراد الذي يدرس في بريطانيا...
ولكن فريدة لا تشغل بالها بتلك التفاصيل، كل ما اسرها وجعل عينيها تدمع مع ابتسامة من القلب، عندما رأت ابيها يرتدي

بدلة بيضاء وأمها ترتدي فستان فضي وبينهما مأذون، يبدو أن هذا حفل كتب الكتاب كذلك، وذلك لضيق وقت مراد.
أسرت فريدة من جمالهما فلم تتمالك نفسها وبمجرد أن تم عقد القران همت فريدة بمعانقة مراد، هنا شهق كل من في الحفل، وصدمت وتين مما جرى، ولكن فريدة لم تدعها تستمر بصدمتها فعانقتها هي كذلك بشدة، ولكن سرعان ما أبعدتها وتين عنها بانفعالها المعهود التي ورثتها منها فريدة، وسألت مراد صارخة به:
-من هذه يا مراد...؟
مراد لم يستطع الرد بعد هذا الموقف المحرج أمام الملأ ولكن سرعان ما تداركت فريدة الأمر وردت بإنجليزيتها:
-أنا جيني أخت جون زميل مراد، جون لم يستطع الحضور لذلك الحفل ولكني كنت أرغب بشدة أن أزور مصر، وشعرت أن هذه ستكون تجربة مميزة في زيارتي لمصر و...
لم تسمع فريدة أي رد من أي أحد إلى أن بدأت تشعر أنها غير مرحب بها...
إلا فجأة سمعت صوت جدتها أم أبيها سألت ابنها:
-قل لي يا مراد، ماذا قالت لك...؟
ابتسمت فريدة والتفتت لها وقالت بلهجة مصرية جيدة إلى حد كبير ولكن سوف اكتب ما قالته باللغة العربية بالتأكيد:
-قلت له أني أرغب في قضاء يوم معكم، لأني أحب مصر وأهلها و...
اقتربت منها جدتها وعانقتها عناق قوي وقالت:
-وأنتِ تنورين وتأنسين...

ومن ثم أمرت بتشغيل الموسيقى وعودة الفرح من جديد...
رقصت فريدة مع مراد ووتين، مراد كان شاب في الثلاثين وسيم قمحي البشرة ذا شعر داكن اللون مموج بعض الشيء.
بينما وتين كانت آية في الجمال بيضاء رشيقة هي متوسطة الطول ذات شعر حريري أشقر اللون ولكن يبدو أنها من قامت بصبغه... هذا ليس موضوعنا...
كانت فريدة في سعادة عارمة وقد أخذها الوقت من التاسعة إلى أن صار الوقت الثانية عشر بعد منتصف الليل، وقد هدأ الجو، وقفت فريدة تشرب مشروب غازي في شرفة الغرفة التي طلبت منها جدتها أن تنام بها من كرم الضيافة.
شعرت بجمال النسيم الذي يظنه المصريين برد ولكنها شعرت أنه مناخ يبعث في المرء الراحة، ولكن فجأة رأت شيء أخذ عقلها وجعلها تسرح...
رأت أمامها بيت مهجور من طابقين شبه محترق، ظلت شاردة به إلى أن قطع شرودها صوت وتين التي أردفت بلا مبالاة:
-لا تفكري كثيرًا في هذا البيت، إنه ليس بيت أشباح.
دهشت فريدة من وتين التي فهمت ما تفكر به، التفتت لها فريدة فاتحة فاها ومن ثم تمالكت دهشتها وسألتها:
-هل تعلمين قصة هذا البيت...؟
أخذت منها وتين زجاجة المشروب الغازي وجرعت منها وقالت:
-لا أدري ما قصته بالضبط، لقد تعددت القصص بخصوصه، ولكن بمجرد أن جئنا إلى هنا عام ٢٠٠٧ بعدما كنا نعيش في بيت العزبة كان هذا البيت على هذا الوضع...

-ولكن ما هو الحادث الذي أدى به للهجر...؟
-يوجد من يقول منذ ١٥ عام أو أكثر لا أدري...! حدث حريق في البيت بسبب لا أتذكره.
-وهل نجى أحد...؟
-يقولون إن الجيران سمعوا صوت انفجار رهيب، وبدأت النيران تأكل في البيت وتمكنت المطافئ من اخماد النار بصعوبة... وعندما دخل الناس ووحدات الانقاذ لم يجدوا جثث أي من أهل البيت.
قاطعتها فريدة متعجبة وقالت:
-ولكن أنا لا أصدق مثل هذه الأمور...
أكملت وتين اجترعاها ما تبقى من زجاجة المشروب الغازي وأردفت ببرود:
-يوجد فرق بين أنك لا تصدقين هذه القصة وبين أنكِ لا تصدقين مثل هذه الأمور، وعلى العموم لن تصدقي هذه الأمور إلا أن تمري بموقف يثبت لك أن هناك قوة من عالم آخر.
رسمت ملامح التعجب على فريدة وسألت وتين بلهفة:
-وهل مررتِ بمواقف تثبت لك هذا يا وتين...؟
تصنعت وتين التثاؤب ومن ثم تركت الزجاجة على سور الشرفة وقالت بتململ لفريدة:
-إن هذا موضوع طويل، والوقت تأخر وأريد أن أخلد للنوم...
ولكن فريدة لاحظت أن الحزن قد خيم على ملامح وتين فسألتها برفق وهي تمسك بيدها كي تنظر لها:
-لمَ يبدو عليكِ العبوس يا وتين...؟

تصنعت وتين أن كل شيء على ما يرام وأردفت:
-لا يوجد شيء، كل ما في الأمر أني تذكرت...
من ثم لم تكمل كلامها وتنهدت بأسى، وقامت بتغيير وجهتها للداخل وأردفت:
-لا شيء يا فريدة أريد أن أنام.
قالت فريدة بإصرار:
-قولي لي، هل صدر مني شيء أحزنك...
واجهتها وتين بنظرة حزينة لعينيها وقالت:
-كل ما في الأمر أنكِ ذكرتني بصديقتي في الجامعة...
نظرت لها فريدة بتعجب وسألتها:
-وما الذي يحزن في الأمر يا وتين...!؟
بدأ الدمع ينهمر من عيني وتين وقالت بحسرة:
-أنا حزينة لأنها ليست معي، لأنها ماتت...
من ثم همت بدخول الغرفة وهي تجهش بالبكاء...
تصلبت فريدة مكانها ولم تستطع أن تذهب وراءها، قررت أن تتركها تبكي على فراق صديقتها كي ترتاح، أحيانًا البكاء يكون مريح من كبت المشاعر...
ظلت فريدة واقفة في الشرفة شاردة الذهن وكانت لا تحيد نظرها عن ذاك البيت، ولكن فجأة رأت أحد يتسحب كي يدخل البيت من دون أن يراه أحد، ظلت تفكر:
-كيف له الجرأة أن يدخل بيت مثل هذا بالرغم أني لم أعرف بقية قصصه ولكنه بيت مقبض، ولكن ستكون تجربة جميلة حقًا أن اقدمت عليها.

صار البيت هادئ، الكل قد دخل غرفته، فنظرت فريدة للوقت، الساعة صارت الواحدة صباحًا مازال معها ساعتين...
فقررت أن تخطو خطوتها الأولى خارج البيت فبدأ قلبها يدق بقوة من الخوف ولكن حبها للمغامرة أقوى من خوفها، بدأت تتقدم بضع خطوات إلى أن وصلت ذاك البيت.
بمجرد أن لمست باب البيت سرت قشعريرة في جسدها ولكنها لم تتراجع بل اقدمت أكثر وأكثر ولكن بمجرد أن وقفت أمام الشقة سمعت من يبكي متنهدًا...
قررت فريدة أن تغير من اعدادات الجهاز قبل أن تدخل وصارت طيف مرئي لا محسوس، خوفًا من أن تتعرض لأي هجوم...
بمجرد أن دخلت الشقة سيطرت الرهبة عليها سمعت من يقول:
-لم أقتله، أقسم أني لم أقتله.
وقفت فريدة أمامه وسألته برفق:
-لم تقتل من...؟
رفع رأسه لمصدر الصوت بعدما كان منكسها أرضًا من الحزن، بمجرد أن تأمل الملامح جيدًا فزع وهم من مكانه مبتعدًا...
استغربت فريدة كيف لشاب بطوله وعرضه وعضلاته أن يخاف منها هي...؟
ومن ثم بدأ يقترب منها أكثر ويسألها بلهفة والدموع تنهمر من عينيه:
-هل أنا أراكِ حقيقي...؟ كيف أراكِ بعدما متِ...؟

فريدة تنظر له لا تحرك ساكنًا لا تدري شيء، ومستغربة أكثر من دموعه ورقة قلبه وضعفه الغير مناسب مع شكله...
هم بالاقتراب منها وبمجرد أن حاول معانقتها، اخترقها، رجع للخلف خائفًا مما جرى متسائلًا:
-أنتِ لست حقيقة، أنا أتوهم...
ومن ثم شرع في البكاء، ولكن فريدة أردفت متعجبة:
-عم تتحدث...؟ من هي التي تتوهمها...؟
-أنتِ يا ياسمين...
-ياسمين...! ولكني لست ياسمين... أنا فريدة.
-كيف...؟ كيف لا تكوني ياسمين...؟ أدري أن هناك تغير طفيف ولكن هذا لا يمنع ألا تكوني هي...
-أنا فريدة، ولست ياسمين... وأنا لست من هذا الزمن، لقد أتيت من المستقبل...
جلس فارس أرضًا وأمسك رأسه وقال صارخًا متعبًا:
-كل هذا وهم، أن هذا البيت ملعون يظهر لي كل من ماتوا، منذ قليل ظهر لي جواد فقررت الهرب من هذا البيت، ولكن بعد أن غادرته تذكرت أن ليس لي مأوى آخر، وها أنا الآن أراكِ يا ياسمين.
-صدقني أنا لست ياسمين، ولكن يمكنني أن أساعدك...
نظر لها نظرة حزن وأسى:
-كيف لا تكوني ياسمين، وهذا هو ما فعلته معي بالفعل عندما رأتني أول مرة بالإسكندرية...
-أنا لا أعرف ياسمين، ولم أزر الاسكندرية حتى.
-أنا لا أدري لمَ صرتِ تتحدثين هكذا يا ياسمين...!

-لأني لست ياسمين، أنا مصرية ولكن مقيمة في بريطانيا فكلامي باللغة العربية قد تجده غير متقن بعض الشيء.
-بريطانيا...! ما هذا الذي أمر به...! لم أعد أفهم أي شيء في هذه الحياة...
فاق من توتره وسأل:
-إن لم تكوني ياسمين فهل أنتِ حقيقة...؟
-نعم حقيقة ولكن كوني حقيقة في زمن آخر... إنما في هذا الزمن أنا لم أولد بعد...
-لا أفهم شيء، أنتِ شبح ياسمين أنا أعلم...
-لا أحب أن أشرح الأمر أكثر من مرة، إذا أردت أن تظن أنني ياسمين إذن فأنا ياسمين...
-لا، لا أقصد أن تنفعلي هكذا، أن ياسمين لم تكن سريعة الانفعال...
حسنًا لن أقول لكِ فريدة، بل أنا اشعر بعد الذي سمعته منك وقدومك من زمن آخر أنكِ عجيبة، لذا سأقول لكِ يا عجيبة...
نظرت له فريدة متعجبة من الاسم، ومن ثم رسمت على وجهها ابتسامة وأردفت:
-عجيبة، أعجبني الاسم ولمَ لا...!
ها قل لي لمَ كنت تبكي...؟ يمكنني أن أساعدك...
-أنا أقول لكِ ياسمين ليس للشبه فقط في الملامح ولكنك تذكريني بالفعل بأول لقاء لي بياسمين منذ عام...
جلست فريدة بجانبه وقالت له:
-احكي لي ما جرى في أول لقاء وأنا كلي آذان صاغية.

*****

الفصل الخامس

الفارس

(بلسان فارس)
بدأ الأمر في شهر أكتوبر في عام 2018 عندما سافرت أنا وجواد للإسكندرية بغرض العمل في أحد المطاعم.
أثناء فترة عملي في المطعم رأيت فتاة جميلة طويلة عريضة ذات شعر بني كستنائي طويل ترتدي قميص كحلي اللون بداخل بطالها الجينز ملابسها تدل على قوة شخصيتها ولكنها كانت تضع مساحيق تجميل على وجهها مما يدل على اعتزازها بأنوثتها وجمالها، كانت تقف أمام لائحة اختيار الوجبات خارج المطعم، في تلك الأثناء اقترب شاب أسمر نحيل منها، وسحب حقيبتها وهو راكب على دراجته النارية، همت الفتاة بالنهوض من على الأرض والناس حولها ينظرون باستغراب لهول الموقف، ولم يستطع أحد اللحاق بالسارق، فهمت من مكانها فوجدت على الرصيف الموازي لها يقف رجل شرطة، لجأت إليه لاهثة وأردفت:
-أريد أن تجلب لي حقي من ذاك السارق...
رد عليها الضابط ببرود وفتور:
-اذهبي للقسم وقدمي بلاغ...
انفعلت خاصة عندما رأت أن يدها تنزف من أثر سقوطها وقالت:
-وما هو دورك أنت أن لم تلحق بالسارق لحظة وقوع الجريمة...!

نفث الضابط سيجارته في وجهها وأردف:
-كل ما عليكِ أن تعرفي رقم الدراجة النارية وقدمي بلاغ في القسم، وهيا اغربي عن وجهي ليس لدي وقت لكِ.
قالت له وهي تنظر له نظرة احتقار:
-ليس لديك وقت لكي تلحق بالمجرم، ولا إلى أن تسمع شكوتي، ولمن لديك وقت...؟ لديك وقت فقط للتصفح في الهاتف وحرق السجائر، حقًا لن تتقدم هذه البلد أبدًا ما دام أمثالكم لا يقومون بدورهم...
أنفعل الضابط وهم بصفع فريدة وسحبها من شعرها أمام الناس وقال لها سابًا إياها بأهلها:
-وهل أنتِ من سوف تعلميني عملي يا بنت ال...
هنا قد خرج جواد من المطعم فور وصوله، ولكنه لم يتحمل قط ما يجري أمامه فهم بسحب الشابة من يد الضابط وقال له بانفعال:
-ليست رجولة أن تضرب بنت مهما كان، عيب على شاربك الذي على وجهك...
احمر وجه الضابط من شدة الغضب وأردف:
-وهل أنت من سوف تعلمني الرجولة يا روح أمك تعالَ هنا يا ابن ال...
وسبه بأمه وهو يضربه برأسه مما جعل رأس جواد ينزف...
لمس جواد رأسه ورأى الدم ولكنه لم يكترث للدم الذي ينزفه ولكن تلك السبة التي قالها له اشعلت غضبه فأنهال على الضابط وأنقض عليه مثل الأسد فأسقطه أرضًا ومن ثم هم بضربه وسبه بدون انقطاع...

صارت تلك الشابة تبكي خائفة لما تمادى إليه الأمر وتحاول أن تسحب جواد من فوق الضابط كي يتوقف ولكن لا جدوى، حاولت أن أدخل في الحشد وأمنع جواد ولكن ما ساعدني في اقناعه في التوقف عن الضرب هو سماع صوت سيارة الشرطة قادمة، فهم جواد وقال لي:

-خذها يا فارس وأنا سوف اتصرف...

بالفعل أخذتها وهرولنا إلى داخل حواري منطقة المنشية، وآخر لحظة نظرت لجواد قبل أن يسلك طريق آخر فأشر لي بيده ألا أقلق عليه...

قررت أنا وهي أن ندخل حواري ضيقة كي نضيع الشرطة إلى أن وصلنا إلى الطريق المواجه للبحر، فرأينا اتوبيس نقل عام مزدحم قلت لها بلهفة:

-اركبي...

قالت لي بلهفة:

- ولكن...

-ليس وقت للكن...

وقمت بدفعها لداخل الحافلة وهي تتحرك وتداخلنا في الزحام... ومن ثم بدأنا في التقاط أنفاسنا ومن ثم نظرت لي وارتسم على وجهها ابتسامه وقالت:

-أنت شجاع جدًّا يا...

شعرت بالخجل من اطرائها علي وقلت لها:

-أنا فارس... ولم أفعل شيء الذي دافع عنكِ كان...

ولكن لم أكمل كلامي لأنها قامت بنزع "إيشارب" صغير منقوش واضعة إياه في منتصف شعرها، قامت بفكه وبدأت

بمسح وجهي، تعجبت مما تفعله فقمت بأخذ الإيشارب منها وأردفت:
-أشكرك ولكن لا داعِ لذلك، يمكن من كثرة الجري تعرق وجهي كثيرًا و...
قاطعته وقالت:
-ولكن هذا دم يا فارس...
حينها دهشت ونظرت للإيشارب بالفعل كان ملطخ بالدم تعجبت وقلت لها:
-لا أدري كيف جاء الدم، أو كيف أصيب رأسي، يمكن أثناء جرينا بسرعة لم أنتبه وصدمت بشيء ما من دون أن أشعر...
-لا بل كان الضابط هو من فعل ذلك...
-ولكن أنا لم اقترب من الضابط يا...
-ياسمين... اسمي ياسمين يا أيها الفارس الشجاع... ولكن كيف تقول...
سرعان ما قاطع كلامنا مسؤول التذاكر في الأتوبيس وقال لنا:
-ها ألن تدفعان...؟
مسكت الإيشارب مضمدًا به جرح رأسي وباليد الأخرى أخرجت ثمن تذكرتين... وبعد قليل خلى مكان فقررت أن تجلس ياسمين فظللت واقفًا بجوارها ممسكًا بأحدي الأعمدة العلوية في الحافلة مما أبرز عضلات يدي...
نظرت لي ياسمين بإعجاب فابتسمت لها ومن ثم قالت لي:
-أين تسكن يا فارس...؟
-أنا أسكن بجوار المطعم الذي حدث أمامه ما جرى اليوم.
-وهل ستعود إلى هناك...؟

-لا أدري سوف أنتظر صديقي يتصل بي ويقل لي مع علي أن أفعل هل أعود أم لا...
-يمكنك أن تعود... لا توجد مشكلة.
-كيف أعود بعد الذي حدث اليوم...؟!
-افهم يا فارس هذا الضابط لا يمكنه فعل شيء، لأنه أن قرر أن يأخذ حقه سوف يمرغ سمعة الشرطة في الوحل بعد اعتدائه على شابة وشاب بالضرب في عز النهار أثناء تكاسله عن تأدية عمله...
-ياسمين أنتِ طيبة، نحن هنا في مصر، يعني لا يوجد أحد يأخذ حقه إلا من هم من الجيش والشرطة.
-لا أنا لست منحازة إلى أي فئة من فئات الوطن، ولكن أنا ضد كل متكاسل عن تأدية دوره في هذا المجتمع سواء معلم مستغل ومتكاسل أو ضابط متقاعس متعجرف بمنصبه...
إذا لم يقم كل منا بدوره الصحيح وبأكثر جهد ممكن فلنقل على بلادنا "يلا السلام".
-حقًا لن تتغير بلادنا أن لم نتغير نحن في البداية.
-صحيح يا فارس، يعني على سبيل المثال ذاك الضابط المتقاعس بسببه تكثر الجريمة لأن السارق يدري أن ليس هناك رقيب أو حسيب، ومثلًا المعلم المستغل العاشق للمال وكفى يعلم الأطفال من الصغر على الجشع وعشق المال وفي النهاية يعطيهم الامتحان ويعلمهم الاستسهال والغش وإن لفعلته هذه أثر وخيم في المستقبل.
-بالفعل، كلنا لنا أثر في هذه الدنيا، وبيدنا أن يكون أثرنا خير أو شر في حياة من حولنا.

نظرت لي ياسمين وعلى وجهها رسمت ابتسامة رقيقة وأردفت:
-بما أنك تقول يجب أن نكون ذا أثر جميل في حياة من حولنا، فكما أنت ساعدتني أريد أن أساعدك...
-لا يا ياسمين، لو كل منا يفعل المعروف لأنه يرغب من الأخرين رده له لن يكون معروف، عندما نقوم بعمل الخير ليس من أجل انتظار الشكر أو رده بالمثل ولكن لأخذ الأجر من الرب...
-أوه اخجلتني بكلامك يا فارس ولكن قل لي إلى أين سوف تذهب...؟
-لا أدري، سأذهب لأي مكان، هذا ليس غريب علي من صغري وأنا هكذا...
رفعت ياسمين حاجبيها وأردفت:
-يبدو أن ورائك حكايات كثيرة يا سي فارس...
-يمكنك قول ذلك...
همت ياسمين من مكانها وقالت لي:
-هيا سوف أنزل هنا ولن أدعك بمفردك...
-ولمَ سوف تنزلين هنا...؟
ضربت رأسها بكف يدها ومن ثم قامت بسحبي وأردفت وهي تتحرك وتحركني معها:
-لأني اقطن هنا يا فارس هيا معي...
نزلنا سويًا وبدأنا نمشي في شارع اسكندر ابراهيم ونتنسم هواء إسكندرية العليل في عز أكتوبر...
إلى أن وصلنا لعمارتها فتوقفت وسحبت يدي وقالت لي:

-هيا معي...
نظرت لها باستغراب وقلت لها وأنا أسحب يدي من يدها:
-هيا إلى أين...؟
سحبتني مرة أخرى بلهفة طفولية أردفت:
-كي أعرفك على أبي وأمي وأخي مصطفى الصغير، متأكدة سوف يحبك كثيرًا.
ترددت وتعرق وجهي من القلق وقلت لها:
-لا لا يصح أن أفعل ذلك...
-هيا لا تكن سخيفًا أنت في أي عصر نحن في 2018...
-ولكن...
هنا سحبتني وشعرت أن قدمي تسوقني معها...
صعدنا للدور الثالث في العمارة، فطرقت الباب، فتح أخوها مصطفى، وهنا سمعت صوت أمها متسائلة:
-من الطارق يا مصطفى...!
بصوت طفولي أردف وهو يفتح الباب عن آخره كي يسمح لنا بالدخول:
-أنها ياسمين و...
هنا قد جاءت الأم من المطبخ وهي تقوم بمسح يدها في منشفة صغيرة وكانت تقول متسائلة قبل أن ترانا:
-وأين مفتاح...
لم تكمل كلامها عندما رأتني... شعرت أنها صدمت بمجرد أن رأتني... فحككت رأسي من الإحراج فقلت بصوت خافت:
-اعذريني يا عمة، كان علي فقط توصيل ياسمين وأنا سأذهب الآن و..

سحبتني ياسمين وقالت لي وهي تجعلني مواجه لأمها:
-إلى أين تذهب...؟
ومن ثم لم تدع لي فرصة للرد وقالت لأمها:
-أعرفك يا أمي، هذا فارس، شاب شجاع دافع عني ولم يهمه أن من يضربه من أجلي ضابط... أنه شاب شهم وجدع كما يقولون...
هنا ارتسمت على وجه الأم ابتسامة ارتياح وقالت لي مرحبة بي:
-تفضل يا ولدي عليك أن تستريح قليلًا...
ازداد خجلي واصررت على رغبتي وقلت:
-لا شكرًا...عليّ أن أذهب صدقيني...
-عيب يا ولدي، أنت في بيتنا ضيف ارتح قليلًا وسوف تتناول الغداء معنا، الحاج عادل سوف يأتِ بعد صلاة المغرب بعد قليل...
ومن ثم أشارت لياسمين أن تأتي معها إلى المطبخ...
وتركتني أنا مع مصطفى وقد كساني الخجل من هذا الموقف...
كنت أعلم جيدًا أنها أخذت ياسمين لكي تعرف منها كل ما حدث...
بالفعل بعد 5دقائق فتح الباب، هنا قمت بالنهوض احترامًا وخجًلا في نفس الوقت...
نظرته المتعجبة فور دخوله جعلتني اتصبب عرقًا مع أن الجو لا يسمح بذلك، كنت أدعو الله أن تأتي ياسمين وتجاوب بدلًا عني الأسئلة التي سوف تنهال عليّ الآن...
والحمد لله ما تمنيته قد كان...

هرعت ياسمين مسرعة إلى أبيها معانقة إياه، فقبل أبيها رأسها ولكنه شارد عنها، فهمت نظرته المتسائلة، فأخذت منه دفة الحديث وشرعت في توضيح الأمر...
-انظر يا سي عادل، أعرفك بهذا الشاب الذي له من اسمه نصيب، أنه فارس وهو بالفعل فارس لا يهمه شيء، وإنه لرجل في زمن كثر به الذكور لا الرجال، لقد تعرضت للسرقة وكل من كانوا موجودين اكتفوا بالنظر وكفى، لا أدرى ما جرى للناس، ولكنه كان مميز بل ودافع عني عندما بدأ الضابط الاعتداء عليّ بالضرب... ولم يكتفي بذلك بل اوصلني إلى هنا...
هنا أخذها أبيها بجانبه وهو يهم بالجلوس على أريكة الصالون وهو يأشر لي بالجلوس مرة أخرى...
-أشكرك يا ولدي على موقفك الشهم مع بنتي، ربي يكثر من أمثالك يا ولدي...
كانت أصابع يداي معقودة ببعضهما من شدة التوتر، وكذلك لساني وبصعوبة بالغة خرجت مني تلك الكلمات البسيطة بعد عناء من الهروب من الخجل:
-لا شكر على واجب، ولكن اتسمح لي بالذهاب الآن...
-ولكن إلى أين...؟
-لا أدري...
-أنت من هنا...؟
-أنا مقيم هنا منذ فترة ولكن في الأصل أنا من...
هنا قاطعني الحاج عادل وأردف وهو يربت على فخدي:

-يبدو أن قصتك طويلة يا ولدي، فلتحكِ لي كل شيء بعد الغداء...
هنا سمعنا صوت الأم تنادي بأن الغداء جاهز...
تناولت معهم الغداء، ومزاح العم عادل زال حاجز الحرج تمامًا، وبدأت أشعر بالراحة...
ومن ثم شربنا الشاي بالفلية (نبته تشبه النعناع) ومن ثم وأنا احتسي الشاي وشعوري بالأمان والحنان ودفء الأسرة هنا سقطت دمعة من عيني...
حينها سألني العم عادل برفق ولين:
-ما بك يا ولدي... هل ضايقناك...؟
مسحت دمعي ورسمت ابتسامة على وجهي كي تداري وجعي وقلت:
-لا أبدًا يا عمي، بالعكس أنا سعيد جدًّا لأني اليوم أول مرة أشعر بمعنى الأسرة...
هنا سمعنا صوت أذان العشاء، فقال لي:
-هيا يا فارس، هيا يا مصطفى نصلي العشاء جماعة في المسجد، وعندما نعود تحكِ لي ما يضيق به صدرك.
وفي الصلاة وبمجرد سماع القرآن بدأت في البكاء.
بعد الانتهاء من الصلاة جلسنا بجوار أحد أعمدة المسجد وقال لي العم عادل:
-يبدو أنك شاب نقي وصالح يا ولدي لتأثرك بالقرآن هكذا... ولكن بكائك بحرقة هكذا يدل على وجود شيء بداخلك... احكِ لي يا ولدي.

-لا أدري لماذا...؟ ولكن إذا وقع القرآن على مسامعي دائمًا أبكي...
-ولكن أريدك أن تحكي لي ما بك... لعلي أساعدك يا ولدي.
-لا يا عمي أرجوك، تكفي ضيافتك لي، عليّ أن أرحل الآن.
-ولكن إلى أين...؟
-إلى أي مكان إلى أن يطمئنني صديقي جواد.
-حسنًا إلى أن يطمئنك صديقك جواد أنت ضيفي في بيتي...
-لا يا عمي لا يصح، لا أقبل بهذا.
-هل تريد أن تكون "أجدع" مني يا فارس.
-حشا لله يا عمي، ولكن لا أرغب برد المعروف بمثله...
-الله يقول: {هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَان إِلا الإِحْسَان} ... هيا يا ولدي وكف عن الجدال...
بعد خروجنا من المسجد طلب مني أن أت معه إلى ورشته الخاصة بالحدادة كي نتكلم سويًا...
هنا طلب لنا اثنان من الشاي وبدأ في سؤالي:
- قل لي يا ولدي ما قصتك...؟
-أنا يتيم، هربت من بيتي في صغري عندما كنت في سن مصطفى ولدك تقريبًا و...
-آخ يا ولدي لا تعطِ التشبيه على ولدي الله يهديك...
-أوه أنا أسف، أقصد عندما كنت في العاشرة من عمري.
-ولمَ هربت يا ولدي...؟
-هربت لأن أبي لم يكن يحبني... كان يقسو عليّ كثيرًا... ويعاملني كالمنبوذ... أو كأني غلطة بالنسبة له.
-وماذا عن أمك...؟

-أنا كنت أحبها كثيرًا لأنها لم تكن تعنفني ولكنها كانت تحب أبي أكثر مني تعطيه الاهتمام أكثر مني... كنت أشعر أني غريب في هذا البيت... كنت منبوذ من الجميع...
-ألم يكن لك أصدقاء...؟
-لم اتجرأ على الخروج والجرأة على تكوين صداقات... كل ما كان يدور في ذهني أني غير مقبول في الداخل من أبي وأمي فما بالك بالغرباء...
-ولكنك قلت لي أن لك صديق اسمه...
-آه، لدي صديق واحد وهو جواد... في اليوم الذي هربت فيه من البيت لم أجد مكان أنام به... ولكن سرعان ما سمعت صوت قادم...
-بسس بسسس.
التفتت مسرعًا لكي أعرف من صاحب الصوت ومن أين هو... ولكن عندما التفتت لم أجد أحد خفت كثيرًا وارتجف جسدي من البرد والرعب... كان يومها السادس عشر من شهر ديسمبر عام2010...
مر بجوار قدمي فجأة قط أسود ذا عيون خضراء مائلة للصفرة، ولكنه كان يداعب ساقي برفق، فنزع ما بداخلي من خوف، قررت اقرفص كي اقترب منه وأمسح بيدي عليه، ومن ثم رأيت القط يدخل ماسورة مياه ضخمة جدًّا موجودة منها العديد في الطريق، فقررت أن أتبعه.
احببت القط لأنه أهداني إلى هذا المكان الذي سوف يأويني على الأقل من المطر...

ولكن في لحظة أغمضت عيني وعندما فتحتها مرة أخرى لم أجد القط، تعجبت من رحيله، كنت أرغب به أنيس لي، ولكن سرعان ما قطع تفكيري صبي في مثل سني يقف أمامي وهو ممسك بسحاب بنطاله و...
نظرت له في ذعر ولكنه سرعان ما سحب سحاب بنطاله مسرعًا وهو يقول لي ضاحكًا:
-لمَ أنت مذعور هكذا... هل أنت جديد في المكان...؟
أومأت برأسي وأنا لا أرغب في الرد عليه، لم أعتد أن أتكلم مع أحد...
ومن ثم دخل الماسورة الكبيرة كي يجلس بجواري... ولكني سرعان ما ابتعدت عنه...
فقال لي:
-لا تقلق مني، وللعلم أنا من كنت أصدر هذا الصوت منذ قليل لذا لا داعٍ للخوف... أعرفك على نفسي أنا جواد... وأنت...؟
تمتمت بصوت خافت من دهشتي لما رأته عيني:
-فارس...
كان الضوء خافت ولكن عندما حاولت أن أرفع نظري له وأحاول أن اتأمل ملامحه تعجبت كثيرًا واستغربت...
كنت أشعر لوهلة أني أمام مرآة...
إنه يشبهني كثيرًا، لا نختلف عن بعضنا في شيء سوى الملابس...
يختلف عني أنه راسم على وجهه الابتسامة النابعة من القوة، وأنا مهزوز خائف كالعادة.
حينها قطع شرودي من هول صدمتي وقال لي:

-أتريد أن تأكل...؟
أومأت له برأسي أي نعم.
فأخذني معه للخارج... وسرنا نمشي في الطرقات سويًا وكان شعور غريب جدًّا ولكنه لذيذ، شعور جعلني أنسى ما مررت به اليوم، وبدأت أشعر أن حياتي القادمة سيكون لها طعم أفضل من حياتي السابقة.
وها نحن دخلنا سوق شعبي وكنا نسير سويًا ونتحدث ومن ثم شعرت أني تعبت من كثرة السير، فقررت الجلوس على الرصيف، فقال لي:
-هل تعبت...؟
-قلت له، أريد العودة لبيتي أريد أن أكل، أريد أن أنام...
قال لي وهو يجلس بجواري:
-أتريد أن تعود لكي تظل منبوذ...
شعرت بأن الحزن غمرني وصرت مطأطئ الرأس...
ولكن سرعان ما رأيت برتقالة أمامي...
رفعت رأسي متعجبًا، ففتح حقيبته التي تشبه الكيس التي يرتديها وقال لي بثقة:
-إن كنت تريد الطعام فمعي الكثير منه...
نظرت له باستغراب وسألته:
-ولكن كيف جرى هذا، كيف...؟ كيف فعلت ذلك...؟
-هل يهمك كيف... أم يهمك أن تأكل...؟
مددت يدي وأخذت البرتقالة وقلت له:
-أن آكل، أريد أن آكل.

ومن ثم اكلت وعدت إلى ذات المكان الذي تقابلنا فيه ونمت نوم عميق وما استيقظت إلا على...
حينها قاطعني العم عادل وقال لي:
-أووووه، يبدو أن قصتك طويلة وتحتاج إلى عقل في كامل تركيزه، فلتكمل لي غدًا يا ولدي، وهيا تعال معي البيت.
-لا يا عمي لا يصح أن أذهب معك و...
-لا بل لا يصح ما تقوله أنت...
-حسنًا أن كنت مُصر يا عمي على رد الجميل لي، يمكنك أن تجعلني أبيت في المحل ويمكنك أن تغلق عليّ.
-ولكن يا بني لا يصح...
-أرجوك يا عمي.
-حسنًا إذا كانت هذه رغبتك يا ولدي، أراك على خير غدًا...
في الصباح أتَ لي في الورشة واندهش مما رأه لقد وجد كل ما بها مرتب فقال لي:
-صباح الخير يا وجه الخير...
ومن ثم سرعان ما طلب الفطور وأكملنا حديثنا...
حينها قال لي عم عادل:
-ها أين توقفنا بالأمس...؟
ولكن في اللحظة دخلت ياسمين المحل وبصوت بشوش:
-استأذنك يا والدي أن يكمل لي أنا الحديث في طريقي للجامعة.
ابتسم لها والدها وأومأ لي بأنه موافق، فقمت من مكاني ولحقت بها وبدأت احكي لها ما قلته لوالدها بالأمس وأكملت لها بعد ما توقفت عنده:

-وتوقفت في حديثي مع والدك عندما قمت بالمبيت في تلك الماسورة الكبيرة في الشارع مع جواد... ولكن ما جعلني استيقظ هو صوت صراخ طفل:
-أنقذوني أنقذوني...
حينها خرجت مسرعًا كي أرى ما يجري، وجدت رجل سحب جواد إلى داخل حافلة "ميني باص"، ها أنا فزعت وما كان بيدي إلا أن أهرول ناحية الطريق وأصرخ كي ينقذنا أحد، ولكني لم أتحرك كثيرًا إلا ووجدت يد ضخمة وضعت على فمي وسحبني إلى داخل السيارة، وعندما التفتَ أحد المارة لما يجري تعجب من مقاومتي لذاك الرجل ولكنه قال بضحكة سمجة واضعًا إياي بجوار امرأة منقبة:
-أنت تدري الأولاد هذه الأيام صعب أن نربيهم وصعب التحكم بهم.
ومن ثم هم بأغلاق الباب وكذلك المار لم يعر الموضوع أهمية وضاع مع ذهابه أملي في الخروج من هذا المأزق...
وعندما بدأت السيارة في التحرك تركتني المرأة المنقبة وفكت قبضتها عني ولكني استغليت هذه الفرصة وقررت فتح الباب والقفز من السيارة.
ها أنا أفتح الباب ولكن سرعان ما سحبتني يد تلك المرأة للداخل وأغلقت الباب بسرعة...
وقاموا الرجال بسبي وقامت هي بضربي...
حينها كرهت نفسي أكثر لأني قررت أن أهرب من حفرة نار إلى وادي الجحيم بنفسي...

لم أكن أفعل شيء سوى البكاء والصراخ، فقامت المرأة بإخراج مطواة وقالت لي بعنف:
-سوف أجعلك تجد بالفعل سببًا للبكاء، وسحبت أذني وأنا أقاومها تلك السيدة الضخمة، ولكنها كانت أقوى وقامت بقطع قطعة من أعلى أذني، لا أتذكر شيء سوى أول ما لامس السكين أذني، يبدو أني من هول الصدمة والخوف أغمى عليّ قبل أن يحدث أي شيء.
رسمت ملامح الأسى على وجه ياسمين ومن ثم قالت لي:
-آه يا فارس يبدو أنك مررت بالكثير من المعاناة في طفولتك.
قلت لها بابتسامة نابعة من التحسر على حالي وحظي في الدنيا:
-يبدو... ليس يبدو يا ياسمين بل بالتأكيد أنا عانيت في حياتي، ولكن حمدًا للرب على كل حال.
نظرت لي محاولة تغيير دفة الحديث الذي أخذ مجرى الحزن مما فات... وأردفت لي:
-أتصدق لفتت انتباهي أذنك عندما رأيتك أول مرة، ولكن أتدري أنها علامة مميزة ومع وسامتك لم تقل منك أبدًا.
ابتسمت بسبب هذا الإطراء، وقمنا بركوب الحافلة وأكملنا حديثنا:
-سأكمل لكِ يا ياسمين ما حدث بعدما قطعت المرأة جزءًا من أذني...
ضحكت ياسمين وقالت لي:
-لقد أخذتها من على طرف لساني يا فارس، هيا أكمل...

-استيقظت وجدت نفسي مع أطفال كثر في غرفة قذرة ولكن لم اتكلم مع أحد سوى جواد الذي رأيته مصاب في نفس الأذن التي أصيبت بها، تعجبت لدرجة التشابه بيننا ولكن ما جعلني اتغاضى عن دهشتي أني رأيت الثلاث أطفال الآخرين قد جرحوا في وجوههم كذلك...

وسرعان ما سمعنا صوت أقدام قادمة تجاه الغرفة، تلك الخطوات جعلت قلبي يتفتت من شدة الخوف، وبعد أن فتح الباب رأيت ذاك الرجل الضخم الذي قام باختطافي، فما فعلت شيء سوى الشروع في البكاء، ولكنه قطع بكائي صارخًا:

-هل سوف تقضيها بكاء يا "روح أمك"... هيا جميعكم أمامي كي يعرف كل منكم عمله.

أول من تقدم كان جواد وكان واثق الخطى لم يكن خائفًا أبدًا وكأنه تأقلم مع وضعه الحالي وقال بثقة ورجولة غير متلائمة على صغر سنه:

-على العموم، في أي عمل ترغبون أن أعمل به سأقوم به أنا وفارس سويًا...

نظر له الرجل باستغراب لطريقة كلامه وأردف:

-ومن هو فارس يا روح أمك أنت الآخر...

أشر عليّ جواد فقام الرجل بسحبه من قفاه وقال بغضب:

-هي ناقصة جنان أو بضع أطفال يشترطون... هيا جميعكم أمامي...

فجأة وصلنا وكنا أمام امرأة سمينة يبدو أنها كانت تلك المرأة المنقبة، ولكنها الآن غير منقبة، بل لا تمت للإسلام بصلة، أنها لا تعلم عن الدين شيئًا يبدو أنها عاهرة...

كانت ترتدي ملابس بيت كاشفة أكثر ما هي ساترة، وكان في الغرفة رجلان وكان عدد الأطفال في الغرفة 10 بما فيهم أنا، وأعمارنا تتراوح بين 8 إلى 15ولكن يبدو منهم معتادين على الوضع، من ثم قامت بتوزيع كل مجموعة منا لمنطقة ما لبيع المناديل ومسح السيارات في الظاهر ولكن الدور الكامن هو السرقة أثناء التسول...

خرجت أنا وجواد وصبي آخر عمره 13عامًا كي يعلمنا الشروط، وأعطانا تحذير ألا نفكر في الهرب لأن هناك من يراقبنا...

لم أكن أفعل شيء سوى أني الحق بجواد وأراه وهو يتسول ويتوسل للمارة وفي نفس الوقت ينشلهم ببراعة، كنت مصدوم مما يفعله، ولكني لم أفعل، وليس بيدي حيلة للهرب فكنت اتبعه وفي المساء عندما انتهينا من العمل، ربت الرجل الذي قام باختطافي بالأمس على كتفي وهو يقول للمعلمة:

-لن تصدقي يا معلمة، إن هذا الفتى الذي كنا نظن أن ليس منه رجاء هو أفضل من أتى بإيراد اليوم... هذا الفتى معجزة.

كنت متعجبًا، لمَ ينسب لي الفضل فقط ولا ينسب الفضل لجواد ولكن جواد لم يكترث ونظر لي وابتسم، قطع استعجابي صوت المعلمة وهي تنادي علي وتأشر لي بأصبعها كي أقدم إليها:

-تعال هنا يا... ها ما اسمك...؟

اقتربت منها وأنا ارتعش وأحاول أن أفك شفتاي اللتان التصقتا خوفًا منها...:

-ف ... ف... فاا... فا

ضحكت ضحكة تليق بامرأة عاهرة وقالت متهكمة:

-"أجمد" يا فتى، كن رجلًا...
ومن ثم نظرت لي نظرة لا تليق أن تنظرها لطفل وقالت بتهكم:
-ها ألست رجلًا...؟
لم أستطع الرد عليا ونظرت أرضًا، ومن ثم رد ذاك الرجل الضخم الذي كان يدعى صبحي وقال:
-بلى أنه سيكون من رجالنا فيما بعد يا معلمة سماح، واسمه فارس.
نظرت لي وهي تداعب شعري الناعم وتقول لي:
-إنك داهية وأنا ظننت أن لا نفع منك...
تمتمت بصوت هادئ وقلت لها:
-جواد من جمع تلك الأشياء...
نظرت متعجبة لصبحي وقالت له:
-أين جواد ذا...
رد جواد بثقة وقال:
-أنا جواد يا معلمة... خدامك... أنا وفارس واحد...
نظرت المعلمة سماح بتعجب وقالت:
-بالفعل واحد...
ومن ثم قالت بتهكم:
-لا تفرق فارس من جواد هذا راكب وهذا مركوب.

***

مرت السنين، واستمر وضعي على ما هو عليه، أنا وجواد مع بعضنا البعض خطوة بخطوة، أنا أشتت انتباه الناس وجواد يسرقهم، إلى أن صار عمري 18عامًا تقريبًا.

بدأت المعلمة سماح في التقرب مني صراحة، وتلميحاتها صارت بمنتهى الجرأة ولكني عفت نفسي عنها، لا أقدر أن أفعل ذلك...
لا أقدر على التفكير في القيام بتلك الرذيلة...
تقول لي متعجبة:
-يعني السرقة حلال والزنا حرام...؟
لم أرد عليها وقررت أن أخرج من الغرفة...
فندت عليّ قبل أن أهم بالخروج...
ولكني لم أهتم لمناداتها... وقمت بفتح الباب ولكنها حينها همت كي تلحق بي وأغلقت الباب وسألتني وهي تقيدني من الحركة بسبب جسمها الضخم الملتصق بجسدي الذي لا يزال صغير مقارنة بضخامتها، إنها طويلة القامة وسمينة جدًّا ولكنها جميلة ولكني اشمئز منها، ها أنا أريد إبعادها عني، أنا أكره شعوري بأنفاسها على وجهي...
قالت لي وهي تحاول لمسي:
-ما بك يا فارس لمَ أنت متقلب المزاج هكذا...؟ صرت لا أفهمك...! لمَ تغيرت علي...؟ أم عندما تأكدت أني أحبك قررت أن تستغل حبي...!
-ابتعدي عني...
وقمت بدفعها ورحلت... فلم يهمها ما فعلته بها وقالت لي وهي تقف تستند على الباب:
-مسيرك تأتِ لي من أجل المزاج...

ذهبت لجواد وبدأت أشكي له ما أمر به من محاولات تحرش من هذه المرأة، ولكني تفاجأت من ردة فعل جواد، رد عليّ وهو ينفث دخان سيجارته وقال بثقة:
-اعطِ لها ما تريده منك وخذ منها مقابل، الست تريدك يا "جدع"...
-استغفر ربك يا جواد، أنا أقل لك ذلك كي نقرر سويًا في خطة للرحيل من هنا، لقد سأمت من كوننا سارقان، والأدهى أنها الآن تريدني أن أرتكب فاحشة كبيرة معها تلك العاهرة، هذه المرأة لا تخاف الله تسرق الأطفال من أهلهم وتعلمهم السرقة، والبنات بمجرد بلوغهن تجعلهن يعملن في الدعارة، إنها شيطان لعين...
-إن بني أدم ألعن من بني إبليس يا صديقي...
لم أفهم مقصده ومن ثم قلت له بتوتر وبهمس:
-هيا، قل لي فكرة للهروب، لا أستطيع أن أستمر في هذا الجحيم أكثر من ذلك، قلبي يؤلمني من معصية ربي...
-أنت مثلك مثل كل بني أدم خطاء وعاصي...
-نحن نعصي الله ولكن نتوب ولا نكمل في المعصية...
هم جواد بالخروج من الغرفة وقال لي:
-ارتح أنت ولا تشغل بالك، وأنا سوف أدبر لك الأمر...
ولكنه خرج ولم يعد، تعجبت إلى أين ذهب الآن فقررت أن أخرج في البحث عنه، وأثناء مروري في ممر البيت سمعت صوت قادم من غرفة المعلمة سماح، إنه صوتها تهمس باسمي ولكن كيف...؟

قررت أن أنظر من فتحة المفتاح في الباب فرأيت جواد هو من...
آه.... يا إلهي، لذلك نظراتها غريبة وقالت عني متقلب المزاج...
ولكن لمَ يفعل جواد ذلك...؟ لمَ لم يقل لي...!
قررت أن أدخل عليهم ولكن ما جدوى ذلك...! لن يفيد أن يعرف الناس أنها زانية لأنها عاهرة قوادة في الأساس.
قررت أن أنتظر في غرفتي إلى أن أتَ جواد الغرفة وهو يترنح وحسن المزاج، ولكن عندما رأى عيني يتطاير الغضب منها قال لي باستغراب:
-ماذا بك...؟ لمَ تنظر لي هكذا...؟
-انقضضت عليه ممسكًا إياه من ياقته متسائلًا وعيناي تزرفان الدمع:
-لمَ فعلت هذا يا جواد...؟ لمَ لوثت نفسك في الوحل... لمَ فعلت ذلك وانتحلت اسمي لمَ...؟
قام جواد بإبعاد يدي عنه يدي بلامبالاة وقال:
-وهل أنت تشعر بالضيق من فعلتي ولا من انتهاك اسمك...؟!
لم أرغب في النظر له واعطيته ظهري، لم أعد قادرًا على مواجهة نظراته القوية التي لم تشعر بالخزي أبدًا... ومن ثم قلت له:
-لا تفرق لا أريدك أن تأخذ ذنب هذا الفعل الشنيع ولا أريدك أن تشركني فيه كذلك...
رد جواد ببرود وهو يهم بإشعال سيجارته:

-هي بالفعل لا تفرق، أنا وأنت واحد، نشبه بعض كثيرًا لا يوجد فرق أن قلت فارس بدلًا من جواد، وعلى العموم أنا فعلت ذلك من أجلك، فعلت ذلك نيابة عنك كي استغل المعلمة وكي أكمل الخطة، التي سوف نبدأ في تنفيذها بعد قليل...
التفتت له غير مصدق وسألته:
-حقًا، فعلت هذا من أجلي، وبهذه السرعة فكرت كيف نهرب يا جواد...!
نفث دخان سيجارته وقال لي بثقته المعتادة:
-لا داعٍ للحديث الآن، بعد قليل سوف تفهم كل شيء...
بعد قليل وجدته خرج من الغرفة، ومن ثم عاد لي وهو يحمل على ظهره حقيبة ظهر، سألته باستغراب:
-ما تلك الحقيبة يا...
قال لي بغضب هامس وهي يضغط على أسنانه:
-لا أريد كلام كثير، اتبعني هيا...
ولكن على الباب سأل صبحي جواد:
-إلى أين العزم إن شاء الله...! أنا أعرف أنك مجتهد في عملك ولكن ليس لهذه الدرجة...
ولكن لم يكمل صبحي كلامه إلا وقد قام جواد برش منوم في وجهه ومن ثم نظر لي هامسًا مؤشرًا لي أن أتبعه، وبدأنا في الجري، وأنا أسأله وأنا أحاول أن أتنفس:
-إلى أين يا جواد... وماذا حدث افهمني...!
لم ينظر لي حتى وقال لي:
-عندما نصل سوف أشرح لك كل شيء.

هرولنا إلى أن وصلنا محطة القطار وتوجهنا إلى الإسكندرية، كان جواد متمسك بالحقيبة بقوة وهذا أثار حيرتي فسألته:
-ماذا تحتوي هذه الحقيبة...؟
لم يكترث جواد لسؤالي واجابني بلامبالاة:
-لا يمكنني أن أقل لك الآن... بمجرد وصولنا سوف أفهمك كل شيء.

وها نحن وصلنا... ولكنه قال لي سوف نفترق من محطة سيدي جابر وسوف نعود إليها السادسة مساءًا، كل منا سوف يذهب في طريق لكي نجد مكان نعيش فيه، وعلى الموعد المحدد كل منا يقل للآخر ما توصل إليه...
سألتني حينها ياسمين وقالت لي متعجبة:
-وهل وثقت به...؟ ألم تكن تظن أنه يمكن أن يرحل ولا يعود إليك من جديد...!
-بالعكس يا ياسمين أنا أثق في جواد وثقتي به فاقت كل الحدود، إذا كان يريد تركي لكان تركني منذ البداية في بيت المعلمة سماح وأنقذ نفسه وكفى، بل أن جواد دائمًا يفكر بي قبل أي شيء، جواد يكملني، جواد أرسله الله لي كي يكون لي السند والأب والأخ، يكون لي العوض في هذه الدنيا.
دعني أكمل لكِ، لأني أن بدأت أحكي لكِ على مواقف جواد معي لن أتوقف عن مدحه، بالفعل ذهب كل منا في طريق وبالفعل رجعت إلى المحطة الساعة السادسة كنت قلق ألا أجده لأني لن أعرف كيف أصل إليه لأن ليس معنا هواتف، جاء في بالي أن أترك المكان وأبدأ في البحث عنه، ولكن بمجرد أن

التفتت مغيرًا وجهتي، وجدت يد على كتفي، كان هو، جواد، بمجرد أن رأيته عانقته، هو الأمان لي والمؤنس، قال لي وهو يخرجني من حضنه ويربت على كتفي:
-ها، هل وصلت لمكان...؟
-لا، لم أصل لشيء، كلهم رافضين لصغر سني، كلهم لا يثقوا أني قادر على الدفع وليس من الأمان أن يدعوا شاب عازب في عمارتهم... كلها عام أو عامين والشك يتسلط عليّ أكثر.
قام بإخراج علبة السجائر الخاصة به وأشعل سيجارته وبدأ ينفث سيجارته وقال بثقة لي وهو يتلفت وأشار لي بيده:
-حسنًا، تعال معي...
لحقته وأنا لا أدري وأقول له متعجبًا:
-ولكن إلى أين...؟
-سوف تفهم كل شيء الآن... هيا معي.
وصلنا إلى قهوة شعبي في سيدي جابر، سألته هامسًا بسؤال غبي:
-هل سنعيش هنا...؟
نظر لي متعجبًا من مستوى ذكائي ولم يرد عليّ ومن ثم نادى وقال:
-السلام عليكم يا معلمة قدرية...
نظرت وجدت امرأة في الخمسين من عمرها، ولكن القوة برزت من ثبات خطواتها وصوتها وتمكنها بين الرجال، كانت ترتدي عباءة سوداء وكانت تغطي شعرها بإيشارب أسود وكانت مشمرة عن ساعديها، كاشفة عن ذهبها وقالت بصوت قوي مجلجل وهي تقترب لطاولة ما وأشارت لنا بالقدوم:

-تعال يا جواد...
تقدم جواد للطاولة وجلس فأنا اتبعته...
قال لها بثقة وهو يقوم برمي عقب سيجارته ونفث دخان سيجارته جانبًا بطريقة لا تتناسب مع سنه ذا 18 عام فقط ولكن شخصيته تعكس رجولته ورجاحة عقله:
-تمام يا معلمة نقول أمين على المكان، ولكن الشقة سيعيش بها معي أخي فارس...
قالت له المعلمة بلامبالاة وهي تخبط بكف يدها على الطاولة:
-يعيش معك أخوك، أبوك، عشرة من أصدقائك لا يهمني، كل ما يهمني التأمين والإيجار، وأنت حر...
-وأنا جاهز يا معلمة، والآن، لأني أريد أن أرتاح من السفر...
حينها لم أفهم شيء كنت أنظر له مستغربًا وهمست له:
-كيف سوف تأتِ لها بكل هذا المال...؟
همس لي وهو يكز على أسنانه:
-اسكت الآن وسوف أشرح لك كل شيء لاحقًا.
قلت له وبدأت أشعر بالحيرة:
-أليس لديك سوى هذه الكلمة، هل تريدني أن أتبعك من دون أن أكون على علم بأي شيء...؟
-لم يتبقى إلا القليل، هيا معي...
وبالفعل أخذتنا تلك المعلمة قدرية، إن لديها صحة وقوة مثل شابة في العشرينات بالفعل، إنها ليست قبيحة الشكل ولكنها سليطة اللسان، وصلنا معها إلى عمارة تتكون من خمسة أدوار فقط، كانت عمارة قديمة ودخلنا معها مدخل العمارة التي هي للبيت القديم أقرب، وفتحت لنا باب شقة في الدور الأرضي،

الشقة كانت تتكون من غرفة واحدة وحمام صغير ومطبخ صغير وصالة، كانت الصالة تحتوي على أريكة خشبية قديمة تبدو أنها من أيام الاحتلال، وتوجد طاولة دائرية في المنتصف، وفي الغرفة سرير متوسط الحجم وكفى، شقة فارغة تمامًا لا يوجد بها شيء سوى ما قلته...
جلسنا على الطاولة ودفع جواد 10000جنية تأمين وإيجار مقدم 1000جنية تعجبت كيف يدفع إيجار 1000جنية في هذه الخرابة ولكنه مسك يدي كي لا أنطق ومن ثم همت المعلمة بالخروج وقبل أن تخرج وقفت عند الباب ونظرت لجواد نظرة لم أرتح لمغزاها وقالت:
-مبروك عليك يا جواد... مع أنك جعلتني أخسر الكثير ولكن هذا طبعي أحب الخير، وأحب أن أسند الغير...
وقف جواد واقترب من الباب وقال لها وهو يبتسم:
-كلك ذوق يا معلمة، وأنا خدامك من اليوم.
ربتت على صدره وقالت:
-تسلم يا ذوق.
ورحلت، فهم جواد بقفل الباب وراءها وهو يتنفس الصعداء، ولكني لم أدعه يكمل تنفسه حتى، إلا وقمت من مكاني كي أسأله:
-من أين أتيت بالمال يا جواد...؟! وما هذه الخرابة التي نحن بها الآن، لا تستحق كل هذا المال...
نظر لي متسائلًا:
-أهذه شكرًا التي يجب أن تقولها لي يا فارس...؟
-شكرًا على ماذا...؟ أنا لا أفهم شيء...

-من دون هذه الشقة سوف نكون في الشارع... أتريد أن تكون في الشارع يا فارس... ها قل لي...؟
تمتمت وقلت...:
-ولكن ا...
قاطعني وقال بثقة:
-لا تكمل كلامك سوف أريحك وأحكي لك كل شيء من البداية للنهاية...
لقد استغللت المعلمة سماح واعطيتها مرادها كي أستطيع في النهاية بعد ما تعاطت المخدرات أن تقول لي رقم خزنتها السري، ومن ثم خدرتها، وأخذت مالها أن المبلغ ليس كبير 100 ألف فقط بالرغم أني كنت أظن أن معها الكثير في الخزنة...
قررت ترك القاهرة والرحيل عن إمبابة تمامًا كي لا يصلوا لنا رجالها، لأن العيون سوف تسلط علينا نحن فقط لأننا من هربنا وأكيد بدئوا البحث عنا من الآن، فقررت السفر للإسكندرية حيث لا يعرفنا أحد...
قررت البحث عن مكان ولا يوجد أفضل من القهوة حيث يوجد ناس مختلفة وأكيد أحد منهم سوف يوصلني لحل...
واحمد ربك على هذه الخرابة لألا يوجد أحد يسكن من هم أمثالنا لا في عمرنا ولا أكبر منا، لا يوجد أحد يأتمن لعازب يسكن في عمارته...
وهذه المرأة بمجرد النظر لها علمت أنها مشبوهة وسكتها "بطالة"، قلت هذه التي سوف تأتي لي بحل، لعبت عليها بكلمتين، أنت تعرف مدى تأثيري، وهذه الشقة أنا أعرف جيدًا

هي كانت تؤجرها بالليلة للقمار أو للعشاق، ولكن الحكومة هذه الأيام تشد حيلها، فصارت تخاف أن تؤجرها للعشاق أو للقمار، فنحن فرصة لها من السماء، بدل من غلقها تمامًا، هي قالت نصف العمى ولا العمى كله...

نظرت له باستغراب:

-يعني أنت لم يكفيك فعلتك الشنيعة التي فعلت، بل وسرقت...

قاطعني بضحكة تهكمية:

-حلوة سرقت، على أساس من صغري كنت ماذا أفعل...! كنت أصلي، هذا جزاءها، هي من علمتني، وطباخ السم يجب أن يذقه...

وإن جئت للحق، هذا مالي وتعبي وشقائي، وأن مالي الذي جمعته أكثر من هذا، ولكن هيا...

وقفت أمامه وسألته وأنا أنظر في عينيه:

-هيا..! هيا ماذا...؟ أنت كيف بارد الأعصاب هكذا...؟ لمَ لا ترغب أن تبدأ بداية جديدة فيها رضى الله...؟

-إن لم تعجبك الحياة معي، فلترحل يا فارس، وهيا اخرج نام في الشارع، دع ربك يرعاك ويدفئك في عز الصقيع...

زاد من حدة غضبه ورزع الطاولة وقال:

-هيا اخرج من هنا ودع مالي الحرام واطلب من ربك يطعمك ويسقيك...

نظرت له بدهشة من تجرؤه على ربه وسألته وأنا أمسك ذراعه كي ينظر لي:

-كيف تتجرأ وتقول هكذا على ربنا...

ترك يدي غاضبًا وأردف:

-ربك وحدك... سوف أترك البيت حالًا وأنت فكر، واختار، رضى ربك أم الحياة معي...
لحقت به وقلت له:
-دعنا نبدأ سويًا من الصفر بداية يحبها الله كي يرضى عنا...
-ارضيه أنت فقط إن كنت ترغب، ولكنه لن يرضى عني لأني لا أريد...
أنت حر بيدك أن تختار الواقع أم تمشي وراء وهمك...
وغلق الباب بقوة ورحل.
قررت أنا أيضًا أن أرحل، قررت ألا أكمل في الحرام وأن لا أكل مال حرام، قررت أن أرحل وقلت إن الرب لن يضيعني أبدًا...
ولكن بمجرد أن خرجت من البيت بدأ المطر ينهمر بقوة وما أدراك ما مطر الإسكندرية شتاءً، كنت حينها في أول يناير من عام 2018 وحبات المطر كانت تسقط بقوة أرضًا كانت حبات المطرة مثلجة من شدة الصقيع، نظرت للسماء وقلت للرب:
-يا رب ما معنى المطر الآن...؟ هل المطر يعني سخطك عليّ وعدم رضاك عني...؟ أم أن هذه علامة أن أظل في هذا البيت...؟ إلهي هل تسمعني...؟ اعطي لي إشارة...؟
ساعدني...! يا رب أن كنت راضٍ عني وسوف تساعدني أن رحلت عن جواد اوقف المطر... سوف أفهم أنك موجود وأنك سوف تعينيني على القادم... انتظرت 10دقائق على أمل أن يتوقف المطر وأرحل من هنا... ولكن المطر لم يتوقف بل زاد أكثر وأكثر... حينها شعرت بأسى وقلت لنفسي:

-هذا معناه شيئين أنك يا رب غير راضي عني، أو أنك غير موجود فلم تسمعني ولم تساعدني...
قطع كلامي صوت ياسمين وهيا توقف سائق الحافلة:
-على جنب لو سمحت.
ومن ثم نزلنا من الحافلة وهي تنظر لي وتضحك:
-آخ منك يا فارس ومن حديثك الشيق لم انتبه للطريق بسبب كلامك.
-آسف يا ياسمين لم أقصد ولكن أنا لا أعرف شوارع الإسكندرية جيدًا بعد ولا أعلم ما هو طريق جامعتك.
ابتسمت وقالت لي وهي تسحبني من يدي كي نجلس على سور كورنيش البحر وأردفت بلهفة وهي تحرك ساقها بطفولية:
-ولا يهمك يا فارس، تأخري قليلًا عن الجامعة لا يضر، هيا أكمل لي ما الذي حدث بعد ذلك.
سرحت في جمال عيونها ومن ثم ابتسمت لها واستعد تركيزي وأكملت كلامي:
-حينها رأيت جواد قادم من آخر الشارع ومعه كيس كبير ونظر لي وابتسم وعندما اقترب قال لي:
-ها ماذا قررت تختار الواقع أم الوهم...؟
لم اجبه وطأطأت راسي أرضًا، فأخذني من يدي وقال لي وهو يدخل مدخل العمارة وفتح باب الشقة ونظر لي كي اتبعه وقال:
-تعال، لقد عملت حسابك وجلبت لك طعام معي... تعال.
سحبتني قدمي تجاهه... وبدأت آكل على الطاولة وأنا شارد أسأل نفسي...:

-لمَ ربي تركني وحدي...؟ لمَ جعلني احتاج لغيره لا هو...؟ أليس هو المعطي الكريم... أليس هو الأمان لعباده... أليس هو الرحيم... أين هو... لمَ تركني...؟

قطع شرودي جواد وقال لي وهو يضحك:

-لمَ أنت حزين هكذا لم أكن أظن أن الطعام بهذا السوء...

مضغت بضع لقيمات وقلت له:

-أنا فقط متعب أحتاج أن أنام...

نمت واستيقظت مريض بسبب مطر الأمس...

سألت ربي:

-لمَ أمرضتني...؟ أنا كنت أريد أن أظل بعافيتي كي أبحث عن عمل، على الأقل أرضى بالحرام فترة إلى أن أتكمن من الاعتماد على الحلال...! لمَ لا تعينيني... لمَ!

عندما استيقظت رأيت نفسي بملابس غير الملابس، ومغطى ببطانية، وأنا أتذكر أنه لم يكن هناك بطانية من الأساس...

فجأة سمعت باب الشقة يغلق، فبدأت في السعال، فجاءني صوت جواد متسائلًا:

-هل استيقظت يا فارس...؟

جاهدت نفسي على الكلام وقلت له:

-استيقظت منذ قليل...

قال لي بصوت عالٍ:

-تعال هيا من أجل أن ترم عظمك بالفطور...

لم أرغب أن آكل كان بداخلي شعور ندم وحزن بأن الرب غير راضٍ عني، يوجد شيء ينغص علي، لا أدري كنهه...

قلت لجواد بصوت متعب:

-افطر أنت يا جواد أنا لا أريد...
بعد دقيقتين رأيته جاء لي الغرفة وفتح الأكياس وفرشها على السرير ووضع عليها الفطور وبدأ يجعلني آكل...
كنت أنظر له وأحمد الرب على جواد وأقول له:
-أحمدك يا ربي على نعمة جواد في حياتي، لن أجد أحد يحبني في الحياة مثله، أكنت تريدني لا أرحل من هنا لأنك تحبني أيضًا يا الله... أحاول أن أفهم حكمتك ولكن لا أدري...
قطع شرودي صوت جواد، ولكني لم اسمع جيدًا ما قاله لي، فقلت له وأنا أمسك يده:
-أحبك يا صديقي ويا أخي الذي لم تنجبه أمي... أصدقاء وأخوة إلى الأبد.
نظر لي ورسمت ضحكة على جانب فمه وقال لي:
-إلى آخر يوم في حياتك يا فارس...
فطرت وقال لي أرتاح أنت اليوم، فقلت له بندم:
-لا أريد أن ارتاح، أريد أن أبحث عن عمل يا جواد.
ربت على كتفي وقال لي:
-نم وارتح أنت اليوم وفي المساء سوف أتِ لك وأكون قد وصلت لحل في موضوع العمل... ولا تنسَ تأخذ الدواء، ها هو بجوارك.

*****

في المساء جاء لي جواد ومعه الغداء وقال لي:
-المعلمة قدرية تحتاجنا معها للعمل في القهوة أنت سوف تعمل صباحًا وأنا سوف أعمل مساءًا.
-ولكن لمَ ليس معًا...؟

-هذا رأيها يا فارس، إن لم يعجبك العمل يمكنك أن تبحث عن غيره، بالنسبة لي أنا موافق على عملي.
قاطعته مستغربًا...:
-ماذا تقول يا جواد...! أقول لك أريدك معي في نفس الوقت تقول لي أن أبحث عن عمل في مكان آخر مختلف... حسنًا يا سيدي موافق أي شيء إلى أن نجد عمل سويًا...
تناولنا الغداء وقبل أن يتركني قال لي:
-سوف أذهب للعمل، تناول دواءك عندما تستيقظ.
قلت له بصوت شبه عال مجاهدًا نفسي على الكلام كي يسمعني وهو عند الباب:
-حسنًا سوف ارتاح الآن، كي أستطيع الذهاب للعمل صباحًا.
جاءني صوته وهو يغلق باب الشقة:
-إن استطعت فلتفعل.

*****

في الصباح ذهبت وباشرت عملي بهدوء أخذ الأوامر وأنفذ فقط، بعد قليل جاءتني المعلمة وسألتني:
-لمَ أنت هادئ، أيوجد شيء ضايقك...!
سعلت بهدوء ومن ثم قلت لها:
-لا يوجد شيء يا معلمة، ولكني متعب قليلًا...

*****

تمر الأيام والمعلمة اعتادت على طبعي الهادئ ولم تعد تستغرب منه، وصرنا لا نتقابل أنا وجواد إلا في الصباح عندما يوقظني ونفطر سويًا، وفي المساء عندما اوقظه ونتناول الغداء سويًا...

*****

بعد مرور شهرين من وجودنا في الإسكندرية، بدأت المعلمة في بناء دور سادس للعمارة، فقررنا أن نساعد مع العمال ولكن بأجر، كنت أحمل الطوب وأرفعه وبعدها يتبعني جواد، وفي كل مرة أحمل كانت المعلمة تنظر لي، كنت أعلم جيدًا أنها نظرات إعجاب، ولكن كيف تفكر بذلك وأنا في عمر أولادها إن كان لها أولاد من الأساس.

*****

تمر الأيام وأكملنا الشقة، فصار عملي في الصباح في البناء أنا وجواد وفي المساء يذهب جواد بضع ساعات في القهوة كي يساعد المعلمة.

بعد أن أكملنا البناء، بدأت المعلمة ترسلنا مع عمال أخرين للبناء، فصار عملي الجديد في البناء...

قاطعتني ياسمين وقالت لي:

-بالفعل وأنا قلت ما سبب بروز عضلات جسدك...

-آه يا ياسمين أنه لعمل شاق، ولكن كنت سعيد لأنه حلال، عندما كنت أعود ومعي طعام اشتريته بالمال الذي تعبت به أشعر أني مرتاح لأني أعلم مصدر هذا المال وأن الله راضٍ عنه، ما زلت أفكر به في كل لحظة في حياتي، أبحث عنه في كل ما أفعله، يوجد شيء رابطني به رغم كل شيء...

-ونعم بالله يا فارس أكمل لي...

-لم تستمر راحتي يا ياسمين، إلا في يوم رأيت جواد يأخذ المال الذي كان يخبئه وخارج من البيت، قلت له باستغراب:

-إلى أين أنت ذاهب بالمال يا جواد...؟

-لا شأن لك، هذا مال حرام كما تقول... فلا شأن لك به أفعل به ما أشاء...
وحيرتي لم تدم كثيرًا لأني صرت أرى جواد كل يوم معه مال كثير.
فقررت أن أسأله:
-جواد من أين لك بكل هذا المال...؟ قل لي الحقيقة.
-يا سيدي مالي وقمت بتشغيله ما المشكلة!
-تشغيله في ماذا...؟ أتريد أن يزيد الحرام في جيبك...؟
-أنت لك طريقك وأنا لي طريقي... لم أقل لك اعطيني مالك وأزيده لك.
-ولكن كيف...؟!
-لا يهم كيف، ولكن أن كنت ترغب أن يكون معك مال مثلي أنا سوف أساعدك.
قمت من على السرير وقلت له:
-لا أريد أن أعطيك قبل أن تفهمني سكة هذه الأموال في البداية.
قام بربط حزمة المال وضعها في كيس ثم في الحقيبة وقام بغلقها وهو يقول لي:
-لا لن أقل لك، لأن الموضوع يخص كبار، أن كنت تريد الزيادة أنا رقبتي لك سدادة، ولكن كثرة كلام لا أريد لأن الكلام في هذا الموضوع يضيع فيه رقاب.
نظرت له وأنا أسحب منه الحقيبة وقلت له:
-ولمَ دخلت في هذا الطريق الذي يضيع فيه الرقاب يا جواد...؟ ألا تريد أن نعيش في أمان...؟

سحب الحقيبة من يدي ووقف وقال:
-العيش في أمان لا يدعك تخطي خطوة للأمام، الذي يخاف يظل طول عمره بجانب الحائط إلى أن يسقط عليه ولا أحد يدري عنه.
-وهل يعجبك أن تتبع طريق الخطر ولا تضمن أتعيش غدًا أم لا...؟
-ولمَ يهمني أن أفكر في العيش غدًا أم لا ما دام أنا أعيش سعيد ومعي مال الآن...؟
-هل كل شيء بالنسبة لك المال وكفى...؟
-لأن المال بالفعل كل شيء... قل لي ما هو المهم سوى المال...؟
كنت سوف أنطق ولكنه سرعان ما اسكتني... وقال:
-لا تحاول اقناعي بكلام غير واقعي أنا لا يقنعني شيء سوى الواقع وكفى... إن المال هو سيد العالم.
-ولكن يقولون إن المال عبد جيد وسيد سيء لا تجعله يتحكم بك.
هم بالخروج من الغرفة وهو يتكلم بغضب:
-من قال ذلك أحمق، من معه المال هو السيد ومن ليس لديه مال هو العبد، نحن عبيد من دون المال.
ومن ثم التفت لي وهو يقف عند باب الشقة وقال:
-لا تتبع هذه الحكم الزائفة يا صديقي كي لا تضيع حياتك هباء بدون فائدة، صدقني من يقولون هذه النصائح هم لا يأخذوا بها في الواقع كله كلام على ورق، ولا يتأثر بها إلا من هو أحمق.
ومن ثم رحل وتركني شارد أفكر، من منا هو الصحيح...!

تمر الشهور وكل شهر كانت المعلمة تأتي لجواد وتعطيه مال ولا تأخذ منه الإيجار... علمت حينها أن المعلمة هي أيضًا في طريق جواد.
آخر شهرين كان الظرف به مال أقل فسألها جواد:
-لمَ المال أقل هذه المرة.
-السوق نائم هذه الأيام يا جواد على عينك.
نظر لها وابتسم جواد وضحك بتهكم:
-على عيني أن الوضع كما هو عليه يا معلمة، لا يغركم صغر سني.
حاولت أن تهدأ من جواد وقالت له:
-اهدأ يا جواد وكلها فترة وسوف يعود الوضع كما كان وأفضل، لا تدع الشيطان يدخل بينا...
-أي شيطان يدخل بينا...؟ لا يوجد أي شيطان بيننا، وإن كنتِ تخافي من الشياطين وبطشها فأنا شيطان فأحذرِ من اللعب مع الشيطان.

*****

رحلت المعلمة، فخرجت أنا من الغرفة وسألته:
-ماذا كان يحدث ها هنا...؟
اخرج سيجارة وبدأ ينفث بها بغضب وقال لي:
-لا تشغل بالك، ولكن استعد للرحيل من هنا... الليلة.
استغربت وقلت له:
-كيف...؟ ولماذا الآن...؟ بعد أن استقرينا...! ووجدنا عمل...! ومالك وعملك... ماذا سوف تفعل...!
نفث دخان سيجارته وقال:

-لا تشغل بالك يا فارس قلت لك... كل ما عليك أن تستعد وأنا سوف أتصرف لا تقلق.

*****

الساعة الثالثة فجرًا جاء لي جواد وأيقظني:

-هيا فلنذهب، الآن.

كنت غير مستوعب ماذا يقول لي فقام بسحبي كي أقوم وقال بغضب:

-هيا يا فارس، وارحمني من كثرة الاسئلة.

وبالفعل ارتديت حذائي وأخذني وقال لي:

-أنا جهزت كل شيء هيا اتبعني.

وحمل حقيبة ظهر ضخمة وتحرك وأنا كنت معه وفي آخر الشارع كانت هناك سيارة بدون كلام كثير ركبت السيارة، ووقفنا عند إحدى حواري المنشية، ودخلنا شقة في بيت قديم جدًّا، شكر جواد الرجل الذي اوصلنا ومن ثم دخلنا الشقة وتعجبت أنه قام بفتحها، سألته متعجبًا:

-كيف...؟

لم أكمل تساؤلي فقال لي جواد وهو يهم بالدخول:

-ألا تكف عن الأسئلة يا فارس، سوف أريحك يا أخي، أنا موجود في الإسكندرية منذ ثمانية أشهر ولي أصدقاء وتصرفت في هذه الشقة منذ شهر عندما بدأت المعلمة قدرية تلعب بذيلها معي.

دهشت مما قاله:

-تلعب بذيلها كيف...؟

-لا تشغل بالك ارتح الآن وفي الصباح سوف أشرح لك الوضع الجديد.

*****

قالت لي ياسمين باندهاش:

-وهل أنت مسالم هكذا دائمًا يا فارس...؟

-لا أدري يا ياسمين والله، في أغلب الأوقات يخفي عني جواد ما يمر به... ولكنه دائمًا يفكر في مصلحتي.

-ولكن يا فارس أظن أن طريقه خطأ وبذلك سوف يجر رجلك في هذا الطريق وهذا سوف يعرضك للخطر.

-لا أظن ذلك يا ياسمين، لأن بمجرد أن جئنا إلى المنشية في صباح اليوم التالي رأيت معه آلة حلاقة وطلب مني أن أحلق وأغير من شكلي فسألته:

-لماذا يا جواد...؟

-لزوم البداية الجديدة يا صديقي... قررت أن أبتعد عن هذا الطريق الذي كنت به فلنبدأ بداية جديدة في مكان جديد بشكل جديد.

نظرت له بدهشة وقلت له وأنا أمسك يده:

-حقًا يا صديقي...!

ابتسم لي وأمسك يدي وقال لي:

-حقًا يا صديقي.

قمت وعانقته وقلت له بلهفة:

-كنت أعلم جيدًا أنك في يوم سوف تترك هذا الطريق و...

اخرجني من حضنه وقال لي:

-توقف عن الكلام قليلًا وهيا بنا فلنبدأ بتغير شكلنا.

قررنا حلاقة اللحية تمامًا وحلق جانبي الشعر مع رفع شعرنا الطويل بمساكة شعر... شكلنا تغير 180°، بالفعل إذا كنت ترغب أن تغير من شكل رجل فلتحق لحيته فقط.
قال لي جواد أن أذهب إلى مطعم وأقول لصاحبه أنا من طرف المعلم لطفي، وبالفعل ذهبت صباحًا إلى المطعم، وبالفعل تم تعيني، ولكن جواد لم يعمل معي، جاءني المطعم جواد مساءً وسألني على العمل وما هو انطباعي فقلت له:
-إن العمل بسيط ها هنا، صاحب العمل علمني كيف استخدم الآلة وصرت "كاشير" كما ترى يا صديق ولكن لمَ لست معي...؟
-ومن قال لك أنا لست معك...؟ سوف أعمل في توصيل الطلبات يا فارس... وهيا سوف اتركك الآن كي لا أسبب لك مشاكل... بعد الانتهاء من العمل سنتحدث سويًا...

*****

مر شهران على هذا الوضع إلى أن صار ما صار بالأمس واشتعل جواد غضبًا عندما رأى الضابط يضربكِ يا ياسمين.
قاطعتني ياسمين وقالت لي متعجبة:
-يعني جواد انفعل عندما رأى الضابط يضربني ولم ينفعل عندما هرب اللص ورماني أرضًا...!
-لم يكن موجد أثناء الحادثة لقد وصل جواد أثناء وقوعكِ بسبب الضابط وهم مسرعًا ودافع عنكِ.
-يعني جواد هو من دافع عني...!
-نعم يا ياسمين هو من دافع عنكِ وهو من قال لي أن أخذكِ ونهرب سويًا كي لا نتأذى... هو هكذا جواد دائمًا يهمه أن

أكون بأمان... أنا فعلت ما بوسعي كي تكوني بأمان يا ياسمين وأن تصلي إلى أهلك سالمة.
-أشكرك يا فارس على أمانتك وصدقك... واسمع يا فارس محل والدي مفتوح لك إذا أردت أن تعمل معه، وإذا استطعت أن تكلم صديقك لكي يقدم له والدي يد العون والمساعدة على موقفه معي وشجاعته، وكما قلت لي أنه صار صالح الآن وابتعد عن الطرق المشبوهة.
-أشكركِ يا ياسمين على وقفتكِ معي، حسنًا سوف أحاول أن أصل إليه وأقول له.

*****

مرت الأيام وياسمين تقربت مني، وها أنا ذا ولأول مرة قلبي يدق، بدأت أحب وأتعلق بياسمين، تلك الفتاة الجميلة.
مرت الشهور وأنا لم أعرف كيف أصل إلى جواد هاتفه مغلق دائمًا، كنت قلق عليه كثيرًا.
في شهر مارس عام 2019 قررت في مرة أن أذهب إلى الشقة التي كنا بها ولكن بدون جدوى، لم أجده... كنت مفتقده جدًّا ولكن وجود ياسمين معي هون عليّ غيابه بعض الشيء.
كسبت حب ياسمين وأهلها لي، شعرت أن الله عوضني بالأهل والحبيبة في آن واحد... ولكن هذا لم يستمر.
في صباح أول أيام شهر أكتوبر جاءت ياسمين إلى محل أبيها ولكنها لم تنظر لي حتى، لا أدري ما سبب قطيعتها لي، قررت ياسمين الرحيل مسرعةً، استأذنت عم عادل بعض الوقت...
لحقت بياسمين وامسكتها من ذراعها، فالتفتت لي، سألتها بلهفة:
-ماذا جرى يا ياسمين...؟ قولي لي لمَ تغيرتِ علي...؟ أنا ماذا فعلت لكِ...؟
ترقرق الدمع في عيني ياسمين وقالت بانكسار وهي تنظر أرضًا...:
-ألا تدري ما حدث...؟
وضعت يدي تحت ذقنها كي أرفع رأسها وكي تنظر عينها لعيني وقلت لها:
-أقسم لكِ لا أعلم ما حدث... قولي لي ماذا صدر مني كي أصلح ما فعلته وضايقتك به...
نظرت لي وبدأ الدمع ينهمر من عينها وقالت بحسرة:

-ما حدث لا يمكن اصلاحه أبدًا ومن ثم التفتت واجهشت بالبكاء، التفتت الاتجاه الآخر وامسكتها من ذراعيها وقلت لها وأنا أبكي لبكائها:
-ياسمين حبيبتي، أقسم لكِ لا أدري ماذا تقصدين أرجوكِ افهميني...
نظرت لي وهمت بمسح دموعها وتنفست الصعداء وتمالكت قواها وقالت وهي تنظر لي نظرة كره:
-أنت استغليتني...
تعجبت كيف تنظر لي ياسمين هكذا...؟ سألتها بتعجب وأنا أمسح دمعي:
-ماذا فعلت أنا يا ياسمين كي استحق تلك نظرة الكره منكِ...؟
-ألا تتذكر منذ اسبوعين عندما كنت في إجازة لأنك مريض وطلبت من أبي أن تذهب لشراء دواء، أنت يومها اتصلت بي وطلبت مني مقابلتك، وأنا حزنت لأنك مريض ولكنك قلت لي أن سبب مرضك هو فراق جواد الذي طال عليك، لذا طلبت مني أن نخرج سويًا وتستغل إجازتك في البحث عنه والسؤال عليه في المنشية، طلبت منك حينها أن تنتظر إلى أن تكون في صحة جيدة ولكنك اصررت وقلت لي أنك لن ترتاح إلا عندما ترى جواد.
قررت أن أذهب معك ووصلت لتلك الشقة التي كنت تسكن بها أنت وجواد، ولكن بمجرد أن وصلنا لهناك أنت تحولت لوحش... تغيرت 180° درجة، لم أكن اتوقع أن تفعل ما فعلته بي، لم أكن اتوقع أبدًا...

واجهشت بالبكاء وأنا شاركتها بكاءها وصرت أرفع رأسها وأقول لها باكيًا:
-أقسم لكِ يا ياسمين لم أفعل شيء، هل تظنين أن يصدر مني فعل كهذا...؟
نظرت لي بكره وأبعدت يدي عنها ودفعتني وقالت:
-أنت ممثل وبارع في التمثيل صدقت أدبك وخجلك وطيبتك وأنت حقيقتك شيطان.
ومن ثم همت بعبور الطريق ولكن في تلك اللحظة كنت أنا أنادي عليها وأحاول أمسك يدها وهي تحاول أن تبعد يدها عني وهي تلتفت فمرت سيارة بسرعة واصطدمت بها.
أخذتها مسرعًا إلى أقرب مشفى، ومن ثم اتصلت بعمي عادل كي يلحق بي، وتم تجبيس ساقها ولكن لم تكن ياسمين ترغب في النظر لي، ياسمين لم تصدقني، ياسمين كرهتني.
صرت أفكر، كيف حدث هذا...؟ أنا في هذا اليوم لم أخرج من الورشة وكنت راقد بسبب كثرة التعب... هذا معناه أن ياسمين تتبلى عليّ ولكني استبعد هذه الفكرة من الأساس، لمَ تفعل هذا...؟ هي تعلم أني أحبها وأنا من أتمنى أن تكون لي، ليست مضطرة لهذه التمثيلية كي تكون لي... والفكرة الثانية من فعل ذلك هو جواد... ولكن كيف وصل جواد لياسمين وكيف عرف مكاني ورقم هاتفها... ولمَ يفعل ذلك من الأساس لمَ...؟ أنا لا أفهم شيء.
مرت ثلاث أسابيع لم أرى ياسمين قررت أن أسأل عمي عادل عنها قال لي بأسى:

-لا أدري يا ولدي، هي فكت الجبس بالأمس ولكن طوال هذه الفترة لا تتحدث، قبل الحادث كانت تتحدث قليلًا، ولكن بعد الحادث لا تفعل شيء سوى أنها تومئ فقط، والدموع تذرف من عينها كل ما حاولنا أن نعرف ما بها.

ترددت قليلًا ولكني حاولت أن أجمع قواي واتجرأ وقلت له:

-عمي، هل تسمح لي أن أزور ياسمين كي أطمئن على وضعها بنفسي.

-حسنًا يا ولدي بعد الانتهاء من العمل سوف تأتي معي البيت وتزورها.

بمجرد أن وصلت طلبت من عمتي كريمة أن تسمح بدخول غرفة ياسمين وبمجرد أن دخلت أشاحت ياسمين نظرها عني، ولكن عمتي كريمة من أجل أن ترفع الحرج عني بسبب هذا الموقف قالت لي:

-لا أدري لمَ ياسمين صارت هكذا، معنا كلنا تشيح نظرها ولا تتحدث.

قلت لها بخجل بسبب الإحراج:

-ولا يهمك يا عمتي، ولكني أريد أن أقول لياسمين شيء على انفراد، هل تسمحي لي.

وبالفعل خرجت عمتي وهي تهم قالت لي وهي تربت على كتفي:

-تفضل يا ولدي، البيت بيتك.

جلست على طرف السرير وقلت لها بأسى:

-كيف حالك يا ياسمين...؟

لم ترد علي وبدأت تذرف الدمع على خدها، فقلت لها:

-ياسمين أريدك أن تساعديني، وأريدك أن تصدقيني أني لم أفعل ذلك.
لم ترد عليّ ومن ثم دخلت لي العمة كريمة بصينية عليها فواكه وكوب من الماء... وضعت الصينية على السرير أمامي فشكرتها ومن ثم خرجت.
سألت ياسمين برفق:
-ياسمين أريدك أن تساعديني أنا فكرت في الموضوع مليًا لا يوجد إلا شخص واحد من فعل ذلك ألا وهو جواد.
نظرت بكره وقالت لي:
-أنت من فعلت ذلك ولكن وجهك الحقيقي ظهر.
-حسنًا أريدك أن تتذكري شيء، هل من فعل ذلك لمحتي حرق في رقبته أشبه بشعلة...؟
صمتت ياسمين قليلًا وكأنها كانت تتذكر ومن ثم أغمضت عينيها وكأنها تشعر بألم وتعذيب وقالت وهي تفتح عينها:
-نعم، كانت هناك علامة.
من ثم نظرت لها وكنت أريها رقبتي وأسألها بلهفة كي أثبت لها براءتي:
-هل تري هذه العلامة في رقبتي، قولي لي...؟
ظلت تنظر لي بدهشة والدموع تنهمر من عينها ولم تنطق...
كررت سؤالي لها:
-اجيبيني يا حبيبتي، أرجوكِ صدقيني واتبعي قلبك وسوف أجلب لكِ حقك ممن فعل ذلك... صدقيني أنا سأكون بجوارك دائمًا...
بدأت تبكي في هيستيريا وتقول لي:

-أنا لم أعد أرغب في شيء، لم أعد أريد شيئًا، أريد أن أموت، أن أموت...
بدأت أهدئها وأقول لها:
-لا تقولي ذلك يا حبيبتي، أنا سأظل معكِ إلى الأبد ولن أتركِكِ حزينة هكذا.
ولكنها كررت كلماتها إلا وهي:
-أريد أن أموت، لا أريد هذه الدنيا.
-أرجوكِ لا تتركيني، أنا تركت العالم أجمع وهربت إليك يا مصدر الأمان بالنسبة لي.
ومن ثم فعلت شيء لم أكن أتوقعه... أخذت السكين الموجود بجوار طبق الفاكهة في ثواني وطعنت نفسها في رقبتها من دون أي لحظة تردد أو تهديد لي، تصلبت مكاني وحملقت عيني من هول الصدمة والدموع ذرفت من عيني بدون أي تأثير عليها، في تلك اللحظة دخلت الأم كريمة وصرخت عندما رأت ابنتها مرماة أمامي مطعونة غارقة في دمها.
وأنا مصدوم لا أحرك ساكنًا لا أنطق حتى، الأم تصرخ تنادي على بنتها، ولكن لا حياة لمن تنادي، العمة كريمة لا تصدق أن بنتها فارقت الحياة فتلفتت لي وسألتني ماذا حدث ولكني مصدوم لا أنطق أبدًا، دخل عمي حاول أن يسألني ولكني لم استطع النطق، وكيف أنطق بعد الذي حدث أمامي، طلب عمي الشرطة وفي القسم بدأ التحقيق، حاولت جاهدًا أن أتكلم ولكن بمجرد أن قام الضابط بالطرق على المنضدة بكامل قوته كي أنطق، كانت كفيلة أن أنطق بالفعل، لم أجد ما أقوله سوى أنها

قالت لي أنها تريد أن تموت وأنها لم تعد ترغب في العيش في هذه الدنيا وفي لمحة عين طعنت نفسها بقوة في رقبتها.
لم يجدوا بصماتي على السكين، البصمات كانت بصماتها، وعمي عادل وعمتي كريمة شهدوا بطيب طبعي وحسن خلقي، وفي بداية التحقيق عندما طلب مني الضابط بطاقتي قلت له أني نسيتها وقام عمي عادل بضمانتي، ولكن في الحقيقة أنا ليس لدي أي أوراق تثبت هويتي.
خرجت وكلنا في حالة صدمة والعمة كريمة منهارة باكية، وأنا مصدوم، كل أحلامي تحطمت، حبي الأول ضاع أمام عيني، بل ورحلت وهي تكرهني.
أقسمت أن أجلب لها حقها، سوف أنتقم ممن ظلمها حتى وإن كان أعز شخص بالنسبة لي.
مرت ثلاثة أيام وانتهى العزاء وحزني على ياسمين يزيد ولا يقل...
النوم قد سرق من عيني... من بعد فراق ياسمين وأنا لا أقدر على النوم نهائي... الساعة الثانية بعد منتصف الليل قررت أن أذهب وأبحث عن جواد مرة أخرى.
بمجرد أن وصلت إلى الشقة تفاجأت.
كان جواد هناك بالفعل...
أغلقت باب الشقة واجتاحت بداخلي عدة مشاعر، مشاعر شوق ومشاعر أنتقام وتساؤلات عدة لم أعد أعرف من أين أبدأ إلا وقلت بصوت مكتوم من صدمتي:
-أين كنت كل هذه الفترة...؟
كان يجلس على الطاولة يدخن سيجارته ببرود وأردف:

-عندما هربت بعد أن دافعت على هذه الفتاة، تعرفت على أناس جدد، وقمت بالعمل معهم، تقدر أن تقول مصلحة جديدة.
-ومتى رجعت هنا...؟
-منذ قليل، سعيد جدًّا برؤياك، لم أكن أدري أنك تشعر بي لهذه الدرجة.
اقتربت منه وبدأت اسأله بصوت مهزوز:
-هل أنت قابلت ياسمين...؟
رد بعدما رسم علامات الغباء على وجهه:
-من هي ياسمين...؟
-أنت تعرف جيدًا عما أتحدث... هي قالت إنها رأتك حتى بالأمارة تلك العلامة التي على رقبتك.
قام من مكانه وزاد غضبه وأردف...:
-يعني تكذب صديقك وأخيك وتصدق فتاة...!
وقفت أمامه وطرقت بيدي على الطاولة بقوة وقلت له غاضبًا:
-أنا أصدق الحق يا جواد.
نظر لي وضحك ضحكة تهكم وقال لي بسخرية:
-ولأول مرة أراك غاضب وتعلي صوتك علي، ومن أجل من...؟
من أجل فتاة تعرفها منذ بضعة أشهر.
اقتربت منه وامسكته من ياقته وزاد انفعالي وقلت له صارخًا:
-كيف تجرأت أن تفعل ذلك بها...؟ وكيف وصلت إليها...؟ لمَ فعلت كل هذا...؟
بعد يدي عنه وقال بثبات:
-كنت اختبرها لك، وطلعت رخيصة لا تستحقك.

ازداد غضبي وقلت له وأنا أهم بلكمه:
-هي ليست رخيصة هي ذهبت معك لأنها كانت تظن أنك أنا... ولقد وافقت على تلك الفعلة لأنها تحبني واعطتني الأمان، ولكن هي قالت لي أنك من أجبرتها على ذلك.
نظر لي جواد بعد ما لكمته وقال لي متعجبًا:
-أحقًا تلكمني من أجل فتاة، يااه لهذه الدرجة نسيت ما فعلته من أجلك.
-لمَ فعلت ذلك في حبيبتي...؟
-كنت أريد مصلحتك.
لم أتحمل كذبه علي، انفعلت بجنون ولم أشعر بنفسي إلا وقمت بلكمه مرة أخرى وقلت له:
-توقف عن الكذب يا خائن.
ولكنه قام بدفعي فسقطت أرضًا.
تمالكت نفسي ووقفت من جديد، وقمت بدفعه بقوة فارتطم في الحائط فاستغللت سقوطه أرضًا، وهرعت إلى المطبخ وجلبت سكينًا، عندما التفتت رأيته خلفي يحاول أن يمنعني من الانقضاض عليه، حللت قبضته عني وصرت أؤشر له بالسكين، فقال لي متعجبًا:
-هل تريد أن تقتلني من أجلها...؟
-بل أريد أن أقتلك كي ترتاح في قبرها، أنت لم تظلمها هي فقط بل ظلمتني أنا أيضًا، سوف أجعلك تموت وتكون نهايتك مثل نهايتها التي تسببت بها.

هرعت تجاهه بجنون وقمت بطعنه في رقبته بقوة، حينها فقت ورأيت صديق عمري مرمي أرضًا غارق في دمائه، سقطت أرضًا بجواره باكيًا نادمًا على ما فعلت.
لم اتوقع أبدًا أن أقتل صديق عمري، ولكن أقسم أن هناك قوة خفية تمكنت مني تسببت فيما فعلته، الآن أنا فقدت حبيبتي وصديق عمري بل وبهذه الجريمة فقدت حياتي تمامًا... هربت من الإسكندرية وأردت الهرب إلى القاهرة ولكن الظروف رمتني ها هنا إلى هذا البيت المهجور الذي ظهرتي لي به يا عجيبة ها قد حكيت لكِ ما مررت به هل يمكنكِ مساعدتي...!؟

*****

الفصل السادس

الاستنتاج

نظرت فريدة إلى فارس بأسى وقالت له:
-نعم يمكن...
وهنا انتقلت فريدة إلى عالمها الآخر، يبدو أن الوقت قد انتهى.
*****
فريدة تفكر في فارس، وتفكر كيف سوف تساعده في ورطته...
فتسألت في قرارة نفسها:
-كيف سوف أساعده...؟ ولكن أكيد سوف أجد طريقة لمساعدته... الله أرسلني إليه كي أنقذه... ولكنه قاتل...! وعليه أن يسلم نفسه للعدالة... آه أنا محتارة جدًّا احتاج أن ارتاح قليلًا عقلي يؤلمني من هذه المغامرة...
*****
يد شاب تقترب من فتاة ذات شعر طويل أسود، ها هو يقترب أكثر فأكثر، من ثم التفتت الفتاة وكشف عن وجهها...
إنها فريدة...
وضع الشاب يده على كتفيها وبكي لها بحرقة:
-صدقيني أنا لم أقتل، صدقيني...
أرجوكِ ساعديني...
سألته فريدة بلهفة:
-كيف أساعدك...؟
بدأ صوت الشاب يبتعد عنها وهو يقول:

-كوني مكاني... ساعديني...
ساعديني يا عجيبة...

*****

أفاقت فريدة من نومها تحاول أن تلتقط أنفاسها، ها هي تحاول أن تمسح وجهها بيدها كي تزيل عن نفسها أثر هذا الكابوس، وأردفت:
-ولكن يمكن ما رأيته ليس كابوس، يمكن أن تكون هذه رسالة، ولكن ما معناها...؟ ماذا عليّ أن أفعل...؟
قامت فريدة من سريرها وأردفت بتنهد:
-آخ يا ربي ما هذا الذي اقحمت نفسي به...
جهزت فطورها ومن ثم احتست كوب النسكافية الخاص بها ومن ثم جال بخاطرها كلام أمها:
-الكلام يا صغيرتي في بعض الأحيان يؤوّل كما هو من دون تفسير.
لمعت فكرة في بال فريدة وقررت تنفيذها وقالت في قرارة نفسها:
-يبدو أني سأبدأ مغامرة جديدة اليوم، مغامرة في حياة فارس ولكن سأراها بنفسي لن استمع إليه مجددًا، معروف أن الموقف يختلف من شخص لآخر أثناء السرد، وأحيانًا يتغافل المرء عن بعض التفاصيل، أريد أن أرى بنفسي لكي أعرف كيف أساعده بحق.

*****

مصر-شبرا-عام 2010 في شهر ديسمبر اليوم السادس عشر.

نقل الجهاز فريدة لبيت فارس، طبعًا الجهاز لا يحتاج سوى أبسط التفاصيل ويفهم ما يجول بالخاطر ويتكفل بمعرفة التفاصيل، هي لا تعرف سوى موعد هروبه من بيته وأنه اسمه فارس، وكان هذا كفيل لهذا الجهاز...
لا داعٍ للتركيز على الجهاز، فلنركز على ما رأته فريدة هنالك...

*****

عمارة كبيرة تتكون من 12 طابق، وفريدة في الطابق التاسع، إن شقة فارس تتكون من طابقين أي ما تسمى بالدوبلكس...
يتوسط الصالة صينية كبيرة عليها مبخرة ضخمة، قطع شرود فريدة صوت صرخات طفل، اتبعت فريدة مصدر الصوت، كان الصوت يأتي من خلف غرفة مغلقة...
اخترقت الباب... لأنها حددت في الجهاز أن تكون روح أي جسد أثيري ليس لها ترددات الجسد المادي الملموس...
رأت طفل في العاشرة من عمره مقيد بالحبال، وأبيه عاكف على ضربه بسوط والأم تقف بجوار الأب وتبكي وتمسك به وتقول له:
-أرجوك يكفي هذا يا فتحي... الولد سوف يضيع منا ونحن أنجبناه بعد عناء...
رمى الأب السوط أرضًا وقال نادمًا:
-ويا ليته ما جاء للدنيا... إنه عقاب الرب لي... ومهما أتوب لن يتقبل الله توبتي أبدًا... بسببه حل عليّ العذاب في الدنيا وسوف أعذب في الآخرة.

كانت فريدة تسمع ولكنها لا تفهم أي شيء مما يقع على سمعها...
خرجا كل من الأب والأم من الغرفة، ولكن فارس أخذ يبكي ويأن وينادي على أمه وهو يجهش بالبكاء:
-أرجوكِ يا أمي تعالي، تعالي وحرريني، فكي قيدي يا أمي، يا أمي ألا تسمعيني...!
فقامت الأم من سريرها ولكن فتحي أمسكها من يدها وقال لها:
-لا تذهبي إليه، أتريدينه أن يفعل كما يفعل كل يوم...؟
تبكي رحاب وهي تنظر إليه بحسرة:
-ولكنه ولدي، قلبي يتمزق من حزني عليه يا فتحي، لا أستطيع سماع بكائه هكذا...
-أرجوكِ اعينيني على إكمال ما بدأته، أرجوكِ اتركِ عاطفتك جانبًا... كي أستطيع أن أخلصه.
وقفت رحاب تاركة يده وقالت وهي تجهش بالبكاء:
-تخلصه من ماذا...؟ أنت سوف تخلص عليه يا فتحي... سوف تقتل ولدي الذي ليس لي غيره في الدنيا من بعدك...
وقف بجوارها وهم باحتضانها وقال لها برفق:
-يعني ألا ترين ما يقوم بفعله... ألا تظني أن ما يفعله غريبًا يا رحاب، هل أنا اتبلى عليه كي أؤذي ولدي ها...؟
-لا، لم أقصد ذلك، ولكن أكثر من شيخ جاء وقال إنه ليس به شيء... أرجوك ارفق به يا فتحي...
خرج فتحي كي يقوم بفك فارس وبمجرد أن اقترب فتحي من فارس لفكه همس فارس له بتشفي وبصوت لا يمكن أن يكون مصدره طفل أبدًا:

-ودع كوابيسك وليالي آلامك ومعاناتك يا فتحي، ولتستعد لنهايتك...
فزع فتحي وهم من مكانه ولكنه تمالك نفسه بمجرد عندما التفت وجد خلفه رحاب، سألته برفق وهي تمسح وجهه الذي صار يتصبب عرق بقوة لا تتناسب مع الجو:
-ماذا حل بك يا فتحي...؟
نظر لها بتوتر وحاول أن يتمالك نفسه وقال لها:
-لا شيء يا حبيبتي لا شيء، اذهبي للنوم.
نظرت رحاب بشفقة لأبنها ومن ثم خرجت ولكن قبل أن تخرج أوقفها صوت ابنها فارس معاتبًا إياها:
-أنتِ لا تحبيني، أنتِ لا تفكرين سوى في زوجك الذي يؤذيني، لمَ لا ترحميني من إيذائه وتأخذيني ونعيش من دونه... إنه ظالم،
إنه يعذبني، لا يحبني...
التفتت أمه وقالت له برفق:
-لا بل يحبك يا ولدي، إنه والدك، هل رأيت أب يكره ابنه...؟
-نعم رأيت هو يكرهني ولا يحبني، وأنتِ كذلك لا تحبيني لأنك تسمحي له بمعاقبتي على لا شيء.
مسحت رحاب على شعر فارس وقالت له مطمئنة إياه:
-كل شيء سيكون على ما يرام يا ولدي، لا تقلق...
مر الوقت بدون حدوث أي شيء فقررت فريدة أن ترى ما سوف يحدث بسرعة قصوة مع تخطي الوقت الذي بدون أحداث

ولكن فجأة أوقفها صوت ارتطام شيء في الصالة، حينها هم فتحي من نومه وكان يمسك في يده اليمنى مصحف وفي اليد اليسرى سبحة، وعندما وصل رأى أن الفازة قد كسرت، صار يتمتم بذكر الله وهو يقترب من غرفة فارس ويقوم بفتحها، ولكنه تفاجئ بأن فارس نائم.

فأغلق الباب على فارس والتفت...

ولكن قلبه قد وثب رعبًا عندما رأى فارس خلفه، وعينيه حمراء تمامًا وينزف منها دمًا وهو يؤشر بيده تجاه فتحي ويرفعه في الهواء...

بدأ فتحي يتمتم بذكر الله ولكن فارس ضحك وقهقه، وقال متهكمًا:

-هل تظنه سوف يحميك... قد فات الأوان...

وقام برميه بقوة في الجدار المقابل في الصالة فسقط على السفرة وكسرها من قوة الارتطام...

هنا قامت رحاب مهرولة للخارج مفزوعة وقالت صارخة:

-ماذا يحدث هنا...؟

التفت لها فارس بعينيه الحمراوين وقام برفعها في الهواء، فزادت من صراخها وهي تتوسل له:

-أرجوك اتركني يا فارس... أنا أمك التي تحبك.

دفعها فارس وجعلها تثبت في الحائط وقال لها بصوت أجش:

-توقفي عن الصراخ لن يسمعكِ أحد...

حينها فجأة هجم فتحي بكامل قواه على فارس وأنقض عليه...

وبدأ يتمتم بذكر الله ويعلي صوته أكثر وأكثر، ولكن هذا زاد من غضب فارس أكثر، فدفعه بقوة وصرخ صرخة هزت أرجاء البيت وقال:
-توقف، قلت لك لن يساعدك أحد، لن يحميك أحد مني...
هنا نظر فتحي لرحاب وقال لها نادمًا:
-قلت لكِ يجب أن نتخلص منه قبل فوات الأوان، إنه لعنة، لعنة الشيطان...
قام فارس برفعه عاليًا أمام باب الشرفة وقال له بتهكم:
-بالفعل قد فات الأوان، وقد حان أن أتخلص منك...
وقام بدفعه تجاه زجاج الشرفة ورميه من عل....
ومن ثم قام برفع أمه عاليًا وحاول أن يرميها ولكن أمه بدأت في التوسل إليه باكية وقالت:
-فارس حبيبي أنا أمك، أمك التي تحبك لا تفعل بي هذا سوف أفعل لك ما تريد و...
ولكنه بدأ يقترب منها ويقول لها بغضب:
-ولكني لا أحبك يا من سببتِ في دمار حياتي قبل أن تبدأ...
أجهشت أمه في البكاء وقالت له غير فاهمة:
-ماذا فعلت أنا يا فارس كي تقول لي هذا الكلام...؟
ولكن فجأة شعرت أن الكلام لا يجدي نفعًا معه فبدأت بترتيل آية الكرسي وقالت صارخة يا رب...
كانت تلك الكلمة كفيلة أن تسقطها أرضًا.... وأغمى عليها...
عاد فارس لفراشه... ونظر للسقف بعينيه الدمويتين، ومن ثم أغلقها، ومن ثم في ذات اللحظة فتحها، ولكنها كانت عادية تمامًا، شعر بالعطش، فقرر أن يقوم كي يشرب، قام متألمًا من

أثر الضرب على جسده، ولكن تفاجأ بأن غرفة أبيه مفتوحة ولم يجد أمه ولا أبيه، ولكن بمجرد أن مر في الصالة وجد أثر تكسير، وأمه ساقطة أرضًا... بدأ يبكي وقال متمتمًا:
-إن هذا الرجل قتل أمي وأكيد سوف يقتلني، أنا سوف أهرب ولن أعيش معه ثانية...
وبالفعل نزل فارس الشارع فوجد الناس ملتفين تحت عمارته، ولكنه لم يكترث قرر فقط أن يهرب بلا رجعه...
تبعته فريدة وهي تقول في قرارة ذاتها:
-يبدو أنك لست سهلًا أبدًا يا فارس كما توقعت، سأظل ورائك للنهاية كي أعرف كيف سوف تكون نهايتك...
جعلت فريدة الوقت أمامها يمر بسرعة كي تعرف كل ما مر به فارس بأقصى سرعة قبل انتهاء وقتها...
مشى فارس كثيرًا إلى أن وصل إلى تلك المواسير الكبيرة، وبالفعل هنالك قط أسود يداعبه ومن ثم دخل إلى الماسورة كي يتحامى من البرد القارس، وأخذ يتحدث ولكن إلى من...
أن فارس يتحدث مع نفسه...! لا وجود لجواد نهائيًا...!
فارس يمشي في السوق وهو الذي يسرق، وها هو يجلس على الرصيف ويأكل ويتحدث مع ذاته...
فريدة تجعل الوقت يمر بسرعة أكبر كي تصل لليوم التالي حيث تم الاختطاف...
أن من تم اختطافه كان طفل سمين لا يمت بصلة لملامح فارس أي أن لا وجود لجواد وأن جواد لم يكن معه في بيت المعلمة سماح...
فارس بمفرده يسرق و...

تفوت السنين وفارس يتحدث مع نفسه في الغرفة لا وجود لأحد معه، بل أن فارس هو من يستغل المعلمة سماح، هو الذي يدخن وهو من يتعاطى المخدرات وهو من يزني، لا وجود لشخصية جواد التي اختلقها كي يهرب من عيوبه بها...
فارس هو من سافر بمفرده للإسكندرية وهو من كان يتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات...
وفارس هو من اعتدى على الضابط... لا وجود لجواد في أي موقف من المواقف.
وهو من أخذ ياسمين وفعل بها تلك الفعلة الشنعاء...
ولكن ياسمين هي التي قتلت نفسها، وفارس أمامها مصدوم غير مصدق ما تفعله...
فريدة تريد أن تتأكد من آخر شيء وألا وهو قتل فارس لجواد...
ها هو فارس في البيت يتجادل مع نفسه، إلى أن قتل بالفعل...
ولكن... إنه ليس جواد... إنه مجرد قط أسود دخل عندما فتح باب الشقة...
بمجرد أن رأى الدم هرب نادمًا ولكن لمَ هو نادم أنه قط لا جواد...
فريدة ترى اللحظات الأخيرة لفارس بأقصى سرعة، هرولته باكيًا وصلاته وهروبه وركوبه القطار وبالفعل هو لم يدفع أجره لأنه كان نائم، من ثم ضرب مسؤول التذاكر وهرب ثانية...
إن فارس مضطرب حقًا...

وصل البيت المهجور فدخله وها هو ذات القط الأسود ذا العيون الخضراء المائلة للصفرة ينقض عليه فيفقد وعيه.
من ثم قررت فريدة أن تتجاوز تلك المحادثة الطويلة التي دارت بينهما وتوقفت عند كلمة:
-نعم يمكنني مساعدتك يا فارس...
هم فارس ناهضًا باكيًا ويقول لها كيف...؟
نظرت فريدة أرضًا ومن ثم تنفست الصعداء وقالت لفارس:
-أنت لم تقتل جواد...
نظر لها بتعجب ومسح دمعه وقال:
-كيف...؟ إن دمه لطخ يدي...
نظرت فريدة لفارس بحده وقالت له بكامل قواها:
-لم تقتل جواد لأن جواد ليس له وجود من الأساس...
ابتعد عنها فارس وقال لها:
-هل تظنين أني مجنون...؟ صدقيني أنا قلت لكِ كل ما مررت به في حياتي...
حاولت فريدة أن تقترب منه وقالت له بهدوء:
-أنا أصدقك يا فارس، أنت قلت لي ما تعتقده أنت في ذهنك، ولكن كما تعلم أنا قلت لك أني سوف أساعدك ورجعت بالزمن ورأيت حياتك بأم عيني، لا وجود لجواد، كنت أنت وحدك طوال هذا الوقت... جواد مجرد شخصية في خيالك...
أبعد فارس فريدة عنه وبدأ يغلق أذنه ويقول لها بانفعال:
-توقفي، توقفي، أنا لا أتوهم، أن جواد حقيقي صدقيني...
بدأت فريدة تقترب منه وانزلت يده عن أذنه ولكنه بدأ ينزل أرضًا من قوة الصدمة فبدأت تهمس له:

-فارس، أنا معك، سأظل بجوارك وسوف أساعدك كي تكون بخير، الله ارسلني لك كي أساعدك... يمكن الله جعل أبي يوصي أمي أن أدرس الطب النفسي من أجلك...
أنت مصاب بمرض الاضطراب الوهامي، أنت تختلق مواقف وشخصيات ليس لها وجود، أحيانًا نختلق شخصية تعوضنا عن شعور نفتقر إليه في حياتنا، بعض الأطفال لديهم الصديق الوهمي أو الخيالي، ولكن سرعان ما نخرج من هذا الوهم للواقع وتكوين صداقات في الواقع، فقدانك لأهلك وبعدك عن الناس وانفرادك بذاتك جعل مرضك النفسي يتمكن منك...
-صدقيني جواد كان معي دائمًا...
-أصدقك، وأصدق كل مشاعرك، ولكن عليك أن تصدقني، وأن تسلم نفسك للشرطة...
نظر لها فارس بدهشة متسائلًا:
-لماذا أسلم نفسي للشرطة...؟ أنتِ قلتِ لي أني لم أقتل جواد وياسمين ماتت منتحرة...؟ ما الذنب الذي اقترفته كي أذهب للسجن...؟
قالت فريدة وهي تنظر لعينيه وعينيها تترقرق بالدمع:
-لأنك قتلت بالفعل...؟
-لم أقتل أحد أقسم لكِ...
وأجهش بالبكاء، فقالت له وهي ترفع رأسه كي ينظر لها:
-بل قتلت، قتلت والدك...
صدم فارس وقال بدهشة:
-أنا قتلت والدي، والدي هو من كان يعذبني وأنا هربت من فرط قسوته.

-لا بل هذا ما تظنه أنت، الحقيقة أنت من أذيته وهو كان يفعل ذلك من أجل أن يخلصك من شيطان نفسك...
مسح فارس دمعه وقال متعجبًا:
-شيطان نفسي...! لا أفهم ما تقولينه...
جلست فريدة أمامه وأمسكت يده وقالت له:
-كما تعلم أغلب العرب عندما يجدون أحد تصرفاته صارت شاذة أو غريبة أول ما يخطر في بالهم هو الشيطان والسحر وكفى، يلجؤون إلى الدجالين ولا يخطر في بالهم الطب النفسي...
-يعني أبي كان يضربني ظنًا منه أني ملبوس...؟
-هذا ما كان يظنه...
-ولمَ ظن هذا...؟ ماذا كنت أفعل له...؟
-كنت تحرك الأشياء وتدمر البيت وتلعب بأبيك مثل الدمية وغير ذلك الكثير...
-أحقًا هذا ما كنت أفعله...؟
-هذا ما رأيته بأم عيني...
-ولكن هل بالفعل المرضى النفسيين قادرين على تحريك الأشياء عن بعد هكذا...
-العلم أثبت أن هنالك بعض الأشخاص لهم قدرات فائقة يتحكمون بالقوانين الفيزيائية فيصيرون قادرون على جذب الأشياء ورفعها عن بعد...
-يعني أنا قاتل وسارق... لا أريد أن أعيش أريد أن أموت...
-لا تقل هذا يا فارس، بل قدم نفسك للعدالة واحكي ما حكيته لي بالضبط وبالكشف الطبي سوف يثبت مرضك العقلي، أنت لا

يجب أن تموت، يجب أن تذهب لمستشفى الأمراض العقلية، وتتخلص من مرضك النفسي وتتعافى وتبدأ من جديد...
-ولمَ أبدأ من جديد...! لا يوجد لي أحد في هذه الحياة، لا يوجد لي دافع للبقاء ها هنا، لا يوجد أبدًا...
ومن ثم خبأ رأسه بين ذراعيه وأنكمش وأجهش بالبكاء، قامت فريدة برفع رأسه وقالت له هامسة:
-لا، بل سأكون أنا معك، وسأكون بجوارك إلى أن تتعافى...
نظر لها فارس ومسح دمع عينه وخرج من البيت وقدم نفسه إلى أول قسم شرطة وبمجرد أن دخل القسم طلب أن يقدم بلاغ، وبالفعل دخل للضابط الذي كان ينفث سيجارته بغضب وسأله:
-أين بطاقتك...؟
ارتجف فارس ومن ثم تمتم قائلًا:
-ليس لدي بطاقة، والبلاغ هو، أريد أن أبلغ عن نفسي، وعن تاجرة بالبشر، وتاجرة مخدرات...
قام الضابط بإطفاء سيجارته ووضع يداه الاثنان تحت ذقنه وقال له:
-يااه، كل هذا، تفضل احكي...
-ولكن أرجوك يا باشا أن تجعلني أحكي لك كل شيء ولا تقاطعني وأن تصدقني ويمكنك أن تتأكد من صدق كلامي بعد الانتهاء...
قام الضابط بطرق المنضدة بقوة:
-لا تشترط عليّ يا روح أمك، أنا هنا من يعطي الأوامر.
هز فارس رأسه إيجابًا ثم قال له:

-حاضر يا باشا، سوف أحكي، أنا هربت من أبي في طفولتي لأنه كان يعنفني وعندما هربت تعرضت للخطف من عصابة تجار بالبشر وعلموني أنا وأطفال أخرين السرقة، وكانت البنات ببلوغهن يعملن في الدعارة، يمكنني أن أقول لك عنوان المعلمة سماح في إمبابة شارع... بيت رقم...

وبمجرد أن جئت إلى هنا سكنت في بيت في سيدي جابر بواسطة المعلمة قدرية التي عرفت فيما بعد أنها تاجرة ووسيط في تجارة المخدرات...

أوقف الضابط كلام فارس وقال له:

-وكيف عرفت أنها لها في تجارة المخدرات...؟

-سوف أشرح لك يا سعادة البيك في البداية أريد أن أقول لك عنوانها في سيدي جابر شارع... البيت رقم... كي تتأكد من صحة كلامي يا باشا...

ما سأقوله لك لن تصدقه ولكني أريد أن ارتاح من هذا العبء الذي اجتاح قلبي وصدري، وأريد كل واحد يأخذ جزائه...

أنا عرفت أن المعلمة قدرية تاجرة مخدرات من صديقي جواد...

قام الضابط بإشعال سيجارة وقال لي:

-ومن هو جواد وأين هو...؟

ابتلع فارس ريقه وحاول أن يتمالك قواه وقال:

-جواد هو من كان يتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات، هذا ما كنت أظنه...

-ماذا تعني بهذا الذي كنت تظنه...؟

-سوف أشرح لك يا باشا، لقد كنت في بيت مهجور وأنا هناك ظهرت لي من حيث لا احتسب فتاة، عبارة عن طيف، سألتها ما هي قالت لي أنها من المستقبل، حكيت لها قصتي وطلبت منها المساعدة، فرجعت بالزمن ورأت حياتي واكتشفت ما لم أكن أعرفه، قالت لي لا وجود لصديقي المقرب جواد، وأني أنا من كنت أسرق مع المعلمة سماح لا مجرد من كنت أساعد جواد، وأنا من كنت أتاجر وأتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات، وقالت لي أني قبل ما أهرب في طفولتي أنا من تسببت في انتحار والدي ولكني كنت أظن أني هربت فقط هربًا من بطشه وقسوته... وكي تتأكد من وقوع حادث الانتحار سوف أذكر لك يوم هروبي في السادس عشر من ديسمبر عام 2010 اسم والدي هو فتحي عبد السلام، شبرا الشارع... رقم العمارة... هي تقول إن الحادث صار في نفس اليوم...

نظر له الضابط بتعجب وتسأل:

-من الذي قالت لك...؟

-عجيبة يا باشا...

ضرب الضابط المنضدة بقوة وهم واقفًا... وقال بغضب:

-هل أنت تتعاطى مخدرات يا روح أمك...؟ يا أمين...

دخل أمين الشرطة فهم الضابط أمرًا إياه بحزم:

-خذ هذا المخبول إلى الزنزانة، إلى أن نتأكد من صحة ما قاله...

قام الأمين بالتحية وقال:

-تمام يا فندم.

وهم بسحب فارس من يده ومن ثم نادى عليه الضابط فقام فارس بالالتفات إليه:
-أقسم لك أن لم يكن ما ذكرته لي صحيحًا لسوف أجعلك تهلوس بالفعل من شدة التعذيب لن تحتاج من بعدها أن تتعاطى مخدرات مرة أخرى يا ابن ال...
قام الأمين بسحبه وقال متمتمًا وهو يجر فارس:
-توقفوا عن تعاطي هذا السم يا ولاد الحرام...

*****

القيّ فارس في زنزانة فخر على الأرض، لا يدري ماذا فعل بنفسه، يسأل نفسه:
-كيف سمحت لها أن تلعب في عقلي وأن أصدقها، قالت لي سوف تساعدني، بل هي استغنت عني ورمتني في الجحيم... ليس لدي سوى أن أقول يا رب ساعدني...
بعد ساعة واحدة فقط جاء الأمين وفتح الزنزانة ونادى:
-فارس فتحي عبد السلام...
قام فارس ببطء من شدة التعب وقد سيطر عليه اليأس وقال:
-نعم، أنا فارس...
هم الأمين بسحبه بسرعة وقال له بحزم:
-هِم معي قليلًا سيادة الباشا يريدك...
دخل فارس وهو مطأطئ رأسه فقال له الضابط بنبرة مختلفة جعلت من فارس يرفع رأسه متعجبًا:
-أجلس يا فارس، لقد قمت بعدة اتصالات، وتمكنت القوات في القاهرة القبض على المعلمة سماح ومن معها، وتمكنت القوات من القبض على المعلمة قدرية في الإسكندرية، وتأكدنا من

انتحار والدك بالفعل، وهذا يثبت صدق كلامك، بالنسبة لشهادتك على المعلمة سماح وقدرية تم اعتبارك شاهد ملك، وبالنسبة لانتحار والدك بشهادة الجيران يقولون إنه رمى نفسه لم يسقطه أحد وتلك الفعلة كانت في صغرك ولكن لا يضر أن يتم عرضك على طبيب نفسي وإن أثبت مرضك النفسي سوف تؤهل للعلاج في المصحة...

اغلق المحضر يا ابني...

يا أمين اطلب له الطبيب النفسي...

ومن ثم خرج فارس من الغرفة وهو غير قادر على استيعاب ما يحدث له...

ومن ثم وهو يهم بدخول الغرفة الأخرى كي يتحدث مع الطبيب النفسي سمع صوت يعرفه جيدًا... التفت لصحاب الصوت بلهفة

كان الصوت صوت فريدة تقول له بلهفة:

-ألم أقل لك... أن الله ارسلني إليك كي أساعدك...

همس لها:

-كيف فعلتِ هذا...؟

ظهرت كطيف أمامه اشار لها وهو يحملق عينيه... فضحكت وقالت له:

-لا يراني سواك لا تقلق...

سألها بتعجب:

-كيف تفعلين ذلك...؟

قالت له بابتسامة مبسطة الأمر:

-كله في هذا الجهاز...

طبعا قراءي الأعزاء لا تتعجبون من قدرة هذا الجهاز في عام 2038 ها نحن ذا في عام 2022 ويمكننا في الواتساب أن نجعل الحالة الخاصة بنا تظهر لشخص والأخر لا، لذا لا داعِ للتعجب من إعدادات التكنولوجيا أبدًا...
اووووه، دعوني أكمل لكم ما جرى، ما دخل الواتساب الآن...
أكملت له فريدة وقالت:
-لقد تلبست الضابط وقمت بالإجراءات بأقصى سرعة، أنت تعرف تباطؤ الموظفين، وأنا ليس لدي وقت في مغامرتي يا فارس، وأنا من طلبت بإحالتك لطبيب نفسي وصدقني الطبيب غير الضابط سوف يصدق كل شيء تتفوه به، احكي، لأن كل ما تحكي أكثر يتم التشخيص أفضل...
نظر لها فارس بامتنان وقال لها:
-أشكرك يا عجيبة...
هنا صدر صوت الطبيب النفسي عندما ظهر في الغرفة وقال:
-احم احم، تفضل يا فارس، احكي لي ما مررت به...
هنا بدأ فارس يحكي للطبيب النفسي وتم احالته للمصحة النفسية عرفت فريدة اسمها ولم يسعها الوقت أن تكمل معه بقية اليوم...

*****

عادت فريدة إلى يومها العادي وهي تشعر أنها متعبة ولكن يجب أن تذهب للجامعة ضروري...
عادت للبيت مساءً وكانت متعبة جدًّا فنامت نوم عميق نامت وهي مرتاحة جدًّا بعد أن تمكنت من اكمال رحلتها ومغامرتها مع فارس...

الفصل السابع

العودة من جديد

فتاة طويلة وعريضة ذات شعر كستنائي طويل واقفة في مكان شبه مظلم، تمسك رقبتها وتأن، فاقتربت فريدة منها تحاول أن تساعدها، التفتت إليها الفتاة مسرعة، وسحبت السكين من عنقها وبكت بهستيريا وهي تمسك السكين وتؤشر به لفريدة وتقول:

-لم أقتل نفسي...

صدقي فارس...

صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان...

بدأت صورتها تتلاشى ولكن صوتها ما زال يتردد صداه...

-خلصيه من الشيطان.... خلصيه من الشيطان...

الشيطان...

*****

قامت فريدة من نومها وقد وثب قلبها من هول الكابوس... أخذت كأس الماء من جوارها واجترعت ما به من ماء وقالت بتعب:

-آه يا رب وأنا كنت أظن أن موضوع فارس قد أنتهى يبدو أن الموضوع قد عاد من جديد...

قررت فريدة أن تكتب التاريخ الذي وصل فيه فارس للمصحة النفسية، طبعًا فريدة عندما ترغب أن تزور فارس ويتذكرها يجب أن تكتب تاريخ أول لقاء لهما فما بعد، أي تاريخ قبل ذلك

إذا رآها فارس سيظن أنه لا يعرفها، فهي تكمل ما بدأته، وتكمل حيث توقفت...
كان فارس مقيد في السرير ويطير في الهواء ويصرخ ويقول:
-أنت وهم، أنت غير موجود، لا أحد يراك، إذن أنت غير موجود، سوف اتخلص منك، لن ادعك تسيطر عليّ، ابتعد عني... ابتعد...
وها هو الطاقم الطبي يهرع من جديد إلى فارس ويقومون بحقنه، يبدوا أن هذه النوبة تكررت معه من قبل...
وقفت فريدة تتسأل متعجبة:
-ما تلك الحالة التي يمر بها فارس...؟ لمَ كل فترة في حياته بأعراض مختلفة...؟ وهل بالفعل هو يرى جواد الآن حقًا...؟ اووه أن تلك الفتاة التي تشبهني التي أظنها أنها ياسمين قالت لي عليّ أن أصدق فارس، وأمي تقول الكلام في المنام حق.
أمسكت فريدة رأسها وقالت:
-آاه ماذا عليّ أن أفعل...؟ يا رب ساعدني ألهمني...!
هنا سمعت تمتمة فارس الأخيرة قبل أن يدخل في سبات نوم عميق، أنا لا أراك... أنت...وهم...وهم.
هنا التمعت فكرة في بال فريدة وقالت:
-لا يوجد أحد يرى جواد سوى فارس فقط، معنى هذا أني إذا تلبست فارس سوف أراه... لمَ لا أجرب...! كما تلبست الضابط وتحكمت به لمَ لا اتلبس فارس وأرى الحقيقة من منظوره هو... كي أفهم جميع جوانب الموضوع يجب أن أراه من الجوانب كلها بالفعل...

اقتربت فريدة من فارس، من ثم استجمعت قواها وقررت اختراق جسده، وبالفعل تمكنت فريدة من تلبس فارس وفتحت عيني فارس ولكن بمجرد أن فتحت عينيه رأت أمامها صورة طبق الأصل من فارس إلا فرق علامة شعله على رقبته، وكان يضحك ضحكة شيطانية وقال هامسًا:

-نهايتك على يدي يا فارس.... أوه أقصد يا فريدة... نهايتك ستقترب أنتِ كذلك إن اصررتِ على الاقتراب من فارس...

ومن ثم قهقه ضاحكًا ثم اختفى.

هنا لم تستطع أن تلبث أكثر من ذلك، قررت فريدة الخروج من جسد فارس بل وقررت الانسحاب من هذه المغامرة وخرجت مسرعة، قامت لاهثة خائفة، متسائلةً:

-ماذا عليّ أن أفعل الآن... ما هو هذا الجواد...؟ ما هي حقيقته... ولمَ يريد أن يتخلص من فارس...؟

هل أنسحب أم أكمل...؟ ولكن حياتي معرضة للخطر...!

قررت فريدة أن تذهب للجامعة ولكنها كانت شاردة الذهن، عقلها يفكر في فارس، وتتذكر صراخه ورفضه حقيقة جواد... اقنعته أن جواد وهم... ولكنه حقيقة.

ولكن كيف يكون حقيقة إذا كان حقيقة ولا يراه سوى هو ماذا يعني هذا...؟

هذا لا يعني سوى شيء واحد أنه...

أنه... شيطان.

ما هذه التخاريف يا فريدة... أتصدقين هذه التخاريف والماورائيات... أنتِ شابة عالمة دارسة... لا تستندي إلا للعلم وكفى...

يمكن سيطر عليّ تفكير فارس فرأيت ما يراه من شدة التفكير في جواد.
نامت فريدة في المحاضرة الثالثة غصب عنها، إن تلك المغامرات تؤثر على عقلها بشدة...
وما زال نفس الصوت يتردد في عقلها:
صدقي فارس...
صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان...
افاقت فريدة من نومها على صوت الدكتور وهو ينادي عليها:
-فريدة، فريدة...! هذا ليس مكان للنوم.
هنا التفتت فريدة فرأت كل من في القاعة يضحك عليها، اعتذرت للدكتور وقالت له:
-أنا متعبة قليلًا يا دكتور اعذرني.
وقررت الخروج من المحاضرة...
وعادت إلى بيتها متعبة وما زال الصوت يتردد في أذنها:
صدقي فارس...
صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان...
أصدق فارس...!
بالفعل بدأت أصدق فارس بعدما رأيت ما يحدث له من خلال عينه لا من منظوري أنا، ولكن عليّ أن أتأكد من المواقف التي حكى لي عنها، ولكن في هذه المرة سوف أكون أنا بداخل عين فارس كي أرى ما يراه.
كتبت فريدة في الجهاز تاريخ لقاءها بفارس ومن ثم حددت أن تكون طيف غير مرئي ولا محسوس ومن ثم تلبست فارس

وقامت بنسخ كل ما رأه فارس منذ صغره إلى هذه اللحظة من عينيه إلى عدسة عينها، ومن ثم عادت إلى بيتها.
قامت بنقل التجربة المخزنة على الجهاز إلى هاتفها وبدأت تشاهد حياة فارس من وجهة نظره.
أخذت تتخطى الكثير وتتوقف عند المهم أو ما ذكره لها فارس بالتحديد.
فارس بالفعل طفل ذا عشر سنوات يحاول الهرب ليلًا عندما لم يجد أباه ورأى أمه ملقاة أرضًا.
وبالفعل إنه يرى طفلًا يشبهه وبالفعل يقوم بكل ما ذكره لي...
جواد هو الذي يسرق.
جواد هو الذي يتعاطى مخدرات ويتاجر بها ويزني.
فريدة أوقفت المشاهدة وتعجبت، ومن ثم سألت نفسها بصوت مرتفع:
-ولكن كيف يا فريدة...؟ كيف الآن عندما رأيت من خلال عين فارس رأيت كل ما قاله لي بالفعل، وهذا معناه أن فارس ليس مريض نفسي...
ولكن كيف؟
أنا عندما رأيت المشهد من منظوري أنا لم يكن هناك وجود لجواد، كان فارس من يفعل كل تلك الأمور ويتحدث مع ذاته...
هذا بالفعل ليس له إلا تفسير واحد...
تفسير لا يتناسب مع عقليتي.
ألا وهو...
لا، لن أتعجل في تحليلي للأمر.

ياسمين جاءت لي في المنام وقالت لي: "عليّ أن أصدق فارس وفتحي".
الآن أنا قد صدقت فارس وعلي الآن أن أصدق فتحي.
جاءت فكرة في بال فريدة ألا وهي العودة بالزمن إلى ما قبل موت فتحي...
قالت فريدة في قرارة نفسها: "أنا رأيت الموضوع من ثلاث جوانب... الجانب الأول الحقيقة الغير كاملة أي ما يعلمه فارس فقط والجانب الثاني هي الحقيقة التي رأيتها بعيني أنا وهي التي لا يعلمها فارس والجانب الثالث هو وجود جواد التي لا يراه سوى فارس... لم يتبقى سوى الجانب الرابع للموضوع وهي نظرة فتحي... أكيد سوف أصل لطرف الخيط الذي سوف يصلني لحل...
أمي قالت إن الكلام في المنام حق...
يجب أن أتبع التعليمات... يجب أن أتبعها...
لن أخاف من جواد ولا من تحذيره...
هنا بدأ ضوء غرفتها في التذبذب وبدأت تشعر برجفة بسيطة، فقالت فريدة بثقة وهي تهم بإخراج سلسلة أمها المنقوش عليها لفظ الجلال "الله" وقالت بقوة:
-لقد رباني أبي على عدم الاستسلام وعلى عدم الخوف...
ومن ثم كتبت تاريخ قبل هروب فارس...
كان الوقت متأخرًا عندما وصلت الشقة وكان البخور يعبق جو المكان.
لفت انتباهها صوت بكاء رجل قادم من أحد الغرف.
اخترقت الغرفة، فرأته منكمش ويبكي نادمًا... ويقول:

-يا رب ساعدني على التخلص من هذا الشر الكامن به... يا رب أنا أعلم أني وحدي من سوف أتمكن من تخليصه لأني وحدي الذي تسببت في كل هذا...
ولكنك لا تريد أن تتوب عليّ بسبب ما فعلت... أرجوك ساعدني وخلصني من عذابي...
هنا قررت فريدة أن تظهر له وقالت له برفق:
-أرجوك لا تفزع مني، أنا جئت للمساعدة...
وقف مكانه وقال وتمتم:
-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...
قالت له بلين كي تهدأ من روعه:
-حسنًا هيا بنا نقولها سويًا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ها أرأيت...؟ لم احترق... أنا من الأنس لا من الجن، ولكني جئت من المستقبل كي أنقذ ابنك، ابنك يتعذب وجواد يريد أن ينهي حياته.
نظر لها فتحي باستغراب وسألها:
-من هو جواد...؟
-جواد هو شاب يشبه ابنك فارس.
ومن ثم حكت فريدة الحكاية من جديد إلى فتحي وفهم وقال باكيًا:
-إن الشيطان هو من وهبني فارس ويريد أن يأخذه مني، كنت أريد ابن لي سند، ولكن بمجرد قدومه كان لعنة حياتي.
نظرت له فريدة باستغراب وسألته:
-الشيطان هو من وهبك فارس...! كيف هذا...؟ أنا أعلم أن الله هو من يهب كل شيء لا الشيطان.

بكى فتحي وخر أرضًا وقال:
-الله، الله لن يرضى عني بعد ما فعلت... الشيطان يا بنيتي قادر أن يفعل لكِ كل شيء بمجرد أن تؤمني به وتسجدي له وتكفري بالله... الله يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك به... وأنا لم أشرك فقط بل كفرت... لم ألجأ للرب بل لجأت للشيطان.
فصارت حياتي جحيم بسبب الشيطان في الدنيا... وستكون جحيم في الآخرة بسبب عدم رضى الرب.
نظرت له فريدة وهي لا تفهم شيئًا وسألته:
-لا أفهم شيئًا لمَ لجأت للشيطان...؟
-السبب هو...
ولم يكمل كلامه وبدأ البيت في الارتجاف والضوء في الاهتزاز وصوت ضحك مخيف قادم من غرفة فارس، ومن ثم قام بكسر الباب وقام برفع أبوه عاليًا الذي كان يذكر الله ولكن قواه تزداد أكثر، ولم يخر فارس واقعًا إلا بعد أن لفحته أمه بمفرش منقوش عليه آيات قرآنية، ذلك المفرش شل حركته تمامًا.
وأنا بمجرد أن سمعت صوت فارس في البداية اخفيت نفسي، وها أنا أتابع ما يحدث، قام فتحي من على الأرض، ويقول لرحاب أن تحمل فارس لسريره، وجلب هو الحبال وقام بتقيده، ولكن حينها كان فارس في حالته العادية ولكن أبيه فتحي بدأ في ضربه ويقرأ القرآن، صار فارس يستنجد بأمه وما حدث أنتم تعرفونه جيدًا...

قررت فريدة العودة لحياتها ومن ثم ترددت وقالت في قرارة نفسها:
-لا ليس لدي وقت للراحة يجب أن استغل ما تبقى من وقت هذه الرحلة في معرفة الحقيقة، يجب أن أعرف ما فعله فتحي ولمَ...؟
قررت فريدة أن توقف الزمن، وتلبست فتحي، وقررت أن تنسخ ذاكرة فتحي من عدسة عينيه على عدستها الخاصة في أقصى سرعة.
خرجت مسرعة من جسد فتحي وأنهت التجربة تمامًا...
عندما عادت للواقع سقطت أرضًا وأغمي عليها...
يبدو أن التجربة أثرت عليها إلى أقصى درجة هذه المرة من هول وكمية المشاهد التي قامت بنسخها على عدستها التي تشكل لها ذاكرتها المؤقتة...
وبمجرد أن أفاقت أمسكت رأسها كانت تشعر بالدوار...
قامت بتوصيل جهاز السفر عبر الزمن لا سلكيًا بنقالها لمست خاتمها وعرضت كل الملفات على الشاشة المنبثقة أمامها...
كل ملف يحمل يوم من أيام فتحي...
قررت فريدة أن تتغيب عن الجامعة وذهبت لكي تعد كوب "النسكافية" القهوة سريعة التحضير الخاص بها ومن ثم بدأت بأول ملف وبأقصى سرعة وتتوقف عند المشهد المهم وكفى...
ومن هنا بدأت...

*****

الفصل الثامن

الشيطان

في عام 1996 في شهر يوليو ها هو فتحي يجلس على كورنيش النيل مع شابة في العشرينات من عمرها، إنها طويلة وعريضة وشعرها متوسط الطول وفاحم اللون، ملامحها تشبه فريدة ولكن غلب عليها طبع البلدي بسبب طريقة كلامها وكانت ترتدي عباءة سوداء ضيقة وحجاب غير مربوط يغطى نصف شعرها وملطخة شفاها بأحمر شفاه، وفتحي بجوارها يأكل الترمس ويبدو أنه في أواخر العشرينات.

أخذت تقول له وهي تتمصص شفتها:

-ألن تتقدم لي يا فتحي...؟

قام فتحي بوضع قرطاس الترمس جانبًا وأردف بضيق:

-آه بدأنا في اسطوانة النكد يا عليا...؟

-لست نكد يا فتحي ولكني سأمت من وضع العشاق هذا واللقاء من حين لآخر خفية، كل ما في الأمر أني أريد أن أكون لك...

-وأنا أريد ذلك بل وأكثر ولكن ليس بيدي حيلة... وأنتِ تعلمي أني لا أريد سواكِ...

-نعم أعلم أن قلبك لا يريد سواي، أنت لي أنا وحدي وإن قررت أن تكون لغيري حياتك ستصبح جحيم.

فتح فتحي قرطاس الترمس وبدأ يأكل منه وهو يأكل متهكمًا:

-حياتي ستصير جحيم أكثر من الذي أنا به...!

ضربته برفق وقالت له:

-ألا تكف عن المزاح يا فتحي، يا فتحي أنا مرتبطة بك منذ ست سنوات ولم تقدم خطوة للأمام، إلى متى سأنتظر...؟
رمي فتحي قرطاس الترمس في النيل ونظر بغضب لعليا وقال لها:
-ماذا تريديني أن أفعل لك...؟ يعني أن رأيتني اتصنع الضحكة في وسط الهم نكدتِ علي، تكفي الدنيا علي يا عليا، ما الذي كان بيدي أن أفعله ولم أفعله قولي لي...؟ مرتبي الذي أخذه من وقفتي في المحل طول الشهر يكفي خروجنا سويًا وإيجار الشقة التي أعيش بها مع أهلي...
-بيدك يا فتحي، بيدك أنك وسيم...
-وسيم...! أول مرة أعرف أن الرجل يمدح لوسامته... وماذا سوف أفعل بوسامتي، أتريديني أن أمشي على حل شعري وأبيع شرفي... يا ليت ولكني رجل... لا فائدة من وسامتي.
نظرت له عليا بمكر وابتسمت وقالت:
-لا بل يمكنك أن تستغل وسامتك ونأكل الشهد...
نظر لها فتحي مستغربًا... وأردف بصوت مكتوم من الحيرة:
-لا أفهمك يا عليا... فهميني...!
-رحاب...
رسم ملامح الغباء على وجهه وتسأل:
-رحاب من...؟
-رحاب الذي تعمل عندها في المحل، صاحبة السوبر ماركت الموجود في عمارتها...
نظر لها فتحي وأشاح نظره عنها ونظر للنيل وقال ساخرًا:

-يعني رحاب سوف تترك كل من يريدها وسوف ترضى بي أنا...؟
-لا تعطيها أكبر من حجمها يا فتحي، هي أكبر منك أولًا وعمرها الآن ثلاثين وأرملة بعد عشر أعوام من الزواج للمعلم صلاح الذي كان يكبرها بثلاثين عامًا...
بينما أنت تصغرها، هي لم تعش شبابها يا فتحي، بل اشتراها رجل في عمر والدها ودفن شبابها، والآن هي محرومة من الزوج لها عام، العب على مشاعرها بحجة الحب، سوف تلين لك أنت، من يتقدم لها كلهم رجال متزوجين ومعهم أولاد فلا يهمهم إن كان بها عيب الانجاب أم لا لأنهم لديهم أولاد في الأساس الكل يريد أن يمتص شبابها ويتمتع بها، بينما أنت ستكون المختلف عنهم، أنت الشاب الوحيد الذي تجرأ على حبها وما يميزك عن بقية الشباب أنك وسيم، هي من ستطمع بالاستمتاع بك وأن تعوض نفسها بك عن حرمانها...
نظر لها فتحي باستغراب وسألها:
-هل أنتِ بالفعل تحبيني يا عليا...!؟
ضربته عليا على صدره وضحكت ضحكة متصنعة:
-طبعًا أحبك، وهل هذا سؤال يا فتحي...؟
نظر لها فتحي بجدية وسألها:
-كيف تحبيني وأنتِ تريديني أن أكون لغيرك...؟ أنا لا أحب سواكِ ولم تملأ عيني أي امرأة كانت... وإن كان من أجل المال لا أريده... أنا لم أخنك في خيالي تريدني أن أفعل هذا في الواقع...؟

وضعت يدها على كتفه ومن ثم لفتت وجهه تجاهها وقالت له بلين:
-أنا واثقة في إخلاصك لي يا فتحي... لذلك قلت ذلك لأني واثقة أنك سوف تنفذ الخطة وكفى ومن ثم نستمتع نحن في العز...
أرجوك اسمع لي يا فتحي، لقد سأمت الفقر والبعد...
أشاح فتحي نظره عنها وقال لها:
-لا أستطيع أن أفعل ذلك يا عليا صدقيني...
-إن كنت تحبني بصدق يا فتحي أفعل ما أقوله لك، جربها هل بالفعل سوف تميل لك أم لا، وإن لم تمل سوف أجعلها تميل بطريقتي...
نظر لها فتحي باستغراب وقال:
-وما هي طريقتك...؟
التفتت عليا ومصصت شفتها وقالت بتهكم:
-لا تتعجل الشيء قبل أوانه، وعلى العموم على رأى المثل أن فشل رجالها ما يتمها إلا نسوانها...
نظر لها فتحي متهكمًا:
-لم أسمع بهذا المثل من قبل...
قامت عليا بضربه على كتفه وضحكت وقالت:
-قطيعة تقطعك يا فتحي، اسمع وأنت ساكت.

*****

مر أسبوع وفتحي يحاول أن يجذب انتباه رحاب له كل ما تأتي للمحل، لا يتوقف عن النظر لها بإعجاب أو حمل أشياء ثقيلة أمامها مما يبرز من عضلاته وقوته وشبابه أمامها، ولكنها لم

تكترث له قط، ولكن في نهاية الأسبوع كانت المفاجأة عندما نادت عليه رحاب...
هرول إليها مسرعًا وهو يشعر أنه يطير من الفرحة وكأنه يقول:
-رحاب قلبها مال...
ولكنها سلبت الابتسامة من وجهه عندما همست له:
-إن لم تتوقف يا فتحي عن تلك الحركات والنظرات لي سوف أقطع رجلك من المحل، ولن يكون لك أكل عيش هنا، ولكني صبرت عليك لأني أعرف أنك مسؤول عن أهلك، وأنا لا أحب قطع الأرزاق.
حاول فتحي أن يدافع عن نفسه وتمتم متوترًا:
-ولكن يا معلمة أنا...
قاطعته رحاب وقالت له بحزم:
-لا لكن ولا غيره، مثل ما أنا لاحظت نظراتك لي هذا يعني أن كل من في المحل لاحظها كذلك، وأنت لا ترضى لي تلويث سمعتي، مثل ما أنا خفت عليك وعلى رزقك، خاف على سمعتي إلا والله...
قاطعها فتحي مستسمح إياها:
-أنا أسف يا معلمة... توبة يا معلمة... العين لا تعلو على الحاجب... آخر مرة يا معلمة.
ورحل مطأطأ الرأس وأكمل يومه وهو خذلان.
ثم في اليوم التالي أتت إليه عليا وكأنها تشتري شيء ما وسألته هامسة:
-ها سبع ولا ضبع...؟

نظر لها فتحي بلا مبالاة وتمتم:
-كلب...
-ماذا تقصد بكلب...؟
-مسحت بكرامتي الأرض مثل الكلب.
-لا يهمك يا فتحي، اترك الأمر لي.
-ماذا ستفعلين...؟
تركته ورحلت ولم تجبه، وعندما أوشكت الخروج نظرت لرحاب التي كانت تنظر لها ولفتحي، ومن ثم رحلت...
في اليوم التالي جاءت عليا لفتحي وقالت له:
-ضع ما في هذا الظرف في أي شيء لرحاب، كوب ماء، شاي، قهوة أي شيء، وادعِ لي...
نظر لها فتحي بغباء وسألها هامسًا:
-ما الذي في الظرف...؟
همت خارجة من المحل متبخترة ضاحكةً وقالت بصوت عال:
-سكر يا سكر...
ومن ثم نظرت نظرة مكر لرحاب ورحلت...
وبالفعل بعد قليل طلبت رحاب شاي وجلبه لها فتحي ولكن قبل وصوله المحل فتح الظرف وتفاجئ فعلًا أن ما بالظرف سكر... لم يهتم وضعه وقلبه وقدمه للمعلمة...
بعد قليل من الوقت، قالت له رحاب بصوت متعب:
-فتحي أنا سوف أعود للبيت أنا متعبة قليلًا...
هم فتحي تجاهها وقال لها بلهفة:
-أتريدين أن أوصلك يا معلمة...؟
-لا انتبه أنت للمحل...

وتحاملت على نفسها وصعدت، ظلت رحاب لا تنزل للمحل لمدة أربعة أيام، ولكن في اليوم الخامس جاءت المحل وهنا صدم فتحي بما رآه...
رحاب خلعت عباءتها السوداء وارتدت فستان وردي وحجاب موضوع على رأسها كاشف عن شعرها وكانت متبرجة، رحاب كانت بيضاء جدًّا واسعة العينين جميلة ذات شعر حريري كستنائي، هم فتحي ووضع لها الكرسي وهلل لها:
-نورتِ المحل يا معلمة، المحل كان مظلم من دونك والله.
ضحكت رحاب ولأول مرة يرى فتحي ضحكتها بالفعل:
-يقطعك يا فتحي ألا تتوقف عن الكذب أبدًا.
هنا فتحي لم يتوقف عن الكذب بل قلبه الذي توقف وقد خلع من مكانه بعد ما رأى ضحكتها التي زادتها فوق الجمال جمالًا...
ولكن سرعان ما أفاقته رحاب وقالت له وهي تطقطق أصبعيها كي يفق من شروده:
-فتحي، ما بك شارد هكذا...!؟
أفاق فتحي من شروده وتلعثم في الكلام وقال:
-أخاف أقول لك السبب يا معلمة تقطعي رجلي من المحل، وأنتِ تعلمي أنه مكان أكل عيشي...
نظرت له رحاب برفق وقالت له:
-قل ما تشاء يا فتحي، أنت لك معزة خاصة في قلبي.
هنا تسمر فتحي مكانه، يشعر أنه يحلم، كيف لرحاب أن تكلمه هكذا، هنا شعر أنه في السماء وطاقة القدر قد فتحت له.
قطعت رحاب شروده مرة أخرى وقالت ضاحكة متهكمة:

-وماذا بعد يا فتحي، هل سوف تقضي اليوم كله شارد وساهم هكذا...! هيا على أكل عيشك.
ابتسم فتحي وقال لها:
-أوامرك يا معلمة.
لم تزل ابتسامة فتحي عن وجهه وما كان يجعله يبتسم أكثر أن رحاب كانت تبادله نفس النظرات...
على المغرب نادت رحاب على فتحي ومن ثم قالت له:
-فتحي، أنا سوف أذهب لشقتي كي ارتاح قليلًا وأنت بعد أن تنتهي من عملك هنا وقبل أن تذهب لبيتك جهز كشف الحساب وإيراد الأيام السابقة كي أراهم غدًا.
ظل فتحي شاردًا في جمال عينيها وقال في قرارة نفسه:
-لا أدري هل العمل الذي قامت به عليا لرحاب كي تحبني أم لي أنا كي أهيم بها عشقًا إنها....
هنا قطعت رحاب شروده وقالت بابتسامة:
-ماذا بك يا فتحي...؟ ألن تتوقف عن شرودك وتكلمني مثل ما أكلمك...!
تمتم فتحي متوترًا:
-بصراحة يا معلمة أنا...
ابتسمت له رحاب ونظرت له نظرة تعطيه الأمان:
-أكمل يا فتحي وأنا كلي آذان صاغية.
ازدرد فتحي لعابه وقال:
-بصراحة أنا...
ضربته رحاب على صدره وكانت هذه أول مرة يشعر بلمسة يدها وقالت له وهي تهم بالتحرك أمام المحل:

-أكمل كلامك بسرعة يا فتحي أريد العودة لشقتي لكي أرتاح.
استجمع فتحي تركيزه وقال:
-أنا بحبك يا معلمة.
نظرت له رحاب وابتسمت له وقالت بتهكم:
-ولماذا تقول يا معلمة...؟
-العين لا تعلو عن الحاجب يا معلمة.
همت رحاب بالتحرك بدلال في طريقها لباب العمارة وقالت:
-إذا كنت تحبني حقًا لا تقل لي يا معلمة.
اتبعها فتحي وهو غير مصدق كيف رحاب تعامله هكذا ولكنه أكمل حواره معها:
-ماذا تريدين مني أن أناديكِ به يا معلمة...؟
-مرة أخرى معلمة...! اسمي رحاب، قل لي يا رحاب، أم اسمي لا يعجبك يا سي فتحي...!
وقف فتحي أمام باب عمارتها وقال وهو شارد في جمالها ويزدرد لعابه غير مصدق:
-سي فتحي...! يا لهوي على هذه الكلمة منكِ يا معلمة.
تصنعت رحاب الضجر وقامت بوضع يدها على كتفه كي تزيحه من أمام باب العمارة كي تدخل وقالت:
-يبدو أنك مصمم أن تضايقني بقولك تلك الكلمة، لذا دعني أصعد شقتي.
سد فتحي مدخل البوابة ببنيته الضخمة وقال لها بآسف:
-حقك عليا يا ست رحاب، ولكن لساني لا يطاوعني، أنتِ ستي وست العالم كله.

رفعت رحاب حاجبها وابتسمت له ومن ثم قامت بإزاحته من أمام طريقها وقالت بدلال:
-حسنًا يا فتحي، ولكن دعني أعود لشقتي أشعر ببعض التعب.
هم فتحي بالاقتراب منها كي يمسك يدها وقال لها بلهفة:
-تحبي اسندك لشقتكِ كي أطمئن عليكِ.
نظرت له رحاب نظرة حزم مصطنعة وقالت له وهي تبعده عنها وتهم بدخول مدخل العمارة:
-شقتي لن تصعد لها ألا بعد أن تكون زوجي أم الآن فلا.
اتبعها فتحي لاهثًا وأوقفها قبل أن تفتح باب المصعد وقال لها غير مصدق:
-وكيف لي أن اتزوجك يا معلمة "أيش جاب لجاب"...؟
نظرت له نظرة مطمئنة إياه وقالت:
-وما الذي ينقصك يا فتحي...؟ أنا أراك رجل تتمناك ألف واحدة غيري.
من ثم قامت بفتح باب المصعد وكتبت رقم الطابق الذي به شقتها، بينما فتحي استمر في شروده غير مصدق ما يسمعه وما يراه، ولكن قطع شروده صوت رحاب وهي تقول:
-الباب يا فتحي، اتركه كي أصعد.
استعاد فتحي تركيزه وقال لها بلهفة:
-أنا لا أصدق الذي اسمعه منكِ يا معلمة، اضربيني يا معلمة كي أفق من حلمي، أكيد هذا حلم ليس علم أبدًا.
-يمكن يكون حلم، ولكن ليس من الصعب أن يكون حقيقة.
هم فتحي بدخول المصعد بلهفة والباب أغلق من خلفه وقال بلهفة:

-ولكن كيف أحققه يا معلمة...؟
عطلت رحاب المصعد كي لا يتحرك وقالت له بابتسامة:
-بشرطين، الأول أن تتوقف عن كلمة معلمة.
قال فتحي بلهفة وتسرع:
-اتوقف عنها وعن أبوها تأمريني يا معلمة.
-يبدو ليس هناك فائدة منك دعني أصعد لشقتي.
أمسك فتحي بذراعها وكانت هذه أول مرة يجرأ على ذلك وقال لها:
-حقك عليا ولكن أكملي لي شروطك وأنا تحت أمرك.
-يمكن الحلم يتحقق بأن نتزوج.
فتح فتحي الباب بسرعة وخرج منه يطير فرحًا، أوقفته رحاب بصوتها بلهفة:
-إلى أين أنت ذاهب يا فتحي.
التفت لها فتحي بلهفة وقال لها:
-ذاهب لكي أتِ بالمأذون.
قالت له رحاب بدلال:
-ليس اليوم بل غدًا سيكون أفضل يا مجنون.
*****
وبالفعل تم الزواج وأخذا إجازة شهر العسل وقاما بقضاء شهر العسل في الإسكندرية ومن ثم عادا للعمل من جديد، كان الناس يحسدونهما بالفعل على حبهما لبعضهما البعض...
وعندما جاءت عليا للمحل طلبت رحاب من فتحي ألا تأتي للمحل مرة أخرى... لأنها تغير عليه بشدة.

كان يستغل الأيام التي تسافر فيها لأهلها أو متابعة أعمالها ويبقى هو بحجة متابعة أمور المحل ليقابل عليا سرًا في الشقة. كان يقابلها لا من أجل أنه ما زال يحبها ولكن من أجل أن يتخلص من ظهورها من حين لآخر.

مرت سنة ولم تحمل رحاب، فقالت له عليا:

-سحبنا مبلغ ممتاز من المغفلة رحاب.

نظر لها فتحي باحتقار وقال لها:

-ألا يكفي ما جمعتيه إلى الآن.

نظرت له بغضب وقالت:

-اسمها جمعناه، هذا المال لي ولك يا فتحي... ما بك يا فتحي...؟ لمَ تغير اسلوبك معي، أنا ملاحظة التغيير ولكن تحملت إلى أن أصل لمبتغاي... أقسم لك يا فتحي إن كان ما في بالي صحيح أنت تعلم ماذا سأفعل...أنت لي أنا وحدي وإن قررت أن تكون لغيري حياتك ستصبح جحيم.

قام فتحي من مكانه وقال لها غاضبًا:

-يكفي تهديد، في كل مقابلة تهدديني.

همت خلفه وعانقته وهمست له برفق:

-آسفة يا حبيبي، ولكنك تعلم أني أحبك وأريدك لي وحدي.

نزع فتحي يدها عنه وجلس على الكرسي المقابل لها وسألها بحنق:

-وما هي خطتك التالية...؟

-نتخلص منها...

هنا صدم فتحي وهم واقفًا متوترًا متسائلًا:

-كيف نتخلص منها...؟

هنا اقتربت منه عليا متسائلة بتهكم:
-ولمَ فزعت وتوترت هكذا...؟ أتحبها...؟
أشاح فتحي نظره عنها كي لا تفضحه عيناه وقال محاولًا تمالك أعصابه:
-القصة ليست قصة حب، كل ما في الأمر أنكِ تتكلمين في قتل، وهذا أمر ليس هين...
التفتت ووقفت أمامه عليا وأمسكته من ذراعه وقالت له:
-ومن قال لك سوف نقتل، بل سوف أتصرف بطريقتي...
هنا سكت فتحي قليلًا ومن ثم قال اقتراح وقد رسم ابتسامة على وجهه:
-لدي اقتراح آخر يا عليا، لمَ نخلص عليها الآن ونأخذ فتات من الورث، بينما ننتظر إلى أن يكون لي منها ولد ونأخذ الجمل بما حمل.
-والله فكرة يا فتحي، أم هل تحبها يا فتحي...!؟
-لا أحب إلا أنتِ والمال فقط.
-إن كان على حب المال موافقة... ومن ثم عانقته، هنا رأت فريدة أن فتحي يختنق من أثر عناقها له.
تحملت عليا أن يكون فتحي لغيرها لعام آخر على أمل أن ينجب ولكنه لم ينجب قط، كان فتحي لا يبالي بالإنجاب مادامت معه رحاب.
في شهر اغسطس في عام1998 أي بعد مرور سنتين على زواج فتحي من رحاب صار مضطر أن يوافق على شرط عليا له، إن لم ينجب خلال تلك الفترة فلتبدأ هي وتتصرف بطريقتها.

سألها فتحي:
- ماذا ستفعلين وإلى أين تأخذيني معكِ...؟
-سوف نصل وتفهم كل شيء الآن.
ها هما يدخلان بيت متهالك في إحدى القرى بيت ممتلئ بالقطط السوداء، ومزدحم بكثير من الناس مختلفين الشكل والملبس، نظر فتحي لها وسألها:
-ماذا نفعل هنا...؟
همست له:
-ما أريد أن أفعله لا يمكنني أن أفعله بنفسي يجب أن تكون موجود أثناء الطقوس.
ترك يدها وابتعد عنها وقال لها:
-أي طقوس...؟
هنا التفت إليهما الناس، فسحبته من يده للخارج وقالت له وهي تكز على أسنانها:
-لا تفضحني ها هنا، اتبعني ولا تسأل كثيرًا لا تجعل غضب الشيخة يسقط علينا.
مر الوقت وها هما فتحي وعليا دخلا غرفة لا يوجد بها أي مصدر للضوء سوى شموع تعكس ظل تلك العجوز على الجدار مما زرع شعور الخوف في قلب فتحي، تتوارى تلك العجوز متشعثة الشعر الأشيب خلف بخور كريه الرائحة، سرعان ما سمع فتحي صوتها فخلعت قلبه من مكانه وزادته فوق الفزع فزعًا:
-اقترب يا ابن سيدة وصلاح، تريد المال والجاه، إليك ما تتمناه، ولكن نفذ ما أقوله لك، وسوف تجد مرادك تحت قدمك.

هنا نظر فتحي بتوتر إلى عليا، فوكزته كي يتقدم ويجلسا سويًا.
أول ما قالته العجوز الشمطاء بصوتها القوي الذي لا يتناسب مع سنها:
-اسجدا لسيدكما...
هنا اعترض فتحي وفز من مكانه، فأمسكت عليا يده كي يجلس مرة أخرى.
فترك يدها وقال بغضب:
-أجننتِ...!؟ من الذي يسجد ولمن...!
هنا ربتت عليا بيدها ع صدرها كي يسمع لها ولكن سرعان ما حول فتحي نظره عندما سمع صوت الساحرة التي تقول بسخرية:
-أنت من سوف يسجد يا ابن سيدة الخدامة وصلاح الحرامي.
هنا همست عليا وهي تقول له برفق:
-أرجوك دعنا نكمل ما بدأناه، لا تجعلها تنزل علينا سخطها.
نظر فتحي للساحرة وهو يخر على ركبتيه ويسألها بحيرة:
-ولمَ أسجد...؟ أنا أعلم أن السحر لا يتطلب هذا.
قالت الساحرة بغضب وهي تلقي بالمزيد بالبخور على الجمر المتلهب:
-علمني عملي يا فتحي.
هنا اقتربت عليا وقالت بخوف:
-اسمع الكلام يا فتحي ونفذه أرجوك.
هنا شعر فتحي برجفة في المكان وصارت شعلات الشمع تهتز وانطفئت، هنا ارتعب فتحي، ولكن سرعان ما رأى أمام عينيه

نار اشعلت بشدة بدلًا من الفحم، النار صارت تتأجج مثل الجحيم، وعيون الساحرة صارت حمراء وقالت بغضب:
-الآن.... قم بالسمع والطاعة.
بدأ فتحي وعليا يرتجفا رعبًا وسألها بخوف:
-ولكن لمَ...؟
-تعويذة جلب المال... تحتاج الولاء لسيد الجان كي يتغير لك الحال...
تمتم فتحي وقال لها بتردد:
-ولكن... لم أكن أظن هذا...
هنا ارتجفت الغرفة بشدة، وظهر دخان رمادي كثيف، ومن خلف الدخان بدأ يتكون جسد ضخم ذا جلد أسود مثل الفحم وله أجنحة ضخمة مرتفع عن الأرض برغم عدم استخدام أجنحته، جسده أشبه بالبشر ولكن بضخامة وجلد بشع، وملامحه كانت مفزعة، عيناه كانت مثل عيون الثعبان ولكنها كانت عبارة عن جمرتين ملتهبتين ينبعث منها الشر في نظرته وأنفه كان مطموس بداخل وجهه، ويخرج من رأسه قرنين أسودين، تصلب كل من فتحي وعليا من شدة الصدمة ولكن سرعان ما وقع على مسامعهم صوت قادم من الجحيم:
-اسجدوا لي يا أولاد أدم، ولكم عندي ما تتمنوه...
هنا تجمد فتحي فزعًا من صوته ومن لسانه المشقوق ومن طلبه أن يسجدوا إليه.
ولكن ترده لم يدم كثيرًا لأنه فجأة اهتزت الغرفة بشدة وبدأت جدران الغرفة في السقوط ولكن سرعان ما تغير المكان إلى مكان أشبه بالجحيم وها هو فتحي وعليا يمسكان ببعضهما على

منحرف صخري أسفله حمم بركانية ملتهبة، بدأت عليا تصرخ وهي تمسك بفتحي وتقول باكية:
-أرجوك، لا تفعل ذلك سنسجد لك، سنسجد لك.
في غمضة عين رجعا إلى نفس الغرفة ولم يصب الغرفة أي تغيير، هنا نزلت عليا ساجدة وقبل أن تسجد سحبت فتحي كي يسجد معها... وبالفعل قد سجد.
بمجرد أن رفعا رأسهما من السجود لم يكن للكيان الشيطاني وجود.
ارتجفت الغرفة واهتز ضوء الشموع إلى أن أطفأ تمامًا... ومن ثم أضرمت النار فجأة، من ثم... لا شيء...
استعاد فتحي وعيه وبعد نفسه عن عليا وهو يحاول أن يواري سوءته وينظر حوله غير مستوعب ما حدث.
ما هذا...؟
يوجد شيء حدث لم يره فتحي بعينيه...
يجب أن أعود بالزمن وأكون أنا طرف خارجي وأرى بنفسي.
ها هو فتحي يصرخ بقوة ويرجع ظهره للخلف وكأن شيء قد تلبسه، من ثم رجع لوضعه ببطيء وفتح عينيه بسرعة فكشفت عن جمرتين ملتهبتين، وهم بالتقرب من عليا و...
لا داع لذكر ذلك المشهد الوحشي، من ثم صار جسد فتحي ملقى أرضًا وكأنه خاوي تمامًا من أي روح... وعليا فاقدة للوعي وعلى وجهها ملامح من تعرض للتعذيب.
واقتربت الساحرة ومعها قطعة قماشية من عليا الفاقدة للوعي.

أمسكت بالقطعة القماشية التي صارت مبللة ومن ثم بإشارة منها فاقا عليا وفتحي، يشعران بدوار رهيب ويهمان كي يواريا سوءتهما.
ونظرا للساحرة التي كانت تكتب تعويذة بذلك الدم، وكانت تتمتم بكلمات لم يفهماها قط ومن ثم قالت لفتحي:
-بهذه التعويذة ستكون رحاب خاتم في أصبعك يمكنك أن تكتب لك كل أملاكها بكامل إرادتها.
نظر لها فتحي متعجبًا:
-كل أملاكها من هذه التعويذة...! يعني هذا يعني لا داعِ لفكرة الحمل من الأساس... يعني لا يوجد داعٍ أن نجرب فكرة الحمل مع عليا من الأساس لأنه لا داعِ لهذا الأمر.
نظرت له الساحرة بتهكم وقالت له ساخرة:
-ابنك في رحمها الآن.
نظر فتحي بصدمة وقال:
-ابني...! أنا لم أفعل شيء...
-بل فعلت، لقد استخدمك لوسيفر كوعاء له، لا يوجد نكاح بين الجن والأنس إلى من خلال التلبس ببشري...
قالت عليا بصوت متألم:
-أشعر بنار في رحمي...
قالت لها الساحرة بلا مبالاة:
-بعد قليل ستكونين بخير، إنه ابنك من فتحي.
قال فتحي معترضًا:
-ليس ابني، أنا لم أفعل شيء...
قالت الساحرة بنبرة رخيمة وهي تكمل كتابة تعويذتها:

-بالفعل أنه ليس ابنك لأنك عقيم، ولكن الماء مائك أنت، ولكن وجوده مثل عدمه، ولكن بقوة سيدنا تم الحمل...
ابتعد فتحي وهَم يحاول الهرب وهو يقول بذعر:
-أنه ليس ابني، إنه ابن الشيطان، ابن شيطان.
ولكن الساحرة أوقفته ورفعته عن الأرض وقالت:
-إذا خرجت الآن لا يوجد أحد سوف يخسر سواك.
ومن ثم قامت برميه بقوة على الأرض في إحدى زوايا الغرفة.
هنا نظرت له عليا بغضب وقالت له:
-أنا فعلت ذلك لأني اعلم أنك خسيس سوف يأتي يوم وتتركني وتأخذ كل شيء لك وحدك، لذا قررت أن يكون بيني وبينك هذا الطفل كي يكون له ما سيكون لك.
أنت تعلم جيدًا أني يمكنني أن أجعلك تخسر كل شيء، هذه الساحرة تكون عمتي وبيدها أن تحول حياتك جحيم.
يمكنني مثل ما جعلت رحاب تحبك يمكنني أن أجعلها ترميك رمية الكلاب.
إن أردت أن تفوز بمالها فسوف أفوز به معك.
وإن قررت أن تبعد عني، سأجعلك تخسر رحاب وتكون لي كلب تابع لي.
هنا حاول أن يقوم فتحي وهو يشعر بالذل وكأنه في وكر عصابة تمكر له، ومن ثم قالت له الساحرة:
-اسمع يا فتحي خذ هذه التعويذة وأجعلها تبيت في رحم زوجتك ليلة كاملة.
توتر فتحي وسأل:
-وما فائدتها...؟

-ما بداخل هذه اللفافة سيجعل زوجتك تحمل منك ولكن ضعه بداخلها بعد الانتهاء، أي بعد نوم زوجتك.
ومن ثم ضربت رأسها متذكرة وقالت:
-أه نسيت يجب أن تجعلها تشرب هذا المسحوق في أي مشروب قبل أن تنام، يعني بمجرد عودتك لبيتك في أي وقت يناسبك ولكن لا تنسى أن تفعل الاثنان في نفس اليوم المشروب أولًا واللفافة بعد الانتهاء.
-ما هو هذا المسحوق وما فائدة الانجاب ما دام ستكون مثل الخاتم في أصبعي فلأنقل كل أملاكها باسمي وكفى...؟
-هذا المسحوق ستكون به مثل الخاتم في أصبعك ولكن من قوة السحر الذي سوف يجري في جسدها بسببه سوف تفقد الوعي فاستغل أنت هذا الوقت وضع بداخلها هذا العمل طوال الليل وسوف يتحقق مرادك...
وفكرة الانجاب منها من أجل شكلك أمام الناس، أتريد الناس يتلسنون عليك بأنك الرجل الذي تزوج من أجل أن يستغل زوجته وينقل كل أملاكها لصالحه.
أم تكون أمام الناس غير مستغل بل محظوظ بأنك رزقت بطفل منها فصارت أملاكها لك وحدك والوفاة قضاء وقدر، ولكن قضاء وقدر وأنت غير مستغل أمام الناس أفضل بكثير.
نظر فتحي مصدوم وقال:
-كيف تفكران هكذا...؟ كيف...؟
نظرت له الساحرة بحزم وأشارت له بسبابتها:
-أحذرك، لا تلعب مع عليا، نفذ ما تريده منك وكفى.
أومأ فتحي برأسه وأخذ عليا وخرجا.

*****

وبالفعل عاد فتحي، وكان العرق من شدة التوتر يملأ وجهه، نظرت له رحاب متعجبة فسألته برفق وهي تقترب منه:

-ما بك يا فتحي، لمَ أنت شارد هكذا...؟

سرح فتحي في عينيها البريئتين ولعن نفسه مليون مرة على وقاحته وحقارته لأنه يستغلها من ثم فاق من شروده عندما شعر بلمسة يدها على خده وهي تكرر سؤالها، فأخذ يدها من على خده وقبل باطنها ومن ثم قال لها هامسًا وعينيه تحكي أنه نادم على ما فعله وما سوف يفعله بها ومن ثم رسم ابتسامة زائفة وقال لها برفق:

-متعب بعض الشيء يا حبيبتي بسبب سفري اليوم لمتابعة موضوع أرض السادس من أكتوبر، كنت أعرضها على مشتري ولكنه غير رأيه.

نظرت له بلين وهي تمسك كلتا يديه وسألته بصوتها الحاني:

-أهذا ما يعكر مزاجك إلى هذا الحد...؟

فضحك لها وقال لها وهو يهم بالنهوض:

-وكيف لمزاجي أن يعكر ما دمتِ معي...؟

وهم برفعها وحملها على كلتا يديه فضحكت رحاب ومن ثم نفذ بالفعل ما طلبته منه الساحرة.

لم يستطع فتحي النوم من شدة تأنيب الضمير، يسمع صوت نابع من داخله يطلب منه ألا يكمل آخر جزء من الخطة، وهو أن يقتل رحاب بعد أن تنجب بفترة ويتزوج بعدها عليا بفترة أخرى.

ينظر لرحاب الراقدة بجانبه، يمسح على شعرها الحريري، ويفكر ويتردد، محتار يتذكر عليا التي كان يحبها ولكنه تشكك في حبه لها هل حقًا كان يحبها بإرادته أم كان تحت تأثير سحر ما... هناك صوت بداخله يقول له أنه يحب عليا... ولكن ما فعلته اليوم جعله يتردد.

شعور مؤلم جدًّا أن يشعر المرء أنه تم إجباره على شيء... شعور مؤلم أنك مجبور أن تكمل مع أحد... كان من الممكن فتحي أن يكمل مع عليا ولكن شعوره أنها تريد ذلك بالإجبار جعله ينفر... إلا الحب والزواج لا يمكن أن يكون بالإكراه أبدًا... إذا صار الحب أو الزواج بواحد في المئة بالإجبار تصير الحياة جحيم.

وبالفعل مع ظهور شمس النهار أخرج فتحي العمل من داخل رحاب... ولكن بمجرد أن أخرجه منها فاقت من نومها مفزوعة فقام فتحي بمداراة العمل في يده وباليد الأخرى قام فتحي بضمها مهدئًا إياها.

سألها فتحي وهو يمسح على شعرها:

-ما بك يا حبيبتي...؟

قالت رحاب لاهثة مرتعبة وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها:

-كابوس يا فتحي كابوس.

بدأ فتحي يمسح على شعرها ويقول لها برفق:

-لا تقلقي يا حبيبتي، أنا بجانبك لا داعِ للخوف ما دمت معكِ.

خرجت رحاب من حضنه وقالت له بنظره فزع:

-لقد رأيت وحش بشع المنظر كان... كان...

بدأ فتحي يهدئها كي تكمل كلامها:

-كنت أصرخ ولكن صراخي كان مكتوم، إلى أن شعرت أن لهيب يصب بداخلي هنا لم اتحمل الألم فصرخت بشدة وتمكنت من الخروج من هذا الكابوس.
حاول فتحي تهدئتها وتركها كي تنام وترتاح وقام ورتب نفسه كي يكمل أعماله.
هنا كانت فريدة تنظر لهذا المشهد وتقول في قرارة نفسها:
-يبدو أن ما مرت به رحاب حدث أثناء خروج العمل منها، العمل خرج منها في ثواني ولكن في عالم الأحلام والروح الثواني تعني الكثير.

*****

بدأت فريدة تتخطى الوقت سريعًا إلى أن جاء المغرب ظلت تتبع فتحي أينما ذهب ولكن سرعان ما رأت فتحي راكب سيارته وفي نهاية الشارع كانت هناك عليا تقف، وأشارت له أن يقف، قال لها بتردد وهو يرد عليها من نافذة السيارة:
-عليا اعذريني، لدي مشوار ضروري، أرجوكِ أجلي حديثك إلى أن أنتهي من عملي.
نظرت له بمكر وبثقة وقالت له:
-أنا من أحدد يمكن أن نتحدث أم لا... ولن أخذ من وقتك الكثير لأن في الأول والآخر عملك هو عملي... المنفعة تصب لي في النهاية.
تنفس فتحي الصعداء وسلم أمره وقال:
-ماذا تريدين يا عليا...؟ اسمعك.
هنا التفتت عليا وقامت بفتح باب السيارة وقالت بثقة وهي تهم بالجلوس وفتحي ينظر لها باستغراب:

-سوف نتكلم في الطريق.
ومن ثم قالت وهي تبتسم ابتسامة صفراء وهي تهم بلمس وجه فتحي وقالت بصوت أشبه بالفحيح:
-اشتقت إليك يا فتحي، اشتقت إليك كثيرًا.
التفت فتحي وبدأ في قيادة سيارته ومن ثم تمتم شاردًا:
-وأنا اشتقت إليك.
ظل فتحي شارد يسمع لعليا ولكن بدون انتباه، ويومأ برأسه مع بعض التمتمة، سألته عليا بفضول:
-ما هو العمل الذي سوف تذهب إليه الآن يا فتحي...؟
لم ينتبه لها فتحي فكررت سؤالها فنظر لها وقال بشرود:
-أنا... كنت أريد أن أمر على أرض رحاب الموجودة في السادس من أكتوبر وهناك سوف يقابلني أحد.
ومن ثم جالت في خاطرة فكرة فضرب رأسه وقال بابتسامة متصنعة:
-أقصد أرض دمنهور، لذا يكفي هذا وسوف أجعلك تعودين لبيتك كي لا تقلق عليكِ أمكِ يا عليا.
نظرت له عليا بلا مبالاة وهي تتنفس الصعداء ببرود:
-لا تشغل بالك بأمي هي تعلم أني يمكن أن أتأخر في العمل، ولكن هذه المرة سوف أقول لها أن العمل كان كثير عند الست هانم وتعبت وقمت بالبيات هناك.
ومن ثم نظرت بقوة وقالت:
-طول ما أنا كاسرة عينها، ليس لها حق أن تلومني.
التفت لها فتحي في ثواني محاولًا إقناعها بالعودة:

-ولكن أمكِ مريضة وسوف تقلق عليكِ ولها حق أن تطمئن و...
زاد غضب عليا وقالت بتهكم وحنق:
-لها حق عليّ...! لا يوجد أحد له حق عليّ، أبي الذي أنجبني ورماني لا أعني له شيئًا ولا كأني قطعة منه.
ولا أمي التي بمجرد أن شب عودي وأنا مطحونة في العمل كخادمة في البيوت لأنها لا تقدر على فعل شيء.
لم يكن أحد في يوم مسؤول عني، بل أنا المسؤولة على كل شيء، لذا لا يوجد أحد له حق عليّ، وهيا أنا معك ورجلي على رجلك في القادم متى أشاء.
صمت فتحي عندما وجد أن لا فائدة من إقناعها أو التملص منها، ولكنه بعدما سرح قليلًا جالت في خاطرة فكرة أخرى فابتسم ابتسامة بسيطة على طرف فمه، فنظرت له عليا باستغراب وقالت له:
-ماذا يجول في خاطرك يا فتحي...؟
أفاق فتحي من شروده وقال بتوتر:
-لا، لا شيء يا حبيبتي.
فسألته عليا بتعجب:
-ولكن يا فتحي ماذا سوف تفعل فور أن تصل دمنهور...؟ لأننا سوف نصل في وقت متأخر.
رد عليها فتحي وهو منتبه للطريق:
-أريد في بداية الأمر أن أمر بحارس الأرض ومن ثم يجب عليّ أن أمر على بيت الحاج رجب وسيقوم بضيافتي، أنتِ تعلمي أهل دمنهور أهل كرم.

نظرت له عليا بلا مبالاة:
-للحق لا أعلم.
تمتم فتحي وأكمل كلامه:
-ولكن بما أنك معي، سنمر على الحارس فقط، ومن ثم نبحث عن أي لوكاندة حتى الصباح ومن الغد أباشر العمل.
وصلا أمام الأرض المحاطة بسور وعليه لوحة توضح ملكية رحاب لها.
هنا لم تتمالك عليا نفسها عندما وقفت أمام سور الأرض وقررت الخروج من السيارة... فخرج وراءها فتحي وهو ينادي عليها بتعجب:
-إلى أين أنتِ ذاهبة يا عليا...؟
وقفت عليا بشموخ وقالت بكبرياء وثقة وهي تلتفت لفتحي:
-أريد أن أرى أرضي هل تمانع...؟!
هنا ابتسم لها فتحي وقال لها:
-لا أمانع أبدًا، كل هذا الذي نحن فيه بفضل عقلك.
ومن ثم التفت فتحي وفتح السيارة... هنا نظرت له عليا وسألته:
-ماذا تفعل يا فتحي...؟
رد عليها وهو منحني كي يجلب شيء من السيارة:
-أجلب السجائر فقط يا حبيبتي.
ومن ثم التفتت عليا وظلت تنظر إلى اللوحة المعلقة على سور الأرض وهي تتخيل اسمها بدلًا من اسم رحاب... ومن ثم وهي تلتفت وتقول لفتحي:
-لا تبيع هذه الأر...

لم تكمل كلامها من هول صدمتها مما رأت أمامها... قالت بذعر:
-ما هذا الذي في يدك يا فتحي...؟!
نظر لها فتحي بتهكم وقال لها:
-ألا تعلمين ما هذا يا عليا...؟
هنا ترددت عليا وبدأت تتراجع إلى الخلف وهي تنظر إليه نظرة توسل:
-أعقل يا فتحي، ماذا جرى لك...؟! أنا عليا حبيبتك.
قال فتحي بتذبذب وتردد وهو يقترب منها:
-حبيبتي...؟ كنتِ حبيبتي إلى أن ظهر وجهك اللئيم الطماع يا عليا... لا أدري هل بالفعل أحببتك أم جعلتِني أحب...؟
هنا بكت عليا وقالت بندم:
-أقسم لك لم أقم بأي شيء كي تحبني، حبنا صادق يا فتحي أرجوك لا تجعل الشيطان يدخل بيننا وينسيك حبنا.
هنا ضحك فتحي بسخرية:
-شيطان... شيطان يدخل بيننا...
وقهقه ضاحكًا بهستيريا وسقط على ركبتيه من شدة الضحك التهكمي، ومن ثم رفع رأسه ونظر إليها بكره وقال لها:
-شيطان يدخل بيننا...!
من ثم قام واقفًا واقترب منها وهو يقول:
-بسببك جعلتني أسجد للشيطان.
هنا اعترضت عليا وقالت بغضب وتبجح:
-الآن ترمي اللوم كله عليّ يا فتحي، ألم تسجد له بسبب طمعك ورغبتك في المزيد من المال...!

هنا تذبذب فتحي وأمسك برأسه وقال بغضب:
-كله من وراء رأسك يا ابنة الشيطان، لم أفكر في يوم لا في مال ولا غيره، بسببك أدخلتني في دوامة ليس لها مخرج ورحاب ضحية طمعك وجشعي...
هنا اقتربت عليا ونظرت له بشر وقالت له:
-يعني تغيرك عليّ بسبب رحاب...! أحببتها يا فتحي...؟
نظر فتحي وقال لها وهو ينظر في أم عينيها:
-نعم أحببتها... أحببت براءتها لأنها ملاك، ليست مثلك...
ومن ثم التفت ومسك رأسه وقال والدموع تنزل من عينه:
-لقد خدعت بكِ، كنت أظنكِ ملاك ولكن حقيقتك أنكِ لا تختلفين عن الشيطان شيئًا.
هنا قالت عليا بتبجح لفتحي الباكي:
-يعني الآن كرهتني، وتريد أن تقتلني يا فتحي...! تقتلني أنا وابنك.
ثار فتحي ودفعها أرضًا فسقطت صارخة متألمة من قوة الدفعة واقترب منها فتحي مؤشرًا إليها بالمسدس ذا كاتم الصوت وقال:
-ليس ابني، بل إنه ابن شيطان، سوف أخلص العالم منكِ ومن بذرة الشيطان التي بداخلك.
هنا نظرت له عليا بثقة وعلى ثغرها ابتسامة وقالت:
-صدقني يا فتحي إن لم تكن لي أنا سوف تتحول حياتك إلى جحيم.
قال لها فتحي وهو يهم بالضغط على الزناد وقال ببرود وهو يمسح دمعه باليد الآخرة:

-لن تحولي حياتي جحيم لأني سوف أخلص عليكِ الآن.
نظرت له عليا بتهديد وتوعد وقالت له بعينين تقدح شررًا:
-استعد لجحيم حياتك.
-الجحيم هو أن أكمل معكِ أيتها الشيطانة.
ومن ثم قام بإطلاق عليها جميع رصاصات المسدس، فرغ الرصاصات في عقلها وقلبها وبطنها التي تحمل شيطان بداخلها ومن ثم هم بالحفر بكلتا يديه إلى أن جرح أصابعه، كان يبكي بحرقه لا يدري لما يبكي، أكيد لا يبكي عليها ولكن يبكي على حاله الذي صار عليه، بسببها سجد للشيطان وخسر رضا ربه وسرق وقتل وخدع، يبكي ندمًا متمنيًا أن لم يكن يعرفها قط.
ومن ثم بعد أن دفنها... قام ب...

*****

قالت فريدة في قرارة نفسها:
-هذا يكفي لا داعٍ لكي أكمل القادم واضح.
لذا قررت فريدة التوقف عن المشاهدة ومن ثم قامت من سريرها تمسك رأسها متعبة مما رأت فأعطت أمر للروبوت بتجهيز قهوة كي تفق قليلًا وتجمع أفكارها.
ها هي ترتشف قهوتها وهي تنظر لحديقة بيتها من عل.
قررت أن تجلس في الهواء الطلق.
كثرة الضغط عليها من كثرة الرسائل والكوابيس التي تراها اتعبتها قليلًا.
نزلت الدرج وهي تكمل فنجانها، من ثم طلبت من الروبوت فنجان آخر وأن يجلبه لها في الحديقة.

قالت فريدة بحيرة في قرارة نفسها:
-يعني ما رأيته الآن يدل على أن الطفل الذي مات في رحم عليا هو جواد أخ فارس.
يعني استنتاجي من تجربتي مع فارس أنه يوجد جزء فارس لا يدري عنه شيئًا وأنا تأكدت بنفسي من وجود جواد في حياة فارس فقط، هذا معناه أن الأساس في أغلب الأحداث هو جواد لا فارس، أوه، أقصد أنه جسد فارس ولكن جواد هو المتحكم به وفي عقله، لذا فارس لا يدري شيء عن كل ما كان يقوم به.
وبالفعل من يسرق ويزني وبقية تلك الأمور كان هو جواد وحده، إن فارس ما هو إلا قالب لجواد.
ومن ثم يقوم جواد بنسخ أحداث معينه وكأنها مشتركة لهما سويًا أمام الناس، لا وجود لتلك الأحداث إلا في عقل فارس.
لا وجود لجواد وفارس سويًا سوى بمفردهما... غير ذلك هو جواد من يقوم بالشر كله... بينما فارس يقوم بالخير فقط، أما مجرد أفكار تجول في خاطره يزرعها جواد، أما ظهوره بالفعل لفارس كي يتعلق به ويجرجره لفعل ما هو خاطئ.
إن جواد كان منذ البداية يزين الشر ويغوي فارس بكل الطرق ولكنه لم يغوى أبدًا.
أغواه بلذة السرقة وخفة اليد وكثرة المال، ولكنه لم يقبل أن يستمر في حياته بكونه محتال.
زين له الشهوة والزنى ولذة المتعة والانتشاء بالمخدرات ولكنه لم يحب أبدًا حاله هكذا.
الشيطان يحاول معنا بأكثر من طريقة.

طريقة إغوائه لكل منا تختلف، إذا فشل في إغواءنا بطريقة ما يبدأ في تجربة طريقة أخرى.
حاول أن يقنعه أن الله غير موجود وأن الله لا يساعد فلا داعِ للاعتماد عليه.
وغير ذلك الكثير، وعندما فشلت كل محاولاته مع فارس بدأ في الخطة الاساسية له منذ البداية ألا وهي الانتقام...
الشيطان ينوي لنا منذ البداية الانتقام، الانتقام أن طعنا أو أن رفضنا.
ولكن أن أطعناه سوف ينتقم منا بعد أن خسرنا رضا الرب، بينما إذا كنا عباد صادقين في إيماننا فليس للشيطان سلطان علينا كي يتمكن من إغوائنا... أو الانتقام.
أوه، ولكن لمَ يريد الانتقام من فارس.
ذلك لأن جواد ليس شيطان بل هو مزيج من عليا ولوسيفر، أي أنه قام برسالة أبيه ألا وهي الإغواء فقط، ولكن عندما فشل بها بدأ في تطبيق الخطة الأساسية الخطة الأنسية التي املتها عليه أمه عليا.
معروف أن شر الأنس يكون أكثر بكثير من شر إبليس وبنيه أحيانًا.
لقد سمعت كثيرًا أن من يُقتل تظل حياته معلقه في الحياة للانتقام.
ولكن ماذا عليّ أن أفعل الآن لفارس...!
إن تحليلي كان خاطئ بأن فارس مريض نفسي، وفكرة أنه موجود في المصحة ولا أحد يصدق ما تراه عيناه هذا يدل على أن جواد سوف يبدأ في تعذيبه وقتله تدريجيًا.

الموت التدريجي من خلال العذاب يكون أشد وأقوى من القتل مرة واحدة.
إن جواد عقلية مريضة مثل أمه.
ضربت فريدة رأسها وتقول بصوت عالي وهي تنظر للسماء:
-يا رب ساعدني، كيف لي أن أساعده...؟
من ثم تذكرت شيء وقالت بشك:
-ولكن عليا قد ماتت بالمسدس وأنا رأيتها في المنام قد قتلت بالسكين.
هل التحذيرات التي أراها أثناء نومي غير صحيحة...؟!
أكملت كلامها وحيرتها وهي تهم واقفة وتقول:
-لا أدري، لا أدري شيء.
هنا قطع كلامها مع نفسها وميض خاتمها...
كانت أمها هي المتصلة، هنا جال سؤال في بال فريدة فقالت بسرعة وبشكل مباشر مقاطعة صوت أمها التي تطمئن عليها:
-بخير، بخير يا وتين، ولكن عندي سؤال لكِ، أنتِ قلتِ لي: "إن الكلام في الرؤيا حق...!".
قاطعتها أمها وأردفت بهدوء:
-نعم، صحيح يا...
قاطعتها فريدة بتعجل:
-وتين انتظري قليلًا، أعلم أنه صحيح، ولكن سؤالي هو ما معنى القتل بالسكين في المنام؟
قالت لها أمها بنبرة مازحة كي تهدأ من جدية بنتها:
-وهل يمكن أن أرد الآن يا أستاذة فريدة...؟
بتعجل فريدة المعهود مع ابتسامة قد اخترقت قلقها:

-تفضلي يا وتين.
-القتل بالسكين في أغلب الأحيان يؤول بالأذى والغدر، ولكن على حسب من الذي قتل ومن الذي حلم و...
قاطعتها فريدة بسؤال آخر بجدية:
-يعني إذا رأى المرء أن هناك من قُتل بالسكين هذا ليس شرط أن يُقتل بالسكين...!
-لا ليس شرط يا ريدا، يوجد الكثير من الكتب التي تخص تفسير الأحلام موجودة في مكتبة البيت يمكنك قراءتها، لو مهتمة بهذا العلم.
هنا بدأت فريدة تنهي المكالمة كي ترتب أفكارها:
-حسنًا يا وتين، سوف أفعل ذلك، ولكن لدي الكثير من الأمور عليّ فعلها سوف أتصل بك في وقت آخر.
تعجبت وتين من بنتها وأردفت:
-تتصلي بي...!
ولكن لم تكمل كلامها لأن فريدة كانت قد أغلقت الاتصال.
استمرت في التفكير قليلًا ولكنها لا تعلم كيف تُخلص فارس من جواد، لذا شعرت بالتعب وأمسكت رأسها وكأن القهوة لم تقم بأي مفعول.
لذا قررت أن تدخل البيت.
وبمجرد أن دخلت البيت لمحت على يمينها باب مكتب أبيها مفتوح، هنا قررت أن تدخل وتجلس على كرسي أبيها، وبدأت تبكي وهي تلمس كرسي أبيها وكل ما على المكتب، إلى أن وصلت إلى صورتها هي وأبيها وأمها معًا فبدأت تجهش في

البكاء وهي تلمس ملامح أبيها وتبتسم ابتسامة مكسورة امتزجت بالدمع وأردفت:
-لقد اشتقت إليك يا مراد، اشتقت لضحكتك يا حبيبي.
ومن ثم عانقت الصورة واجهشت في البكاء وقالت بحرقة:
-أنا لست بخير من دونك يا أبي، احتاجك بشدة، حياتي صارت متعبة بفراقك، احتاج لرجاحة عقلك كي تساعدني فيما أنا مقدمة عليه أو ما أمر به.
قامت فريدة من على الكرسي والتفتت تجاه المكتبة وصارت تلمس كتب أبيها وهي تبكي، إلى أن فجاءة شعرت أن هناك شيء لمسها من الخلف، التفتت فزعة ومن شدة الخوف شعرت أن الدم قد جف في عروقها.
ولكن سرعان ما وضعت يدها على صدرها محاولة التقاط أنافسها وأردفت:
-آوه، كيف تدخل هكذا يا روبوت من دون استئذان لقد افزعتني.
رد عليها روبوت بلكنة آلية:
-لقد جاءني إنذار بوجود مشاعر حزن، وأنا هنا كي لا تشعري بالحزن، أنا معكِ.
مسحت فريدة دموعها ومن ثم التفتت مرة أخرى للمكتبة وقالت بهدوء تستجمع قواها:
-لا تقلق، كل ما في الأمر أني اشتقت لأبي.
-هل تريدين عرض ذكريات لكِ ولمراد...؟
ردت عليه فريدة وهي شاردة الذهن في كتب المكتبة:

-لا تقلق عليّ بخصوص هذا الأمر، لدي طريقة للقائه، ولكن أنا الآن ابحث عن كتاب تفسير احلام من كتب أمي.
هنا هم روبوت بإصدار شعاع ليزر من عينيه كي يمسح كل عناوين الكتب واختيار الكتب المرجوة، ومن ثم قال لها وهو يأشر بيده الألية لأعلى:
-ها هو، هذا الركن يا فريدة به أكثر من كتاب لتفسير الاحلام.
ولكن فريدة قالت له:
-اجلب لي أي من الكتب يا روبوت، لن أستطيع أن أجلبه بنفسي إن المكان عالٍ بالنسبة لي بعض الشيء.
هنا مد روبوت يده وأثناء جلبه لكتاب من منتصف الكتب سقط كتاب آخر.
هم بالاعتذار وهو يهم بالتقاط الكتابين راغبًا في إرجاع أحدهما، ولكن فريدة قالت له وهي تهم بأخذهما من يده:
-لا داعٍ يا روبوت إن أمي قالت لي أن لها عدة كتب لتفسير الأحلام يمكن أن يفيدني.
هم روبوت موضحًا:
-لا، هذا ليس كتاب، بل رواية.
هنا تمعنت فريدة لغلاف الرواية الذي أخذ طابع الرعب بعض الشيء، قد شدها الغلاف ومن ثم جلست على المكتب وقالت لروبوت وهي سارحة في الرواية:
-اعد لي كوب من النسكافية وأحضره لي هنا في المكتب.
قامت بالنظر لظهر الغلاف وأخذت تقرأ الكلمة التعريفية عنها على الأقل هنا قد شدها أكثر الكلام الموجود على ظهر الغلاف وخاصةً هذا الجزء "وفي خلال هذه المغامرة سوف تكتشف

أروما حقيقة نفوس من حولها، وسوف ترى الحقيقة المغيَّبة عنها، وسوف تُصدم فيمن كانت تحسبهم أحباب بأن بهم طبع الغدر والخيانة، وعندهم الاستعداد للسرقة والقتل، وحتى الاستعانة بالجن والسحر...!"

كانت الرواية اسمها "طيف أروما" تأليف "رانيا رمضان" انتبهت فريدة للاسم ونظرت للغلاف مرة أخرى وقالت في قرارة نفسها:

-يمكن فكرة سقوط هذه الرواية في يدي ليس محض الصدفة، يمكن أجد بها الحل لما أمر به، لذا سوف أقرأها، إذا وجدت بها حل هذا ما أتمناه، ولكن إن لم أجد بها حل ستكون على الأقل اراحت عقلي وجعلته يفصل قليلًا مما أمر به، إن الروايات والكتب لها تأثير كبير على راحة العقل، هذا ما كانت تقوله لي أمي دائمًا، لذا فلأبدأ الآن.

*****

الفصل التاسع

المحاولة

بدأت فريدة تقرأ الرواية وهي تشرب "النسكافية"، وبدأت تنجذب للرواية بشدة ولم تقم من مكانها إلا أن أكملتها.
عندما انتهت من القراءة وقفت وبدأت تسأل نفسها:
ـماذا عليّ أن أفعل الآن...؟
هل أرجع بالزمن الذي ذكرته الكاتبة في الرواية وأقابل الشيخ متولي...؟ ولكن ماذا إن لم يكن موجود إلا في خيال المؤلفة فقط...! ولكن المؤلفة ذكرت أنها قصة حقيقية...!
هنا قررت فريدة أن تخرج من غرفة المكتب وتذهب كي تريح جسمها قليلًا ولكن مازالت وهي تمشي متعبة تفكر في حل.
مددت فريدة جسدها وأغلقت جفناها كي تنعم بالقليل من الراحة كي تساعدها قليلًا في الوصول لحل.
ولكن سرعان ما فتحت فريدة عينها وقامت من رقدتها وجلست وهي ترفع شعرها لأعلى وقالت بلهفة:
-أوه، كيف لم تأتي في بالي هذه الفكرة، سوف أذهب وأقابل هذه المؤلفة نفسها وهي التي ستدلني.
خرجت فريدة مسرعةً من غرفتها ونزلت للمكتب من جديد وجلبت الرواية.
همت مسرعة كي تعود لغرفتها كي تجلب الجهاز وكتبت التاريخ الذي ختمت به الكاتبة روايتها الموجود في أخر صفحة، وكتبت اسم المؤلفة ومكانها حينها مثل ما ذكر أنها من

الإسكندرية، وهذا كان كفيل لأن تجد نفسها في لمحة عين في غرفة رانيا رمضان.
رأت أمامها شابة تغمرها السعادة لانتهائها من عمل من أعمالها، فقررت الظهور أمامها، هنا فزعت رانيا وهمت من سريرها صارخة متوجهة تجاه الباب.
ولكن سرعان ما امسكتها فريدة من يدها وباليد الأخرة وضعت يدها على فمها كي لا تصرخ، وقالت لها هامسةً مطمئنة إياها:
-اهدئي أنا لن أؤذيكِ.
هنا كانت رانيا تحاول أن تصرخ صرخات مكتومة بسبب قبضة فريدة التي لم تستطع رانيا أن تتخلص منها؛ وذلك لأن بنية رانيا صغيرة جدًّا مقارنة بفريدة برغم فرق السن بينهما.
كررت فريدة بنظرة توسل لرانيا:
-صدقيني، أنا لن أؤذيكِ، أنا جئت لكِ من المستقبل... لقد قرأت روايتك وأريدك أن تساعديني.
هنا ملامح ذعر رانيا تحولت إلى ملامح تعجب بسبب لكنة فريدة وأصدرت صوت مكتوم... فقالت لها فريدة غير فاهمة:
-ماذا تقصدين...؟
هنا توقفت رانيا عن المقاومة بيدها بل أشارت بيدها على فمها أي تسمح لها بالكلام... وبالفعل فكت فريدة قبضتها عن رانيا بعد أن اطمأنت من نظرة عينها ومن ثم توجهت رانيا كي تجلس على سريرها ومن ثم قالت وهي تلتقط أنفاسها:
-اعذريني على ما صدر مني من ردة فعل، ولكن أنا جبانة جدًّا، لتوي انتهيت من كتابة رواية عن شبح فمجرد ظهورك أمامي فزعت للغاية.

اقتربت منها فريدة وجلست أمامها على نفس السرير وقالت:
-هذه الرواية هي التي قرأتها لكِ بالفعل، وجئت إليك من المستقبل كي تساعديني.
هنا نظرت لها بتعجب وسألتها وهي ترفع أحد حاجبيها:
-أحقًا أنتِ من المستقبل...؟
أومأت لها فريدة برأسها أي نعم ولكن رانيا أكملت كلامها وقالت:
-أنا فزعت لفكرة ظهورك أمامي مرة واحدة من دون أي مقدمات، ولكن عندما رأيت أنكِ غير مسلحة جال في خاطري أنك مجرد لصة فقررت التكلم معكِ ما دمتِ غير مسلحة.
ويمكن أنكِ تمكنتِ من الدخول من دون أن أنتبه لأني مشغولة في مراجعة العمل واسمع موسيقى بصوت عال.
نظرت لها فريدة بتعجب وقالت بنبرة تهكمية:
-هل حقًا أنتِ رانيا مؤلفة الرواية أم أني أخطأت في العنوان؟
نظرت لها رانيا مؤكدة لها:
-بل أنا بالفعل مؤلفة...
فسألتها فريدة بتهكم:
-وهل عمرك رأيتِ لصة تخترق البيوت ليلًا... أظن أن النساء بالكثير يقومون بالنشل أو العمل مع عصابة إنما بمفردها في اختراق البيوت هذا لم يمر عليّ أبدًا.
نظرت لها رانيا وقالت:
-إن كلامك صحيح، ولكن كل ما في الأمر أني لا استبعد شيء.
تنفست فريدة الصعداء وأردفت:

-رانيا كل ما أريد أن أعرفه منكِ أولًا هل رواية "طيف أروما" مبنية على قصة حقيقية بالفعل...؟
نظرت رانيا وقالت لها:
-للصدق، إنها قصة حقيقية ولكن بها بعض التفاصيل مختلقة من تأليفي...
هنا احبطت فريدة وقالت بخيبة أمل:
-هذا ما كنت لا أتمنى سماعه أبدًا.
هنا همت فريدة واقفة ولكن رانيا أمسكت يدها وسألت كي تتأكد:
-هل بالفعل أنتِ من المستقبل...؟ أم أنك مجرد فتاة الدنيا اتعبتها فقررت أن تجد طريقة للعيش ألا وهي السرقة...!
ضربت فريدة رأسها بكف يدها وقالت لها بتهكم:
-وهل هذه الهيئة توحي لكِ أني لصة فقيرة الدنيا اتعبتني... أرجوكِ لا تجعليني أندم أني اعجبت بروايتك.
وقفت رانيا أمامها وقالت لها:
-صدقيني تلك الاستنتاجات الغبية بسبب أني غير مقتنعة بفكرة القدوم من المستقبل من الأساس.
فكت فريدة قبضة رانيا عن يدها وقالت لها وهي تؤشر على خاتمها فانبثقت منه شاشة عائمة في الهواء ودخلت على الصور حينها رانيا ذهلت عندما رأت التاريخ المكتوب على الصور.
ومن ثم قامت فريدة بتشغيل فيديو لها وهي تطير بحذائها النفاث ومن ثم قالت فريدة لها بنفاد صبر:
-هل تريدين دليل آخر يا رانيا...؟

نظرت لها رانيا ببلاهة غير مصدقة وقالت لها:
-للحق أنا جبانة ولكن للصدق أنا أحب الأمور الغير طبيعية والماورائيات.
ولكن فريدة طأطأت رأسها وقالت:
-ولكن روايتك ليست كلها حقيقية كنت احتاج أن...
لم تكمل كلامها واشاحت بنظرها وأردفت:
-لا داعِ أن أكمل ولا أن أوضح لأن هذا سيكون بلا نفع.
همت رانيا تسألها بلهفة:
-وماذا إن كانت كلها حقيقية يا... آه حقًا ما اسمك...؟
-اسمي فريدة...
قاطعتها رانيا بلهفة وقالت لها:
-أنا أحب هذا الاسم بشدة...
هنا استأذنتها فريدة وقالت لها:
-لا داعِ أن أضيع من وقتك أكثر من هذا، سوف أرحل.
أخذت فريدة جهازها كي تعود بالزمن...
هنا همت رانيا مسرعة وأمسكت الجهاز، ومن ثم نظرت له وقالت لها بلهفة:
-آوه، هل هذا هو جهاز السفر عبر الزمن...؟
هنا همت فريدة أن تنطق ولكن رانيا قدمت سؤال آخر...؟
-ما هذا...! هل هو هاتفك...؟
هنا أخذت فريدة الجهاز من يدها وتنفست الصعداء وقالت بنفاد صبر:
-كان الأمل بدأ ينزرع بداخلي تجاهك ولكن يبدو أن لا فائدة.
سألتها رانيا بصوت هادئ:

-انتظري، قبل أن ترحلي على الأقل قولي لي كيف كنتِ تريدين أن أساعدك، أنا أرغب في مساعدتك، أكثر شيء يسعدني في الحياة هو مساعدة الغير، حتى وإن كنت لا أستطيع أن أساعدك سوف أفعل كل ما بوسعي كي أساعدك.

قررت فريدة أن تجلس وتكلمت:

-إن الحمل عليّ كبير، أرغب في إنقاذ شخص ما...

هنا قاطعتها رانيا وقالت لها بجدعنة مصرية:

-لا تقلقي أنا بجانبك، وعلى رأي المثل المصري "القُفة أم ودنين يشيلوها اتنين".

همت فريدة واقفة وتنفست الصعداء وقالت بيأس:

-لا، لا، يبدو أن لا فائدة منكِ يا رانيا... قد يئست بالفعل، كل ما أعطيكِ فرصة تصدميني...

ضحكت رانيا بصوت عال، ومن ثم كتمت ضحكتها وقالت محاولة اظهار بعض الجد في حديثها:

-اهدئي يا فريدة، ها أنا بالفعل كلي آذان صاغية لكِ.

جلست فريدة ومن ثم تنفست الصعداء ولكن من ثم التمعت عيناها وسألتها بجدية:

-لا، بل أريد أن أعرف المقصود بالمثل.

ضحكت رانيا وقالت لها:

-حسنًا سوف أشرحه لكِ ولكن عليكِ أن تقولي لي سبب قدومك هنا...

وبالفعل مر الوقت وفريدة حكت لها كل ما مرت به.

أمسكت رانيا رأسها وملامح الجد قد رسمت على وجهها فقالت لها فريدة والحزن سيطر عليها:

-ها قد حكيت لكِ كل شيء، هل لديكِ حل لي...؟
نظرت لها رانيا بيأس وقالت بحزن:
-إن جئتِ للحق، ليس لدي حل.
هنا توقفت رانيا عن الكلام عندما رأت أن حزن فريدة زاد أكثر، ولكنها سرعان ما تمالكت الموقف وأردفت مكملة وهي تمسك يد فريدة كي تهون عليها بابتسامة رسمتها على وجهها:
-ولكن سيكون لدي حل...
هنا التمعت عين فريدة وسألتها بتعجب:
-ولكن كيف...؟!
قالت لها رانيا بثقة وعلى وجهها نفس الابتسامة:
-لا، كيف هذه اتركيها عليّ، لا يغرك صغر جسمي ولا سني، ولا يغرك أني بنت، آه أنا بنت ولكن في المواقف أجدع من مئة رجل وأنا قلت لكِ كلمة، والكلمة بالنسبة لي سيف...
نظرت لها فريدة ببلاها وسألتها:
-هذا ما معناه يا رانيا...؟
رسمت رانيا ابتسامة على طرف فمها:
-هذا معناه تعالي لي غدًا في نفس الوقت وسوف أقول لكِ الحل.
هنا شكرت فريدة رانيا وقامت بمعانقتها كأنها تضع بها كل الأمل وأردفت:
-أنا واثقة أنكِ سوف تساعديني يا رانيا.
ضحكت رانيا وقالت لها بثقة:
-بعون المولى سوف أساعدك.

خرجت فريدة من التجربة وعادت إلى غرفتها وهنا عندما رأت سريرها ابتسمت وقالت بصوت هامس وهي تقوم بفرد شعرها الطويل:

-الآن يمكنني أن ارتاح قليلًا.

استيقظت فريدة على اتصال من ليندا، التي تعجبت من عدم حضور فريدة المحاضرة على غير عادتها قالت لها فريدة بصوت ناعس:

-متعبة قليلًا يا ليندا سوف...

هنا قاطعتها ليندا بلهفة:

-متعبة، سوف أتي إليك حالًا.

هنا تمتمت فريدة بنفاد صبر:

-ليندا، أرجوكِ، لا تقلقي كل ما في الأمر أنا احتاج أن ارتاح وكفى، سوف اطمئنكِ علي.

ومن ثم اغلقت المكالمة وهمت من مكانها وتوجهت للحمام فنظرت لنفسها في المرآة وقالت بحزن على حالها:

-لقد صرتِ باهتة جدًّا يا فريدة، بالفعل لقد صدق جون بأن هذه التجربة تجهد العقل كثيرًا.

ولكن الأمر ليس فقط اجهاد من التجربة ولكن الخوف، الخوف يأكل في روحي، خائفة ألا أستطيع أن أنقذ فارس.

من ثم نظرت لنفسها بجد وسألت نفسها:

-ولمَ تخافي...! كل ما عليكِ هي المحاولة أنقذتِه يكون خير وأن لم تنقذيه فليس ذنبكِ شيء.

من ثم نظرت فريدة لنفسها بجد وقالت لنفسها بصوت عال بعض الشيء:

-ألا تكونِ أحببته يا فريدة...؟
هنا فريدة فتحت الماء بسرعة وقامت بغسل وجهها عدة مرات ومن ثم رفعت رأسها ونظرت مرة أخرى لنفسها في المرآة وقالت:
-يبدو أن وحدتك وعيشك بمفردك جعلك تفقدين عقلك، حب... ال حب ال... لا، حب ماذا...؟ كل ما في الأمر أرغب في المساعدة وكفى.
نظرت لعينها في المرآة ومن ثم قالت لنفسها في غضب وهي ترمي الماء على صورة انعكاسها:
-لمَ أنظر لعيني هكذا...؟!
ومن ثم همت بالخروج وقالت بغضب:
-يبدو أني جننت بالفعل، لقد جننت.
من ثم جلست على كرسيها المتحرك وهي تنظر للحديقة وقررت أن تطلب من روبوت أن يحضر لها الفطور.
صار الفطور أمامها، ولكنها اكتشفت أنها لا تشتهي أن تأكل شيء.
فسألت نفسها:
-هل أقدم على التجربة الآن...
تنفست الصعداء وقالت:
-اووه، أنا متعبة حقًا، ولكن أريد أن ارتاح من هذا الحمل الذي عليّ...
هيا، هيا يا فريدة، من طبعك دائمًا الاقدام والمواجهة وعدم الخوف... تفاءلي يا فريدة تفاءلي.

كتبت نفس تاريخ الأمس ولكنها زادت يوم وحددت نفس الوقت بعد منتصف الليل، ومن ثم صارت أمام رانيا من جديد، ولكن هذه المرة كانت رانيا مستعدة لهذا اللقاء.
نظرت لها رانيا وابتسمت لها بابتسامتها التي اعتادت فريدة عليها التي تبعث الأمل في قلبها من جديد.
قالت لها رانيا بلهفة:
-ها قد اتيتِ يا فريدة أنا أنتظركِ منذ ساعة.
هنا ابتسمت فريدة لها برفق ومن ثم قالت لها بصوت هادئ:
-طمئنيني يا رانيا...!
-وصلت لشيخ اسمه الشيخ منصور كل الناس يتكلمون عن بركته ولا يتقاضى أجر أبدًا...
-رانيا هل تكلمتِ معه فيما في حاكيته لكِ...؟
أومأت رانيا برأسها مؤكدة ومن ثم سحبت فريدة كي تجلس وأردفت:
-طبعًا حكيت له وهو مستعد أن يأتي معي في أي وقت ولكن يجب أن أؤكد عليه قبلها بيوم من أجل أن يعتذر لل...
هنا قاطعتها فريدة وهي تضرب رأسها بكف يدها:
-أووووه، كيف تاهت عن بالي...؟
نظرت لها رانيا بتعجب محاولة أن تفهم وأردفت:
-ماذا تقصدين يا فريدة...؟
التقطت فريدة أنفاسها ورسمت على ملامحها مشاعر مختلطة بالحزن والغضب:
-أنا أريد أن أنقذ فارس ولكن اليوم الذي قابلته به في شهر نوفمبر عام ٢٠١٩ بينما نحن الآن عام ٢٠٢١.

قالت لها رانيا مطمئنة إياها:
-وما المشكلة يا فريدة، إن الأمر بسيط سوف أذهب أنا والشيخ منصور معكِ عن طريق الجهاز الخاص بكِ وننقذه سويًا.
قالت لها فريدة بأسى والدمع بدأ يلمع في عينها:
-رانيا، إن جهازي خاص بي أنا فقط، يكفي لشخص واحد للنقل عبر الزمن، إن المعدات الملحقة به خاصة بفرد واحد.
قالت لها رانيا مطمئنة إياها:
-يمكنكِ أن تعودي لزمنكِ وتجلبي جهازين أخرين.
قالت لها فريدة بنفاد صبر وقد خانها دمع عينها هذه المرة:
-يا رانيا، يا رانيا افهميني، هذا الجهاز صممه لي صديق والدي، لا يوجد منه إلا نسخة واحدة لي أنا فقط.
هنا نظرت لها رانيا بلهفة ترغب أن تتكلم، هنا فريدة مسحت دمع عينها وقالت بعصبية اختلطت بالحزن بسبب اليأس:
-أعرف ما تريدين قوله، تريدين أن أطلب من دكتور جون أن يصنع لي جهازين أخرين.
هنا التمعت عين رانيا بالدمع وأومأت برأسها أي نعم ولكن في نفس الوقت اجهشت فريدة في البكاء:
-إن هذا سيأخذ وقت، وأنتِ لا تعلمي كم أنا متعبة لا أستطيع أن أنام بسبب كثرة التفكير وإن نمت من شدة التعب استيقظ والتعب قد أكل روحي... لن أستطيع أن اتحمل هذا التعب أكثر من ذلك، أريد أن أنقذ فارس كي ارتاح، الله جعلني أبدأ هذا الأمر من أجل أن أساعده أكيد، ليست مجرد تجربة فقط.
هنا اقتربت منها رانيا وأخذت تربت على كتفها وتهمس لها:
-لا تقلقي أنا بجانبكِ وسوف نصل لحل سويًا.

هنا مسحت فريدة دمعها وقالت بيأس:
-تعرفين ما هو الحل يا رانيا...؟
نظرت لها رانيا بحنو ولين وسألتها:
-ما هو الحل يا فريدة...!
نظرت فريدة للأرض وأردفت:
-الحل أن أنسى الأمر برمته، ولكن ضميري يأنبني، إنه لأمر...
هنا التمعت فكرة في عقل رانيا وقامت بسحب وجه فريدة كي يكون مواجه لها وأردفت لها بلهفة وابتسامة:
-لا، بل بالفعل هناك حل.
نظرت فريدة بتعجب وقد جف الأمل من روحها وسألتها:
-وما هو يا رانيا...؟
-غدًا سوف تأتي لي نهارًا بعد الظهر وأنا سأكون في انتظارك أمام بيتي وسوف نذهب للشيخ منصور.
هنا سألتها فريدة بتعجب:
-ولكن كيف...؟
قاطعتها رانيا وقالت بثقة وبنفس الابتسامة:
-أنتِ طلبتِ مني المساعدة، كل ما عليكِ أن تثقي بي وكفى... هيا لنرتاح الآن لكي نستعد لمغامرة الغد.
ومن ثم ودعتها وعادت فريدة مرة أخرى لبيتها، طبعًا لم تستغل كل وقت المغامرة هذه المرة، لذا فضولها جعلها لا تتحمل وقررت أن تكتب الموعد الجديد وتكمل التجربة اليوم.
وبالفعل فريدة قابلت رانيا وذهبتا إلى الشيخ منصور سويًا.

إن فريدة كانت تتوقع أن البيت سيكون قديم ومتهالك وبه الكثير من البخور مثل بيت الساحرة الذي ذهبا إليه فتحي وعليا، ولكن البيت كان بيت عادي يدل على أن صاحبه من الطبقة المتوسطة حين ذاك.

رحب بهم الشيخ منصور الرجل الخمسيني الأسمر ذا الابتسامة المريحة للنفس، وطلب منهما أن يرتاحا، وبمجرد أن جلست فريدة همست مسرعة في الكلام:

-أنا يا شيخ...

هنا قاطعها الشيخ بضحكة سمحة:

-أعرف يا بنيتي، لقد حكت لي رانيا كل شيء، وجودك أمامي الآن كي أشرح لكِ ما عليكِ فعله.

نظرت فريدة بتعجب لرانيا وللشيخ منصور ومن ثم أردفت:

-أنا... ماذا عليّ أن أفعل...؟

قهقه الشيخ وقال:

-مهلكِ يا بنيتي، سوف أشرح لكِ كل شيء ولكن أريدك قوية، ولا يهزك ما سوف ترينه فيما بعد.

أومأت فريدة وبدأ حزن عينيها يتحول إلى نظرة جد.

هنا قال لها الشيخ منصور بتشجيع:

-هذه هي فريدة القوية، فلنبدأ.

هنا نظرت لها رانيا بتشجيع وابتسمت لها وهي تمسك يدها محفزة إياها، وحينها بدأ الشيخ في الكلام:

-إن الأمر بسيط يا بنيتي ولكن يحتاج شجاعة وثبات، لا تنسي يا بنيتي لا الجن ولا عفريت الجن ولا عفريت الأنس قوي مثل

الإنسان، نحن الأسمى والأقوى، إن الجسد المادي أقوى من ترددات الجسد الأثيري، لا يخدعنك هول المظهر.
هنا رجع اليأس يدخل قلب فريدة وأردفت:
-ولكن أنا في هذه التجربة مجرد جسد أثيري، إن جسدي في المستقبل و...
هنا تردد الشيخ ولكن في نفس اللحظة قال لها بنفس الابتسامة كي يطمئنها:
-أي نعم ليس معكِ جسدكِ المادي ولكن معكِ القوي، معكِ الله، وما خاب من استعان فقط بالله.
شعرت فريدة بالخزي وقالت:
-ولكني غير ملتزمة ولا أعرف...
قاطعها الشيخ وأردف موضحًا:
-كلنا مقصرين يا بنيتي ومهما نفعل نحن مقصرين في حق الله، أنا جهزت لكِ تسجيل سوف يساعدك في التخلص من قوة الشر على هذا الجهاز... ومعكِ هذه الورقة اقرئي منها أثناء تشغيل التسجيل على هذا الجهاز.
استجمعت فريدة قواها وبدأت ملامح اليأس تزول عن وجهها ولكن مازال التوتر يتلألأ في عينها وأردفت:
-هل هذا ما عليّ فعله...!؟
تنفس الشيخ منصور الصعداء وابتسم لها:
-ربي يهديكِ يا فريدة، أرجوكِ لا داعِ للتسرع أو التوتر، وللعلم أنا لم أكمل كلامي.
حاولت فريدة أن تتمالك أعصابها وهدأت ومن ثم اصغت جيدًا لصوت الشيخ منصور الرخيم.

-سوف تعودين بالزمن وتقابلين فارس عندما توقف وحكى لكِ حكايته، وذلك قبل أن يذهب للسجن أو للمصحة، احكي له ما رأيته وما توصلتِ إليه ومن ثم ابدئا في الحفر في ذاك البيت الذي وجدتِ به فارس لإخراج بقايا عليا.

هنا نظرتا كل من رانيا وفريدة بتعجب وسألت فريدة:

-لمَ...هذا البيت...؟

وضح لها الشيخ منصور بهدوء:

-ألا تتذكرين أن فتحي قد قتل عليا في أرض دمنهور... التي كانت حينها منطقة هادئة قليلة السكان تقريبًا...؟

رسمت دهشة أكبر على ملامح فريدة وقالت:

-لم يأتِ في بالي هذا الأمر و...

ولكن جال سؤال في بال فريدة وقالت:

-ولكن كيف تم بناء هذا البيت ولم يجدوا العمال جثة عليا...؟ وأين سأحفر بالتحديد...؟

-كل هذا يمكنك التأكد منه من خلال جهازك وتري ما حدث... ولكن المهم الآن أن تخرجا بقايا الجثة وتبدأن في حرقها مع تشغيل ذلك التسجيل وترددي ما في الورقة... ومهما حدث أمامكِ لا تتراجعي... لا تخافي... ولا تستسلمي.

نظرت له فريدة بتردد وسألته:

-وهل تظن أني سأنجح في هذا الأمر في التخلص من الروح الشريرة...أنا أظن أن هذا الأمر يحتاج لشخص مثلك.

نظر لها الشيخ منصور وابتسم وقال مطمئنًا إياها:

-وما أنا يا فريدة...! ما أنا إلا شخص مثلك... أجاهد نفسي كي أكون صالحًا وسخرت نفسي لمساعدة غيري... وأنتِ كذلك

يمكنكِ أن تكوني مثلي... نيتكِ الطيبة في مساعدة الغير ستمكنكِ من النجاح.
وللتخلص من الروح الشريرة لا تحتاج قوة بنيان ولا رجل دين... كل ما في الأمر والمهم هو القلب الصادق المؤمن حقًا بقوة الله وحده وكفى.
طول ما أنتِ قلبك مؤمن بالكلمة التي تقولينها... ما دام قلبك مؤمن ومتمسك بقوة القوي الذي تستعينين به فلن يخذيكِ الله أبدًا... طول ما عقلك مدرك بأنه ما دام استعان بخالقه وخالق من أمامه من الجن والأنس وأن الخالق قادر على أن ينصره عليه فسوف ينتصر عليه بالفعل...
هنا أشار الشيخ منصور على قلبه وعلى وجهه ابتسامة تبعث الأمان في النفس وأردف برفق:
-ما دام هذا لديكِ نقي وسليم ولم يظلم أبدًا ودائمًا تفكرين في غيرك وكفى ومتوكل على المولى فسوف ينصركِ الله يا بنيتي.
رسمت فريدة ابتسامة وبدأت لمعة التوتر تقل في عينيها ولكن فجأة رجعت من جديد وتنحنحت وقالت بخجل:
-يا شيخ آخر سؤال والله...
ضحك الشيخ منصور وقال لها:
-تفضلي يا بنيتي أنا معكِ.
-يعني بالفعل إذا توكلت فقط وأمنت بقوة الكلمة وبالله سوف أتمكن يعني لا احتاج رجل دين أكيد...؟ أشعر أنك تطمئنني وكفى.
ابتسم الشيخ منصور وتنفس بعمق وأردف بهدوء:

-ربي يهديكِ يا بنيتي، اسمعيني كي تصدقي كلامي بناءً عن موقف حدث بالفعل لنبينًا محمد صل الله عليه وسلم.
هنا توقف الشيخ منصور ونظر لكلاهما وقال لهما بابتسامة:
-لقد ذكرت سيرة الرسول أين الصلاة عليه...؟
ضحكتا كل من رانيا وفريدة وقالت رانيا بخجل:
-اعذرني يا شيخ ولكني كنت في حالة تركيز شديد لما سوف تقوله، أنا بالنسبة لي وجودي أمامك فرصة وأريد أن ينهمر عليّ من علمك وثقافتك وقصصك.
ابتسم الشيخ منصور وقال بحماسة للعودة للحديث مرة أخرى:
-حسنًا يا بنيتي أين كنا...؟
في نفس واحد رانيا وفريدة:
-نبينا محمد صل الله عليه وسلم.
ضحك الشيخ منصور ومن ثم أكمل حديثه:
-عليه الصلاة والسلام... دعوني أشرح لكما الأمر لقد سُحر نبينا محمد و...
هنا قاطعته رانيا معتذرة وأردفت:
-اعذرني يا شيخ، ولكن بالفعل هذا الأمر قد حيرني كثيرًا، كيف لنبينا محمد صل الله عليه وسلم المعصوم أن يُسحر... هذا الأمر يقلل من شأنه كثيرًا...
هنا فريدة كانت تنظر لرانيا باستغراب ولكن سرعان ما قطع صوت الشيخ منصور شرودها الذي أردف:
-افهم يا بنيتي ما يجول في خاطرك...
هنا أكملت رانيا بصوت متردد:

-أنا أحب نبينا محمد كثيرًا وأحب التعمق في أمور الدين ولكن أحيانًا تجول في خاطري تساؤلات لا أجد لها مبرر...
ابتسم الشيخ منصور وقال بثقة:
-بل يوجد مبرر مقنع يا بنيتي، فلتسمعي لي جيدًا...
سوف أحكي لكما المفيد وباختصار، ذكر عن السيدة عائشة رضي الله عنها في حديث ذكرت به ما معناه أن النبي محمد صل الله عليه وسلم...
هنا همستا كل من رانيا وفريدة بالصلاة على النبي، فابتسم لهما الشيخ منصور وأكمل كلامه:
كان يخيل له أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، المقصود بهذا التعبير أن النبي محمد كان يخيل له أو يظن أنه جامع أهله ولكنه لم يجامعهم قط، يوجد بعض العلماء الذين أوضحوا أن هذه الحالة كان يشعر بها فقط النبي محمد مع السيدة عائشة التي ورد عنها الحديث، لأنه لم يذكر من أي واحدة أخرى من أمهات المؤمنين كلام عن هذا الأمر، ولكن السيدة عائشة استخدمت في حديثها صيغة التعميم لحيائها وخجلها...
يذكر أن كان هناك شخص من اليهود اسمه لبيد بن الأعصم، قام بعمل سحر باستخدام مشط النبي محمد وما به من خصلات شعر النبي المصطفى، وقرر أن يقوم بعمل سحر كي يؤذي النبي محمد في أكثر ما يحب ألا وهي السيدة عائشة.
بعدما علم النبي محمد من السيدة عائشة بأنه يظن له فقط ولا يجامعها بالفعل، بدأ يتعب ويسأل عن سبب ما به، ولكن من ثم جاء للسيدة عائشة وقال لها: " إنه رأى ملكان يذكر أنهما

جبريل وإسرافيل وكان أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، قال أحدهما:
مال الرجل...؟ رد الآخر: " إنه مطبوب".
فرد الآخر: "ومن طبه...؟"
مطبوب يا بنياتي المقصود بها مسحور... ومن طبه المقصود بها من سحره... فرد الآخر:" لبيد بن الأعصم" إنه قام بهذا السحر على مشط ومشاطة، وسبق وشرحت لكما تلك النقطة، وذكر له مكان السحر إنه في جف طلع نخلة ذكر في بئر ذي أروان.
والجف هو شيء أشبه بالكوز الذي يحتوي على لقاح النخل.
وشفاء نبينا محمد كان على يد سيدنا جبريل عندما سأله: هل اشتكيت يا محمد، قال النبي محمد: "نعم" فقال جبريل: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين أو حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك".
وشفي نبينا محمد ومن ثم ذهب إلى البئر واستخرج السحر، كان السحر معقود بشعره أحد عشر عقدة فنزلت المعوذتين أحد عشر آية (أي سورتي الفلق والناس) وتخلص النبي محمد من هذا الأذى وعاد كما كان.
هنا قاطعته فريدة وقالت له باستغراب:
-ها أنت قلت إن النبي محمد سيدنا جبريل هو من رقاه أو خلصه من الأذى الذي عليه.
-لا يا بنيتي بل أنه علمه كيف يتخلص من الأذى، جبريل ما هو إلا وحي يعلم النبي محمد ما لا يعلمه، كي يعلمنا نبينا ما لا نعلمه كذلك...

الله يا بنيتي جعل النبي محمد يُسحر لحكمة، كي يكون قدوة لنا في كل شيء ويعلمنا كل شيء...
وفكرة أن السحر ينقص من شأن النبي محمد ويشكك بعض الناس في صدق نبوته، لأن البعض يقول" وكيف لي أن أصدق شخص يخيل له...؟ يمكن أنه كان يخيل له جبريل وما يوحى إليه...!
وطبعًا هذا الكلام غير صحيح... لأن صدق الكلام الذي ورد عن النبي محمد مثبت بالمعجزات...
ثانيًا هذا السحر أصاب نبينا محمد بعدما هاجر النبي محمد للمدينة وبعد ما ثبت مكانة الدين الاسلامي... أي ليس في بداية الأمر كي نتشكك في صدق نبوته...
وما السحر إلا هو نوع من العلل التي يصاب بها الجسم...
والنبي محمد كان يمرض مثلنا.
الذي يقول:" كيف للنبي المعصوم أن يسحر...؟"
النبي معصوم فقط في نبوته وفي الوحي... معصوم من الشياطين كي لا يمنعوه من تبليغ رسالته.
بينما غير ذلك كان النبي محمد يبكي ويتألم ويمرض مثلنا تمامًا...
عصمة الله للنبي محمد من الشياطين كي يمنعه من أن يصيبه كيدهم.
إصابة نبينا محمد صل الله عليه وسلم بالسحر مثلما أُصاب في مرة من المرات بالسم، عندما قدمت إليه امرأة يهودية كتف شاه وهذا الجزء المحبب للنبي محمد، قدمت له كتف الشاه

المسموم، ولكن بعد أن تذوقه واختلط السم في ريقه سمع النبي محمد أن لحم الشاه يخبره أنه مسموم.
فأخرج النبي محمد ما بفمه وحذر من معه من الأكل ولكن بعد ذلك مرض أحدهم ومات.
طبعًا فكرة أن يُسَم النبي محمد هذا من مكر الشيطان كي لا يكمل دعوته...
وبالرغم من دخول السم لهاته أي حلقه لم يمت النبي محمد من السم، بل جعله الله يكمل رسالته تمامًا، وعندما أكمل الرسالة مرض النبي محمد وظهرت عليه أعراض السم وحينها خيره الله أن يستمر في الحياة أم يختار الرفيق الأعلى... والنبي محمد اختار الرفيق الأعلى لأنه أكمل رسالته فلم يختر الدنيا قط.
عصم الله النبي محمد من الشيطان ومن أذى الأنس والجن إلى النهاية... عصمه أي ما معناه أنه لا يجعلهم يتمكنون منه... أو ينهوا على حياته بالقتل قبل اكمال الرسالة كما حدث مع الكثير من الرسل...
ولكن هذا لا ينكر أن النبي محمد تعرض لأذى الكثير من الناس ومن الشيطان ولكن لم ينجح أحد في التمكن منه...
على سبيل المثال:
عندما كانت تضع أم جميل الشوك والنار في طريقه وجاره اليهودي يضع القمامة أمام بيته وواحد من المشركين عندما رمى أحشاء شاه على ظهر النبي محمد وهو عاكف في الصلاة أمام الكعبة وعندما قام أحدهم بخنقه أثناء صلاته، وغير ذلك عندما طرد من الطائف وهرب منهم بعدما اجتمع كل من بها

بضربه بالحجارة وسبه وغير ذلك الكثير عندما اجتمعت كل قبائل مكة لقتله...
فكرة أن النبي محمد يتعرض للأذى هذا شيء طبيعي لأن من المهم أن يتعرضوا الأنبياء للأذى لكي يكونوا قدوة لنا في تحمل الأذى والصبر...
الضرب والإهانة والمرض والسحر الذي تعرض له النبي محمد لا يقلل من قدره ونبوته بل يدل على عظمته ويدل بالفعل أن الله معه حتى أكمل رسالته...
وكما قلت لكما أن النبي محمد طبيعي يتعرض للأذى من الناس ومن الشياطين على سبيل المثال:
كان الشيطان يحاول في مرة أن يلهي النبي محمد في صلاته، فقام النبي محمد برفع يده كأنه يقبض شيء في الهواء، بعد الانتهاء من الصلاة سألوه الصحابة فقال لهم أنه رأى الشيطان وكان يريد أن يظهره ويقيده في ساريه ولكن نبينا محمد قال إنه لم يرغب في فعل ذلك لأن نبي الله سليمان طلب من الله أن يكون له ملك لا ينبغي لأحد من بعده.
هنا سألته رانيا بتعجب:
-بصراحة يا شيخ أنا لا أفهم، يعني كيف نبينا محمد رأى الشيطان، ولم يتمكن من أن يعلم أنه مسحور أو أن هناك من يمكر به...!
-الحكاية يا بنتي وما بها أن الله يريد أن يثبت لنا أن النبي محمد مثلنا لا يختلف عنا في شيء سوى أن الله فضله عنا باصطفائه وأنه مميز عنا بالوحي...

يعني بمنتهى البساطة النبي محمد ظل أربعين سنة كان شخص صالح عادي...
ولكن الله ميزه بالوحي... يعني ما كان يورد عن النبي محمد غير نابع منه بل من الوحي فقط.
وقد أنقطع عنه الوحي ستة أشهر فلم يستطع النبي محمد أن يقول كلمة في رسالته...
كل ما في الأمر أن الله هو المتحكم في هبات النبي محمد، متى يظهر له الجن ومتى يخفيهم عنه، متى يجعل الرسول يؤذى من الناس ومتى ينصره عليهم... الفكرة التي يجب أن نؤمن بها أن الله وحده هو المتحكم في حياتنا حتى في حياة النبي محمد...
وما نراه شر لنا أو أذى لحق بنبينا محمد ما هو إلا لحكمة...
وفكرة سحر النبي محمد حدثت كي يثبت لنا أن السحر حق، والتخلص منه بسيط كذلك.
أتمنى أن تكونا فهمتماني...
نظرت له رانيا بتفهم وقالت له وهي تهز رأسها:
-بالفعل لقد بدأت الصورة تتضح لي يا شيخ.
نظر الشيخ لفريدة وسألها:
-هل مستعدة الآن يا فريدة...؟
هزت فريدة رأسها بثقة وابتسامة:
-أكيد، بعون الله سوف أتمكن وأنجح بإيماني بالله وبصدق رسوله...
-وفقكِ الله يا بنيتي.
هنا همت فريدة واقفةً، فقامت رانيا جوارها وعانقتها بلهفة وهي تربت على ظهرها:

-متأكدة أنكِ سوف تنجحين.
ومن ثم اخرجتها من حضنها ونظرت لها بابتسامه:
-ولكن يجب عليكِ أن تعودي لي من جديد، وتحكي لي من جديد كل شيء.
ابتسمت لها فريدة وقالت لها:
-أكيد يا صديقتي المؤلفة.
ومن ثم التفتت مرة أخرى تجاه الشيخ منصور وقالت بابتسامة ممتنة:
-أشكرك كثيرًا على كلامك ونصائحك لي، أتمنى ألا تكون آخر مرة لي معك.
وقف الشيخ منصور وابتسم وأردف:
-البيت بيتك يا بنيتي، أنا معكِ وقتما تشائين.
قبل أن تخرج فريدة من التجربة قامت بتشغيل التسجيلات بسرعة قصوة كي يتم تخزينها في فيديو التجربة كي يكون معها عندما تعود مرة أخرى لواقعها، ومن ثم فتحت الورقة ونظرت لها كي يتم حفظها كذلك ومن ثم ودعتهما.
عادت فريدة مرة أخرى لحاضرها، فجلست لكي تفكر، وبعد قليل فتحت شرفة غرفتها كي تتنفس بعمق وهي مغلقة العينين والراحة بدأت تعود إليها من جديد...
ولكن بمجرد أن فتحت عينيها فزعت ورجعت للوراء، كان أمامها جسم هائم في الهواء...
لكن سرعان ما التقطت أنفاسها وقالت بغضب مكتوم:
-كدتِ تموتيني فزعًا يا ليندا.
دخلت ليندا ووقفت في الشرفة بجوار فريدة وقالت لها بلوم:

-أهذا جزائي لأني أحبك وقلقة عليكِ...!
هنا تركتها فريدة ودخلت الغرفة فلحقتها ليندا وسألتها:
-ماذا بكِ يا فريدة؟ أنتِ تغيرتِ كثيرًا هذه الفترة، قولي لي ما بكِ...؟!
نظرت لها فريدة بابتسامة متصنعة:
-لا تقلقِ يا صديقتي كل ما في الأمر أني متعبة بعض الشيء ويوم أو يومين وسأكون كما اعتدتِ عليّ...
نظرت لها ليندا وقالت لها بلهفة:
-إذن ما رأيكِ أن نخرج سويًا اليوم كي تتخلصي من تعبكِ...!
نظرت لها فريدة نظرة تبعث بداخلها الأمان وكي تنهي الحديث في نفس الوقت:
-ليندا، أرجوكِ لا تضغطي عليّ، صدقيني احتاج بعض الراحة فقط، اعطي لي يومين بالكثير، وأن لم أعد كما كنت فلتفعلي بي ما تشائين.
حل صمت ليندا، ولم تعد تعرف ماذا تقول، لأنها تعلم صديقتها جيدًا وتعلم أن فريدة تخبئ عنها شيء ما...
قالت لها فريدة وهي تنظر لها بابتسامة:
-اتفقنا...
أومأت ليندا برأسها وقالت بيأس بسبب صديقتها:
-اتفقنا، ولكن حينها ستقولين لي ما تخبئينه عني...
-حسنًا، اتفقنا...
رحلت ليندا وطارت بحذائها النفاث وهنا وقفت فريدة أمام المرآة وسألت نفسها:

-ها يا فريدة! هل ستقومين بالتجربة النهائية بالوقت المتبقي من تجربة اليوم...؟
لا، لا، أخاف من الوقت ألا يسعفني أن أقوم بالانتهاء منها، نحتاج وقت للحفر والمواجهة ولا أدري كم نحتاج من الوقت...!
وأنا أظن أن يكون معي الكثير من الوقت أفضل بكثير أن يكون الوقت قليل.
جلست فريدة على الكرسي الموجود أمام المرآة وأمسكت رأسها، وأردفت:
-أووه، أريد أن أنهي هذا الأمر حالًا.
رفعت رأسها أمام المرآة وقالت:
-لا، بل سوف أنتظر لمنتصف الليل أي بداية يوم جديد وأبدأ تجربة جديدة بوقت كامل.

الفصل العاشر

المواجهة

فريدة استغلت الوقت حتى منتصف الليل في حفظ الآيات والأذكار اللاتي كتبها لها الشيخ منصور.
وقامت بنقل التسجيلات على هاتفها كي تقوم بتشغيلها.
الساعة صارت الثانية عشر بعد منتصف الليل.
بدأت فريدة تتأهب... من ثم وقفت أمام مرآتها كي ترفع شعرها وتتنفس الصعداء وتحفز نفسها ولكن نظرت لنفسها فجأة تذكرت شيء...
تذكرت أن ترتدي سلسلة أمها التي تحمل لفظ الجلالة الله لأنها قامت بخلعها.
ارتدت السلسلة وتوكلت على الله وبدأت التجربة الأخيرة.
قررت أن تعود بالزمن لكي تتأكد بالفعل من تاريخ هذا البيت بنفسها.
من ثم ذهبت للحظة التي قتل فيها فتحي عليا، وأخذت تتجاوز الزمن بالجهاز سريعًا لكي ترى كل ما حدث.

***

في سنة ٢٠٠٤ بدأ فتحي بناء البيت للعائلة التي اشترت الأرض، إن المنطقة صارت بها بيوت أكثر مما كانت عليها من قبل.
برغم مرور السنين فتحي لم يجازف بحفر وعمل أساس للبيت ولكن أمر العمال بالبناء فوق الأرض بحجة أن الأرض طينية،

بل طلب منهم أن يقوموا بإضافة عدة طبقات من الردم فوق الأرض قبل البناء، ونفذ العمال ما أمر به.
قاموا ببناء بيت ذا طابقين، لقد عانا العمال في بناء هذا البيت لقد استمر بنائه واعداده عدة أشهر، كان العمال يقومون ببناء جزء فيأتون في اليوم التالي يجيدون أنه ليس كما تركوه بالأمس...
لقد خاف البعض وترددوا ولم يأتوا وهذا أخر عملية البناء أكثر، بسبب خوف العمال من القدوم لهذا البيت.
تم الانتهاء من البيت بأعجوبة وها قد جاءت العائلة لكي تسكن في هذا البيت، إن حياتهم به كانت بخير لمدة أسبوع واحد فقط، ولكن بعد أسبوع بدأت الأم تشتكي لزوجها أنها تسمع من يطرق كثيرًا على الباب بالرغم أنها لم تقم بتكوين علاقات مع الجيران.
أنكر زوجها وقال لها أن هذا بفعل الرياح.
وازدادت كوابيس الأم وكل يوم تقوم مفزوعة مما تراه أثناء نومها.
ترى امرأة تخيرها بين الرحيل من البيت أو الموت.
ولكن زوجها رفض وقال لها كيف سيترك البيت الذي دفع به كل ما يملك ويرحل منه من أجل كوابيس.
وصارحها أنه كذلك يرى كوابيس ولكن لن يترك البيت أبدًا.
خرجت الأم ليلًا كي تشرب، فمرت أمام غرفة ولداها ذو الست والخمس أعوام وسمعت ضحكاتهما فقررت أن تدخل عليهما كي تراهما، ولكنهما كانا نائمين في سبات عميق.

وبمجرد أن أغلقت الباب والتفتت وهي تتمتم بأنها يخيل لها، رأت امرأة وجهها متحلل البعض والبعض لا، وذات جلد متعفن، مشعثه الشعر وصرخت في وجهها:
-ارحلي من هنا.
هنا أغمضت عينها وصرخت صرخة ففزع كل من في البيت، حينها استيقظا الطفلان في الغرفة وصارا يصرخان: "أمي، أمي".
حينها خرج الأب من غرفته كي يرى زوجته، وأخذها وفتح باب غرفة الأطفال ودخل هو وزوجته.
أخذ زوجته في حضنه وهما الولدان في احتضان أبيهما وصارا يبكيان على بكاء أمهما.
والزوج لا يفعل شيء سوى أنه يمسح على شعر زوجته كي يهدأ من حالها، وبعد أن كفت الزوجة عن البكاء مسحت دموعها باندفاع وقالت لزوجها وهي تمسك به:
-دعنا نرحل من هنا أرجوك، لن أستطيع أن أعيش هنا بعد الذي رأيته.
أخرجها زوجها من حضنه وقال لها بتوتر وغضب:
-ماذا بيدي أن أفعل...؟ ليس لدي حل سوى العيش هنا...
-سوف أخذ أولادي وأرحل من هنا سأذهب للعيش مع أهلي.
ازداد غضب زوجها وقال لها:
-يعني يكون لنا بيت وتريدين أن نكون عالة على غيرنا...!
رجعت مرة أخرى للبكاء وقالت:
-عالة عالة على الأقل أعيش في أمان.

اقترب منها زوجها وقال لها وهو يقوم بسحبها كي تقف ومن ثم لمس وجهها برفق:
-دعينا نشغل قرآن في البيت كي يبعد عنا هذه الكوابيس والهلوسة، سنتغلب على كل ذلك ولكن فكرة الرحيل أخرجيها من رأسكِ.
نظرت له زوجته بيأس ومن ثم التفتت لأولادها وأعادت كل منهما لسريره وقبلتهما وطمأنتهما.
وبالفعل قامت بتشغيل الراديو في التسجيل الخاص بها.
وبدأت بالاطمئنان بسماع القرآن في الراديو... ولكن هذه الراحة لم تدم كثيرًا... لأن الراديو قد انفجر تمامًا.
هنا قامت مفزوعة وتمسكت بزوجها الذي أخذ يهدئها ويوضح لها أنه أمر عادي...
ولكنها بدأت في البكاء وتترجاه كي يرحلوا...
من ثم وهي تنظر لزوجها لمحت المرآة يكتب عليها بالدم "الانتقام سيبدأ".
هنا صرخت سلمى لعاصم وهي تؤشر بيدها المرتجفة تجاه المرآة:
-أنظر يا عاصم أنظر التحذير...
هنا التفتت عاصم وهو ممسك بيدها وقال والدهشة قد رسمت على وجهه:
-لا يوجد شيء يا سلمى يا حبيبتي، يجب أن ترتاحي اهدئي.
ولكن صارت سلمى في حالة هيستريا وقامت من مكانها وقفت أمام المرآة وقامت بلمس الدم بعنف كي تري زوجها، ولكن

زوجها هم من السرير وضربها كف كي تفق من هذه الحالة ومن ثم أمسك يدها وقال لها بغضب كي تهدأ:
-اهدئي، ماذا تفعلين لقد جرحتِ نفسك...؟!
هنا بدأت سلمى في التقاط أنفاسها ونظرت له وقالت بهدوء كي توضح له وهي تبكي:
-لم أجرح نفسي، إنه الدم الذي على المرآة.
مسك عاصم يدها وجعلها ترى الجرح.
هنا دهشت سلمى وقالت وهي تذرف الدمع:
-لكن صدقني كان هناك تحذير أقسم لك.
ومن ثم فاقت من شرودها وسألته بحزن وهو يأخذها للسرير:
-ولكن كيف جرحت...؟
قام عاصم بإحضار مطهر من الحمام وشاش كي يعالج لها الجرح، ورد عليها وهو يتحرك:
-ألا ترين أن هناك كسر في المرآة، حدث أثناء نقلها لهذا البيت...؟!
همست سلمى وهي تتألم من المطهر الذي سقط على جرحها:
-اااخ، كان يوم أسود يوم ما انتقلنا إلى هنا.
هنا سمعا صوت أذان الفجر، هنا همس لها عاصم وهو يقوم بربط الشاش على جرحها ومن ثم هم واقفًا مقبلًا رأسها:
-لا تقلقي يا حبيبتي، كل شيء سيكون بخير بإذن الله.
ومن ثم جعل سلمى تتمدد على السرير ونام بجوارها.
هنا قامت سلمى مرة أخرى:
-لو تكرر موقف آخر أرجوك دعني أعود لأهلي في أسوان أنا والأولاد.

هنا قام عاصم بغضب وقال:
-سلمى، منذ قليل لم أرغب أن أوضح أمام الأولاد ها، أنتِ تفهمين جيدًا أننا لن نستطيع أن نعود مرة أخرى ولن نرى أهلنا.
أنتِ تعلمين جيدًا أنا فعلت المستحيل كي نبدأ بداية جديدة بهويات جديدة بعد الذي فعلناه.
ترددت سلمى وقالت:
-ولكن أمام القانون أنت الذي قتلت وسرقت مديرك الذي ظن أنك صديقه المقرب وأمن لك وأدخلك بيته وقال لك كل أسراره.
فتح عاصم علبة السجائر وأشعل سيجارة وقال بحنق:
-الدنيا غير عادلة يا سلمى، إنه يكبرني بعامين فقط وهو صاحب الشركة بالرغم أن الأفكار يستمدها مني.
هنا قالت سلمى بندم:
-آه يا رب لمَ طمعنا...! أنت كنت مساعد مدير، لمَ نظرنا لحال غيرنا، ها نحن ذا لم نهنئ قط بالمال.
-هذا ما حدث يا سلمى، أرجوكِ لا تذكري لي هذا الموضوع مرة أخرى، وفكرة الرجوع ممنوع، لأنكِ إن عدتِ سيصلون لي من خلالك.
بدأنا سويًا فلنكمل سويًا... أم أنتِ معي في الحلوة وفي المرة لا...!
نظرت له سلمى بحسرة ويأس وأردفت:
-معك...

ومن ثم تنفست بحسرة أكثر وأخذت تمدد جسدها على السرير ونظرت للسقف، وأكملت تمتمتها:
-معك يا عاصم للأبد.
في اليوم التالي كان الوضع هادئ نهارًا كالعادة، قررت سلمى ألا تشغل بالها بالكوابيس والهلوسة التي تراها من أجل أن تعيش في سلام مع عائلتها.
ها هما طارق وسالم طلبا منها أن يصعدا للسطح كي يلعبا لأنها ترفض أن يلعبان في الشارع.
سمحت لهما بساعة ومن ثم ينزلا.
وبعد ساعة قلقت عليهما وقررت أن تخرج تنادي عليهما فنظر لها سالم الصغير وطلب منها المزيد من الوقت... وافقت بمجرد أن رأت ضحكة ابنها أمامها.
بعد ساعة أخرى كانت مشغولة في تحضير الغداء لأن زوجها في الطريق...
ولكنها سمعت صوت شيء سقط من علٍ... وتوازى مع صوت السقطة صوت صراخ طارق.
تركت ما في يدها وهمت مسرعةً في ثوان وصلت للسطح.
حينها كان طارق ينظر لأسفل وبمجرد أن سمع صوت أمه التفت لها وهو يبكي واقترب منها وقال لها:
-لست أنا من فعلت ذلك أقسم لكِ.
هنا جرت سلمى تجاه السور فرأت ابنها الصغير غارق في دمه.
هنا لم تسمع لبكاء ابنها ولا لدفاعه عن نفسه، همت مسرعة في النزول...

احتضنت ابنها الذي سقط على صخرة حادة أمام البيت، هنا بدأت تصرخ وهي تضع رأسه في حضنها، أمسكت يده بيدها الغارقة في الدم وتقبلها وتضعها على وجهها وهي مجهشه في البكاء وطارق يجلس بجوارها ويبكي معها، ولكن فجأة توقفت سلمى عن البكاء وسألت طارق بغضب مكتوم:

-لمَ فعلت ذلك بأخيك لمَ...؟

-أقسم لكِ يا أمي لم أفعل ذلك، بل جواد هو من فعل ذلك.

هنا نظرت له أمه بدهشة وسألته والدموع تنهمر من عينها:

-من هو جواد...؟!

-طفل في عمر سالم تقريبًا كان يأتي للعب معنا منذ أن أتينا لهذا البيت.

حتى في اليوم الذي فتحتي علينا الباب في الليل كان هو من يلعب معنا، وهو الذي أخبرنا أنك قادمة فتصنعنا النوم.

أخذته في حضنها وقالت له بندم وهي تبكي:

-لمَ لم تقل لي هذا يا طارق...!؟ لمَ...؟

-جواد قال لنا ألا نقول لكِ لأنك ستمنعيننا من اللعب معه.

أخذت جثة ابنها ولم ينتبه أحد للحادث حتى، المنطقة هادئة جدًّا والناس كلهم في بيتوهم وفي حالهم تمامًا وخاصة أن الوقت اقترب على المغرب وهذا وقت عدم تواجدهم بالفعل.

صعدت لشقتها كي تتصل بزوجها وتقول له ما حدث وهي تبكي وهي تتجه ناحية المطبخ كي تغلق على الطعام الذي تركته.

ولكن قبل أن تغلق الغاز... شعرت بوخز في ظهرها...

فالتفتت مسرعة مفزوعة باكية، رأت ابنها طارق عينه حمراء وممسك بسكين ويبتسم لها، هنا تراجعت بظهرها ناحية موقد الغاز وتؤشر له بيدها ألا يقترب منها.
ولكنه بدأ يقترب منها ببطيء وعلى وجهه تلك الابتسامة التي زرعت في قلبها الفزع منه.
ولكن سرعان ما قطع خوفها اصطدامها بطنجرة الطعام التي سقطت على جسمها، الحساء الساخن جعلها تصرخ بشدة وفقدت تركيزها مع طارق، استغل طارق لحظة إنحنائها عندما سقط عليها الحساء الساخن، فقام بطعنها في ظهرها...
فسقطت غارقة في دمها.
هنا اقترب طارق وقام بفتح باقي الغاز، وقام بغلق كل منافذ الهواء في البيت، ومن ثم عاد يجلس بجانب أمه وجثة أخيه.
بعد نصف ساعة وصل عاصم البيت، بعد أن استغرب من الدم الموجود أمام بيته، ولكنه بمجرد أن دخل نادى على زوجته ولكن لا يوجد رد، قرر الدخول غرفته كي يغير ملابسه، وبعد أن غير ملابسه قرر أن يشعل سيجارة وهو ينادي مرة أخرى وهو متعجب من هدوئها هي والأولاد.
ولكن تفكيره لم يدم كثيرًا، لأن في ذات الحظة حدث انفجار كبير في البيت، جعل البيت يرتجف تمامًا فأنكسر ما به من أبواب ونوافذ وأمسكت به النيران.
على صوت الانفجار تجمع الجيران عند البيت واتصلوا بسيارة المطافئ كي تطفئ هذه النيران ولكن لم يتمكنوا من إطفاء النيران إلا بصعوبة، ولم يجدوا أي جثث من سكان البيت...

وظل هذا البيت مهجور.
اكتفت فريدة لهذه النقطة وقالت في قرارة نفسها:
-إن الحرام لا يدوم أبدًا والله لا يرضى بالظلم، ولكن ما ذنب الأطفال...! أووووه، أكيد للرب حكمة في كل هذا.
من ثم قررت أن تعود للحظة الذي كانت فيها مع فارس وتوقفت عند اللحظة الذي طلب منها المساعدة.
ها هي فريدة أمام فارس وتقول له بثقة:
-طبعًا سوف أساعدك يا فارس، لقد تخلى العالم كله عنك، ولكن لن اتخلى عنك أبدًا يا فارس.
طلبت فريدة أن ينتظر بضع دقائق، ذهبت لبيت جدها والكل نيام وأحضرت أدوات تساعدها على الحفر فأسين وجارفين حفر.
طبعًا دخلت البيت كطيف وعندما نزلت أكملت التمويه على الأشياء التي تحملها كذلك.
أول ما وصلت البيت تعجب فارس لما رآه معها، سألها بتعجب:
-ما هذا يا عجيبة...!
-لا تسألني كثيرًا فقط اتبعني.
هنا نظر لها فارس بضجر وأردف:
-مكتوب عليّ ألا أفهم شيء في حياتي.
شعرت فريدة بأسف تجاهه واعتذرت له وأردفت موضحة:
-إن الموضوع طويل يا فارس، وليس لدي وقت، أريد أن أنهي هذا الأمر ومن ثم سوف أفهمك كل شيء.

ولكن كي تفهم سوف ننزل للطابق الأول، وفي الغرفة الموازية لهذه الغرفة سوف نبدأ بتكسير الأرضية والحفر.
ازداد تعجب فارس وتسأل:
-لماذا يا عجيبة فهميني...!؟
-كي نخرج بقايا جثة ونقوم بحرقها كي تتخلص من الأذى الملاحق بك.
-لا أفهم شيء...!
-أرجوك، هذا ليس وقت للفهم، أريدك أن تثق بأني سوف أساعدك وكفى.
اقترب منها فارس ونظر لها بحنو:
-أثق بكِ يا عجيبة.
ابتسمت له فريدة ومن ثم أخذا الأدوات ونزلا.
همت فريدة تمسك بفأسها كي تساعد في التكسير ولكن فارس طلب منها أن ترتاح وهو سوف يتكفل بالقيام بكل شيء لأنه معتاد على هذا... ولكن فريدة رفضت وأعلنت الرغبة في البدء حتى ولو المساعدة بالقليل خوفًا من ضياع الوقت.
ها هما بعد أن بدءا في الحفر ارتجف البيت رجفة قوية اسقطتهم أرضًا.
فقام فارس وساعد فريدة في القيام من مكانها ولكن سرعان ما لمست فريدة خاتمها وقامت بتشغيل القرآن والرقية والأذكار التي سجلها الشيخ منصور.
هنا سألها فارس متعجبًا:
-ما الذي حدث يا عجيبة...؟
همت فريدة بإمساك الجاروف الآخر وقالت له مسرعة:

-هيا يا فارس أكمل معي بسرعة أرجوك.
هم فارس بكل ما أوتي من قوة يحفر والرجفة تزداد أكثر...
فارس يعيد تسأله بعد أن زرع الرعب في قلبه:
-ما الذي يحدث يا عجيبة فهميني...!
ردت عليه فريدة وهي تلهث من شدة الحفر:
-ردد مع القرآن يا فارس، ردد ما تسمعه أرجوك.
بدءا في ترديد القرآن وها هما قد وصلا لبقايا الجثة، وبمجرد أن هم فارس برفعها كما طلبت منه فريدة... سقطا أرضًا من قوة الاهتزاز، فسقطت الجثة على فارس فرماها مسرعًا عنه وقام مفزوعًا، قامت فريدة مسرعةً وأخذت الخشب والقماش الذي أحضرته من الشقة التي كان بها فارس، ورمتهما على الجثة، ومن ثم التفتت نحو فارس واليأس قد رسم على وجهها وأردفت:
-نسيت أن أجلب ولاعة.
نظر لها فارس في حيرة وأردف:
-وماذا سنفعل الآن...؟
هنا تذكرت فريدة وقالت لفارس:
-أنت قلت لي أنك قبل أن تأتي هاربًا إلى هذا البيت لقد قابلت جواد قبل أن تقتله، وكان جواد يدخن...!
هز فارس رأسه أن نعم.
طلبت منه أن يبحث في جيبه، وبالفعل لقد وجدها.
فأخذتها منه وأعطته ظهرها وهمت بإشعال الجثة، ولكن سرعان ما تلقت ضربة قوية من الخلف اسقطتها أرضًا بعد أن اصطدمت في الجدار الذي أمامها.

هنا التفتت فريدة ورأت فارس قد احمرت عيناه وقال متهكمًا:
-ها قد حفرتِ قبركِ بنفسك يا فريدة أو أقول لكِ مثل أخي الأخرق يا عجيبة... استعدِ لنهايتكِ.
تمالكت فريدة قواها وقامت وهي تقول بغضب:
-بل إنها نهايتكِ أيها الشيطان.
هنا بدأت فريدة بجعل الصوت أعلى من خاتمها وبدأت في ترديد القرآن بحزم وهي تقترب منه.
هنا صار جسد فارس يرتفع في الهواء وتعالت الضحكات التهكمية على فريدة، ولكن فريدة لم تعبأ بتهكمه ولم تخف من ارتفاعه في الهواء.
وأخذت تردد بكل يقين الآيات، ولكن فجأة خرج من الأرض أشباح.
شبح عليا وسلمى وعاصم والولدين الصغيرين.
احاطوا بها...
هنا فريدة أوشكت على الصراخ فزعًا من قبح أشكالهم.
ولكنها تذكرت الشيخ منصور وأن عليها ألا تتراجع...
لأنها إذا تراجعت أو خافت سوف يتمكنوا منها.
ولكنها بسرعة ارتفعت في الهواء وأخرجت من جيبها قارورة مياه صغيرة، وبدأت برشها على كل من في الغرفة وهي تردد رقية طرد الشيطان، وبالفعل بدأت الأشباح في الصراخ والاحتراق الذاتي إلى حد الاختفاء.
وبمجرد ما قطرات الماء اللاتي قرأ عليها القرآن والرقية الشرعية التي قامت فريدة بتحضيرها أثناء انتظارها وقت

التجربة، بمجرد أن سقطت على وجه فارس صرخ بقوة وبدأ وجهه في التآكل.
ومع قوة الصرخة تحرك بسرعة وأمسك بفريدة وقام بضربها تجاه جدار الغرفة، فسقطت من علٍ تتأوه من أثر السقطة، فرفعها فارس من شعرها في الهواء ويقول لها متهكمًا:
-تظنين أنكِ ذكية يا فريدة...! أنا من تركتكِ لكي تصلي لهذه النقطة والآن سيبدأ العقاب.
أمسك يدها التي ترتدي بها خاتم هاتفها النقال، من ثم بدأت تخرج من عينه شعاع أحمر حارق فشعرت فريدة بحرارته قبل أن يصل ليدها.
كانت فريدة برغم آلامها تنظر له بتحدٍ وقبل أن يكمل كلامه، فعلت في الجهاز خاصية الطيف، فتخلصت من قبضة فارس الذي تلبسه جواد.
في خلال ثوان كانت فريدة طيف ولكن تلك الثواني كانت كفيلة أن تدمر الأشعة خاتمها واحتراق أصبعها.
ولكنها لم يكن لها وقت كي تتألم.
طارت في الهواء كطيف أمامه بغضب وهي تخرج من تحت ملابسها سلسلة لفظ الجلالة الله وأمسكتها وقالت له بحزم:
- لقد تمكنت من إسكات صوت خاتمي، ولكنك لن تتمكن مني.
هنا هم بالهجوم عليها، ولكنها اختفت تمامًا فأرتطم جسد فارس المادي في الجدار...
فقالت له وهي ما زالت رافعة لفظ الجلالة الله في وجهه:
-اترك جسد فارس يا جواد... وهيا واجهني جسد أثيري مقابل جسد أثيري واخرج فارس من هذا القتال.

هنا ضحك جواد متهكمًا وقال وعينيه تشتاط نارًا:
-نهايتي تعني نهاية فارس.
-إن لم تخرج منه يا جواد سوف أخرجك أنا... وبدأت بقراءة القرآن مع تقريب السلسلة تجاه فارس...
هنا بدأ فارس في تشنجات على الأرض، وجواد بداخله يصرخ بصوت أجش ويقول:
-لن أخرج منه، وإن خرجت ستكون نهايته.
بدأت فريدة تستغل تشنج حركته أرضًا وبدأت ترش على جسده ما تبقى من الماء.
بدأت الحروق تبرز على جسد فارس، بل وقطرات الماء بدأت في تمزيق ملابسه أي كأنها نار تلتهمها...
ولكنها برغم بكائها وخوفها على فارس أكملت ذكرها.
هنا بدأ الجسد في التشنج أكثر والارتفاع بشكل أفقي في الهواء.
وتكرر الصوت الأجش من بعد الصراخ:
-اتركيني، حرريني وسوف أترك فارس يعيش في سلام ولن أؤذيكِ أبدًا.
قررت فريدة ألا تثق في ابن ابليس ذا... وأكملت ترتيلها للآيات.
هنا اشتد الصراخ أكثر وأكثر وارتجف البيت من قوة الصوت...
ولكن فريدة ظلت متماسكة عندما بدأت ترى الدخان يتصاعد من جسد فارس.
علمت حينها قد أوشكت على التمكن منه.

بدأت فريدة تكرر الأذكار بصوت أعلى، وهنا سمعت صوت جواد:

-سوف تندمين على فعلتكِ.

ولم يكمل كلامه لأنه صرخ صرخته الأخيرة.

في تلك الثانية سقط فارس من علٍ...

وهنا كانت الصدمة.

*****

الفصل الحادي عشر

النهاية

في نفس اللحظة التي تمكنت فيها فريدة من التمكن من جواد سقط فارس في غمضة عين.
ولكنها لم تكن مجرد سقطة عادية...
سقط فارس على الفأس الذي كان يحفر به...
طعن فارس بالفأس بقرب من قلبه.
هنا سقطت فريدة بجواره صارخة وهي تضع يدها على صدره الملطخ بالدم...
حاول فارس أن يفتح عينيه وقال بصعوبة بالغة:
-أشكركِ على ما فعلته من أجلى يا عجيبة...
أتمنى لو أراكِ في الحياة الآ...
لم يكمل كلامه ومات، مات وعينيه في عيني فريدة.
هنا صرخت فريدة وهي تبكي:
-أرجوك لا تتركني يا فارس، لقد فعلت المستحيل كي تكون معي... لمَ رحلت عني لمَ...؟
مالت فريدة على صدر فارس وبدأت تبكي بقوة وهي ممسكة به، رافضة فكرة رحيله عنها...
جلست فريدة بجوار فارس تبكي ومن ثم شرد ذهنها إلى أن تحولت الجثة إلى مجرد رماد...
أخذت الرماد كما طلب منها الشيخ منصور ونقلت نفسها للإسكندرية وقامت برميه في البحر، ما زالت تبكي وبدأت

تشكي للبحر حالها وتندم على حظها العاثر لأنها إذ تعلقت بشيء تخسره.
الآن فريدة تنظر للبحر وتسأل ماذا عليها أن تفعل الآن...!
قررت أن تعود للحظة التي ودعت فيها رانيا والشيخ منصور كي تحكي لهما ما حدث.
وقفت أمامهما وقالت لهما باكيةً:
-لقد فعلت كل شيء كما قلت لي وتخلصت من جواد ورميت الرماد، ولكن فارس لقد مات، أنا السبب في موته، أنا السبب.
واجهشت في بكاء هيستيري وسقطت أرضًا، جلست رانيا بجوارها وأخذتها في حضنها وأخذت تنظر للشيخ منصور وهي تربت عليها.
تكلم حينها الشيخ منصور مهونًا عليها:
-يا بنيتي الموت لا يوجد أحد يمكن أن يكون هو السبب به، الموت مقدر ومكتوب لنا في يوم سوف نموت فيه، مهما حاولنا ومهما غيرنا الوضع، قد تختلف طريقة الموت، ولكن في النهاية سوف يقع الموت.
يعني إن لم يمت فارس أمام عينيكِ، لكان مات بمفرده، أو مات في المستشفى وكله في نفس اليوم.
أنتِ تعلمين أن هناك أرواح تظل معلقة في هذه الحياة رغبة في الانتقام ومن ثم ترحل.
بكت فريدة وقالت بيأس:
-وما فائدة كل ما مررت به... ما حكمة الله في كل هذا...؟ ما دام جواد كان يرغب في الانتقام من فارس ويرحل عن هذا العالم.

-الله يا بنيتي كل شيء يفعله لحكمة، إن جواد لم يكن مجرد روح عادية، أكيد لم يكن سيكتفي بالانتقام من فارس وكفى، بل كان سيظل في الحياة ويشيع فيها الفساد، وهذا ما شاهدتيه بنفسك...

لا تعترضي على قدر الله يا بنيتي، أنتِ فعلتِ ما عليكِ وسوف تري حكمة الله فيما بعد.

بعد أن تمالكت فريدة نفسها ومسحت دمعها، ودعتهما، وقررت أن تعود بالزمن ورأت ما حدث لفارس في حياته لو كانت هي لم تظهر له من الأساس.

بالفعل رأت فارس يتعرض للتعذيب تحت يد جواد، مقيده ويحرق في جسده، ويسلخ جلده عن جسمه وهو على قيد الحياة، ومن ثم بدأ في تقطيع أجزاء جسمه، وفي كل مرة يغمى على فارس ينتظر جواد كي يفق من جديد ويستمر في تعذيبه إلى أن مات فارس من شدة الألم والعذاب.

هنا فريدة خرجت من البيت وسألت نفسها بندم:

-آه كيف لم يأتِ في بالي أن أرى مصير فارس...!

لا تندمي يا فريدة، كل شيء كان لحكمة، قدر الله ما شاء فعل، على الأقل مات فارس موتة أكثر رحمة مما مات عليها.

ويمكن بالفعل لقد خلصت العالم من شر جواد ابن لوسيفر.

مسحت فريدة دمعها الذي صارت غير قادرة على التحكم به.

قررت أن ترى ما كان مصير هذا البيت بعد موت فارس.

ها هي تمر بالزمن سريعًا لأنها لا ترى أحداث مهمة.

قررا أبيها مراد وأمها أن يعرفا حقيقة هذا البيت، لأن مراد قرر أن يشتريه إن عرف له صاحب ومن ثم يقوم بإعادة بناءه.

بمجرد أن دخل مراد البيت رأى شبح امرأة غاضبه ومعها ولديها الاثنين وقالت له غاضبة:
-اخرج من بيتي.
هنا التفت مراد وأخذ وتين من يدها، فقالت له بتوتر:
-ماذا حدث يا مراد...! نحن ما زلنا لم نصعد الدرج حتى... لا تقول لي أنك خائف... أنت قلت لي أنك لا تؤمن بهذه التخاريف.
استمر في سحبها إلى أن خرجا دون أن ينبس ببنت شفة وقال لها:
-كل ما في الأمر أني عدلت عن رأيي سنعيش في القاهرة.
-ولكنك قلت لي أننا سنعيش هنا من أجل أهلي وأهلك...!
-وتين هذا قراري، أرجو عدم فتح الموضوع مرة أخرى.
ومن ثم ظل البيت مهجور بالفعل.

***

أخذت فريدة تفكر:
-هذا ما حدث قبل أن أغير الأحداث وتخلصي من الأرواح الساكنة في البيت.
هذا معناه إن عدت للزمن بعد تغيري فيه، هذا يدل على أن أبي وأمي سيذهبان للبيت وأبي لن يرى تلك الأشباح ويمكن أن يعيد بناء البيت.
ولا أدري ما يمكن أن يحدث إن غيرت جزء من حياتي.
آوه ماذا عليّ أن أفعل الآن...؟
قررت فريدة أن تكون في البيت في اليوم الذي سوف يأتي فيه أبيها وأمها.

وعندما دخلا الاثنان، قامت فريدة بطلق شعرها وغطت به وجهها وطارت في الهواء كطيف وقالت لهما محذرة صارخة أن يخرجا من البيت.
وبالفعل لقد صرخت وتين من خوفها فاحتضنها مراد وخرجا مسرعين، وقررا سويًا إلغاء فكرة هذا البيت تمامًا.
هنا ارتاحت فريدة أنها اطمأنت أنها لم تغير شيء في حياة والديها.
قررت أخيرًا العودة إلى جثة فارس تنظر له بحسرة باكية وتسأل:
-ماذا سأفعل بجثتك يا فارس...! هل سأدفنك هنا...! أم ماذا عليّ أن أفعل...!
قررت فريدة العودة لبيت فارس في شبرا... وبالفعل رأت أمه رحاب تعيش بمفردها في شقتها.
قامت الأم مفزوعة من نومها، صارخةً:
-فارس... أين أنت يا ولدي...!
همت مسرعة الخادمة على صوت رحاب ودخلت الغرفة واعطتها كوب ماء ودواءها المهدأ.
من ثم قامت رحاب بلم شعرها الحريري الذي اختلط به الكثير من الشيب وبدأت تنادي بحسرة:
-آه أين أنت يا فتحي...! وأين أنت يا فارس.
بدأت الخادمة تهدأ من حالها، هنا قررت أن أخرج وأطرق باب شقتها وأخبرها بمكان ابنها.
بالفعل دخلت فريدة وقالت لها على مكان فارس.
فسألتها رحاب بلهفة غير مصدقة:

-ابني فارس، أنتِ تعرفين فارس حقًا...! كيف عرفتِ مكاني وكيف عرفتِ مكانه...؟!
هنا ظلت فريدة ساكتة لم ترد.
فكانت كلما سكتت سألت رحاب المزيد من الأسئلة.
فجأة قررت فريدة أن ترحل دون أن ترد لأن عينها بدأت تبكي على لهفة أم فارس.
وبمجرد أن خرجت وغلقت الباب وراءها...
هنا حاولت رحاب أن تلحق بها وفتحت الباب... ولكنها لم تجدها...
طبعًا اتصلت رحاب بشرطي تعرفه معرفة شخصية وابلغته بمكان فارس.
وبالفعل عثرت الشرطة على جثته وتم نقله للمستشفى في القاهرة.
هنا اتصل بها الشرطي وأخبرها بمكان ابنها.
وتم اللقاء بعد غياب دام لتسع سنوات.
قررت أن تدفنه في حديقة بيتها الموجود في السادس من أكتوبر...
وقررت أن تستقر هناك، هي وابنها فارس.
أغلب جلوسها صار في الحديقة أمام قبر ابنها الذي تحكي معه طول الوقت وكأنه يسمعها.

*****

عادت فريدة إلى حياتها مرة أخرى...
هنا وقفت أمام مرآتها وشرعت في البكاء على فراق فارس، هناك صوت بداخلها يقول لها:

-لمَ تبكين على فارس لهذا الحد، حتى وإن كان ظل على قيد الحياة لكان في الوقت الحالي رجل تخطى ٣٨ عامًا ويمكن أن يكون لغيرك.

هنا نظرت للمرآة وقالت بندم:

-على الأقل سيكون على قيد الحياة.

هنا بدأت تشعر أن قدمها لا تستطيع أن تحملها فقررت أن ترمي نفسها على السرير.

وهنا لم تشعر بشيء سوى في صباح اليوم التالي، سمعت من يطرق على شرفة غرفتها.

قامت مفزوعة بسبب قوة الطرق...

فتحت عينيها رأت أن ليندا واقفة غاضبة، فهمت بفتح الشرفة فدخلت ليندا وسألتها بلهفة:

-لمَ هاتفك مغلق يا فريدة...؟

هنا نظرت ليندا ليد فريدة وقالت صارخة بدهشة:

-ماذا حدث ليدكِ...؟

عادت فريدة للسرير وتمددت وقالت بتعب:

-حادث بسيط، لا تشغلي بالكِ.

قررت ليندا أن تهتم بفريدة وأن تقضي معها أسبوع حتى يتحسن حالها.

وبعد ذلك عادت فريدة لدراستها ولأصدقائها... ولكن مع شرود كثير في أغلب الأحيان.

*****

تمر السنين وها هي فريدة وليندا قد تخرجتا، ولكن توماس قد قرر أن يسافر أمريكا بعد أن يأس من محاولاته في اقناع فريدة.
قرر أن يبعد ويعتزل ما يؤذي قلبه ما دام لا يستطيع الحصول عليه.
بالفعل إن لم يكن بإمكانك شراء قطعة الحلوى فلا تظل واقف أمامها، لأن هذا سيزيد الأمر سوءًا.
قامت فريدة بافتتاح عيادة للعلاج النفسي هي وليندا، باختلاف مواعيد الدوام.
كانت فريدة تحب عملها جدًّا، لأنها تشعر بلذة رهيبة عندما تتمكن من شفاء مرضاها من عقدهم النفسية.
وفي يوم بعد أن أكملت دوامها الليلي قررت أن تغلق العيادة...
فكتبت الرقم السري على مقبض الباب، ولكنها شعرت بأن هناك صوت طقطقة حذاء يأتي من خلفها.
التفتت مسرعة فرأت شيء جعل ضربات قلبها المتسارعة تنبض أسرع...
ولكنها سمعت صوت جعلها تلتقط أنفاسها وعلى ملامحها علامات الاندهاش:
-هل يوجد أحد بداخل العيادة...؟ كنت أرغب في استشارة سريعة.
ظلت فريدة مذهولة مما تراه عيناها.
نظرت له من أخمص قدميه لأعلى رأسه، هو، إنه هو...
فارس، نفس الطول، العرض، العضلات، الشعر الناعم

الطويل ولكنه قام برفعه لأعلى، نفس اللحية، لكن الفرق العين لونها رمادي اختلط بالأخضر.
ولكن سرعان ما أفاقت من شرودها وقالت:
-لقد انتهى الدوام و...
هنا أزاح الشاب نظره وقال معتذرًا:
-آوه، حسنًا، شكرًا لكِ.
وهَم بالنزول ولكن فريدة أوقفته وقالت له بلهفة:
-ولكن يمكنك أن تسألني عما تريده، أنا الطبيبة التي أعمل هنا.
نظر لها وارتسمت على وجهه ابتسامة وسألها:
-أسألك هنا...!
توترت فريدة وقالت له ضاحكة:
-آوه، كما تشاء، إن كنت ترغب في دخول العيادة لا أمانع.
ابتسم وقال لها:
-سأكون سعيد إن دخلت العيادة، ولكن سأكون أسعد إن قبلتِ دعوتي لاحتساء القهوة.
لم تتردد فريدة ووافقت وهي في قمة سعادتها...
ارتسمت السعادة على ملامحه عندما وافقت فريدة.
نزلت فريدة معه ومن حين لآخر تخطف نظره له وتقول في قرارة نفسها:
-أنه هو، هو بالضبط.
نظر لها نظرة تعجب ولكن سرعان ما ابتسم... هنا أكملت فريدة تساؤلاتها لنفسها:

-آوه يا حمقاء كيف توافقين على الخروج معه بهذه السهولة...؟ ولكن كيف لي أن أرفض هذه الفرصة بعد غياب قد طال أكثر من ثمان سنوات.

أحقًا هو...؟ آووه كيف يكون هو...! إذا كان على قيد الحياة لكان عمره تجاوز ٤٦ عامًا.

هنا وصلا أمام باب العمارة فقطع شرودها صوته وهو يفتح باب سيارته لها:

-هل يمكن أن تتفضلي يا...؟!

-فريدة، فريدة يا...!

-زين... اسمي زين تاج الدين.

دخلت فريدة السيارة وهي تبتسم ومن ثم جلس هو في مقعده فبدأت فريدة فالكلام:

-إذا أنت عربي مثلي.

-آوه، أنتِ عربية كذلك.

- نعم، أنا مصرية.

-وأنا فلسطيني.

هنا شردت فريدة وقالت لنفسها:

-ليس هو يا فريدة، ولكن الشبه بينهما رهيب.

هنا زين قرر أن يكسر حاجز الصمت ويعرف عن نفسه:

-أنا مهندس ديكور، عمري ٢٦.

هنا دهشت فريدة وقررت أن تسأله:

-إذن ما برجك...؟

-أنا برج العقرب لقد ولدت يوم ١١-١١-٢٠١٩

هنا بدأت فريدة عينها تزرف الدمع لأن هذا هو اليوم الذي مات به فارس.

تعجب زين وقال لها محاولًا تغيير الوضع ممازحًا:

-لم أكن أعرف أن برج العقرب بهذا السوء، يمكنكِ أن تعتبريني جوزاء إن أحببتِ.

ولكن سرعان ما ارتسمت الضحكة على وجه فريدة ومسحت دمعها وهي تقول:

-لا أرجوك هذا أسوأ.

أخذا يتكلمان سويًا ويضحكان إلى أن وصلا مقهى راقٍ جدًّا، جلس زين أمامها سارح في ملامحها، فقررت فريدة بعد أن ابتسمت له أن تسأله:

-ها، قل لي يا زين ما هي استشارتك التي كنت ترغب في معرفة حلها...؟

ضحك زين ضحكة هادئة كشفت عن اسنانه الناصعة المتساوية وأردف:

-لم يعد هناك أي استفسار بخصوص أي شيء، لقد حلت المشكلة.

هنا ضحكت فريدة ونظرت له بتعجب وسألته:

-لا، بل قل لي ماذا كنت تريد أن تعرف...؟

-لا شيء، كل ما في الأمر كوابيس تراودني كل ما أفكر أن ارتبط.

في ذات الليلة أحلم بتلك الشابة التي قررت أن أوافق على الارتباط بها أراها بشكل قبيح، فبمجرد أن استيقظ أشعر أن قلبي غير مرتاح لها فأقرر الانفصال قبل البدء في الارتباط من الأساس.
-هل يمكن أن أعرف هل هن من يبدأن في خطوة الارتباط أم أنت...! وكم مرة تكرر هذا الأمر معك.
-هذا الأمر تكرر معي ست مرات، ستة هن من أصررن أن أرتبط، مع الإصرار أقرر أن أعطي فرصة خاصة أنهن لم يكن في أي منهن أي عيب، ولكن قلبي حقًا لم ينجذب إلهين. ولكن عدد المعجبات بي اللاتي ليس لديهن الجراءة على الإصرار والمواجهة فهن عددهن لا أستطيع ذكره.

ابتسمت فريدة وهي ترفع أحد حاجبيها وأردفت:
-الآن تأكدت أنك عربي.
ضحك زين وقال لها مؤكدًا:
-أقسم لكِ هذا ما حدث، فكان استفساري ما هو سبب رفضي الكامن بداخلي للارتباط، لمَ لا أنجذب لأي امرأة وإذا فكرت أرى تلك الكوابيس التي تجعلني أغلق الموضوع تمامًا.
أرجو أن لا تقولي لي بسبب الخوف من تحمل المسؤولية.

أنا شخصية جادة جدًّا ومتحمل المسؤولية... أوه هل تفهمين قصدي...؟!
هنا هزت فريدة رأسها مؤكدة:
-طبعًا أفهمك جيدًا ولكن أحب أن أسمع منك أكثر.
تحولت ملامح الجد من على وجه زين لابتسامة:
-لا يوجد ما أحكيه يبدو أن علاجي كان رؤياكِ وكفى.
ضحكت فريدة وقالت له:
-فلننتظر للغد ونرى نتيجة رؤياي، وفي حالة عدم جدوتها سنبدأ في جلساتنا.
في اليوم التالي اتصل بها زين وطلب منها أن يتقابلا ضروري، تقابلا في نفس المقهى بعد انتهاء دوامها، نظر لها زين من بعد صمت طول الطريق وقال لها:
-لقد رأيتكِ في منامي بالأمس...
-وكيف كنت...؟
-كنتِ ترتدين فستان وردي وجئتكِ أنا على حصاني البني الذي أملكه بالفعل، وأخذتكِ خلفي وكنا سعداء.
ابتسمت فريدة وأرفدت:
-أوه إن هذا أشبه بالخيال.
-حتى لقائي بكِ كذلك كان خيال، كنت عائدًا من عملي فرأيت لافتة عيادتك المضيئة فقررت أن أصعد وأريح عقلي...
صعدت كي أريح عقلي من التفكير ولكن لقد ارتاح قلبي كذلك.
*****

في بداية الأمر فريدة لم تكن تتخيل أن ترى فارس أو شخص يشبهه إلى هذا الحد، بدأت تسأل نفسها، هل تناسخ الأرواح حق...؟!
هل بالفعل عندما يموت المرء منا يعود من جديد للحياة...!
ولكن التناسخ يكون تناسخ روح فقط لا القلب والقالب.
استغفرت ربها عن هذه الفكرة الغير مذكورة في ديننا، وقررت أن تحمد الرب على هذه النعمة.
هي تعلم جيدًا أن يوجد لكل منا أربعين شبيهًا هكذا يقولون، ولكنها متأكدة أنها لولا المغامرة التي فعلتها مع فارس لما كانت تعلقت به هو ولا حتى بزين...
سبحان الرب المدبر في اختيار أقدارنا.

*****

مرت الأيام بل الشهور إلى أن مرت سنة.
أغلق زين المكالمة مع فريدة بعد أن اتفق معها أن يسافرا في الصباح إلى مصر كي يتعرف على والدتها ويبدئا في ترتيب أمور الزواج هو وفريدة.
استيقظت فريدة من نومها وهمت بخلع سلسلة لفظ الله قبل دخولها الحمام كي تتأهب لسفرها...
من ثم خرجت فريدة من الحمام وهي ترتدي روب الاستحمام، ولكنها رأت شيء جعلها تفزع...
لقد رأت زين جالس على سريرها.
قالت له بدهشة وتعجب:
-كيف دخلت إلى هنا يا زين...؟!

بدأ زين يقترب منها وعلى وجهه ابتسامة زرعت الرعب في قلب فريدة وهي تتراجع للوراء، أخذ يهمس لها بصوت أشبه بالفحيح:

-إنه روبوت قلت له أني لي موعد مسبق معكِ، وهو سبق شاهدني معكِ، لذا لم أجد مشكلة.
هنا سمعت فريدة صوت خاتمها وبمجرد أن لمست الحجر الخاص به انبثقت الشاشة وظهر اسم زين...
هنا نظرت له وقالت في قرارة نفسها وهي ترجع للوراء:
-إن كان زين هو المتصل... من الذي أمامي...؟
هنا سمعت فريدة صوت قهقهة اتبعها صوت أجش:
-ألم أقل لكِ أن نهايتكِ على يدي...؟
هنا برزت على رقبته علامة شعله...
حينها فريدة صرخت عندما علمت صاحبها.
وهنا أنقض عليها و.....

*****

النهاية

اقلب الصفحة ضروري هناك نقطة

أخيرة...

تعليق المؤلفة

هل تظنون أني أقوم بكتابة رواية ذات نهاية مفتوحة...؟
حاشا وكلا...
كم أمقت هذه النهايات يا أصدقائي... إنها تؤلم قلبي.
إن هذه رواية فريدة فكيف لها أن تموت وهي من سردت لي كل التفاصيل.
دعوني أكمل لكم...
استيقظت فريدة على صوت هاتفها وهي مفزوعة تحاول التقاط أنفاسها...
حمدت الرب أنه مجرد كابوس ليس له أي علاقة بالواقع...
ما زالت فريدة تعاني من كوابيس ولكن برغم ذلك لا تأخذ مهدئات...
معروفة "طباخ السم لا يذوقه"... أو كما يقولون بالمصري "باب النجار مخلع".
دكتور السمنة في بعض الأحيان سمين... ودكتور الأسنان أسنانه غير مرتبه... ودكتور العيون يرتدي النظارة...
والدكتور النفسي مريض ن... لا لن أكمل فريدة سوف تحزن مما سأقوله... دعوني أكمل لكم.
ردت على زين وهي تقول له بصوت منهك:
-سأكون على استعداد على الموعد...

*****

ولكن مغامرات فريدة لم تنتهي وما زالت في جعبتها الكثير من المغامرات الغامضة.

انتظروا الجزء الثاني من رواية "أولاد لوسيفر".

لا تنسوني من دعواتكم لي بالتوفيق ولكم بالمثل.

تمت بحمد الله

2022-6-6

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

الخناس

الجزء الثاني من (أولاد لوسيفر)

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

إهداء

إهداء إلى والدي البرو فيسور رمضان عبد الله، أهدي

إليك عملي التاسع وأنا أشعر بألم رهيب يجتاح صدري

لأن هذا هو عملي الأول بعد رحيلك.

بعد رحيلك فقدت شغفي ولم أعد تلك الفتاة المفعمة

بالطاقة، لا أدري لم انطفئت شمعة شغفي برحيلك...!

بل الحقيقة لم تنطفئ شمعتي فقط

بل أنا انكسرت كذلك.

هل تتوقع يا أبي أن رانيا تنكسر

وتعترف بهذا الاعتراف على الملأ.

أنت من علمتني القوة وفي وجودك لم يكن يهمني

فقدان أي شيء، لا فقد الأصوقاء أثربي ولا فقد الأحبة

شق لي قلبي ولا فقد المال شغل بالي، كان بداخلي
يقين أن أي شيء أفقده بسهولة
يمكن أن أعوض بغيره،
ما أكثر الأصدقاء والأحبة ومصادر المال، إلا أنت لا يمكن
أن تعوض، لا يوجد لك بديل يا أبي.
كنت أظن أني قوية إلى يوم فراقك حينها ذقت معنى
الألم ولم أعد قادرة على الوقوف، شعرت حينها أن كل
معاني ومصادر القوة تخلت عني.
بعد رحيلك ومرور الشهور على موتك بقيت أنا محاي
سر لا أحرك ساكنًا، اكتشفت أنك لست مصدر قوتي فقط
بل مصدر شغفي كذلك.
كنت أتحدى نفسي كي أقوم بإكمال عمل جديد قبل أن
اقابلك كي اهرع إليك عند لقائي بك وأقول لك كطفلة

صغيرة أكملت للتو واجبها المدرسي وترغب في رؤية نظرة الفخر والتشجيع في عيني والدها.

برحيلك اكتشفت أني لن أرى هذه النظرة مرة أخرى.

ولكن هذا كان حالي إلى أن قابلتك في المنام ومعك ذاك الكتاب حينها شعرت به في، رهيب من لقائك ومن هذا الدفيء ولدت شرارة كانت كفيلة أن تشعل شمعة شغفي من جديد كي استمر فيما بدأته، وكي أكمل حلمي واترك أثري في الحياة، وأثري وأثرك واحد، سوف أفعل كل ما بوسعي كي أجعل اسمك خالدًا في الحياة يا والدي.

أعمال بنت البرو فيسور رمضان عبد الله سيكون لها صيت

يا عزيزي ولن أظل أو أمل

إلى أن أخلد أسمك قبل أسمي.

ونظرة الفخر التي كنت أشعر بها دفينة في عينيك تجاهي سوف أراها في عين كل من حولي بعون المولى إلى أن ألقاك على خير يا والدي العزيز.

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

دقيقة من وقتك عزيزي القارئ

أعلم أني أثقلت عليك بهذا الإهداء الطويل الذي يحوي على قدر كبير من ثرثرة شخصية لا دخل لك بها ولكن أنا عشمي بك كبير أن تتحملني دقيقة أخرى وتقرأ الفاتحة لوالدي البروفيسور رمضان عبد الله ولا تنسى أن تجعل النية شاملة لكل أموات المسلمين والمؤمنين كي تُرسل كرحمة لهم تغمدهم إلى أن نلتقي بهم حين يشاء المولى، على أمل أن نلتقي بهم في جنات النعيم.
تكفي ثرثرة جانبية ولندخل في صلب الموضوع،
تنفس الصعداء عزيزي القارئ ولنبدأ مغامرتنا الجديدة.

(الخناس)

الجزء الثاني من (أولاد لوسيفر)

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

المقدمة

هل يا ترى لو تركنا العقل والمنطق جانبًا

وتركنا القلب يمسك دفة القيادة ويكون له السيطرة

التامة على جوارحنا...

إلى ماذا سوف يقودنا...!؟

جنة في الدنيا...!

أم حافة على جرف هارٍ سوف تؤدي في النهاية إلى

عمق الجحيم...؟

وما زال في هذا الجزء الصراع مستمر بين

بني أدم "الأنس" وبني لوسيفر "الجن"

فلمن سيحسم الصراع في هذه المرة...؟!

خليفة الله أم خليفة لوسيفر...!

الفصل الأول

الزفاف

{مارس عام 2047}

سيارة نفاثة هوائية فضية اللون تحلق في الهواء يظهر بداخلها شاب وسيم ذا عيون رمادية خضراء وملامح عربية جذابة ينظر على المقعد الذي بجواره حيث تظهر فتاة سمراء اللون يظهر على ملامحها التعب والإرهاق الشديد فيحاول أن يوقظها:

-فريدة حبيبتي هيا استيقظي لقد اوشكنا على الوصول.

تتحرك في مقعدها وتدير وجهها تجاه النافذة وتتمتم بتعب:

-لا توقظني إلا عندما نصل، لم أنم جيدًا بالأمس يا زين.

ها هي السيارة تهبط من الجو وتطير على ارتفاع بسيط على طريق الأرض.

ها هو زين للمرة الثانية يترك مقود السيارة ويلتفت لجميلته فريدة ويلمس وجهها برفق وبسعادة ولهفة همس لها:

-حبيبتي ريدا، هيا لقد وصلنا المجمع الخاص بك و...

قاطعته فريدة وهي تلتفت له بهدوء ونظرت له نظرة ناعسة وهمست بصوت واهن:

-أشعر أن عقلي يؤلمني جدًا يا زين.

ألقى زين نظرة على الطريق ومن ثم التفت لفريدة من جديد وأمسك بيدها وقبلها وتمتم برفق:

-انسي التعب يا ريدا ها نحن على بُعد خطوات من تحقيق حلمنا وسنبدأ حياة كلها حب وراحة فقط ولكن عليكِ أن تلتزمي بوعدكِ لي...!

نظرت له فريدة بتردد وتنهدت في تلك اللحظة التفت زين بحزن للطريق ولكن في تلك اللحظة كان الوقت قد فات لأن السيارة ارتطمت بأحد المارة، ارتطام قوي.

قوي جدًّا...

صرخت فريدة من هول الصدمة وظلت مكانها مذهولة ولكن زين هرع مسرعًا خارج السيارة.

ها هو يرى شاب يحاول الوقوف مستند على السيارة بيد واليد الأخرى يضم كلب صغير ذهبي اللون لا يتوقف عن النباح وها هو زين يمد له يده كي يساعده على النهوض ويتفحصه بنظره كي يطمئن عليه، وبلهجة متوترة:

-هل أنت بخير...؟

في هذه اللحظة كانت فريدة تنظر للمشهد من داخل السيارة فرأت أمامها شاب غطى وجهه شعره الطويل، ومن ثم التفت الشاب وأعطاها ظهره ومن ثم تمتم لزين:

-لا تقلق... أنا بخير، كل ما الأمر أني كنت ألحق بكلبي و..

لم يكمل كلامه لأن زين قاطعه بأسى وهو يضع يده على كتفه:

-لا والله يجب أن تركب معنا حالًا كي يتم فحصك في المستشفى كي أطمئن عليك، صدقني لم أرك بسبب ظلمة الليل و...

بابتسامة محببة للنفس نظر الشاب لزين وهو يربت على رأس الكلب كي يهدأ من نباحه وصدمته:

-لا داعٍ صدقني، ها هي فيلتي سوف أرتاح قليلًا وكل شيء سيكون على ما يرام.

ابتسم له زين وصافحه وأردف:

-وهذه هي فيلتنا أيضًا موزاية لفيلتك لذا تقبل صداقتي وأني أرغب بزيارتك بعد بضع ساعات تكون ارتحت قليلًا، ستكون زيارة سريعة فقط لكي يطمئن قلبي، هل ستكون مستيقظ...!

هم الشاب بضم كلبه وبدأ في المشي وكأن لم يصطدم بالسيارة قط ومن ثم التفت لزين بضحكة بشوشة:

-من دون استأذن يا صديقي تنورني وقتما تشاء وسأكون بانتظارك.

لوح له زين مودعًا إياه:

-إلى اللقاء يا...!

-خالد... أنا خالد يا...!

-زين أخوك من فلسطين.

وقف خالد أمام باب فيلته ونظر بفرحة لزين:

-إذن أنا في انتظارك يا غالي ويا مِن أغلى البلاد على قلبي.

ها هو زين يهم واقفًا أمام باب سيارته ويهم بفتحها:

-على الموعد يا جدع كما تقولون يا مِن بلد الرجال.

بدأ زين يقود سيارته وفريدة تنظر له بقلق وسألته بحيرة:

-هل هو بخير...؟ كيف...!

قطع زين كلامها وكأنه يعلم السؤال الذي تنوي أن تسأله إياه:

-لا أدري كيف خرج منها سليم يا فريدة...!

نظرت فريدة بقلق لزين:

-الحمد لله ولكن يجب عليك أن تنتبه للطريق أو فعل خاصية الأمان والقيادة الذاتية يا زين، أرجوك أنا...

أوقف زين السيارة أمام الفيلا ومن ثم التفت لفريدة وأمسك يدها ونظر لها برومانسية بعينيه الرمادية التي اختلطتا بالأخضر الساحرتين وهمس لها:

-هل تخافين عليّ يا ريدا...؟!

ابتسمت له فريدة بخجل:

-ليس لي سواك يا زين ولا أريد سواك.

امسك زين يدها وتمتم لها وهو مقترب منها:

-أتحبينني يا ريدا...؟

-إن لم أكن أحبك لما كنا هنا الآن.

-حسنًا ولكن عليكِ أن تعطي لي جهاز السفر عبر الزمن، لا أريدك أن تستمري باستخدام هذا الجهاز و...

قاطعته فريدة بحزن:

-ولكن يا زين أنت تعرف إن هذا الجهاز* مهم لي لأني من خلاله أقابل أبي و...

سحبها زين في حضنه ومسح على شعرها الأسود الحريري:

-لا تحزني يا حبيبتي، أنا أعلم إن هذا الجهاز مهم بالنسبة لكِ لأنك تقابلين والدك ولكن لا تنكري أن هناك مغامرات أخرى يسحبك فضولك إليها، وعقلك تشتت كثيرًا هذه الفترة، لذا أرجوكِ دعي الماضي وراء ظهرك وعيشي الحاضر معي وهيا نخطط للمستقبل وكفى.

خرجت فريدة من حضنه وعينيها تترقرق بالدمع:

-ولكن يا زين...

قاطعها زين بحزم ولكن عينيه بها حنو الدنيا:

-من دون لكن يا ريدا، دعينا نعيش الواقع وكفى لا داعِ للرجوع للماضي ولا حتى تذكره أو الندم عليه، تحرري من سجن الماضي.

-حسنًا يا زين أعدك لن استخدمه أبدًا.

مد لها زين يده تجاه حقيبتها، فنظرت له فريدة بتردد وتمتمت:

-قلت لك يا زين أعدك ألا استخدمه، هل وعدي لا يكفيك.

*لمعرفة المزيد عن مغامرات فريدة وحكاية جهاز السفر عبر الزمن عليكم بقراءة الجزء الأول من رواية أولاد لوسيفر (فارس وجواد).

زين قال لها بنبرة صوت بها حزم ولكن اسلوبه اسلوب توسل:

-أرجوكِ يا ريدا دعيني أبدأ حياتي معكِ وأنا غير قلق عليكِ... أرجوكِ...!

أومأت ريدا رأسها بأسى وقامت بإخراج الجهاز من حقيبتها فهم زين بأخذه ومن ثم خرج من السيارة، ومن ثم هم تجاه باب فريدة وفتحه لها ونظر لها برومانسية وبمجرد أن نزلت ريدا ابتسمت له فهم معانقًا إياها، ومن ثم بمجرد أن خرجت فريدة من حضنه قام بتحطيم الجهاز حينها شعرت فريدة أن قلبها هو الذي تحطم، ومن ثم سحب فريدة وهمّا بدخول الفيلا.

فُتحت بوابة الفيلا بمجرد تعرفها على وجه فريدة، ومن ثم بمجرد أن دخلا بهو الفيلا كانت وتين تجلس تقرأ كتاب وتحتسي قهوتها كالعادة، بمجرد أن سمعت الباب يفتح همت بترك الكتاب وقامت بلهفة فهرعت إليها فريدة وعانقتها بشدة وها هو زين يقف متأثرًا، وبمجرد أن خرجت فريدة من حضن أمها بعد الكثير من القبل ونحيب النساء المعهود المرتبط بالسعادة والحزن، نظرت وتين بتعجب لزين ومن ثم سألت فريدة بابتسامة وهي تكزها في ذراعها:

-من هذا الوسيم...؟ لم تخبريني عنه شيء.

هنا نظرت لها فريدة ضاحكة ومن ثم همت تجاه زين وسحبته تجاه أمها:

-ومنذ متى وأنا أخبرك بشيء يا وتين...

هنا قاطعها زين ضاحكًا خجلًا:

-توقفي يا فريدة عن مزحك ذا، أنا زين واسمحي لي أن أقول لكِ يا أمي.

عانقته وتين وهي تمسح على شعره وابتسمت وعينيها تترقرق بالدمع بمجرد سماعها كلمة أمي منه، فهمست له بمجرد أن أخرجته من حضنها وهي تلمس وجهه بيدها:

-قل ما تشاء يا بني، فكم كنت أتمنى أن أنجب ولدًا ولكن فريدة بطبعها الذكوري جعلتني أشعر أن الله لم يحرمني قط.

من ثم ضحكت وهي تنظر لفريدة ولكن فريدة وكزتها غاضبة ضاحكةً:

-أخ منك يا وتين، لم أكمل 5دقائق وها أنتِ بدأتي الحرب لذا تحملي...

***

بعد مرور بضع ساعات ها هو زين ينقر على جهاز الإنذار كي ينتبه من بالداخل أنه بالخارج، ها هي الشاشة الملحقة بالجهاز تظهر مقسومة نصفين، نصف به زين ونصف به خالد هم خالد مرحبًا بزين:

-أهلًا زين تفضل يا رجل سيصاحبك الروبوت للأعلى.

ها هو زين بمجرد أن دخل حديقة الفيلا رأى الكلب مربوط وينبح بشدة، ولكن زين لم يكترث له وأقدم على دخول باب الفيلا الداخلي وها هو رأى بهو الفيلا المظلم الضخم ذا الأثاث الغريب الكئيب، يصعد الدرج وهو ينظر لكل شيء بتعجب بسبب الديكور الغريب الخاص بالفيلا، فيلا لا يوجد بها ألوان سوى الأسود الذي سيطر على أغلب الفيلا والقليل من الأحمر القاتم.

ولا يوجد أي مصباح مشتعل في الفيلا، بل إنه اكتفى فقط بإضاءة الشموع الهادئة.

ها هو الروبوت يفتح لزين باب غرفة خالد...

دلف زين بداخل الغرفة بخطوات بطيئة مترددة بسبب أنه متعجب من هذا الجو المغلق المكتوم في غرفته حيث لا نافذة ولا شرفة حتى مفتوحة، ولكن سرعان ما قطع شروده صوت خالد مهللًا له بقدومه بصوت تخلله الوهن:

-أهلًا يا زين... أعذرني يا صديقي لم استقبلك بالأسفل لأني أشعر بإعياء سامحني.

من ثم أمسك رأسه وظهرت على ملامحه الوهن، فنظر له زين بقلق وهم بالجلوس بجواره:

-ماذا بك يا خالد...؟ لقد كنت بخير منذ بضع ساعات...!

أخذ خالد مساكة شعره وقام برفع شعره الطويل فظهرت ملامحه الباهتة الشاحبة التي لم يلاحظها زين أثناء الحادث لأن الكمامة والشعر كان يغطي أغلب وجهه ومن هول الصدمة لم

يركز به قط.

تمتم زين بقلق وتوتر:

-خالد أنت شاحب جدًّا يجب أن تأتِ معي حالًا للمستشفى لا يمكن أن أتركك هكذا و...

قاطعه خالد مبتسمًا بوهن:

-لا تقلق في الغد سأكون بخير.

-ولكن إن لم تكن بخير في الغد ماذا أفعل حينها...؟

-حينها سأذهب معك للمشفى لا تقلق يا زين.

هم زين بالوقوف وهو قلق وأردف:

-حسنًا سوف أتركك ترتاح قليلًا وفي الصباح سوف أطمئن عليك... اتفقنا...!

-اتفقنا يا صديق...

ها هو زين ينزل الدرج وشعلات الشمع تتحرك وكأن هناك حركة هواء كثيرة داخل البيت بالرغم أن الجو لا يسمح بذلك قط، استحالة في مصر في مارس تكون هناك رياح قوية في ذلك الوقت... تعجب زين ولكن لم يركز لتساؤلاته وقرر أن يخرج مسرعًا من هذا البيت.

ولكن بمجرد أن اقترب من باب الفيلا ها هو يرى الباب يتحرك برفق وكأن الرياح لها يد في ذلك ولكن لا توجد رياح، ولكن بمجرد ما كان زين يهم بالمرور من الباب أغلق في وجهه،

ومن قوة ارتطام الباب اطفأت كل الشموع المشتعلة، وحل صمت رهيب قطع هذا الصمت نباح الكلب كأنه يواجه خطر ما ولكن سرعان ما تحول نباحه إلى نواح واهن إلى أن تلاشى... تلاشى تدريجيًا... تلاشى تمامًا.

هنا قرر زين أن ينادي على خالد بصوت عالٍ جدًّا تخلله الخوف:

-خالد... خالد هل يمكن أن تفتح لي باب الفيلا إذا سمحت.

لم يسمع أي رد... لم يسمع إلا صوت الصمت وكفى...

كرر ندائه بقلق وهو يهم بلمس حجر خاتمه فأنبعث منه شاشة منبثقة تظهر محتواها من الأمام ومن الخلف مبهمة، فاختار منها شعاع مضيء ومن ثم هم صاعدًا تجاه الدرج من جديد، هنا زادت الرهبة بداخله أكثر من الفيلا وديكورها المقيت بمجرد سقوط الضوء المنبعث من حجر زين لأن حجر خاتمه هو الحجر الروبي أي الأحمر القاتم، ولكن الذي جعل قلبه يسقط في رجله بمجرد ما سقط الضوء على لوحة امرأة في الخمسين من عمرها باكيةً وتحرك له رأسها أي لا...

هنا انتفض جسده للخلف كردة فعل لذعره مما رأه، ولكن بمجرد أن مسح عينه لم يرى سوى صورة المرأة مبتسمة وبجوارها خالد واقفًا مبتسمًا كذلك.

التقط انفاسه بعدما أثلج الدم في عروقه من هول الموقف، أكمل صعوده وهو يحاول أن يتمتم بصوت خافت:

-إنه إرهاق السفر يا زين، كل ما أحتاج إليه النوم وكفى.

هنا طرق الباب على خالد ولكن لم يصله أي رد فبدأ ينادي عليه بقلق:

-خالد... هل أنت بخير يا خالد...؟ خالد...!

هنا قرر أن يفتح الباب عليه ودخل الغرفة المظلمة وبمجرد ما سقط ضوء مصباحه على سرير خالد وجده فارغ.

ومن ثم نظر للغرفة فوجد أن شرفة غرفته صارت مفتوحة على عكس عندما دخل أول مرة.

ها هو زين يقدم تجاه الشرفة وهو ينادي بصوت متردد:

-خالد...! هل أنت...

لم يكمل ندائه إلا وشعر بيد باردة توضع على كتفه، هنا قفز مذعورًا صارخًا والتفت مسرعًا وبمجرد أن سقط ضوء مصباحه ورأى من أمامه وسمع الصوت هدأ قليلًا:

-ماذا بك يا زين...؟ ولماذا أنت هنا...! كنت أظن أنك رحلت عندما سمعت صوت الباب عندما غلق.

ازدرت زين لعابه وتنفس الصعداء وحاول أن يتمالك اعصابه:

-لا يا خالد بل الباب أغلق قبل أن أخرج مباشرةً لذا نديت عليك ولكنك لم تسمعني...

ها هو خالد يبتسم وهو يعبث بساعته فانبثقت منها شاشة فقام بتفعيل إضاءة الشموع الإلكترونية وتمتم ضاحكًا:

-سامحني يا صديقي، كنت اقضي حاجتي فلم أسمعك.

ظل زين ينظر له بقلق ولكن خالد أكمل كلامه:

-لا تؤاخذني ولكن توجد مشكلة في اعدادات الكهرباء في البيت يجب من حين لآخر أن أقوم بضبطها.

هنا يحاول زين أن يفق من شروده وتساؤلاته ويقرر أن يهم خارج الغرفة متمتمًا:

-ولا يهمك يا صديق، يكفي إنك بخير.

هنا قال له خالد بصوت عالٍ كي يوقف زين وهو عند باب الغرفة:

-هل ترغب في أن أوصلك للخارج...؟

التفت له زين مترددًا وأردف:

-لا يوجد داعٍ أعرف الطريق جيدًا... ارتح أنت الآن.

ابتسم له خالد، فابتسم له زين بابتسامة تخللها القلق وهم بالنزول.

وبمجرد وصوله بهو الفيلا وجد أمام الباب المفتوح يقف الروبوت الذي عاد للعمل من جديد بعدما تعطل مع باقي أجهزة البيت منذ قليل.

خرج زين من الفيلا وها هو يلتفت للفيلا الذي تعجب من بساطة مظهرها الخارجي وغرابة ما بداخلها.

ولكن بمجرد أن اقترب من باب الفيلا التفت حوله متذكرًا صوت الكلب ولكنه لم يجده في أي جزء من أرجاء الحديقة، ولكنه قرر ألا يكترث وهم عائدًا لفيلا فريدة.

***

ها هو زين يرمي جسده على كرسي في الصالون يغمض عينيه، من ثم شعر بيد تلمس يده ففتح عينيه فزعًا ولكن قطع فزعه صوت فريدة مطمئنة إياه:

-ماذا بك يا زين...؟

عدل زين من جلسته وتنفس الصعداء ونظر لفريدة بتعب ولكن سرعان ما رسم ابتسامة والتمعت عينيه بالحب بمجرد شعوره بالأمان برؤيتها، ومن ثم همس لها:

-أنا على ما يرام طوال ما أنت معي يا فريدتي.

ابتسمت له فريدة بلين ومن ثم همت واقفةً وقامت بسحبه تجاهها كي يقف، ومن ثم همست له:

-عليك أن تصعد وتنام في غرفتك لقد جهزتها من أجلك.

ها هما يصعدان الدرج ومن ثم التفتت له فريدة بلهفة وقالت:

-نام وارتاح يا حبيبي، غدًا وراءنا الكثير من المهام علينا أن ننجزها.

-أهلي سوف يصلون من فلسطين ولندن خلال هذا الأسبوع، سيكون اسبوع مرهق ولكن علينا أن ننجز كي يأتِ اليوم الذي نتمناه.

تنظر له فريدة بخجل وهما يقفان أمام باب غرفته وتهمس له بحياء:

-توقف عن نظرتك تلك يا زين.

-لي الحق أن أفعل ما اشاء ستكونين زوجتي بعد بضعة أيام.

ومن ثم سحبها لحضنه ولكنها ابعدت نفسها عنه بتمنع ودلال وابتسمت:

-ها أنت قلت بعد بضعة أيام...

ومن ثم هرعت تجاه باب غرفتها ومن ثم نظرت له مبتسمة بدلال، ولكنه تبعها لباب غرفتها ولكنها منعته بيدها ضاحكةً:

-تصبح على خير يا من ستكون زوجي بعد أسبوع.

وأرسلت له قبلة في الهواء ومن ثم أغلقت الباب، وها هو زين ما زال واقفًا شاردًا في جمالها بعدما التقط قبلتها من الهواء.

من ثم سمعت فريدة همس:

-احبك يا عجيبتي.

من ثم مشى متبخترًا تجاه غرفته والسعادة تغمره ونسى ما مر به في بيت خالد.

وبمجرد ما ألقى جسده على سريره غاص في نوم عميق والبسمة على وجهه وهو يضم وسادته...

في غرفة فريدة بعدما كانت تدور من الفرحة ها هي تقف شاردة أمام مرآتها بمجرد سماعها كلمة "أحبك يا عجيبتي".

ها هي فريدة تنظر لنفسها في المرآة وتكلم نفسها بتعجب:

-هذه أول مرة يقول لي فيها زين يا عجيبتي، بل لم يقل لي أحدًا هذه الكلمة سوى فارس...!

ها هي تلتفت من أمام المرآة وتصفع وجهها وتقول في قرارة نفسها:

-فارس، لقد انتهت تجربتك مع فارس منذ أكثر من تسع سنوات، وها أنتِ سوف تتزوجين فلا يصح أبدًا أن تفكري في أحد سوى زين، زين وكفى...

ومن ثم تمددت على السرير وأغمضت عينيها وبدأت في النوم.

***

ها هي فريدة ترتدي فستان أحمر وشعرها الأسود الطويل الحريري يطير في الهواء، وعلى رأسها تاج ذهبي كبير مرصع بالمجوهرات وخاصةً الحجر الروبي، ها هي تمشي في مكان مثل الملكات، تمشي في مكان كله زرع وأشجار وأنهار إلى أن وصلت لمكان به عرش ذا كرسيين، يجلس على أحدى الكرسيين شاب وسيم ذا ملامح عربية وشعر طويل يصل للمنكبين ويرتدي ملابس بيضاء أشبه بالملوك في العصور القديمة وتاج ذهبي ضخم وحوله الكثير من الفتيات الفاتنات يرتدن فساتين بيضاء وشعرهن طويل أسود حريري يحومن حوله والبعض منهن تحت قدميه ولكنه عيونه زائغة ويلتفت حوله إلى أن تقع عينيه على ذات الفستان الأحمر التي تمشي في الحديقة لا تدري وجهتها، ها هو يهم واقفًا تاركًا خلفه الفاتنات

ويهرع خلفها إلى أن وصل إليها فأمسك بذراعها، فالتفتت إليه فذاب في سحر عينيها وهي شردت في عينيه السوداء المكحلة وشعرت أنها وجدت وجهتها أخيرًا، ها هو سحبها وها هي تجري معه وهي تطير من السعادة إلى أن وصلا أمام العرش، هنا وقفت ذاهلةً، فنظر لها وأومأ لها أي تفضلي، هنا اصطفت الفتيات عن يمين ويسار العرش، وها هو قد أمسك بيدها وأجلسها على العرش بجواره ومن ثم نظرا لبعضهما البعض وابتسما و...

-فريدة... فريدة استيقظي يا حبيبتي، ها قد صرنا الظهر يا عزيزتي.

ها هي فريدة تمسح وجهها بيدها وتنظر لأمها وتتمتم متعجبةً:

-أين أنا...؟

ها هي أمها تجلس بجوارها وتمسح على شعرها وقالت لها مبتسمةً:

-هذا هو الحال يا حبيبتي عندما نترك مكان معتادين عليه ونذهب إلى مكان أخر نشعر أننا مثل التائهين، وأنا أعلم جيدًا أنكِ متعبةً من السفر لذا تركتك ترتاحين إلى الآن.

***

قبل الزفاف بيوم ها هي فريدة تسأل زين بلهفة وهو يهم بالخروج:

-إلى أين ستذهب يا زين...؟

-سأذهب لكي أطمئن على خالد... منذ أن ذهبت إليه في يوم وصولنا لم يخرج قط ولم يسمح لي بزيارته حتى، أقصى شيء يطمئنني عليه برده عليّ من خلال جهاز التنبيه الملحق بالبوابة.

-إذن دعه على راحته.

-لا، بل أريده يحضر زفافنا، أريده أن يختلط بنا، لا أدري لمَ هو معتزل كل شيء هكذا...

-لمَ تشغل بالك به إلى هذا الحد يا حبيبي...؟

-أشعر أن وراءه سر... حياته مليئة بالغموض يا فريدة، أنتِ لم تري فيلته من الداخل، إنها...

قاطعته فريدة بلهفة وأمسكت يده:

ولمَ تصفها وتحكي لي ما رأيت وبإمكاننا أن نراها سويًا.

-ولكن يا ريدا...

-أششش أنت تعرف جيدًا أني أحب المغامرات كثيرًا والغموض وأظن ليس لك مانع بما إنك معي...!

-ولكن الموضوع لا يستحق كل هذا الحماس كل ما في الأمر أن...

قاطعته فريدة وهي تسحبه من يده وهي تخرج من باب الفيلا:

-لا توضح لي شيء دعني أحكم أنا على الأمر بنفسي إن كان يستحق أم لا...

-يا لكي من عنيدة، ولكني أعشقك.

ابتسمت له فريدة وها هما يجريان في الشارع ويضحكان بطفولية برغم عمرهما الذي تجاوز ال27 عام.

ها هي فريدة تسبق زين وترن جرس الفيلا قبل أن يضع أصبعه على الجرس بثواني، ها هما يضحكان ويلهثان ولكن سرعان ما يقطع ضحكهما صورة خالد المنبثقة من الشاشة...

هنا أخذت فريدة نظرتها الجادة الحازمة الذكورية مرة أخرى بمجرد سماعها للصوت، وبمجرد أن نظرت للشاشة لم تلمح ملامح خالد جيدًا لأن شعره الطويل يواري أغلب وجهه بالإضافة إلى إضاءة غرفته الخافتة، ظهر صوت خالد الواهن:

-أهلًا، أهلًا زين...

هم زين قائلًا بأسلوب معاتب بعض الشيء:

-هل تسمح لنا بزيارتك يا أستاذ خالد إذا سمحت لا يصح كل يوم لقائنا يكون هكذا...

أعطى خالد أمر للبوابة ففتحت لهما وها هما يدلفان بداخل الحديقة ومن ثم داخل الفيلا المفتوح بابها لهما على مصراعيه، وبمجرد دخولهما أُغلق الباب مرة واحدة فصدر عنه صوت مُقبض وعالٍ جدًّا وخاصة أن فيلا خالد خالية تقريبًا من الأثاث.

فريدة ذعرت بمجرد سماعها للصوت فأمسكت يد زين، فقام باحتوائها بذراعه وها هم يقدمان تجاه الدرج، ولكن فريدة تمتمت بقلق عندما رأت الضوء يخفت:

-لمَ بيته غريب هكذا...؟

حاول زين أن يقلل من قلقها وبصوت مطمئن همس لها:

-لا تقلقي يا عزيزتي، كل ما في الأمر أن خالد قال لي أن بيته يوجد به خلل في الأجهزة لذا كل شيء لا يعمل بشكل جيد.

ولكن كلما صعدا أكثر وأكثر كل ما وجدت فريدة الإضاءة المهتزة تزداد حدة أكثر، إلى أن وصلا لغرفة خالد، الضوء برغم اهتزازه صار قوي وكل شيء صار واضح للرؤية.

ها هما يطرقان الباب فسمح لهما خالد بالدخول.

كان خالد ممددًا في سريره، إلى أن اقتربا زين وفريدة وجلسا على الأريكة على يمين باب غرفته والمقابلة لسريره الضخم بشكل مبالغ فيه ذا الأعمدة الخشبية السوداء.

تنحنحت فريدة ومن ثم أردفت:

-ألف سلامة عليك يا أستاذ خالد...

وبمجرد ما سقطت تلك الكلمات على أذن خالد ها هو جسده انتفض بقوة على السرير كمن أصابه الصرع، فهما كل من فريدة وزين إليه قلقان وصرخا:

-خالد... خالد... ماذا بك هل أنت بخير...؟!

ها هو زين يحاول أن يمسك بيد وفريدة من جانب أخر أمسكت باليد الأخرى، ولكن بمجرد أن لمست يد فريدة يده هدأت حركته، وبمجرد ما هدأ تنفسا كل من فريدة وزين الصعداء وجلس كل منهما بجواره في اتجاه.

قال له زين بقلق:

-ماذا بك يا خالد...؟ مما تعاني...؟ أخبرني يا صديقي...؟

حاول خالد أن يهم ويجلس، وتنفس الصعداء وها هو يلتقط مساكة الشعر وقام بلم شعره الطويل وهنا كشف عن وجهه.

وهنا كانت الصدمة لكل من زين وفريدة...

نظر لهما خالد بتعجب وأردف:

-ماذا بكما...؟

التفتا كل من فريدة وزين لبعضهما البعض ونظرا بتعجب ولكن سرعان ما تحولت ملامح زين من التعجب إلى الابتسام لفريدة وأردف:

-هل ترين ما أراه...؟

ولكن مازالت ملامح الصدمة مرسومة على وجه فريدة وها هي تشيح بنظرها من على زين وتوجهها لخالد وها هي عينيها تترقرق بالدمع...

هنا ابتسم زين متعجبًا وسأل فريدة:

-ماذا يا فريدة هل الأمر يستحق كل تلك الصدمة...؟

فاقت فريدة من شرودها وتمتمت بصوت ما زالت الدهشة مسيطرة عليه:

-كل ما في الأمر أني لا أصدق ما تراه عيناي.

قاطع خالد حديثهما بصوت غير فاهم ما يحدث:

-ما الذي تقصدانه...! شاركاني مرادكما من الحديث.

ابتسم له زين وقال له متعجبًا:

-ألا ترى أننا نشبه بعضنا في الكثير من الملامح...؟

رد خالد بسرعة متعجبًا:

-ولكني لا أهتم بالتركيز في شكلي.

ضحك زين وأشر على مرآة ضخمة موجودة على الجدار على يسار الباب ومقابلة لشرفة الغرفة وأردف:

-كل هذه المرآة الضخمة ولا تهتم لشكلك...!

تمتم خالد موضحًا:

-أقصد أني...

قاطعه زين وقال له بتعجب وسعادة:

-يا صديق نحن لا نختلف إلا في لون العيون أنت عيونك بنية عسلية وأنا عيوني رمادية خضراء وأنا بشرتي قمحية وأنت ذا بشرة فاتحة... أوه كأننا توأم لولا فارق السن أظن أني اكبرك بعدة أعوام قليلة...

ومن ثم سأله متعجبًا:

-أه صحيح كم عمرك...؟

نظر له خالد متعجبًا ومن ثم أردف له بصوت غير مكترث:

-لا أدري يا صديق لا أحسب عمري و...

قاطعتهما فريدة وهي تهم وقد تغير لونها وقالت بقلق اختلط بالحزم:

-زين أريد أن أعود للبيت...

نظر لها زين غير فاهم ما سبب تغيرها هكذا وأردف:

-حسنًا ولكن انتظري أ...

قاطعته فريدة بحزم:

-حالًا يا زين...

رفع زين حاجبيه غير مستوعب ومن ثم هم واقفًا وحول نظره عنها إلى خالد وابتسم وقال له:

-ها يا صديق سوف أتركك الآن، ولكنك عليك أن تأتِ لفيلتنا في الغد لكي تحضر زفافنا أنا وفريدة.

ابتسم لهما خالد وأردف:

-مبارك عليكما... ولكن لن أوعد...

ها هو زين يهم تجاه فريدة التي قررت النظر للأرض حزنًا بعدما رأت ابتسامة خالد من ثم قاطعه زين:

-لا توجد أعذار يا صديق، وإن لم تحضر سوف أتِ بنفسي لكي أخذك، ألا ترى كيف تغير وجهك وكأن ردت به الروح بمجرد

بضع دقائق تحدثنا بها سويًا، على العموم أنت صديقي، وكما تعلم أنا جديد في مصر فأنت رفيقي وأخي هنا... اتفقنا...!

ابتسم له خالد وهم من سريره:

-لي الشرف يا زين...

هنا قاطعه زين متعجبًا ضاحكًا:

-آوه، إلى أين أنت ذاهب يا أستاذ خالد...؟!

ضحك خالد وهو يقترب منهما وأردف:

-ماذا بك يا رجل...! وأستاذ ماذا وأنت الذي تكبرني...! أنا أخوك الصغير ومن واجبي احترامك وتقديرك وتوصيلك بنفسي.

وضع زين يده على كتف خالد وربت عليه تشجيعًا له وبسعادة لتغير حاله:

-سعيد أنا لأن قلبي أطمئن عليك...

قاطعه خالد وهو ينظر لكلا من زين وفريدة وأردف مستغربًا مبتسمًا:

-أقسم لك يا صديق لا أدري كيف ردت بي الروح هكذا...؟ دائمًا أشعر أني من الأموات...

هنا نظرت له فريدة وبمجرد أن التقت عيناهما توترت فريدة وهمست لزين وهي تسحبه من يده برفق:

-هيا يا زين وراءنا الكثير من الأشياء علينا الانتهاء منها.

نظر لها زين برومانسية هامسًا:

- حسنًا يا حبيبتي فهمت ماذا تريدين... لكي ما تشائين.

ومن ثم هما بالنزول على درج الفيلا الواسع وبجوارهما خالد، التفت له زين وأضاف مكملًا حديثه لخالد:

-يا صديقي الوحدة قادرة على قتلنا أحياء، إذا أردت الراحة والسعادة عليك بالناس، الناس يعني الأُنس وأنا سأكون أول من تأنس به يا صديق.

ابتسم له خالد وأردف له:

-سعيد بك يا زين أقسم لك بذلك.

ضحك له زين وها قد أوشك على الوصول لباب الفيلا وأردف له:

-أرى أن إضاءة البيت راضية عن لقاءنا اليوم أنها تعمل بشكل شبه جيد...

-سوف أقوم بإصلاح كل شيء لا تقلق يا صديق.

ودعه زين وأشر له بعدما خرج هو وفريدة:

-حسنًا، في انتظارك غدًا يا خالد.

أشر لهما خالد مودعًا ومن ثم التفت زين مستغربًا لفريدة التي تمشي بجواره شاردة:

-ماذا بكِ يا عزيزتي، لمَ تغيرتِ هكذا برغم أنكِ كنت متحمسة جدًّا في البداية...!

ابتسمت له فريدة ابتسامة مصطنعة وهي تمسك يده بدلال:

-كل ما في الأمر أني لم أشعر بالراحة أثناء وجودي في هذا البيت وكما تعلم أنا متوترة ومتقلبة المزاج جدًّا بسبب ضغط التجهيزات الخاصة بزفافنا...

ابتسم لها زين وقال متهكمًا:

-لا يوجد امرأة يسهل على المرء فهمها كلكن مجنونات يصعب فهمكن...

ضربته فريدة برقة على ذراعه وضحكت:

-لا تشبهني بأحد ها...

ومن ثم تأبطت ذراعه وأضافت متهكمة:

-وإن جئت للحق أنا لا أفهم نفسي في بعض الأحيان، سحقًا لمَ جئت بنت تسيطر عليّ تقلباتي المزاجية.

مسح زين على شعرها وهما يسيران:

-ولكني أحبك وأحب جنانك يا فريدة، أنتِ خلقتي أنثى من أجلي، كي تكمليني، أنا ناقص من دونك، كنت سوف أضيع إن لم تخلقي.

رفعت فريدة نظرها فالتقت عيناهما برومانسية وأردفت بدلال وضجر مصطنع:

-إن لم أخلق لكنت مع غيري الآن و...

قاطعها زين ضاحكًا:

-يبدو أنكِ قد نسيتِ سبب لقاءنا الأول* يا ست فريدة.

ابتسمت له فريدة بدلال وأردفت هامسة:

-بل أتذكره جيدًا يا أستاذ زين.

وقف زين وصارت فريدة أمامه تنظر له برومانسية وهو ينظر لها بلهفة عاشق وأردف وهو يمسك يدها وهما أمام فيلتهما:

-فريدة أنتِ خلقتي من أجلي وأنا خلقت من أجلك، أنتِ من أحييتِ قلبي وجعلتِني أحب الحب صدقيني.

ابتسمت له فريدة وقالت له بضحكة مغيرة مجرى الحديث:

-أعلم هذا يا مريضي الجميل، هيا لا داعِ لتذكر الماضي وهيا بنا نستعد لتجهيزات الغد.

ها هو الأسبوع قد مر سريعًا وها هي فريدة تقف أمام مرآتها وبجوارها المنسقة ترى طلتها الأخيرة التي تتكون من لباس زفاف يتكون من بنطلون واسع أبيض وقميص أبيض من الستان وعلى كتفها شال طويل يصل للأرض مرصع بالمجوهرات المتلألئة وشعرها مسدول حريري وعلى رأسها تاج فضي اللون وعلى وجهها القليل من مساحيق التجميل "الميك أب" ولكن لا غنى عن كحل عينيها الذي يبرز وسعها ورسمتهما الساحرة.

ها هي وتين تدخل غرفة فريدة وبمجرد ما دخلت ورأت ابنتها الوحيدة ترقرقت عينها بالدمع، رأتها فريدة في المرآة فالتفتت إليها وابتسمت لها، وها هما يقتربان لبعضهما البعض وكلما

اقتربتا يزداد بكاء وتين الذي اختلط بابتسامة مكسورة فعانقتها فريدة فزادت وتين من ضمها لفريدة وكأن جزء من جسدها سوف ينتزع منها واجهشت في البكاء، من ثم خرجت فريدة من حضن أمها وحاولت أن تتمالك دمع عينيها، من ثم مسحت دمع عيني أمها وقالت لها ممازحة إياها:

-ماذا بكِ يا بومة لمَ تبكين الآن...؟

ضحكت لها أمها وقالت لها بضحكة مكسورة:

-لأنك كبرتِ وسوف تتزوجين.

رفعت فريدة أحد حاجبيها ونظرت لأمها بأسلوب مهددة إياها بمزح:

-حسنًا انزلي أخبري الضيوف أن العرس قد ألغيّ، ولكن لا تذكري لا بعد ذلك أنكِ ترغبين أن تفرحي بي ها...

ضحكت لها وتين واقتربت منها ومن ثم تحولت ضحكتها إلى ابتسامة أمومية بها حنان العالم كله وهي تمسك ذراعي بنتها وأردفت:

-هذا اليوم الذي انتظره يا حبيبتي، اليوم الذي أطمئن عليكِ أن هناك من يحبك ومن تشعرين معه بالأمان فأنا لن أدوم لكِ و...

قاطعتها فريدة بغضب:

-وتين يا منكدة ارحميني من عاطفتك ونبرك وفألك السيء ذا، أرجوكِ أريدكِ متفائلة لمرة...

أقسم لكِ لا توجد مرة "نبرتي" قلتِ فال سيء إلا وتحول اليوم لنكد ها...

نظرت لها أمها بأسى ومن ثم جلست على الشيز لونج الموجود أمام سرير فريدة ومن ثم نظرت أرضًا وتمتمت:

-لا أقصد أبدًا أن أقول فال سيء لكِ يا فريدة، كل ما أتمناه لكِ هي السعادة وكفى... ولكن كل ما في الأمر أن قلبي يؤلمني بشدة وأشعر أني لن أقدر أن...

فريدة اقتربت منها ومدت لها يدها وابتسمت لها ابتسامة ذابت في بحر الحزن وأردفت:

-هل يمكن أن تقومي معي وننزل سويًا ونفرح وننسى ولا نفكر فيما يحزننا، أرجوكِ لا تفكري فيما فات ولا تخافي مما هو آت كل ما عليكِ أن تظني بالله الخير وكفى وسوف ينعم قلبك الجميل ذا بالراحة والفرحة صدقيني...

ابتسمت لها أمها وهمت واقفةً وأردفت:

-أنا فخورة بكِ يا بنيتي ولو كان أبوكِ معنا لكان سعيد بما حققتِه إلى الآن.

ترقرقت عيون فريدة عندما سمعت سيرة والدها وقالت بأسى ولكن سرعان ما حاولت أن تكبح مشاعرها وأردفت:

-أرجوكِ يا أمي حاولي أن لا تذكري سيرة أبي اليوم أنا أحاول أن اتجاهل عدم وجوده بكل ما أستطيع من قوة.

نزلت دموع وتين ولكنها حاولت أن تتمالك نفسها وابتسمت لفريدة وقالت:

-سامحيني يا بنيتي لم أقصد أن...

قاطعتها فريدة وهي ترسم الضحكة على وجهها وتغير مجرى الحديث:

-ها أنا ذا بجوارك، حتى أني سوف أعيش معكِ في نفس الفيلا، وعملي سيكون في مصر كذلك، لذا لا أريدك أن تشعري بالوحدة ولا الحزن مرة أخرى ها، ليس لي في الدنيا سواكِ لذا حافظي على قلبك من الحزن من أجلي لا من أجلك.

أومأت لها وتين وابتسمت فنظرت لها فريدة مبتسمة وأدارت وجهها كمن فقد الأمل:

-أدري أن لا فائدة من الكلام معكِ يا وتين، عذبي نفسك بالحزن يا "نكدو" ها، هيا أمامي، هيا.

ضحكت لها وتين وقالت لها متعجبةً:

-لا أدري من هي أُم من...!

***

الزفاف بدأ وها هم الحاضرون يرقصون على صوت الأغاني والبعض منهم جالسين، لم يتجاوز عدد الحاضرين الثلاثون لكلا العائلتين ولم يكن بينهم أي من الأطفال وهذا ما أفضله فكم هم مزعجون حقًا ويحولون أي لحظة إلى مأساة بسبب أفعالهم الشيطانية أو بكائهم الهستيري المصطنع، آه لا أدري من

صاحب مقولة أن الأطفال ملائكة وأحباب الله، بل الحقيقة أنهم ماكرين أشد مكر و...

آه أعذروني لا أدري لمَ أقحمكم دائمًا في خواطري النفسية المعقدة، دعوني أكمل لكم سرد ما حدث...
من وسط الحضور تبرز فريدة التي ترقص مع زين بسعادة، ولكن سرعان ما يقع نظرها على شخص فيخطف نظرها وانتباهها وتركيزها...

زين ينظر لها مستغربًا وها هو ينظر تجاه نظرها ولكنه لا يفهم فيما هي شاردة، ها هو يحرك يده أمام عيني فريدة كي تستعيد تركيزها إليه ولكن فريدة تتركه وتتحرك تجاه الشيء الذي جعلها تشرد هكذا...

ها هي تمشي بصعوبة وهي شاردة وعيونها تترقرق بالدمع كمن لا يصدق ما يراه أمام عينيه...

ها هي تقف وتضع يدها على كتف رجل يعطيها ظهره، ولكن بمجرد ما يشعر بها يلتفت لها، هنا تقول له فريدة بلهفة:

-هل أنت هنا حقًا...؟!

هنا تقع عين الرجل عليها ويراها وهي تبكي فيقول لها مستنكرًا:

-كيف...؟!
هنا تنظر فريدة جيدًا فيتحول شكل الرجل لملامح رجل آخر، هنا تلتفت فريدة باكيةً فتجد زين ورائها ويسألها مستغربًا:
-ماذا بكِ يا فريدة...؟ ما الذي غيركِ فجأة هكذا...!

تركته فريدة وهرعت لداخل الفيلا باكية بشدة فلحقها زين لغرفتها، ها هي فريدة تجلس على سريرها متطأطئة الرأس تبكي بحرقة، حينها وصل زين ومشى تجاهها ببطء متسائلًا:

-ما الذي يتعب نفسيتك هكذا يا حبيبتي...؟ أحكي لي أنا زوجك حبيبك.

هنا كان قد جلس بجوار فريدة وأخذها في حضنه ومسح على شعرها وهي تجهش في البكاء وتقول بحرقه:

-أقسم لك أني رأيته يا زين...

قاطعها مستغربًا:

-من هو يا ف...

خرجت فريدة من حضنه وقالت بحرقة وغضب:

-أبي يا زين، أبي هنا، وكان يقف مع أمي في ال...

مسكها زين من ذراعيها وهزها وقال لها بحدة كي تفق من وهمها:

-فريدة والدك مات، مات يا فريدة.

أبعدت فريدة يده عنها بقوة وغضب ووقفت وقالت له بحزن اختلط بالغضب:

-أبي لم يمت أبي ما زال على قيد الحياة بداخلي، حتى وإن لم أعد أقوم بالسفر عبر الزمن للقائه ولكنه يأتِ لي في منامي، أنا أصدق بعالم الأرواح يا زين، لم استبعد إنه قد يحضر زفافي...

وقف زين وسحبها من يدها وعانقها بشدة كمن يصعب عليه حالها ومسح شعرها وهو يقبل رأسها، وهمس لها:

-أنا أعلم أنكِ متعلقة به بشدة ولكن لا يصح يا سيادة الدكتورة النفسية أن لا تتجاوزي هذه الصدمة برغم كل هذه السنين...

هنا رفعت فريدة رأسها كي تنظر له وقالت بحسره:

-كم كنت أتمنى لو كان هو الذي رأيته يا زين.

-أنتِ قوية يا فريدة، أنتِ من تعلمي الناس كيف يتجاوزوا الصعب و...

خرجت فريدة من حضنه وتحركت تجاه باب شرفتها الزجاجي وقالت منكسة الرأس:

-صدقني الشخص الذي ينصح الناس ويوجههم ويساعدهم على تجاوز نكبات حياتهم هو نفس الشخص الغارق في مصائب حياته.

هنا سحبها زين ودخلا الشرفة وتطلعا على الحديقة وعلى الزفاف ومظاهر السعادة، من ثم يهمس لها:

-ومن قال لكِ أنكِ غارقة في المصائب، بل أنتِ غارقة في النجاحات والانجازات يا حبيبتي.

ابتسمت فريدة وقالت بصوت به نبرة ندم:

-عندك حق يا زين الحمد لله على كل حال، ولكنك تدري عندما ينفعل المرء يجحد وينكر كل أنعم الله وتسود الدنيا في وجهه و..

هنا قطع كلامها ظهور طائر في حجم النسر ذا ريش صبغ بالون الناري وذا رأس عليها عدد من الريش يشبه التاج كاد أن يرتطم بوجهها، ألا أن زين قام بإزاحتها قليلًا، نعق الطائر نعيق عالي، ومن ثم طار عاليًا في السماء بسرعة خارقة، التفتت فريدة تجاه زين وحاولت أن تلتقط أنفاسها، وها هو زين يحاول تهدئتها بقوله:

-لا تقلقي يا حبيبتي، إنه مجرد طائر.

قاطعته فريدة وهي تضع يدها على صدرها:

-أنا لا أخاف من الطيور ولكني فزعت من ظهوره هكذا فجأة و...

-نحن لم نلاحظه لأننا كنا شاردين في حديثنا و...

لم يكمل كلامه وفجأة رأت فريدة أن عين زين تنظر لغيرها، فالتفتت كي ترى على من تقع عينه وفي نفس اللحظة التي التفتت بها ها هو زين يصيح مُرحبًا:

-خالد... مَرحبًا.

كان خالد في الأسفل يتطلع إلى شرفة فريدة بتركيز ويبتسم لهما.

سحبها زين من يدها وقال لها بلهفة:

-هيا يا حبيبتي أظن لا يجب علينا أن نترك الحاضرين هكذا من دوننا في زفافنا.

ها هو خالد كل ما رأه أحد الحاضرين بدأ يمزح معه ومع زين لكثرة الشبه بينهما، رقص الجميع وجاءت لحظة الصورة

الجماعية لكل الحاضرين، وكان خالد في وسط فريدة وزين من الخلف.

***

الفصل الثاني

سانتوريني

ها هي فريدة ترتدي فستان أحمر قاتم ذا طراز من العصر العثماني ويزين رقبتها عقد به شكل بومة ورأسها من حجر الروبي، ها هي تنام على سرير ضخم ذا أعمدة سوداء، تفتح عينيها فتجد نفسها في غرفة أشبه بغرف القصور القديمة، ها هي تحاول أن تقوم من مكانها تشعر بتعب وألم رهيب يمنعها من القيام، تشعر أن هناك من ثبت ظهرها في السرير فلم تعد قادرة على الحراك أبدًا، ولكن بمجرد ما تنظر لجسدها تجد ما يجعلها تشعر بالذهول...

رأت أن بطنها كبير جدًّا أشبه ببطن الحوامل، أو أنها حامل بالفعل، حاولت فريدة أن تقوم من مكانها بصعوبة وبمجرد أن قامت وجلست على طرف السرير بإجهاد ها هي تسمع صوت تحطم زجاج شرفة غرفتها وبمجرد ما ترفع رأسها لكي ترى مصدر الصوت تفزع وتهم صارخةً و...

***

ها هي فريدة نائمة تقاوم في نومها وتتصاعد أنفاسها وتأن، زين بجوارها نائمًا ولكنه يستيقظ على صوتها ويهم بإيقاظها متمتمًا:

-فريدة... فريدة حبيبتي.

هنا تفتح له فريدة عينيها بذعر كمن رأى هول الدنيا كلها وتشهق كمن تم انقاذه من الغرق.

همس لها زين وهو يفرك عينيه:

-ماذا بكِ يا حبيبتي...؟ هل ما زلتِ تعاني من تلك الكوابيس المزعجة...؟

ها هي فريدة تحاول أن تلتقط أنفاسها وتهم بالجلوس وتتمتم بصوت خافت:

-لا أدري يا زين لمَ تلاحقني الكوابيس إنها تؤرقني جدًّا.

هم زين بالوقوف وقال لها بنفاد صبر:

-ماذا سيحدث إن أخذتِ أي من المهدئات التي تصفينها للمرضى كي تنعمين ببعض الراحة.

داعبت فريدة شعرها محاولة أن تفوق من نعاسها وأردفت:

-أحيانًا الحياة من دون ألم وأرق تجعلنا لا نشعر بقيمة الراحة، يجب أن أعاني يا زين، وغير ذلك أحلامي أكيد لها دلالة ويجب عليّ أن أركز كيف أفهم ما سيجرى لي جيدًا.

التفت لها زين ووقف تجاهها ومد لها يده وقال لها مبتسمًا برومانسية:

-حسنًا يا عاشقة المعاناة، هل يمكن أن تأتِ معي الآن كي نستعد ونبدأ جولتنا، لدينا الكثير من الأماكن لزيارتها.

قامت فريدة بحماسة تناقد فزعتها منذ قليل وقالت بلهفة وهي تضمه:

-لن نترك مكان في جزيرة سانتوريني إلا وسوف نذهب إليه.

أخذها زين وهم بها ماشيًا تجاه الحمام وقال لها هامسًا:

-بل سنقوم بزيارة كل معالم اليونان، ولن ينتهي شهر العسل إلا باكتفائك يا عزيزتي.

خرجت فريدة من البيت وها هي تتنسم الهواء الجميل وهي تغلق عينيها وهي تهمس له:

-آه إن جو إكروتيري رائع جدًّا أشعر أنه يزيل كل ما بداخلي من تعب وأرق الفترة الماضية.

ضمها زين وهو يمشي بجوارها في الشوارع إكروتيري المميزة وهمس لها:

-انتظري إنك لم تري شيء بعد، وبما أني أعلم جيدًا أنك تحبين الطبيعة والأماكن الأثرية فأحببت أن نبدأ رحلتنا بزيارة موقع إكروتيري و...

قاطعته فريدة وصاحت بلهفة طفولية وخرجت من حضنه:

-موقع إكروتيري من أهم المعالم السياحية في اليونان بأسرها، أوه كم أتشوق لأرى ما به من كنوز وأثار تعود للقرن السادس عشر.

سحبها زين تجاهه كأنه يسحب طفلته وداعب شعرها وأردف:

-لن أقول لكِ ماذا سنفعل بعد ذلك، خطوة بخطوة وسوف أبهرك يا حبيبتي.

تخاصرا وصارا يمشيان بهيام وشرود في سحر الطبيعة والبيوت المميزة ذات اللون الأبيض والأزرق.

ها قد وصلا الموقع الأثري وهنا دهشت فريدة وأخذت ترى كل مكان في الموقع بلهفة ونهم كمن هو متعطش لبحر العلم والتاريخ.

وبعد جولة دامت لساعتين ها هو زين يقول لفريدة بحماسة:

-يكفي هذا يا عزيزتي لا نريد أن نقضي باقي اليوم في ذات المكان، هنالك المزيد من الأماكن الآسرة يجب أن نراها سويًا.

نظرت له فريدة بلهفة وحزن وأردفت وهي مبهورة بالمكان:

-ولكن يا زين ألا ترى ما أراه، لم أكن أتوقع قط أن هذا الموقع كان مدفون وكل هذا الموقع كان تحت انقاض رماد الحمم البركانية، إلى أن جاء يوم ونجح العلماء في التنقيب وإيجاد هذا الموقع عام 1967 أكيد سيأتي يوم ويجدون العلماء المدينة المفقودة "مدينة اطلانتس" و...

قاطعها زين بلهفة وهو يمسك يدها:

-حاضر يا سيادة المؤرخة هل يمكن أن تنجزي قليلًا نريد أن نصل إلى قرية كاستيلي من بيرغوس كي لا يفوتنا الغروب من قلعة البندقية...!؟

التمعت عينا فريدة وقالت بلهفة:

-أوه سنرى الغروب من القلعة، أنت تعلم جيدًا كم أعشق المرتفعات.

قال لها زين ضاحكًا:

-ستري ما لم ترينه من قبل يا حبيبتي أوعدك.

وبالفعل لقد وصلا لقلعة البندقية وهي عبارة عن تحفة من تحف الهندسة المعمارية في العصور الوسطى وهي موجودة على رأس تل وكانت في يوم هي المركز الإداري لبيرغوس.

ها هي فريدة على القمة مع زين وترى كل ما يحيط بهما من علٍ وتقول في انبهار:

-إنها تحفة يا زين تحفة حقًا، هل ترى هذه الجدران المحصنة وتلك الممرات والمتاهات والشوارع الضيقة.

ابتسم لها زين وجذبها إليه ومالت فريدة برأسها على كتفه في هدوء وقال لها هامسًا وهما بمحاذاة سور القلعة:

-ماذا كنتِ تظنين يا حبيبتي...!؟

همهمت فريدة بصوت هادئ شارد في سحر التاريخ والطبيعة:

-لم أكن أظن أني سوف أرى كل هذا الجمال يا زين.

جعل زين فريدة تنظر له وهو يمسك ذقنها برفق وقال لها بشاعرية:

-يبدو أن ليس هناك أي جمال في الكون قادر على أن يبهرني بعدما رأيت جمالك يا فريدة.

ابتسمت له فريدة في خجل من ثم عادت تميل برأسها على كتفه وشردت في المتاهات التي أمامها وهي تتنفس بهدوء وعمق.

***

ها هي فريدة تمشي في المتاهة وتنظر لكل شيء بتعجب رهيب ولكن فجأة تشعر أن هناك شيء ما ارتطم برأسها من السماء ولكن قبل أن ترفع رأسها أو أن تلتفت لكي ترى مصدر ذاك الشيء كانت قد فقدت الوعي.

ها هي فريدة تستعيد وعيها وترى نفسها ملقاة أرضًا ولكن سرعان ما تتحول نظرة عينيها إلى نظرة ذعر بمجرد أن تدرك ما الذي يجثوا على صدرها...

طائر ضخم الهيئة ذا ريش ناري تكاد تشعر أنه قد لبد في ريشه النار ومنقاره يشبه منقار النسر، ها هو يهم كي يهوي على بطنها التي صدمت بكونها كبيرة جدًّا أشبه ببطن الحامل.

ها هي تحاول أن تبعده عنها صارخةً ولكن الطائر ثبت جسدها بمخالبه، وها هو أنقض على بطنها بمنقاره بقوة مما جعلها تعوي من شدة الألم ولكن في ذات اللحظة من قوة الطعنة همت بنزع الطائر من فوقها ورمته بعيدًا فارتطم بصخرة مجاورة أفقدته توازنه.

تحاملت على سور بجوارها كي تستطيع الوقوف والهرب، ها هي تضع يدها على بطنها الذي ينزف بشدة وكذلك أعلى صدرها، لقد لطخ فستانها الأبيض بالدم.

ها هي تهرب وتنظر ورائها وتتلفت حولها وتنادي بخوف:

-زين، أنقذني يا زين.

ولكن لا وجود لزين، ولا تدري أين هي، أهي في بداية الطريق أم في نهايته...! إنها في متاهة لا أول لها ولا آخر.

فجأة سمعت نعيق الطائر، كان الطائر من شدة وقوة نعيقه كادت فريدة أن تصم، فقامت بسد أذنها بوضع أناملها بها من بشاعة صوت الطائر الصارخ، رفعت رأسها للسماء فرأت أن الطائر قد أوشك على أن يهوي عليها، رسمت على ملامحها أعتى ملامح الذعر وكادت عينها أن تخرج من محجريهما.

التفتت مسرعة متجاهلة ألمها تهرع في طريقها عسى أن تجد مخرج ولكنها في مأزق الآن، إن الطريق نهايته سور...!

ومن وراءها ذاك الطائر الناري...!

ازدرت فريدة لعابها بعدما لهثت بشدة بسبب كثرة الجري.

أعطت ظهرها للجدار وهي تنظر للطائر الذي صار يمشي على الأرض تجاهها وجسده يتضخم أكثر وأكثر، ها هي قدماه تتحول إلى أقدام أشبه بأقدام بشرية مغطاة بريش أسود فاحم.

ترجع فريدة للوراء ببطء تجاه السور وقد تملكها الذعر بعدما أدركت أن نهايتها محتومة.

ها هو جسد الطائر يزداد ضخامة وتحول لجسد رجل طويل القامة مغطى بذاك الريش الضخم، وما زاد فزع فريدة أكثر، عندما فتح جناحيه الضخمين اللذان امتدا على اليمين واليسار

فأغلقا الطريق من أمامها وحجبا عنها الرؤية، هنا استندت فريدة بظهرها على الجدار بعدما شعرت أن قدمها لم تعد قادرة على حملها وقررت الاستسلام لنهايتها.

ولكن فجأة شعرت أن الجدار يتحرك تدريجًا من ورائها، ها هو الباب يفتح، ها هي تنظر للباب وهو يفتح وهي جالسة على الأرض غير مستوعبة ما تمر به.

ها هي ترى هيئة رجل تتكون تدريجيًا بمجرد تحرك الباب...

تنظر له بدهشة وكأنها تعرفه...

إنه يشبه ذاك الرجل الذي رأته في أحلامها الذي يرتدي ملابس بيضاء من عصور قديمة وتوجها كملكة له...

نظرت له فريدة كمن يستنجد بقشة في عرض البحر، ها هو ينظر لها ويقترب لها ببطء، كان يرتدي نفس الملابس ولكنها ذات لونين الأحمر والأسود، وفجأة بدأت ملامحه تأخذ ملامح الشر...

بدأت فريدة بالزحف بجسدها أرضًا للخلف ووجهها له وهي تنظر له بذعر اختلط بالفزع والصدمة...

ولكن سرعان ما يقطع صدمتها وفزعتها صوت الطائر فالتفتت له مذعورة بعدما نست أمره لوهلة...

صارت عينيها زائغة، إنها محاصرة، وليس لها مفر.

ها هو الطائر البشري يتحول سريعًا إلى طائر مثل حجمه منذ قليل وأنقض على بطن فريدة كي ينهشها، ولكن الرجل ذا

الرداء الغريب ذا اللون الأحمر والأسود ها هو يمسك الطائر من عنقه بقوة هائلة ويرميه بقوة فيرتطم في الجدار.

هنا تنظر له فريدة وهي تبكي مذعورة مشتتة لا تدري ماذا يريد منها.

ها هو يقترب منها، يقترب بهدوء، وها هي الابتسامة ترسم على وجهه، وفريدة تزحف بجسدها وهي تنظر إليه وقد ران الرعب على قلبها، تبكي من دون صوت مجرد نحيب خافت وكأن نفسها قد أوشك على النفاد من هول الموقف التي هي به...

ها هو يقف بجوارها، ها هو ينزل تدريجيًا بجوارها بهدوء تام فزاد الخوف في قلب فريدة...

ينظر لها بابتسامة سيكوباتية وهو يمرر يده على شعرها برفق ويده الأخرى يمررها على بطنها وهو يزيد في ابتسامته إلى أن كشفت عن أسنانه وهم يقترب من أذنها يهمس لها:

-إنها ليست النهاية بل مجرد بداية يا عجيبة...

هنا دوت صرخة رهيبة من فريدة.

هنا نظر لها زين متعجبًا:

-ماذا بكِ يا حبيبتي...؟ ما الذي أفزعك إلى هذا الحد...؟

هنا رفعت فريدة رأسها ونظرت لزين بتعجب وأخذت تنظر حولها وقالت له بعدم استيعاب:

-أين أنا...؟ وماذا حدث...؟

ضحك زين وقال لها:

-لم نتحرك من مكاننا يا حبيبتي، ما زلنا نشاهد الغروب سويًا وكنت أقول لكي أن المناظر هنا تعجبك لأنها غير معتادة بل إنها مثلك فريدة وعجيبة، ولكنك صرختِ لا أدري ماذا رأيتِ كي تفزعين هكذا...؟

نظرت له فريدة بشرود وتمتمت:

-ماذا قلت...؟

قطب زين حاجباه وقال لها غير فاهمًا:

-لتوي قلت لكِ ما قلته يا فريدة...؟ ماذا بكِ...؟! لمَ أنتِ شاردة هكذا...؟

سألته فريدة وهي متعجبة وتنظر للسماء:

-منذ متى ونحن هنا...؟

-فريدة، لقد جئنا هنا لمشاهدة الغروب وأنتِ كنتِ تشاركيني الحديث ولكنك فجأة صرختِ...

أمسكت فريدة برأسها وقالت بتعب:

-لا أدري ولكني أِشعر أني رأيت كابوسًا، لذلك ظننت أن الوقت قد مر.

أخذ زين يهدئها ويمسح على شعرها وقال لها هامسًا:

-حسنًا، ما رأيك في تناول كوب من القهوة لكي...

لم يكمل كلامه لأن فريدة قاطعته بلهجة متعبة:

-لا يا زين، أفضل العودة للبيت.

قطب زين حاجباه ولكن سرعان ما تفهم وضعها وقال لها بتنهد:

-لكِ ما تشائين يا حبيبتي.

وصلا كل من زين وفريدة بيتهما، ها هو زين يمسك يد فريدة، ولكن فريدة تترك يده وهما عند باب البيت وتمشي بعدم اتزان بعض الشيء وتمسك رأسها، ينظر لها زين متعجبًا قلقًا وينادي عليها بصوت قلق:

-ريدا، حبيبتي إلى أين أنتِ ذاهبةً...؟!

تقف فريدة أمام الدرج وتلتفت له بوهن:

-أنا متعبة يا زين صدقني، أريد أن أصعد للغرفة كي أنام.

يهم زين بالمشي تجاهها وينظر لها برومانسية اختلطت بالحزن وتمتم:

-ألن نجلس سويًا يا حبيبتي ونتحدث إلى أن تصيري بخير من ثم نكمل سهرتنا بالخارج.

قاطعته فريدة بصوت منهك وهي تهم بصعود الدرج:

-آسفة يا زين سوف ارتاح الليلة ونكمل في الغد.

يهم زين بالصعود ورائها ويمسك يدها ويهمس لها برومانسية:

-ولكني جهزت لكِ مفاجأة متأكد أنها ستع...

لم يكمل كلامه لأن فريدة قاطعته بنفاد صبر وتعب:

-قلت لك متعبة، متعبة يا زين، ألا تفهم...!؟

ظل زين مكانه لا يحرك ساكنًا مصدوم من ردة فعل فريدة وتركها إياه من دون أن تنظر له حتى أو أن تقدم اعتذار عما بدر منها.

ها هي فريدة تقوم بفك شعرها المرفوع لأعلى وتخلع حذائها بتعب هنا وهناك مثل معظم الرجال وتلقي بجسدها على السرير من كثرة التعب من دون أن تبدل ملابسها حتى وسرعان ما غاصت في نوم عميق، عميق جدًّا بسبب كثرة الاجهاد العقلي لا الجسدي.

بعد قليل ها هي تفق من نومها بعدما شعرت أن زين جاء لكي ينام، كانت نائمة على جنبها الأيمن من ثم سمعت صوت زين يهمس لها:

-آسف يا حبيبتي لأني لم أقدر تعبكِ، أرجو أن...

قاطعته فريدة بصوت ناعس خالطه الندم:

-سامحني أنت يا حبيبي عما صدر مني، أعلم أنك ترغب في اسعادي ولكن لا أدري ما بي صدقني، أرجوك سامحني.

بدأت تشعر باقتراب زين منها وهو يكمل كلامه هامسًا:

-لم أحزن مما صدر منكِ كي اسامحك، أنا أحبك يا حبيبتي، ولا يوجد سبب للاعتذار بين الأحبة.

حاولت فريدة الابتعاد عنه وقالت:

-زين أرجوك يكفي كلام اليوم فلننم...

ولكن زين أصر على الاقتراب منها فانفعلت فريدة من تصرفه وقررت أن تغير اتجاه نومها كي تنظر له وتمنعه بحزم ولكن بمجرد ما نظرت إليه وجدت زين يضحك لها ضحكة شريرة وعلى عنقه تلك العلامة، علامة الشعلة*، كانت العلامة تضيء في وسط الاضاءة الخافتة، هنا صرخت فريدة بعدما أدركت من هو:

-ابتعد عني، ابتعد عني يا جواد، ابتعد...

ولكنه استمر فيما بدأ فيه وهي ما بيدها حيلة سوى المقاومة والصراخ.

-فريدة، فريدة، استيقظي يا فريدة.

ها هي فريدة تستيقظ فزعة وتقوم من شدة فزعتها بعدما رأته بجوارها.

زين ينظر لها بتعجب وهو يحاول أن يضع يده عليها كي يهدأ من روعها:

-ماذا بكِ و..

لم يكمل كلامه لأن فريدة قامت بصفع يده بقوة وهي تبتعد عنه وتنظر له بقلق وذعر وأردفت:

-ابتعد عني، أنت جواد، لقد كشفت حقيقتك.

شعر زين بضجر وقال لها غير فاهم ما تقصده:

-من هو جواد...؟

ها هي فريدة تقوم من مكانها وتقف وتبتعد عنه وتقول له بحزم:

-لم أصدق رؤياي تجاهك، ولكن تعددت الرؤى التي تثبت لي أنك جواد وعدت لكي تنتقم مني.

رفع زين حاجباه غير مستوعب كلامها وقام من مكانه ووقف أمامها كي يواجها ويسألها:

-جواد من...؟ أنا لا أفهم عمن تتحدثين...! ولماذا أنتقم منكِ...؟

تبتعد عنه فريدة كي لا يقترب منها أكثر من ذلك وتقول بغضب:

-يكفي تمثيل عليّ يا زين، أحب أن أقول لكِ أنك نجحت في خداعي.

ها هو زين يتبعها ويمسكها من ذراعها بقوة كي تلتفت إليه وأردف:

-يبدو أنكِ جننتِ من كثرة المجانين التي تتعاملين معهم.

أزاحت فريدة يده بقوة وقالت له بكره:

-لا تنسى أنك كنت واحد منهم يومًا ما.

ها هي فريدة تهم بالخروج من الغرفة متأهبة لترك البيت، ولكن زين يتبعها وقال لها بصوت عال:

-إن كنت أرغب في الانتقام منكِ لَمَ لَم أنتقم منكِ منذ البداية، ولمَ جعلت علاقتنا تصير وطيته هكذا وتزوجنا.

ها هي فريدة تقف عند بداية الدرج تحاول أن تستوعب كلامه، من ثم عم الصمت للحظة من ثم التفتت فريدة له ونظرت له

نظرة ارتياب وندم في ذات اللحظة بعدما رأت الحزن قد خيم عليه، من ثم امسكت رأسها وقالت بندم وهي تهم بالاقتراب منه:

-لا أدري يا زين ما يحدث لي، أنا مشتتة جدًّا بسبب تلك الكوابيس التي أراها.

اقترب منها بدوره وأمسك يدها وهمس لها بتعب:

-دعكِ من الأحلام وأرجوكِ دعينا نعيش الواقع.

نظرت له فريدة نظرة ندم وطأطأت رأسها أرضًا فرفع رأسها وهمس لها مبتسمًا:

-واقعنا الجميل الذي حلمنا به وخططنا له يا فريدة، أرجوكِ لا تدعِي شيء يفرقنا عن بعض أبدًا مهما كان، لا شيء في الحلم ولا في الحقيقة سوف يبعدنا عن بعضنا، أنتِ لي وأنا لكِ.

نظرت له فريدة وابتسمت له ابتسامة يشوبها القلق.

***

ها هي فريدة تعوم هي وزين ويتسابقا من هو أسرع من الآخر، ها هما يضحكان، يرشان على بعضهما المياه، من ثم همست له فريدة:

-دعنا نخرج من المياه قليلًا دعنا نتمدد على رمال الشاطئ الحمراء.

-أنتِ تطلبين وأنا أنفذ ما ترغبين به فقط يا فريدتي.

ها هي فريدة ملقاة بجوار زين على الرمال الحمراء بسبب الصخور البركانية التي اكتسبت اللون الأحمر مما جعلها فريدة ومميزة في مظهرها، رمال الشاطئ والصخور المحيطة به ليس لها مثيل أبدًا فسبحانه الخالق الذي أبدع.

ها هي فريدة وزين مسترخيان على الرمال الدافئة سارحان في جمال الشاطئ الأحمر الذي اختلطت زرقة مياهه بحمرة رماله.

ها هي فريدة بدأت عينيها تنعس قليلًا، فنظر لها زين وقال لها بلهفة:

-هاي فريدة حبيبتي أرجوكِ لا تنامي، صرت أخاف من نومك صراحةً.

فتحت فريدة عينيها وقالت بصوت مرهق بعض الشيء مع ابتسامة على وجهها:

-لا تقلق يا عزيزي، قلت لك أن ما حدث بسبب تعب متراكم، ولكن دفئ الجو جعل جسدي يسترخي تمامًا، كدت أنام.

أمسك يدها وهو يهم بالنهوض وقام بسحبها وأردف بلهفة ضاحكًا:

-لن نقضي العطلة كلها نوم، هيا معي، لمَ صرتِ كسولة هكذا، أين فريدة متسلقة الجبال وصاحبة المغامرات، ألا تكوني صرتِ عجوز...؟!

قامت فريدة من على الرمال من ثم تركت يده وهي تضحك وبدأت تزيل الرمال عن جسدها وقالت ساخرة:

-عجوز...!؟ آه يا زين ما مررت به يشيب الشعر لذا يبدو أني صرت عجوز.

هم زين بضمها وبدءا يمشيان تجاه مطعم مجاور للشاطئ وقال لها:

-أنتِ لستِ عجوز يا فريدة، وحتى لو صرتِ عجوز فسأظل أحبك إلى الأبد.

نظرت له فريدة مبتسمة وهي ترفع حاجبيها غير مصدقة، فتوتر زين وضحك وأردف:

-أقسم لكِ أنا لا أمزح، هذه الحقيقة، وفكرة رغبتك في النوم أنا أعرف السبب، كل هذا لأني أيقظتكِ باكرًا لكي نبدأ يومنا المليء بالمغامرات.

-حسنًا أصدقك يا سيادة الرومانسي، هل يمكن أن نأكل الآن، أنا أتضور جوعًا.

وقف زين ونظر لها متعجبًا:

-أتعجب لمَ البحر يجعل المرء يجوع هكذا...؟! ولكن الذي يجعلني أتعجب أكثر هو لمَ أنا لا أجوع مثل باقي البشر...؟

تنظر فريدة في حيرة وقلق وتقول له:

-لمَ...؟!

يبتسم لها ويقول:

-لأنكِ بجواري يا فريدة، وما دمتِ أنتِ معي فأنا لا أحتاج شيئًا.

هنا فريدة تضربه على صدره وتنفخ في ضجر مصطنع وتبتسم وهي تهم بالمشي وتقول بصوت عال:

-حسنًا سأذهب لكي أكل أنا، ولا أريد أن أراك تأكل شيء واحد.

هنا يلحق بها ضاحكًا ويمسك بذراعها ويوقفها ويردف لها مبتسمًا:

-ليس إلى هذه الدرجة يا فريدة...

هنا ترفع فريدة حاجبها وهي تبتسم وتكمل سيرها وهو بجوارها وتهمهم:

-هذا من أجل أن تتأكد أنك كاذب كبير.

يبتسم لها ويردف:

-لست بكاذب يا حبيبتي ولكني أحب أن أعبر عن حبي لكِ بهذه الطريقة.

-حسنًا يا مبالغ.

ضمها وأردف:

-قولي عني مبالغ ولكن لا تقولي أبدًا أني كاذب.

***

ها هما فريدة وزين يتناولان طعامها في مطعم راقي جدًّا يسيطر عليه اللون الأبيض مع القليل من الأزرق القاتم مما يجعل الراحة تستعمر الروح وتقضي على ما بها من آلام.

ها هما يضحكان، ها هما يمشيان سويًا على الشاطئ، من ثم جلسا كي يشربا مشروبًا باردًا كي ينعشهم قليلًا وهما شاردان في جمال البحر المتلألئ بسبب أشعة الشمس المنعكسة.

ها هو زين ينظر لفريدة ويبتسم وهو يغمز لها من ثم ينظر للصخور العالية، من ثم تنظر فريدة للجبل وتعود بنظرها مرة أخرى له وتبتسم متسائلة:

-أتقصد أن...!؟

هنا يقوم زين بلهفة ويسحبها ويبتسم ويقول:

-بالفعل... والآن.

هنا تصرخ فريدة ضاحكةً وهي تقف وتقول:

-أشعر أني مثل دمية المار يونيت التي تتحرك بواسطة أحد يتحكم بخيوطها، كف عن سحبي يا زين.

تركها تزيل الرمال التي علقت في جسدها وبدأ يهرول وهو يهتف لها ويؤشر لها كي تسرع:

-هيا أيتها الكسولة فلنبدأ بالتسلق.

ها هي فريدة تهرع نحوه وهي ما زالت تحرك يدها على جسدها كي تزيل ما تبقى من الرمال وهي تبتسم بلهفتها المعتادة.

ها هما يتسلقان الجبل الذي اختلط لون صخوره بين الأحمر والأسود إلى أن وصلا قمة الجبل وجلسا كي يستريحا قليلًا ويتأملا المنظر من علٍ، ها هي فريدة تميل رأسها على كتف زين وهما شاردان في الجمال الذي يحيط بهما من كل اتجاه.

بعد قليل من التأمل ها هي فريدة تنظر لزين وتبتسم من ثم تغمز له وتنظر للبحر، هنا يبتسم لها زين من ثم يضحك ويقول:

-يبدو أن حبيبتي المجنونة قد عادت من جديد.

ها هي فريدة تهم بحماس من مكانها وتصرخ فرحة وتهم بالقفز من علٍ.

هنا يقف زين بعدها وينظر لها بعدما رفعت رأسها فوق سطح المياه ونظرت له وابتسمت، هنا ضحك لها وأردف وهو يهم بالقفز:

-أنا أحب مجنونة، أحبك يا فريدة.

من ثم صار معها في المياه وعادا لضحكهما سويًا ومن كثر الضحك تعبا إلى أن عم الهدوء وبدءا يرخيان جسديهما على سطح البحر وهما يمسكان يدهما وأغلقا عينيهما كي يتجنبا أشعة الشمس.

همس لها زين برومانسية وبصوت يتخلله الراحة والفرحة الكامنة في أعماق قلبه:

-فريدة أنا محظوظ لأنكِ في حياتي، لم أكن لأشعر بكل هذه السعادة إن لم تكونِ أنتِ معي.

قالت له فريدة بصوت خافت:

-وأنا أشعر براحة وسعادة معك ليس لها مثيل.

من ثم عاد الصمت من جديد، ولكن سرعان ما شعرت فريدة أن هناك شيء ما يدغدغ قدمها، فقالت ضاحكة وهي مغلقة العينين:

-زين توقف عن دغدغتي، أنت تعلم جيدًا أني لا أحب هذا.

تعالت ضحكات فريدة بسبب أن الدغدغة ما زالت مستمرة، فقالت فريدة صارخة من شدة الضحك:

-أرجوك يا زين توقف أ...

لم تكمل كلامها بمجرد أن فتحت عينها، فنظرت بتعجب وغاب عنها الضحك وخيم عليها القلق والتوتر بعدما أدركت أن زين ليس بجوارها، من ثم بدأت تتكلم بصوت أكثر حزمًا:

-زين، أخرج من تحت المياه، لا يتطلب المزاح أن تجلس كل هذه المدة تحت المياه من أجل مقلب.

ولكن لا رد، والدغدغة توقفت بمجرد ما فتحت عينيها، بدأت تشعر بالقلق لأنها لم ترى زين، قررت أن تقوم بالغطس كي تطمئن عليه.

ها هي تغطس وتنظر في عمق البحر ولكن لا وجود لزين، ها هي فريدة تلتفت في كل الاتجاهات عسى أن تجد زين، تنظر بعين يسيطر عليها القلق، ولكن سرعان ما تتحول نظرة القلق إلى طمأنينة بمجرد ما نظرت جيدًا في القاع ووجدت طحالب بحرية فعرفت أنها السبب في دغدغتها لأنها غطست هي وزين

في مكان بعيد عن الشاطئ الذي يملئ قاعه الحصى والرمال الحمراء، ولكن عادت من جديد للقلق وتمتمت بداخل نفسها وهي تهم بالصعود لسطح البحر كي تتنفس:

-ولكن أين زين...؟!

ولكن قبل أن تصل للسطح، ها هي تشعر أن هنالك شيء قد أمسك بقدمها، ها هي تحاول أن تخرج أنفها فوق سطح البحر كي تتنفس وهي تقوم بجذب قدمها بكامل قوتها ولكن بلا جدوى، أدركت أن الطحالب هي التي تشابكت برجلها ولكنها تحاول أن تفك هذا التشابك ولكن لم تستطع بدأت الحيرة تسيطر عليها كيف لنباتات بحرية أن تكون بكل هذه القوة، فقررت الغطس من جديد كي تفك هذا التشابك بيدها، ولكن بمجرد ما نظرت للأعماق صعقت من هول الصدمة وصارت تصرخ صرخات مكتومة تحت المياه مما صدر عن هذا الكثير من الفقاقيع المحملة بصرخاتها.

رأت زين يمسك رجلها ويسحبها لأسفل، كان زين ذا بشرة رمادية أشبه بالأموات، كان نصف جسده مدفون تحت قاع البحر ونصفه العلوي فوق القاع ويمد يده بكامل قواه كي تنجذب إليه وهو يضحك ضحكة هستيرية مما برز عنها أسنانه

الصفراء الحادة، ها هي فريدة تقوم ولكنها تنجذب نحوه أكثر وأكثر، وكل ما تقترب أكثر للقاع يختفي جزء من جسد زين تحت قاع البحر، ها هي فريدة تحاول أن تركل رأسه بقدمها كي يفلت قبضته ولكن بلا جدوى، ها هو جسد زين اختفى تحت القاع وها هي قدم فريدة لامست رمال القاع ومازالت قبضة

زين تسحبها من أسفل رمال القاع، وكأن رمال هذا القاع رمال متحركة تسحب من يلمسها.

فريدة تصرخ لأنها أدركت أنها ستموت في كلا الحالات سواء مدفونة تحت قاع البحر أو بسبب عدم تنفسها.

ها هي فريدة أوشكت على فقدان وعيها ولكنها ما زالت تقاوم بوهن، ولكن فجأة رأت من علٍ يد تمتد لها ولحقت هذه اليد جسد يغطس لها، ولكن فريدة أغمضت عينيها...

ها هي فريدة تخرج لسطح البحر وهي في حضن زين.

زين قلق عليها ويحاول افاقتها، يضرب خدها وينادي عليها بخوف:

-حبيبتي، فريدة، أرجوكِ ردي عليّ.

ولكن لا يوجد رد بدأ القلق يسيطر عليه وبدأ في البكاء ومن ثم حاول أن يقوم بعمل تنفس صناعي لها ومن ثم تمتم باكيًا مثل الطفل التائه الذي لا يدري كيف يعود لأمه من جديد:

-أرجوكِ يا حبيبتي، ردي، لا أستطيع أن أراكِ هكذا، فريدة... أرجوكِ يا فريدة، أرجوكِ...

ها هو يصرخ باكيًا كي يلاحظه أحد:

-النجدة، ساعدوني، أرجوكم، معي حالة غرق هنا، النجدة...

ولكن سرعان ما قطع صراخه وعاد لكي يقوم بعمل تنفس صناعي لفريدة وسرعان ما سمع صوت سعالها،

هنا توقف عن البكاء وبدأت الطمأنينة تجتاح ملامح وجهه، ها هي فريدة تسعل بقوة وتفتح عينيها بوهن غير مدركة ما يحدث، ولكن بمجرد أن أدركت وفتحت عينيها جيدًا ازالت يد زين من حولها وابتعدت عنه قلقة ونظرت له نظرة كره، من ثم نظر لها بقلق وهو يقترب منها وقبل أن ينبس ببنت شفة أوقفته صارخة:

-ابتعدت عني... لا تقترب مني نهائي، أتفهم...؟
من ثم شرعت في السباحة، اتبعها زين إلى أن وصل إليها وأمسك يدها ولكنها أزاحت يده بقوة وكره إلى أن وصلت للشاطئ.

اتبعها غير فاهم ينادي عليها:

-فريدة لمَ تعامليني هكذا...؟ فريدة ردي عليّ أنا أتحدث معكِ...!

ها هي فريدة تمشي بسرعة ولكنه أوقفها صارخًا بها بغضب وهو يوقفها:

-قلت لكِ ردي عليّ.

هنا نظرت له فريدة بكره وقالت بابتسامة متهكمة:

-ها قد بدأ يظهر وجهك الحقيقي...

لم تكمل كلامها لأن زين استشاط غضبًا وقال لها:

-أي وجه تتحدثين عنه...! أنا قمت بإنقاذك وفي النهاية لا تريدين أن تردي عليّ حتى و...

قاطعته فريدة وبغضب خالطه التهكم وهي تهم بالتحرك:

-آه تقوم بإنقاذي بعدما أغرقتني...

صار زين يمشي بجوارها ويجاري سرعتها وينظر لها بنفاد صبر:

-ولمَ أنقذك ما دمت أريد أن أغرقك...؟!

لم تنظر له فريدة وقالت له بضجر:

-أسأل نفسك.

من ثم زادت من سرعتها وزين لم يتبعها ولكن قال لها بصوت عالٍ سيطر عليه الغضب:

-أنتِ مجنونة يا فريدة، مجنونة مثل مرضاكِ يا مريضة.

***

عادت فريدة إلى بيتها، صعدت وتحممت كي يسترخي جسدها ويرتاح عقلها بنزول قطرات الماء على رأسها، ذلك الماء أشبه بحبات المطر المنهمر الذي يقوم بإزالة الطبقة الخارجية من الصخور وتركها لامعة مصقولة، فالماء الآن قادرًا على إزالة طبقة الإجهاد والتعب والحزن الذي قد ران على عقلها.

ها هي انتهت من حمامها الدافئ لم ترتدي سوى روب التجفيف وقامت بلف شعرها بمنشفة.

تمتمت في قرارة نفسها أن تقوم بتجفيف شعرها وهي أمام مرآتها ولكن بمجرد أن قامت بنزع المنشفة من على رأسها شعرت أن ما تبقى من قواها التي إذخرتها قامت باستخدامها في نزع المنشفة عن رأسها، لذا قررت أن تتحامل على نفسها

وتسحب أقدامها إلى أن تصل للسرير ونامت ملقاة مثل القتيل بروب التجفيف وغاصت في ذات اللحظة في نوم عميق.

إن هذا هو حال أي أحد بعد يوم من السباحة، فما بالك هي التي مرت بموقف مفزع قد أوشك على نزع روحها من جسدها.

مر وقت وما زالت فريدة مثل ما هي لم تغير وضع نومها حتى، ما زالت نائمة على بطنها فاتحة أحد ذراعيها كأنها تعانق السرير كي تكسب منه بعض الدفء والحنو والطمأنينة.

واليد الأخرى بجانبها، أقسم أنها سوف تقوم متألمة جسدها متكسر من هذه النومة التي تشبه نومة سكان الفضاء لا نومة بني أدم.

أترون معي ملامح وجه فريدة بدأت تتغير، ها هي تحرك أنفها كأنها تشم شيء، ولكن من ملامحها يبدو أنها ليست رائحة جميلة، ها هي فريدة تفتح عينها وتحاول أن تقوم وتجلس على السرير وظهرها لنا، تحاول أن تحرك رأسها من اليمين موضع نومها إلى الأمام، ولكنها حركت رأسها بألم رهيب بسبب ثباتها على ذات الموضع.

ها هي تلتف وهي تشم كي تعرف سبب هذه الرائحة، ولكن بمجرد أن التفتت صدمت، بل صرخت وأخذت وسادتها وهرعت سريعًا تجاه الأريكة الموجودة بجوار الجدار، كانت هذه الرائحة رائحة حريق، ولكنه لم يكن حريق عادي، بل كان زين هو الذي يحترق، وبالأخص شعره، ها هي فريدة في ثانية كانت أمامه ووضعت الوسادة على رأسه كي تطفئ النار التي نشبت في شعره، وهي تنفخ في الشمعة المجاورة لزين.

ولكن في ذات اللحظة شعرت أن يد زين تدفعها، وبسبب هذه الدفعة لم تكن فريدة تحسب حسابها فسقطت، فجأة رأت زين أمامها يقف وكل ملامح الغضب سيطرت على وجهه برغم أن إضاءة الغرفة ضعيفة لا يوجد بها سوى شمعة واحدة، قطع شرودها في ملامح زين الغاضبة صوت زين الذي صاح بحزم:

-هل فقدتِ عقلك يا فريدة، كثرت اتهاماتك ولم أعتب عليكِ، قلت أنكِ مضغوطة متوترة أو أي جنان من جنان البنات ذا، ولكن يصل جنونكِ أن تخنقيني وأنا نائم...!

هنا حركت فريدة جسدها فسندت ظهرها على السرير من ثم نظرت لزين غير مصدقة وأردفت:

-أقسم لك إن شعرك كان يحترق وأنا أردت أن أساعدك.

أمسك زين بشعره وقد جن جنونه وقال بنفاد صبر:

-هل هذا شعر محترق ها، كيف جاء في بالك أن يحترق شعري ولا أشعر به، قولي لي كيف...؟!

تنفست فريدة الصعداء ونظرت للأرض وقالت بنفاد صبر:

-لا أدري، كل ما أعلمه أن نومك ثقيل، وفي كل الحالات كانت نيتي خير أن أساعدك.

هنا تنفس زين بعمق كي يهدأ وازدرد ريقه واقترب من فريدة وها هو يهم بالجلوس بجوارها، وبمجرد ما لمس يد فريدة، أبعدت فريدة يده عنها وهمت تجاه الشرفة وقالت بصوت مشتت:

-أرجوك يا زين، دعني بمفردي قليلًا.

هم زين ورائها قبل أن تدخل الشرفة:

-ولكن...

بتر عبارته لأن فريدة أغلقت زجاج الشرفة.

ها هي فريدة تقف في الشرفة شاردة في جمال المباني المضيئة من علٍ لأن بيتها على حافة تل، ولكن عينها فقط الشاردة فيما حولها ولكن عقلها شارد فيما يحدث لها.

ها هي تقول في قرارة نفسها:

-ترى ماذا يحدث لي...! هل حقًا أنا فقدت صوابي وصرت يخيل لي...!

ممكن ولمَ لا...!

دكتور جون حذرني كثيرًا من استخدام جهاز السفر عبر الزمن، ولكني لم أصدق تحذيره، أكيد ما يحدث معي بسبب إرهاقي الشديد لخلايا عقلي السنين الماضية و...

فجأة قطع كلامها صوت فتح زجاج الشرفة، التفتت مفزوعة ولكن سرعان ما هدأت بمجرد ما سمعت صوت زين وهو يهمس لها:

-سامحيني يا حبيبتي لأني غضبت عليكِ، أدري أنه يجب عليّ أن أقف بجانبك في أصعب حالاتك وألا تكون ردة فعلي هكذا.

طأطأت فريدة رأسها أرضًا وتنهدت قائلة:

-سامحني أنت يا زين، لا أدري ما يحدث لي صدقني.

ابتسم لها زين وهو يلمس خدها بحنو وأردف:

-لا تقلقي يا عزيزتي كل ما في الأمر أنكِ يجب أن ترتاحي قليلًا وبعد شهر العسل نسافر سويًا للندن وتتابعي مع ليندا عسى أن نجد حل لحالتك تلك.

-ولكني طبيبة نفسية وأعرف حالتي جيدًا.

-وكذلك ليندا طبيبة نفسية وصديقتك، حتى الطبيب يحتاج لطبيب مثله كي يعالجه ليست بمشكلة.

التفتت له فريدة وسألته:

-هل تظن أني مجنونة...؟

أردف مبتسمًا وهو يقترب منها أكثر:

-لستِ مجنونة يا حبيبتي...

ولكن سرعان ما تحولت ابتسامته الرومانسية إلى ابتسامة شر وهم بدفع فريدة من على سور شرفة البيت وقال ساخرًا:

-ولكني سأدفعكِ للجنون.

ها هي فريدة تسقط من على سريرها أرضًا، فيستيقظ زين على صوت سقطتها، فيهرع إليها فزعًا، وأردف ملهوفًا وهو يقترب إليها:

-فريدة هل أنتِ بخير...؟

مد لها يده ولكنها سندت ظهرها للكومود المجاور للسرير ونظرت له نظرة ريبة ولم تنبس ببنت شفة ولم تأخذ بيده، نظر لها بحيرة بسبب صمتها وأردف:

-فريدة حبيبتي، ردي عليّ...! هل أنتِ بخير...؟!

شعر زين أن فريدة في حالة صدمة فهرع إلى المطبخ كي يحضر شيء لها كي تشربه.

ظلت فريدة مكانها تتكلم في قرارة نفسها متعجبة من حالها:

-يمكن ما قاله لي زين صحيح، يبدو أن عليّ أن أقابل ليندا ولنرى ما هو الجديد في حالتي، حتى الطبيب النفسي يحتاج إلى من يفضفض إليه، قد تكون تلك الكوابيس بسبب ضغوطات على عقلي، وعقلي يفرغ هذه الضغوطات على هيئة كوابيس، ولكن تلك الكوابيس قد أهلكتني، أظن أن الفضفضة لن تأكل من روحي هكذا وسوف تريح عقلي بالتأكيد.

يبدو أن زين على حق.

ها هو زين في المطبخ يعطينا ظهره ويحضر عصير بلهفة وسرعة كي يرجع من جديد لحبيبته، ولكن بمجرد أن التفت

فزع، ورسمت على وجهه ملامح الذعر فثبت مكانه لم يحرك ساكنًا.

كانت فريدة أمامه تنظر له بريبة وشك وكره، وفجأة قطع صوتها الصمت الذي حل للحظة:

-ما الذي وضعته لي في العصير...؟

ازدرد زين لعابه الذي كاد أن يجف من حلقه وأردف مترددًا:

-أنا، أنا لم أضع شيئًا.

اقتربت منه فريدة وهي تهم بوضع يدها في جيبه ولكنه منعها وقال لها بحزم:

-قلت لكِ لم أضع شيئًا، كفي عن جنانك ذا.

استمرت فريدة فما تسعى إليه وهمت تحاول وضع يدها في جيبه وهي تقول:

-إذا كنت أنا مجنونة دعني أتأكد من ذلك.

وبالفعل استسلم لها بنفاد صبر وأسى...

وهنا كانت الصدمة...

لقد وجدت فريدة علبة بيضاء لا تحوي أي اسم وكان بها حبوب، ها هي ترفعها أمام عينيه وكأنها قد وجدت دليل إدانته، وأردفت بحزم وكره:

-ما هذا...؟ قل لي...! صارحني ما هذا...؟!

زين لم ينبس ببنت شفة، ولكن فريدة قامت برمي العلبة على صدره وتركت له المطبخ وهي تهم تجاه غرفتها وهي تقول بصوت عالٍ وغضب:

-كنت أعلم جيدًا أن أحلامي لها أساس ولها معنى ودليل، ولكني لم انتبه لتحذيرات الأحلام منك.

صرخ بها زين وهو يلحقها ووقف أمام باب الغرفة:

-أنتِ مجنونة وتتبعين سبيل الوهم والتخاريف، وهذه الحبوب يا دكتورة فريدة هي حبوب لكي تقلل من الأرق الذي ينتابك هذه الفترة.

ولكن فريدة لم ترد على كلامه وكل ما تفعله أنها تجهز حقيبتها بمنتهى الحزم، ولكن زين لم يكترث وكان كل همه أن يوضح موقفه كي يرتاح ضميره:

-بالأمس بعدما تركتني على الشاطئ قررت أن أذهب لطبيب نفسي كي استشيره في حالتك ويكتب لي اسم مهدئ إلى أن ينتهي شهر العسل وتتابعي بنفسك مع طبيب تثقي به.

توقفت فريدة ونظرت له بكره وكأنها لم تحبه في يوم من الأيام، وقالت له وهي تضغط على أسنانها:

-توقف قليلًا عن الكذب، كلامك ذا لن...

قاطعها بحزم وهو يقترب منها ويمسك ذراعها كي تنظر له مرة أخرى بعدما انكبت تنظر لحقيبتها وتهم بغلقها، سحبها بعنف

فتحرك شعرها الأسود الحريري على وجهها وقال لها بغضب خالطته الثقة:

-أنا لست بكاذب يا فريدة، أنا أحبك ولكن يبدو أنكِ لم تحبِني ومع أول موقف ويا ليته موقف أنه مجرد شك ها أنتِ ترغبين في هجري.

ازاحت فريدة يده بقوة وأخذت حقيبتها من على سريرها وقامت بسحبها وأعطته ظهرها وقالت بغضب:

-أهجرك لأنك كاذب ومخادع وأنا لا أحب الكاذبين أمثالك.

هتف بها بثقة ونفاد صبر وهو يتبعها وهي تغادر البيت:

-إن كنتِ ترغبي التأكد من صدق كلامي خذي الحبوب وسوف تتأكدي أنها مجرد مهدئات ولكني استبدلت العلبة كي لا تتعرفين عليها، وكان لدي أمل أن بانتهاء شهر العسل واستمراركِ على هذه المهدئات تكوني بخير و...

قطع كلامه صوت ارتطام الباب.

**

الفصل الثالث

العيادة

ها هي وتين تسمع صوت بوابة فيلتها أي أن هناك من دخل، ها هي تلمس سلسلتها ذات الحجر الأزرق فينبثق منه شاشة تختار منه خيار الكاميرات، فيظهر كل أرجاء الفيلا، وهنا تندهش عندما ترى بنتها فريدة في بهو الفيلا، فتهرع خارج غرفتها بلهفة كي تقابلها.

ها هي وتين تقف على الدرج أمام بنتها، فتقف فريدة أمام أمها وسرعان ما تشيح نظرها عن أمها محاولة الهرب، ولكن وتين تنزل درجتين لكي تقترب من فريدة ولكن سرعان ما تحولت لهفتها إلى قلق وريبة، لم تمنع فضولها من السيطرة عليها فسألتها:

-فريدة...؟ بنيتي...! هل أنتِ بخير...؟!

أشارت فريدة للروبوت كي يستمر في الصعود كي يضع حقيبتها في غرفتها، من ثم تنهدت وتمالكت اعصابها وقالت لأمها وهي تهم بالصعود:

-ها أنا أمامك يا أمي وهذا يعني أني بخير.

نظرت لها وتين ووضعت يدها على كتفها كي تمنعها من الصعود وقالت لها بتعجب:

-أمي...؟ أنتِ لا تقولين لي يا أمي إلا نادرًا... قولي لي يا بنيتي ما الذي حدث...! وأين زين...!

نظرت لها فريدة بنفاد صبر من ثم تنهدت وقالت وهي تهم بالصعود متجهة لغرفتها:

-يكفي أرجوكِ...؟ إلى متى ستظلين هكذا...؟ لمَ أنتِ مصرة على اقحام أنفك في حياتي...؟

ظلت وتين ثابتة في مكانها مصدومة من ردة فعل بنتها، وشعرت للحظة أن لسانها قد أنعقد وبمجرد ما سمعت صوت باب غرفة بنتها عندما قامت بغلقه بقوة أهتز جسد وتين النحيل من قوة الصدمة، وكان هذا الصوت قادر أن يحل عقدة لسانها ويفقها من صدمتها فأردفت وهي تهم تجاه باب فريدة:

-أقحم أنفي في حياتكِ لأنها حياتي، أنتِ أنا يا فريدة، وفي يوم ستكونين أم وسوف تشعرين بما أشعر به.

لم تتلق اجابة من فريدة، شعرت وتين بألم في قلبها من الحزن الذي أصابها، وضعت يدها على قلبها، وجرت قدمها تجاه غرفتها كي تهدأ قليلًا.

فريدة في غرفتها تجلس أمام مرآتها، تنظر لملامحها بعدم استيعاب من ثم تحولت نظرتها لذاتها لنظرة تعجب اختلطت بالكره وهي تتمتم في قرارة نفسها:

-من أنتِ...؟ لمَ صرتِ هكذا...؟! هل هذه هي الحياة التي كنتِ ترغبي في بدايتها...؟ يا ترى العيب بهم أم بي أنا...؟

تمسك فريدة رأسها من شدة الألم، ولكن سرعان ما يقطع شرودها صوت ارتطام شيء في نافذة شرفتها الزجاجية، فرفعت فريدة رأسها فنظرت في المرآة فرأت زجاج شرفتها منعكس أمامها في المرآة وهناك طائر ناري الريش يحاول أن يرتطم في زجاج الشرفة ولكن بلا جدوى.

ها هي فريدة تلتفت وتنظر للشرفة وتقول في قرارة نفسها وهي تهم بالحركة تجاه الشرفة:

-هل يا ترى هذا واقع أم مجرد هلوسة أو كابوس...؟

ها هي كل ما تقترب من الشرفة يقلل الطائر من هياجه ومحاولته في الطيران والارتطام في الزجاج.

ها هو هدأ تمامًا بمجرد أن وقفت فريدة بالقرب من الشرفة، ها هو يرفع رأسه لها بعينين لامعتين مما زرع في قلب فريدة الطمأنينة تجاهه.

نزلت فريدة على ركبتها من وراء الزجاج كي تراه بوضوح، وعندما تأكدت من هدوءه، قامت فريدة بفتح زجاج الشرفة وبدأت تمسح بيدها على ريش هذا الطائر.

رأت فريدة أن هذا الطائر جميل على عكس أي طائر رأته في حياتها لأن به لطافة غير معهودة وغير ذلك أن لونه برتقالي وهو لونها المفضل.

جلست على الأرض ومدت له يدها فصعد عليها، ها هي تقربه من وجهها، وتحرك خدها على ريش جسمه الناعم وهي تبتسم وهي مغلقة العينين سارحة.

ولكن سرعان ما تفق من شرودها وتتحول ابتسامتها لملامح ألم بعدما وخزها الطائر بمنقاره في رقبتها ونعق وطار في ذات اللحظة، ها هي فريدة ترفع رأسها وتنظر له وهو يطير في السماء، تنظر له غير فاهمة ما جرى، وتقول في قرارة نفسها:

-لمَ يحدث معي هكذا...؟ لمَ الأذى يلاحقني...!

ها هي تقوم وتقف أمام مرآتها فرأت ذلك الخدش في رقبتها قامت بتعقيمه من الدم وعلى وجهها ملامح الألم وقامت بوضع ضمادة وهي تتمتم غاضبة وهي تضغط على أسنانها:

-آه كل ذلك منها... هي السبب.

ها هي فريدة تخرج من غرفتها بغضب وتقتحم غرفة أمها الممددة على سريرها، وظهرها تجاه فريدة، فقالت فريدة غاضبة وهي تهم بالوقوف أمام أمها من الاتجاه الآخر:

-كل ما يحدث لي بسببك...

رفعت وتين رأسها وقالت لها بأسى:

-كيف يا فريدة...؟

أشارت لها فريدة على رقبتها وقالت لها بغضب ولكن ملامحها أخذت ملامح أنها تشاغب أمها:

-لا يوجد مرة أدخل في جدال معكِ إلا وتحدث لي مصيبة.

تحاول وتين النهوض وتسند ظهرها على السرير، من ثم تقول بصوت واهن لا يتناسب مع سنها الذي قارب على الخمسين:

-صدقيني يا بنيتي كل أمنيتي في هذه الحياة أن تكوني بخير وألا يصيبك مكروه.

جلست فريدة أمامها على السرير وهي تنظر بلوم وابتسامة في ذات اللحظة:

-وكيف سأكون بخير ما دمت إن لم أفعل ما ترغبين به تصيبني بلعنتك تلك.

-أقسم لكِ لا أقصد ذلك أبدًا.

أمسكت فريدة يد أمها وقبلتها ونظرت لها بعينين لامعتين:

-آسفة يا أمي لأني انفعلت عليكِ وأنتِ ليس لكِ ذنب فيمَ أمر به.

وضعت وتين يدها على يد بنتها وربتت عليها وقالت بصوت دافئ:

-وما الذي تمرين به يا حبيبتي...؟

تنهدت فريدة وقالت بنفاد صبر ولكن سرعان ما ابتسمت ابتسامة خفيفة:

-آه منك ومن فضولك يا وتين، ألن تكفي عن استجوابي...!

-لا، بل أريد أن يطمئن قلبي عليكِ.

تضرب فريدة ناصية رأسها بيدها الأخرى وتقول لأمها بلهفة:

-آه صحيح، طمئنيني عليكِ، هل كنتِ تأخذين أدويتكِ أم لا...؟

اشاحت وتين نظرها قليلًا وأردفت:

-بصراحة أغلب الوقت يفوتني موعده لأن...

قاطعتها فريدة بغضب وفي ذات اللحظة تلمس حجر خاتمها و

تعطي أمر من الشاشة المنبثقة كي يحضر الروبوت:

-لماذا تفعلين بي هكذا...؟ لمَ تشغلين بالك بي ولا تشغلين بالك بنفسك وبصحتكِ...؟

في خلال ثوان كان الروبوت أمامهما، وها هي فريدة تلمس وجه الروبوت فتتحول ملامح وجهه المرسومة على شاشة رأسه، إلى عدة إعدادات تقوم فريدة بها وهي تكمل كلامها لأمها التي لا ترد:

-يبدو أن الاعتماد عليكِ في الانتباه لصحتك لا يفيد، روبوت سوف يعطيكِ الدواء وسوف يرسل لي في حال أخذك للدواء وسوف أراكِ مباشرةً من شاشة الروبوت على شاشة خاتمي، لا مفر يا وتين.

-حسنًا يا فريدة اتفقنا، ولكن ما الذي حدث معكِ أنتِ لم تكملي بضعة أيام في شهر ال...

قاطعتها فريدة وهي تهم بالوقوف:

-مجرد سوء تفاهم بيني وبين زين، والبعد أفضل من أن نظل سويًا ويحدث جدال يزيد الأمر تعقيدًا.

-ولكنكما لم تكملا شيء كي تبدأ الخلافات.

بدأت فريدة بالتحرك تجاه الباب وهي تقول:

-هذا ما حدث، لا تشغلي بالك ولا توجعي قلبك بسبب حياتي، كل شيء سيكون على ما يرام.

فريدة وهي عند باب الغرفة تقف بسبب صوت أمها الذي ينادي عليها بلهفة:

-فريدة، إلى أين أنتِ ذاهبة...؟

تلتفت لها فريدة وهي تمسك بالباب وهي تبتسم وتهز رأسها وتقول:

-لا فائدة منكِ يا وتين، أظن أن أنفك ذا خلق كي يتدخل في حياتي وكفى.

ابتسمت لها وتين وقالت لها بإصرار:

-هذا لا يمنع من ردكِ على سؤالي.

-حسنًا لا مفر منكِ، عليّ أن أرد عليكِ لأني أخاف إن لم أرد عليكِ الآن تحدث لي مصيبة وأنا في الخارج.

-الخارج...؟ إلى أين...؟

-سأذهب لأرى احتياجات شقة العيادة أريد أن أبدأ بالعمل كي أشغل عقلي قليلًا.

-سوف أنتظرك على العشاء، لذا لا تتأخرين عليّ.

***

ها هي فريدة في الممر تجاه غرفتها وهي تلمس حجر خاتمها فاختارت من الشاشة المنبثقة جزء غرفة الملابس من ثم قامت

بتكبير الشاشة وقامت باختيار سروال أسود وقميص حريري قصير لونه برتقالي كما تعلمون أنه لونها المفضل وحذاء كعب لونه أسود، وبمجرد دخولها للغرفة كانت الملابس جاهزة على السرير ويقف بجوارها الروبوت وعلى وجهه ابتسامة.

همت فريدة بخلع قميصها الأبيض وبمجرد أن خلعته نظرت تجاه شرفتها وتمعنت في النظر فأدركت أن هناك أحد أمامها في شرفة الفيلا المجاورة يتطلع عليها، أدرك أنها رأته فتوتر وفي ذات اللحظة لمست حجر خاتمها وأمرت بإغلاق ستار الغرفة.

***

ها هي فريدة تخرج من فيلتها وتمشي في الحديقة متجه للباب الخارجي وهي تلمس حجر خاتمها ومن ثم تعدل نظارة الشمس خاصتها، ولكنها تصدم.

فترفع رأسها فترى أمامها خالد، فتشيح نظرها عنه بسرعة وتهم بلمس خاتمها كي تفتح باب سيارتها، يوقف حركتها صوت خالد متنحنح:

-جئت لكي أعتذر لكِ عن الموقف الذي حدث منذ قليل.

لم تنظر له فريدة وهمت لكي تدخل سيارتها ذات الباب المفتوح لأعلى وقالت:

-لم يحدث شيء كي تعتذر.

ها هي تهم بلمس زر كي تغلق باب سيارتها ولكن خالد وضع يده فالباب تلقائيًا توقف عن النزول، نظرت له فريدة للحظة

بغضب وفي ذات اللحظة أشاحت بنظرها بعيدًا وهي تتنهد وقبل أن تنطق بحرف سألها خالد مستغربًا:

-هل يمكن أن أعرف إن كنتِ تتجاهلين النظر لكل الناس أم لي أنا فقط...؟

تنفست فريدة الصعداء وقالت بنفاد صبر:

-لا أنا هكذا مع الغرباء عني.

ابتسم لها خالد وقال لها بود:

-ولكن يمكن أن نكون أصدقاء... ها ما رأيك...؟

هزت فريدة رأسها وهي تضغط على الزر مرة أخرى في السيارة كي ينزل الباب وهي تقول:

-حسنًا ولكن في وقت آخر.

طرق خالد على زجاج السيارة فأنزلت فريدة الزجاج وتنفست الصعداء فابتسم لها متسائلًا:

-هل يمكن أن أعرف إن كان زين في الفيلا أم لا...؟

-لا ليس في الفيلا، ولكن هل تسمح لي بالرحيل لدي عدة أمور يجب أن أقوم بها.

-هل ترغبين بأن أرافقك...؟

خلعت فريدة نظارتها ونظرت له نظرة حيرة صاحبتها ابتسامة وأردفت:

-هل أنت الخجول الذي حكى لي عنه زين...؟

ضحك خالد وأردف وهو يرفع حاجبه:

-كل شخص خجول أو منطوي هو شخص لم يجد من يرتاح معه، ولكن في حالة أنه وجد من يطمئن إليه يكون شخص مرح جدًّا.

رفعت فريدة حاجبها وقالت مبتسمة:

-أوه كلام موزون يا دكتور خالد.

ضحك لها خالد وقال بثقة:

-يمكنني أن أبهرك أكثر ولكن أعطي لي الفرصة.

-حسنًا تشرفت بك يا خالد، وفي حالة عودة زين سوف أخبره بأنك سألت عليه.

ضم خالد شفتيه متحيرًا هل يبوح بما في داخله أم لا...؟! هنا أنقذته فريدة من حيرته:

-هل تريد أن تقول شيء آخر قبل أن أرحل يا خالد.

ابتسم لها خالد وهو يلف يده في توتر:

-بصراحة، أريد أن أكون معكِ، أساعدكِ.

-ولكن ها هو روبوت معي في السيارة إن احتجت لمساعدة.

فجأة شحب وجه خالد ولكن سرعان ما تداركت فريدة الوضع وقالت بابتسامة:

-حسنًا، تعال أركب يبدو أن صار لي أخ صغير أخيرًا.

ابتسم لها خالد وهم مسرعًا بركوب السيارة.

ها هي فريدة بدأت في القيادة، فارتفعت السيارة عن الأرض، وفي لحظات وصلا لعمارة راقية جدًّا، ها هما يصعدان المصعد الزجاجي للدور ال27 وبمجرد أن وصلا وجدت عدة صناديق وجوار الصناديق روبوت، انبثقت من عيني أي شاشة رأسه شعاع فحص وجه فريدة وصدر منه صوت " تم التسليم".

أعطت فريدة أمر للروبوت الخاص بها أن يقوم بحمل الصناديق وادخالها للشقة، ها هي فريدة تصدر الأوامر للروبوت والروبوت يقوم بتنفيذها وكذلك هي وخالد يقومون بتعديل بعض اللمسات وهما يبتسمان لبعضهما البعض.

مجرد عدة الواح زجاجية في عرض اللاب توب يتم فتحها وترتيبها فتكون في النهاية طاولة وباستخدام جهاز التحكم يمكن تغير لونها أو حتى أشكالها على حسب الحالة المزاجية، وكذلك تلك مجرد كرة مطاطية يتم فتحها ويقوم الروبوت بملئها بالهواء فتتحول إلى أريكة جلدية مريحة، مجرد جهاز دائري ذا أربع كاميرات واحدة في كل اتجاه، ولكنها ليست بكاميرات بل ينبعث منه لوحة على كل جدار أو الزاوية التي يرغب بها المرء، ها هي فريدة تقوم بالتبديل بين اللوحات العالمية الشهيرة التي تظهر على الحائط الذي أمام مكتبها، لم يعجبها أغلب اللوحات ولكن فجأة ظهرت أمامها لوحة تحولت بسببها ملامحها من ضجر وملل وعدم الرضا إلى الدهشة، هنا قطع خالد شرودها متسائلًا:

-هل أعجبتك تلك اللوحة يا فريدة...؟

هزت فريدة رأسها معلنة افاقتها من شرودها وقالت:

-آه، نعم، أعجبتني ولكن...

رجعت مرة أخرى تتأمل في الصورة المنبثقة على الجدار بتقنية أقرب للحقيقة يكاد المرء منا في عصرنا ذا يشعر أنها حقيقية من شدة انبثاقها خارج الجدار لا موجودة عليه فقط، من ثم تمتمت فريدة لخالد وهي تقترب من اللوحة:

-أعجبتني ولكن ذلك الطائر لقد رأيته...

قاطعها خالد ضاحكًا:

-أكيد في الأحلام يا فريدة.

التفتت له فريدة مصدومة وأردفت:

-كيف عرفت أني أراه في أحلامي...؟

أردف خالد بمنتهي الثقة وهي يستند على المكتب الزجاجي:

-لأنه طائر أسطوري، لا وجود له في الواقع.

نظرت له فريدة غير مستوعبة وقالت بتعجب:

-ولكني رأيته في الواقع مرتين.

نظر لها خالد غير مصدق وسألها:

-رأيتِ طائر الفينيق في الواقع...!

التفتت فريدة مرة أخرى للصورة وقالت له بحيرة:

-بصراحة أنا لا أعلم اسمه حتى، ولكن للحق الذي رايته كان مثل الطائر الموجود في اللوحة تمامًا ولكن الفرق أن في الصورة عملاق جدًّا بينما في الواقع هو بحجم النسر تقريبًا.

من ثم التفتت فريدة لخالد وسألته:

-هل أنت تحب الطيور...؟

-يعني إلى حد ما... لا أستطيع أن أقول لكِ أني ملم بكل شيء عن الطيور لأن هذا سيكون غرور مني، كما تعلمين أن الدنيا بها الكثير من العلوم وكل علم ما هو إلا بحر مهما حاول المرء أن يجترع منه لا يستطيع أن يأخذ منه إلا القليل، وكاذب من يقول لكِ أنه ملم بعلم ما، لأن مهما ذهب المرء للبحر استحالة يرجع منه مرتوي بل سيظل دائمًا عطشان، وقد ينفد عمر المرء ولا ينفد بحر العلم أبدًا.

طائر الفينيق {العنقاء}

ابتسمت له فريدة وأخذت تكمل أوامرها للروبوت بوضع تلك الكرة المطاطية لكي يتكون شيزلونج "الكرسي الذي يتمدد عليه المريض في العيادة النفسية"، وكذلك يضع تلك الشريحة المطاطية على أماكن معينة على كرسي مكتبها أو الكرسي المجاور للشيزلونج ويقوم بتعبئتها بمجرد لمسة فتتحول إلى وسائد جلدية مثبتة على الكراسي الزجاجية.

ها هي فريدة وهي تتابع لمسات الروبوت تتابع حديثها مع خالد وهي تقول بابتسامة:

-حسنًا يا خالد أحببت تواضعك، ولكن هل يمكن أن تخبرني بما تعلمه عن ذلك الطائر، أو كما تقول الأسطورة.

أخذ خالد يتبعها حيث تذهب ويحكي لها:

-هذا طائر الفينيق أو كما يقولون عنه طائر العنقاء كان...

التفتت فريدة فجأة ونظرت للوحة وقالت بتردد فقاطعت كلام خالد:

-ولكن يا خالد أشعر أنها الصورة غير ملائمة في العيادة.

بتر خالد كلامه بعدما قاطعته فريدة بجملتها وهي تبدل بين اللوحات بعد ثاني لوحة توقفت وقالت بلهفة وهي تلتفت لخالد:

-أوه كم أحب هذه اللوحة إنها لوحة "قيظ يونيو".

ابتسم لها خالد وقال لها:

-إنها لتحفة فنية للفنان البريطاني "فريدريك ليتون".

لوحة "قيظ يونيو"

بريشة الفنان "فريدريك ليتون".

فريدة نظرت له بدهشة ومن ثم ابتسمت:

-يبدو أنك لست سهل يا خالد برغم صغر سنك.

-لست صغير كما تتوقعين، ولكن كل ما في الأمر أن هذه اللوحة من أهم لوحات العصر الفيكتوري، ذات تركيبة عبقرية من حيث الانسجام بين الألوان بين الثوب البرتقالي "الزعفراني" الشفاف الذي ترتديه الفتاة الحسناء، حيث أن فريديك ليتون قام بلمسة مختلفة بأنه لم يتبع خط رسم النساء العاريات، ولكن رسم تلك الشابة التي يُذكر أنها كانت الموديل الخاصة به التي شاركت معه في عدة أعمال وكانا سوف يتزوجان ولكن لم يكتمل الأمر.

تنظر له فريدة وتبتسم وهي تهم بالجلوس على الكرسي المجاور للشازلونج، فابتسم لها خالد وقال بإحراج:

-أعلم إن هذا ليس موضوعنا.

ضحكت فريدة وقالت ساخرة:

-يبدو أن الفتاة الحسناء أعجبتك بشدة لدرجة أنك أحببت أن تعرف قصة حياتها.

ضحك خالد وأكمل بمنتهى الثقة كي يتجنب احراج فريدة له:

-وجود دورثي دين في هذه اللوحة هي رمز للإغراء المتستر وراء ذلك الثوب الشفاف، والتناغم يزيد بين اللون البرتقالي النابض بالحياة مع اللون الأزرق المنعكس من البحر في الخلفية وعليه بعض التلألأ بسبب أشعة الشمس.

قاطعته فريدة وقالت بثقة وهي تبتسم:

-ولا تنسى اللغز المحير في الصورة.

هز خالد رأسه بثقة وقال ضاحكًا في نفس الوقت الذي قالت فيه فريدة:

-زهرة الأوليااندر.

ضحكا الاثنان سويًا لأنهما قالا نفس الكلمة في ذات اللحظة.

همت فريدة هي وخالد وتأملا اللوحة وقالت بحيرة وهي تبتسم:

-وما رأيك بخصوص هذه اللمسة يا خالد...؟ إلى أي رأي تميل أكثر... هل الزهرة زادت من جمال اللوحة بما إن زهرة الاوليااندر هي رمز للإغراء أم تميل إلى رأي أن هذه الزهرة سامة فوجودها في هذه اللوحة يجعلنا لا نثق في هدوء الجميلة النائمة بل علينا أن نشك بها بأنها أنثى قاتلة؟

ابتسم لها خالد ونظر لها وقال ضحكًا كأنه يأخذ حذره من عدوه الذي يريد أن يمكر به:

-آه أنه لسؤال ثعباني ماكر، لن أجاوب عليه يا فريدة.

ضحكت فريدة وسندت نفسها على المكتب وواجهت خالد وقالت له بحيرة:

-ولمَ لا يا خالد...؟

سند خالد نفسه على المكتب بجوارها وهو يهز رأسه ناكرًا:

-لا لن أجاوب، لست مجنون كي أجاوب عليكِ، منذ قليل كنت أصف حال الصورة أتهمتني أني أتبعت خط حياة دورثي دين.

وأنا أعرف تحليلك لأجوبتي في كلا الحالتين، في الحالة الأولى إذا قلت لكِ إن زهرة الاوليااندر هي رمز للأغراء وزادت من جمال اللوحة التي تزينها الجميلة النائمة ذات الثوب الشفاف الزعفراني سوف تقولين عني شهواني.

التفتت له فريدة ونظرت له وهي ترفع حاجبها وتبتسم، فأكمل خالد كلامه:

-لا تضحكين عليّ يا فريدة انتظري سوف أكمل لكِ، وإذا قلت لكِ إن هذه الزهرة سامة فهذا يدل أن على المرء ألا ينخدع في جمال النساء لأن في النهاية سوف يؤدون به إلى الهاوية، إذا قلت لكِ ذلك ستقولين عني أني رجعي كيف لي أن أظن في المرآة هكذا وإذا صدقت هذا، فهذا يدل على أني أصدق أن حواء هي سبب خروج أدم من الجنة، وابنتها هي السبب في أن قابيل يقتل هابيل، وبالاختصار أن المرأة هي أساس كل الشر، لذا لن أقول رأيي.

ضحكت فريدة وهمت تتحرك وتتابع اختيار الأوامر من الشاشة التي انبثقت عندما لمست حجر خاتمها عندما همت بالحركة خارج الغرفة وهي تقول وهي تضحك:

-حسنًا يا خالد يا لئيم.

اتبعها خالد وقال لها مبتسمًا وهو ينظر لها وهي بجواره في ردهة العيادة:

-لست لئيم أقسم لكِ.

قالت فريدة بثقة وهي تختار الترتيب المناسب لحجرة الاستقبال:

-للعلم أنا طبيبة نفسية، يعني أذا أحببت أن تحكي عن أفكارك، ميولك، رغباتك الدفينة أو ما يتعبك سوف تجدني معك، لذا لا تخبئ عني شيء.

أمسك خالد ذراعها ولكنه تردد في ذات اللحظة فترك ذراعها وهو يقول لها وهي تواجهه:

-بالعكس هذه أول مرة أفتح قلبي هكذا وأتحدث مع أحد، أشعر أني أعرفكِ منذ زمن.

ما زالت تنظر له فريدة بشرود بعدما أمسك ذراعها ولكنها أفاقت من شرودها وقالت وهي تبتسم:

-وأنا أيضًا أحببت الحديث معكِ.

ولكن سرعان ما ابتسمت وسألته:

-هل أنت من النوع الخجول...؟

نظر لها خالد بتعجب وقال لها:

-ولمَ استنتجتِ هذا...؟

-لأن وجهك اكتسب حمرة بمجرد أن لمست ذراعي بالرغم أننا اتفقنا أنك أخي الصغير.

-أوه لا أدري حقًا.

اشاحت فريدة نظرها عنه لوهلة كي لا تحرجه، ولكن عندما نظرت لشاشتها المنبثقة من حجر خاتمها انتبهت للوقت فتحولت ابتسامتها إلى ملامح الجد وقالت لخالد:

-يجب أن أعود للبيت، أمي تنتظرني على العشاء.

ظل خالد شارد قليلًا، لم تفهم فريدة ماذا يريد فقطعت الصمت الذي دام للحظة وقالت بمجاملة:

-ما رأيك تأتِ لتتناول معنا العشاء وتتعرف على أمي...؟

ابتسم لها خالد وقال:

-أوه، لن أستطيع، ولكن يمكن أن أمر عليكم بعد العشاء.

ابتسمت له فريدة وفي قرارة نفسها قالت:

-أوه يبدو أنه أعجبه الصحبة، ولكني أرغب أن أرتاح.

هنا قطع خالد شرودها وقال لها بلباقة:

-هذا في حالة إن كنتِ بحالة مزاجية جيدة يمكنكِ التأكيد عليّ برسالة، بينما إذا أردتِ أن ترتاحين فسوف نعوضها في يوم آخر.

هنا ابتسمت له فريدة ابتسامة ومن وراء زجاج عينيها لمعت لمعة التوتر وقالت في قرارة نفسها:

-وكأنه سمع ما يجول في خاطري.

ولكن سرعان ما تحولت نظرتها إلى نظرة طمأنينة وهي تهم بالحركة كي تقلل من توترها وأكملت في قرارة نفسها:

-أو يمكن أنه شاب يفهم في الذوق.

قطع شرودها خالد بصوت هادئ:

-هل تسمحي لي أن أكون معكِ في طريق العودة، صدقيني أنا ارتحت كثيرًا للحديث معكِ.

بمجرد أن وصلت فريدة أمام بيتها وخرجت من سيارتها هي وخالد، سرعان ما رأت زين أمامها.

نظر لهما زين مبتسمًا ولكن فريدة مرت بجانبه من دون أن تنظر له أو تبدي أي تعبير على وجهها، ولكن سرعان ما صاح زين مرحبًا بخالد:

-أهلًا أهلًا يا خالد، يبدو أنك خرجت من قوقعتك أخيرًا.

ابتسم له خالد وهو يمد له يده بالسلام:

-أهلًا يا زين سررت بعودتك يا عريس.

ضحك له زين وهو يهمس له:

-لا تذكرني بأني عريس، يبدو أن شائعة الجواز يدمر كل شيء جملة حقيقة.

نظر له خالد مبتسمًا وأردف:

-لماذا تقول ذلك يا رجل...؟ أن فريدة يتمناها كل من يراها.

نظر له زين متعجبًا من ثم ابتسم وقال:

-يبدو أنها صارت صديقة لك كي تكون في صفها.

ضحك خالد وهو يدلف لحديقة الفيلا مع زين:

-صدقني يا صديق أنتما الاثنان فرقتما في حياتي بشكل كبير ودخلتم قلبي سريعًا لذا أنا في صفكما لا أنحاز لأي منكما.

-خير ما فعلت يا صديق، ولكن نصيحتي لك ألا تغلط غلطتي وتتزوج، صدقني كل شيء كان جميل قبل اتخاذ هذا القرار.

نظر له خالد بحيرة وقال له:

-أي قرار...؟

ضربه زين ضربة خفيفة على كتفه مداعبًا إياه مبتسمًا وأردف:

-قرار الزواج يا خالد أين عقلك يا صاح...!

ابتسم له خالد محرجًا وهو يضرب جبهته بكف يده، ولكن سرعان ما أكمل زين ممازحًا إياه:

-يبدو أنك جائع يا صديق لذا هيا أدخل معي، نتعشى سويًا ونسهر، ها ما رأيك...؟

وضع خالد يده على صدره مبتسمًا وهو يمد قدمه متجهًا للخارج وبذوق قال:

-لا يا زين، تعوض في مرة أخرى، ارتح أنت اليوم.

-أقسم لك سوف تقضى سهرتك معنا، أنا قسمت.

ابتسم له خالد وأردف:

-حسنًا يا صديقي ولكن لا تعتاد أن تقسم هكذا لا تورطني معك.

ضحك له زين وقال بثقة:

-أنا أخوك الكبير اسمع كلامي من دون أن تضطرني أن أحلف اتفقنا...!

-اتفقنا... وهل أقدر أن أقول لك شيء غير هذا.

وضع زين يده على كتف خالد وقال ضاحكًا:

-آوه، الآن فهمتني يا خلّود.

من ثم دلفا للفيلا ودخلا غرفة الطعام وجلسا على المائدة، من ثم دخلت وتين مرحبة بالضيف:

-أهلًا أهلًا، لدينا ضيف.

من ثم عندما ركزت في ملامح خالد تحولت ملامحها من الترحيب والابتسامة إلى حيرة من ثم أشرت لخالد وزين وقالت متسائلة وهي تهم بالجلوس على الكرسي الأساسي للمائدة:

-هل هو من أقاربك يا زين...؟

ابتسم لها زين وقال بثقة:

-آه، إنه أخي.

هزت وتين رأسها وقالت بثقة:

-صحيح أخوك لأنه يشبهك كثيرًا.

وكزه خالد في ذراعه وهو يضحك، فنظرت لهما وتين وسألتهما بابتسامة:

-ماذا بكما يا شباب...؟ شاركاني ما يضحككما.

هنا هم خالد في الحديث:

-أنا خالد...

ولكنه لم يكمل كلامه لآن فريدة قد دخلت الغرفة مقاطعة كلامه وهي تهم تجاه مقعدها المقابل لمقعد زين وقالت بثقة خالية من المزح:

-إنه خالد يا وتين، خالد جارنا.

نظرت وتين بحيرة وابتسمت لزين الذي يضحك لها وقالت:

-حيرتموني معكم يا شباب...!

توقف زين عن الضحك وقال بجد وهو يبتسم ويمسك يد وتين:

-أمزح معكِ يا توتة... ما قالته فريدة صحيح، ولكن قولي لي أليس خالد يشبهني...!؟

ألقت وتين نظرة على كليهما وقالت بابتسامة وهي ترفع كلا حاجبيها:

-يشبهك بشدة.

داعبها زين وهو يدغدغها في جانبها وأردف ساخرًا:

-لا يشبهني بفتحة.

ضحكت وتين وقالت بضيق:

-أرحمني يا زين من مزحك الثقيل ذا.

تصنع زين الحزن بمبالغة وأردف:

-مزحي ثقيل، ولكن أمي كانت تقول لي أني حلو مثل الشربات في القلب والقالب.

تمتمت فريدة بصوت خفيض وهي ترفع شفتها معترضة:

-القرد في عين أمه غزال.

هنا نظر لها زين متعجبًا أنها أخيرًا نطقت بكلمة له، ولكن سرعان ما تمالكت وتين الموقف وهي تمسك بيد زين كي تقلل من احراجه:

-بل الحقيقة أن زين جميل في كل شيء، أنتِ محظوظة لأنه لكِ.

مضغت فريدة تلك اللقمة التي كانت في فمها وهي تنظر لهما غير معجبة بما يحدث، من ثم قالت وهي تهم بالوقوف:

-حسنًا، اعتبرِني تركته لكِ ولكِ مني عليه قبلة.

من ثم طبعت قبلة على خد أمها بحزم وقوة وهمت خارجةً، نظرت لها وتين بحيرة واتبعتها بعينيها من ثم التفتت إلى زين مستغربةً مبتسمة:

-ماذا يجري يا شباب...؟ أكيد كل شيء يحدث من الصباح مع فريدة مجرد مزح... أليس كذلك...!

رسم زين ضحكةً على وجهه وقال:

-أكيد يا أمي نمزح معكِ.

من ثم ألقت نظرة على خالد الذي لا يضع منطق وقالت له:

-خالد يا بني... أنت لم تأكل شيء ولم تتكلم حتى.

هم خالد موضحًا مبتسمًا بعد أن أفاق من شروده وترك الشوكة التي في يده:

-لا بل أنا...

قاطعه زين موضحًا لوتين:

-القصة وما فيها يا أمي أنه خجول بعض الشيء.

نظرت له وتين بحنان وأردفت:

-خذ راحتك يا خالد، ومن الآن اعتبرني مثل أمك، أوه كم أنا محظوظة صار لدي ولدين.

هز خالد رأسه وأردف:

-هذا شرف لي يا أستاذة وتين.

وكزه زين وقال له هامسًا:

-قالت لك أنها تعتبرك أبنها يا صاح...
تنحنح خالد عندما نظر لوتين فرآها تبتسم له:

-حسنًا يا أمي.

تناولت وتين لقمة أخرى من ثم همت واقفةً وهي تبتسم وأردفت:

-سوف أتركك على راحتك أنت وزين هذه المرة ولكن المرة القادمة لا تخجل مني أنت في بيتك.

بمجرد خروجها أكمل زين أكله ولكنه تحير من خالد الذي يمسك الشوكة فقط ولا يأكل، فسأله مستغربًا:

-ماذا بك يا صاح...؟ قلت إن الخجل هو الذي يمنعك من الآكل، ها لمَ لا تأكل الآن...؟ هل تعتبرني غريب أيضًا...!

هز خالد رأسه نافيًا وهو يبتسم قائلًا:

-لا يا صاح، كل ما في الأمر أني أكل طعام مخصوص، لأن أغلب الطعام يسبب لي حساسية.

زفر زين من ثم هز رأسه مستغربًا:

-أوه أنت غريب يا خالد، ولكن لا يهمك يا صاحبي قل لي ما يناسبك ونجهزه لك مخصوص.

-يكفيني وجودي معكم لا تشغل بالك بأكلي.

اكتفى زين من الأكل وهم واقفًا وقال بحماسة:

-حسنًا يا خالد، هيا بنا نجلس في غرفة الضيوف قليلًا.

هز خالد رأسه موافقًا.

ها هما يدخلان غرفة الجلوس، كانت فريدة تحتسي كوب القهوة سريعة التحضير وبجوارها أمها تحتسي فنجان قهوة وهي تهمس لها ضاحكةً:

-كم أنتِ محظوظة به يا فريدة.

وفريدة تجاريها بضحكةً خفيفة ولكن سرعان ما يبتران حديثهما بدخول خالد وزين الذي هم عائدًا للمشاغبة:

-آه إذا حضرت الشياطين كفت الملائكة عن الحديث.

نظرت له فريدة بعند:

-حمدًا لله أنك تعرف نفسك جيدًا.

أشار زين لوتين مشهدًا إياها وهو يهم بالجلوس مقابلًا أيهما:

-ها أيرضيكِ يا وتين ما يحدث...؟

وكزت وتين فريدة وقالت له مبتسمة:

-لا يا بني لا يرضيني ولكنها تمزح معك.

هز زين رأسه موافقًا من ثم نظر لهما جميعًا، وقال بحماسة:

-ها ما رأيكم أن نسهر على فيلم رعب جديد...؟

همت وتين واقفة وسحبت زين من يده وجعلته يجلس بجوار فريدة ومن ثم أخذت يده ووضعتها على كتفها وقالت بابتسامة:

-قم باختيار برنامج السهرة على مزاجك ولكن أظن أن الوضع هكذا أفضل.

من ثم سحبت يد خالد واجلسته بجوار زين ومن ثم جلست بجوار فريدة من الاتجاه الآخر وهمست لها:

-أليس هكذا أفضل يا ريدا...؟

تمتمت لها فريدة وهي تنظر لها نظرة أن ليس في يدها حيلة:

-وهل أقدر أن أقول عكس ذلك.

ضحكت لها وتين ومن ثم طلب زين الروبوت من خلال صوته لخاتمه، ومن ثم أختار أن يقوم بعرض فيلم رعب عن مصاص دماء.

هم خالد واقفًا أول ما سمع اقتراح زين وأردف بتردد:

-اعذروني يا جماعة ولكني لا أحب هذه الأفلام.

سحبه زين من يده وقال له ممازحًا:

-أجلس يا رجل لا تكن جبانًا، وأن خفت كثيرًا يمكنك أن تبيت هنا الليلة.

ابتسم له خالد وقال له:

-كف عن مزحك يا زين ليس الأمر كذلك ولكن.

سحبه زين بقوة وأجلسه وأردف بإصرار:

-أجلس يا رجل، ها ولا تنسى اتفقنا أنا أخوك الكبير أسمع كلامي.

بالفعل جلس واستمتعوا بالفيلم ولكن في منتصف الفيلم نامت وتين ومن ثم بعد قليل ومض خاتم زين ذا الحجر الأحمر القاتم فأنزل يده من على كتف فريدة فنظرت له بحيرة متسائلة ولكنه رد عليها هامسًا قبل أن تنبس ببنت شفة:

-اتصال مهم يجب أن أرد عليه يا حبيبتي وسوف أعود لكِ.

من ثم طبع قبلة على خدها، ولكن ظلت فريدة تنظر له بحيرة غير منتبهة للفيلم وتقول في قرارة نفسها:

-منذ متى وزين يخفي الشاشة المنبثقة من حجر هاتفه التي تعرفني المتصل، منذ متى يُفَعِل الوميض فقط...؟

ولكن الفضول زاد في داخلها، فهمت تلحق به تاركة خالد مع أمها النائمة على طرف الأريكة الآخر، ولكن بسبب لهفتها وسرعتها وعدم انتباهها لطريقها ارتطمت بالطاولة الصغيرة الموجودة أمام الأريكة، فوقع كأس العصير الذي كان يشربه زين، فانتبهت له فهمت لكي تلتقط الزجاج بسرعة غير مفكرة في أن تطلب ذلك من الروبوت.

ها هي تلتقط قطع الزجاج من على الأرض بسرعة وبسبب سرعتها ها هي تصدر صوت صرخة سرعان ما كتمتها بسبب إصابتها بجرح في يدها، هنا هم خالد مقتربًا منها هامسًا لها:

-هل أنتِ بخير يا فريدة...؟

فريدة تنظر لإصبعها الذي ينزف بشدة ولكن سرعان ما يمسك خالد يدها ويبدأ في مص الدم من أصبعها.

فريدة تنظر له بتعجب ضاحكةً وهي تهمس له:

-يبدو أن الفيلم قد أثر عليك يا خالد.

توقف خالد عن مص الدم من اصبعها وقال مبتسمًا هامسًا:

-لا أبدًا كل ما في الأمر أنها طريقة فعالة لوقف النزيف.

من ثم عاد كي يكمل مص الدم من اصبعها، هنا مدت فريدة يدها الأخرى على كتف خالد وهي تهمس له:

-خالد هذا يك...

ولكن قبل أن تكمل كلامها قاطعها صوت أمها الناعس التي تنظر لها بعينين ناعستين مستغربة:

-ماذا يحدث يا فريدة...؟

تسحب فريدة يدها بسرعة وتنظر لأمها بتوتر وهي تهم بالوقوف هي وخالد:

-لا شيء يا أمي... كل شيء على ما يرام، مجرد كأس كُسر وجرح إصبعي.

في ذات اللحظة دخل زين مستغربًا من وقوف خالد وفريدة واستيقاظ حماته فأردف متسائلًا:

-ماذا حدث يا جماعة...؟

التفت له خالد ولكن سرعان ما ردت وتين:

-فريدة سقط منها الكأس وجرح اصبعها.

هم زين تجاه فريدة بلهفة وهم يمسك يدها بقلق وقال:

-دعيني أرى جُرح اصبعك يا حبيبتي...؟

سحبت فريدة يدها بسرعة وقالت بصوت خفيض:

-مجرد جرح بسيط.

هنا قالت وتين وهي تهم من مكانها بتعب:

-انتبهي لنفسك يا فريدة.

نظرت لها فريدة بحيرة وقالت:

-ولكن إلى أين أنتِ ذاهبة...؟ لم يكتمل الفيلم بعد.

ابتسمت لها وتين ضاحكةً وقالت:

-على أساس تابعت منه شيء، أنا كنت مع الملائكة أكل رز بلبن، لذا سوف أصعد غرفتي لكي أكمل باقي طبقي.

ابتسم لها كل من خالد وزين وفريدة، ومن ثم برز صوت خالد وهو يقول مستأذنًا:

-أسمح لي يا صديق أن أعود لبيتي الآن.

وضع زين يده على كتف فريدة وأردف:

-لا يا خالد، أجلس أكمل معنا الفيلم على الأقل.

-لا، لا أقدر صدقني ولكن أشكرك على هذه السهرة الجميلة.

وهم يسلم عليهما مودعًا إياهما ولكن زين نظر له ممازحًا إياه:

-خالد، أن كنت خائف يمكنك المبيت هنا لا تحرج إن هذا بيتك.

ابتسم له خالد وقال له وهو يضربه ضربة خفيفة على كتفه:

-توقف يا زين عن مزحك ذا، هيا تصبحان على خير.

بمجرد أن خرج خالد سحب زين فريدة وجلسا على الأريكة وضمها لحضنه، ولكنها خرجت من حضنه، فسألها:

-إلى متى سوف تبتعدين عني...؟

لم تنظر له فريدة وهمت بسحب منديل من على المنضدة وأردفت وهي تلف المنديل على جرحها:

-أنا لا ابتعد عنك، ولكن أنت تزيد الشكوك حولك...؟

امسكها زين من ذراعها كي تواجهه وقال لها بحيرة:

-أي شكوك يا فريدة...؟ قولي لي ماذا أفعل لكي ترضي عني وأنا مستعد كي أفعله...!

نظرت له فريدة بشك وأردفت:

-لماذا فعلت خاصية الوميض فقط في حجر خاتمك...؟ منذ متى يا زين...؟

زم زين شفتيه ورفع كتفيه غير فاهمًا:

-وما بها يا حبيبتي...! أنتِ دائمًا مفعلة هذه الخاصية ولم أقل لكِ شيء.

نظرت له فريدة بجد وحزم وقالت:

-زين، لا تقلب الطاولة عليّ ها، أجب على ما قلته لك وكفى.

هم زين ومسك يدها وقال لها بصوت هادئ:

-لكِ ما تشائين يا حبيبتي اعتبري أني لم أقم بتفعيلها من الأساس، هذه أول وآخر مرة، ها قولي لي ما الذي يرضيكِ وأنا تحت أمر معاليكِ.

ابتسمت له فريدة فهم بأخذها في حضنه وقال لها بلهفة:

-آه، كم أشعر أن روحي قد عادت لي من جديد بمجرد أن رأيت ضحكتك.

وكزته فريدة وقالت له مداعبة إياه:

-توقف عن كذبك ذا يا زين.

زاد زين من ضمته لفريدة وقال لها بعد أن تنهد كمن عاد للحياة من بعد البعث:

-آه يا فريدة، كم ساعة من دونك شعرت أن الدنيا ما هي إلا قبر معتم وبرغم وسع هذه الدنيا ألا أني شعرت أنها ضاقت

عليّ إلى أن صرت لا أستطيع أن اتنفس في مكان أنتِ لستِ معي به.

خرجت فريدة من حضنه وقالت له بحيرة:

-لمَ تحبني هكذا يا زين...؟

زم زين شفتيه وقال في حيرة:

-أقسم أني لا أدري ما هو السبب ولكن أشعر أن روحي متعلقة بروحك بجنون، أنا لا أستطيع العيش بدونك.

-يعني لم تفكر قط أن تؤذني...؟

-أنا أؤذي نفسي ولا أؤذيكِ يا حبيبتي، أخرجي تلك الهلوسة من رأسك أرجوكِ.

هزت فريدة رأسها موافقةً من ثم توسدت حضنه فهمس لها وهو يحرك يده بحنو على ذراعها وهو يهمس لها:

-يبدو أنكِ صرتِ أفضل بقليل هنا...!

أومأت فريدة وقالت وهي شاردة في الشاشة التي أمامها:

-آه، أفضل بكثير، يبدو أن طاقة المكان التي كنا به لم ترحني أبدًا.

-أنا معكِ في المكان الذي يريحكِ يا حبيبتي.

***

ها هو زين يقف أمام المرآة ويعقد رابطة عنقه، في انعكاس المرآة تظهر فريدة وهي تتحرك في السرير معلنة استيقاظها وقبل أن تفتح عينيها يهلل لها بلهفة وهو ينظر لانعكاسها:

-صباح الخير يا حبيبتي، يبدو أنكِ لم تري كابوس الليلة...!

فتحت فريدة عينيها ونظرت له بعينها الناعسة باستغراب وهمست بتعب:

-الحمد لله لم أرى أي كابوس ولكن إلى أين أنت ذاهب الآن.

التفت لها وهو يهم تجاهها ويجلس على السرير وهو يقول:

-مضطر للسفر ومتابعة عملي.

عدلت فريدة من جلستها وقالت بتعجب:

-ومتى سوف تعود...؟

نظر لها برومانسية وأردف:

-يومين أو ثلاثة بالكثير وسوف أعود لكِ يا حبيبتي.

أومأت له فريدة بصمت من ثم همت من سريرها، فسألها متعجبًا:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا حبيبتي، أكملي نومكِ يا عزيزتي يكفي أني رأيتكِ قبل أن أسافر.

وقفت فريدة بجوار سريرها وقالت بصوت متعب بعض الشيء:

-سوف أذهب للعيادة كي أشغل وقتي وأعود لحياتي مثلك.

تحرك تجاهها من ثم همس لها:

-المهم أن تطمئنني عليكِ من وقت لآخر.

من ثم هم بالخروج من الغرفة فقالت له:

-وأنت أيضًا، أرسل لي فور وصولك لندن.

***

ها هي فريدة تخرج من الفيلا وتهم بفتح باب سيارتها، ولكن سرعان ما ترفع رأسها وتنظر أمامها، فتجد خالد يقف أمام فيلته ويؤشر لها بحماسة وبمجرد أن نظرت له هم تجاهها فأشارت له فريدة وبمجرد أن أوشك على الوصول هلل لها:

-أهلًا فريدة، أوه أقصد صباح الخير.

فتحت فريدة باب سيارتها وهي تقول بتعجل:

-صباح النور يا خالد.

-سوف تذهبين للعيادة أليس كذلك...؟!

-نعم، سوف أذهب حالًا لأني متعجلة جدًّا.

-هل يمكن أن أتِ معك واعتبري أني حالتك الأولى هنا.

أزالت فريدة نظارة الشمس التي ترتديها ونظرت له بتعجب من ثم أردفت:

-حسنًا، ولكن أنسى أني فريدة التي تعرفها أنا طبيبتك لذا عليك أن تصارحني وتجاوبني على كل أسئلتي...

أومأ لها خالد برأسه موافقًا وفي ذات الوقت سمع صوت فريدة مؤكدة:

-اتفقنا...؟!

ابتسم لها خالد وقال بثقة:

-اتفقنا يا دكتورة فريدة.

دخلت فريدة السيارة وهي تبتسم وأردفت لخالد الذي يقف بجوار الباب:

-في العيادة فقط ليس هنا، هيا أركب.

هم خالد مسرعًا بلهفة وركب السيارة، بدأت فريدة في القيادة من ثم نظرت لخالد بتعجب وسألته:

-لمَ ترتدي نظارة الشمس الآن، زجاج سيارتي يعزل أشعة الشمس المزعجة.

توتر خالد وقال لها:

-لا أنا أفضل أن ارتديها في النهار دائمًا.

-هل أنت مصاب بمرض ما...؟

-لمَ تقولين ذلك...؟

-لا أقصد أن أتدخل في أسلوب ملابسك ولكني متحيرة لمَ ملابسك دائمًا ذات كم طويل برغم أننا في فصل الربيع...!

ضحك خالد وقال لها:

-يبدو أن الجلسة قد بدأت في السيارة، ألم تقولي لي منذ قليل كل شيء سيكون في العيادة...!

نظرت له فريدة نظرة خاطفة ومن ثم نظرت لطريقها وقالت نافيةً:

-أنا لا أسئلك بصفتي طبيبة أبدًا، وفي العيادة أنت من سوف يحكي أكثر من كوني سوف أطرح أسئلة.

نظر خالد للطريق وقال بأسى:

-لذا دعينا نبدأ هذا الموضوع في العيادة كي أكون مهيئ بشكل أفضل.

أومأت له فريدة برأسها وقالت بمواساة:

-أفتح لي قلبك تمامًا وكل ما تقوله لي هو سر بينك وبين الدكتورة فريدة، يعني خارج العيادة أنا لا أدري شيء عنك.

ها هما خالد وفريدة دخلا حجرة فريدة في العيادة، أشارت لخالد أن يمدد على الشيزلونج وقامت باختيار إعدادات من خاتمها بتفعيل خاصية تعتيم الزجاج تمامًا وتفعيل إضاءة هادئة تميل للأصفر والبرتقالي، واختارت من الجهاز الذي ينبعث منه الصور أن ينبعث منه مشعلين نار متحركة في زاوية الجدار الذي ينتصف به لوحة قيظ يونيو المقابل للشيزلونج، واختارت موسيقى هادئة تساعد على الاسترخاء.

ها هي فريدة تجلس على الكرسي المواجه للخالد وقالت له بهدوء:

-حسنًا يا خالد، أظن أن الجو هكذا يناسبك أكثر أليس كذلك...!

أومأ خالد برأسه وقال:

-يناسبني كثيرًا.

ابتسمت له فريدة وقالت له مشجعة إياه:

-لذا أخلع تلك النظارة والكمامة والقفاز ودعنا نبدأ وقل لي ما هو سبب بعدك عن الشمس هكذا...؟

بدأ خالد بخلع كل تلك الأشياء، أخذتهم منه فريدة ووضعتهم على المنضدة المجاورة ومن ثم بدأ خالد في الحديث بعدما تنهد بعمق:

-بصراحة أنا لا أستطيع مواجهة الشمس لأن الشمس تسبب لي حروق في جسدي، لذا أهرب منها بعدم خروجي في النهار إلا نادرًا وأكون مضطرًا أن أخرج وأنا أرتدي قبعة وقفاز ونظارة وكمامة والناس ينظرون لي نظرة ريبة لا أحبها، لذا ابتعدت عن الناس.

-أتقصد أنك ليس لديك أصدقاء أبدًا...!

-ليس لي سوى أنتِ وزين.

-يعني قبل ظهوري أنا وزين كنت بمفردك فقط...!

أومأ لها خالد رأسه بأسى فأكملت فريدة متسائلة:

-هل تعيش بمفردك...؟

أومأ برأسه مؤكدًا فنظرت له فريدة متعجبة وهي تدون على الشاشة المنبثقة من خاتمها وسألته:

-هل يمكن أن أعرف ما هو سبب اختيارك للعزلة.

قال لها خالد بأسى:

-لم أختر العزلة بل العزلة هي التي اختارتني.

-كيف يا خالد...؟

-ليس لي أهل، أنا وحيد.

-كيف ليس لديك أهل...؟

-للصدق لم يكن لي سوى أمي في هذه الدنيا ولكن سرعان ما حرمت منها.

-متى فقدت أمك...؟

-لا أتذكر بالضبط.

-كيف لا تتذكر وهي الوحيدة لك في هذه الدنيا...؟

-أنا لا أشغل بالي بالتاريخ والأيام أبدًا.

-فقدتها في أي مرحلة في حياتك...؟

-وأنا في شبابي.

-يعني منذ فترة قريبة...!

-يمكنك قول ذلك.

نظرت له فريدة وقالت له كي ينظر لها بعدما شرد:

-خالد عليك أن تساعدني وتجاوبني بدقة.

-أنا أجاوبك صدقيني.

-حسنًا، ولكن كيف تعيش بمفردك، وهل تدرس أو تعمل، ماذا تفعل في حياتك...؟

-لا أفعل شيء...

-كيف لا تفعل شيء، وكيف تعيش...؟

-أمي كانت سيدة لديها الكثير من المال وقبل وفاتها قامت ببيع كل ممتلكاتها وتركت لي كل أموالها، وللحق أنا أعيش حياة بسيطة لا يغرك تلك الفيلا التي أعيش بها، حتى نظام أكلي مختلف.

-ولكن يا خالد كل شيء وله نهاية، حتى وإن كان المال معك كثير سوف يأتي يوم وينتهي، عليك أن تدرس أو تعمل كي تعمل على زيادة هذا المال.

-لا أستطيع الخروج إلا في الليل لأني لا أحب أن ينظر لي الناس بتعجب هكذا.

-هل أنت مصاب بالبورفيريا...؟

نظر لها خالد بتعجب وقال لها:

-كيف عرفتي...؟

-أنا أعلم أن هناك حالات مثلك يتجنبون الشمس لأن الشمس تضر جلودهم كثيرًا، وبشرتهم شاحبة جدًّا وأغلب الأطعمة لا يأكلونها.

-صحيح كل هذه أعراض مرضي.

-هذا المرض يؤكد شحوبك عندما رأيتك أول مرة عندما زرتك أنا وزين، وكذلك حالة الهياج التي أصبت بها.

-لذا أنا أفضل أن أتجنب الناس لأن ليس كل الناس مثلك أنتِ وزين.

نظرت له فريدة بابتسامة ولكن سرعان ما نظرت له بتعجب وأردفت:

-ولكن أنا متحيرة جدًّا كيف أنت مصاب بالبورفيريا الحادة ولكنك صرت فجأة نضر هكذا وكأنك استعدت عافيتك ولكنك ما زلت تتجنب الشمس...!

-صرت ملتزم على جلساتي مع طبيبي الخاص وهو يقوم بنقل كمية الدم التي احتاجها.

-صحيح مريض البورفيريا يحتاج إلى الهيم من الدم.

-صحيح، طبيبي الخاص يحاول أن يبتكر لي علاج خاص لي كذلك ولكن طلب مني الاستمرار على الحيطة من الشمس إلى أن يجرب معي علاج لجلدي، وبصراحة أقول لكي الحقيقة التي قالها لي طبيبي...!

-قل لي كل ما يجول في خاطرك فأنت مريضي الوحيد الآن كل الوقت لك.

-طبيبي تعجب جدًّا من نتيجة استجابتي لبقية العلاج وعندما ذكرت له أني تعرفت عليكِ وعلى زين قال لي أن العامل النفسي له دور مهم في الاستجابة للعلاج.

-أنا وزين سنكون سند لك لا تقلق إلى أن تكون بخير وتمارس حياتك مثل الأخرين... ولكن قل لي منذ متى أصبت بهذا المرض...؟

-قلت لكِ لا أتذكر تاريخ أي شيء.

-يعني ما هي المرحلة العمرية التي أصبت بالبورفيريا...؟
-في مرحلة الشباب أيضًا.

-حسنًا هل يمكنك أن تحكي لي عن طفولتك أو فترة معينة في حياتك أثرت بك.

-لا أتذكر شيء أبدًا عن حياتي في طفولتي.

-كيف...؟

-لا أدري... كل ما أتذكره أني في يوم كنت مع أمي في الحديقة وبمجرد أن فقت من نومي أمي عانقتني بشدة باكية...

قاطعته فريدة وسألته:

-ولمَ كنت نائم في الحديقة...؟

-أقصد أني كنت في غرفة في حديقة فيلتي على سرير وعندما أفقت أمي عانقتني وبكت وبدأت تقول لي "حمدًا لله على سلامتك" وهي تقبلني بلهفة.

أومأت له فريدة برأسها على أن يكمل فأكمل خالد شاردًا:

-نظرت لها بتعجب وسألتها: " من أنتِ...؟ وأين أنا...؟".

مسحت دمعها المنهمر وقالت لي وهي تنظر لي بلهفة:

-أنا أمك يا حبيبي... وهذا بيتك يا ولدي.

نظرت لها متعجبًا وقلت لها وأنا أحاول أن أقوم وأجلس على السرير ولكني شعرت أن جسدي يؤلمني بشدة، ولكني جاهدت نفسي وأنا أسألها بتعجب:

-أمي...؟ وهذا بيتي...؟ أمي من...؟ ومن أنا...؟

بكت أمي وهي تحاول أن تجعلني أمدد وأنام مرة أخرى وهي تبكي وتبتسم لي بلهفة وهي تمسح على شعري وهي تقول لي:

-أرتاح يا حبيبي ومع الوقت سوف تبدأ تتذكر كل شيء.

أبعدت يدها عني وقلت لها بتشتت:

-من أنا...؟ أريد أن أفهم الآن...؟ ولمَ جسدي يؤلمني هكذا...؟

-أنت أبني حبيبي الذي أراد الله ألا يحرمني منه، وجسدك يؤلمك لأن...

لم تكمل كلامها، فقلت لها بحيرة:

-لماذا قولي لي...؟

-لأنك قمت بحادث وكنت بين الحياة والموت ولكن الرب استجاب لدعائي وعدت لي من جديد ومع الوقت ستكون بخير يا حبيبي.

شعرت أني اختنق من هذه الغرفة التي لا يضيئها شيء سوى ضوء البدر القادم من بابها، قلت لها وأنا أسعل:

-أريد أن أخرج من هذه الغرفة أريد أن أتنفس.

أومأت لي أمي أنها موافقة، وهمت كي تنادي على البواب والخادمة كي يحملوني للخارج لأن صحتها لا تسمح لها بحملي.

وبمجرد أن قام البواب بسندي من اتجاه والخادمة من الاتجاه الآخر وتحاملت على نفسي وأنا أسير ببطيء للخارج بدأت أتمالك قوتي، وبمجرد أن ملئ الهواء صدري شعرت أن الروح قد ردت بي من جديد وأنا أنظر للسماء، هنا نظرت لي أمي بلهفة باكية وهمت تعانقني، هنا قلت لها بعد أن خرجت من حضنها:

-من أنا...؟ أريد أن أعرف كل شيء.

مسحت دمعها وقالت لي:

-أنت خالد ولدي.

-قولي لي كل شيء عني... لا أريد أن أشعر أني تائه هكذا...؟

وضعت يدها على صدري كي تهدئني وقالت لي بصوتها الحاني:

-سوف أقول لك كل شيء ولكن تعال أصعد غرفتك بالأعلى وبعد أن ترتاح سوف أحكي لك كل شيء.

صعدت أمي معي الغرفة ولكني لم أنم طيلة الليل، وأمي بدأت تنعس فقلت لها:

-عليكِ أن ترتاحي.

مسحت على شعري بلهفة وقالت لي:

-أنت راحتي يا ولدي، لا أريد شيء من الدنيا سواك.

أكدت عليها أن تذهب للنوم وقلت لها:

-أرجوكِ نامي الآن، وأنا لن أعرف أكمل نومي لأني يبدو أني نمت كثيرًا.

-صحيح نمت كثيرًا يا حبيبي ولكن كي أستطيع النوم تعالى نام معي في غرفتي.

-وأبي...؟

-أبوك مات منذ عدة سنين.

قمت من سريري وقلت لها متسائلًا:

-ألن تحكي لي كل شيء كي أتذكر ما مررت به قبل الحادث.

سحبتني من يدي وقالت لي:

-أنسى الماضي يا ولدي، دعنا نبدأ حياة جديدة وإذا جال في خلدك سؤال مثل سؤالك عن أبيك ويمكنني أن أجيبك سوف أجيبك ولكن نصيحتي لك أنسى الماضي ودعنا نبدأ من جديد.

قالت له فريدة متعجبة:

-يعني أنت مصاب بفقدان الذاكرة أيضًا ولا تعلم شيء عن حياتك.

أومأ لها خالد أن نعم، عم الصمت قليلًا ومن ثم سألته بحيرة:

-هل يمكن أن تقول لي ما اسم أمك...؟

-أمي اسمها رحاب.

هنا صدمت فريدة وظلت شاردة لبعض الوقت فسألها خالد بحيرة...؟

-فريدة ماذا بك...!؟

ازدردت فريدة لعابها بعدما جف حلقها من الصدمة، وسألته:

-هل لديك أخوة يا خالد...؟

-أنا وحيد ليس لدي أخوة.

-يعني أمك لم تحكي لك أن لديك أخ يكبرك سنًا...؟

-قلت لكِ أن أمي لم تحكي لي شيء وطلبت مني نسيان الماضي.

-هل يمكن أن أعرف ما هو اسم أبوك يا خالد...؟

-أمي قالت لي أن اسم أبي فتحي*.

هنا صاحت فريدة بصدمة:

-فتحي...!

قال لها خالد متعجبًا:

-هذا ما قالته لي أمي، ولكن لمَ صدمتِ هكذا...؟

لمعت عيني فريدة وقالت له بلهفة الغريق الذي رأى أن هناك من سوف ينجده:

-أنا متأكدة أن لك أخ يكبرك سنًا.

نظر لها خالد بلهفة وأردف:

-حقًا...؟

ومن ثم ابتسم وقال ساخرًا:

-ألا يكون زين أخي...!

ابتسمت له فريدة وخرجت من حالة الجد التي أصابتها وقالت:

-توقف يا خالد، يبدو أن زين قد أصابك وصرت تمزح مثله.

تمالك خالد ضحكته وقال بلهجة يحاول أن تكون جد:

-حسنًا من هو...؟

-لا لن أقول لك أي شيء عنه إلا بعد أن أتأكد إن كان هو أم لا؟

-وكيف سوف تتأكدين...؟

-هل ما زالت متعلقات والدتك موجودة في الفيلا...؟

-نعم موجودة في صندوق كبير.

-هل يمكنك أن تأخذني لبيتك.

-أكيد، ولكن متى...؟

قالت له فريدة بلهفة وكأن روحها قد عادت لها أخيرًا:

-حالًا.

***

الفصل الرابع

الصندوق

ها هما خالد وفريدة وصلا أمام الفيلا، ها هي فريدة تغلق باب سيارتها بقوة متعجلة، وها هو خالد يلحقها متعجبًا وهو يقول لها:

-على مهلك يا فريدة لما أنتِ متعجلة هكذا...!

التفتت له فريدة بلهفة وقالت وهي تسحبه:

-سوف افهمك كل شيء بعد قليل لا تتعجل، بل الحقيقة سيفهم كلانا كل شيء بعد قليل.

تعجب خالد ولكن سرعان ما هم بفتح الفيلا، فالتفتت له فريدة متسائلةً:

-آه، أين الصندوق...؟
أشار لها خالد تجاه الغرفة الموجودة في نهاية الحديقة، وبمجرد ما علمت فريدة المكان سبقته له مسرعةً، فأتبعها خالد مسرعًا كي يلحق خطاها.

حاولت فريدة فتح باب الغرفة ذا مقبض الأبواب القديمة، فنظرت متعجبة، فقال لها خالد ضاحكًا:

هل يمكن أن تعطي لي الفرصة كي اسبقك وسوف أقوم لكِ بما ترغبين به.

ها هو خالد يخرج من جيبه مفتاح ذا الطراز القديم النحاسي، وبمجرد ما فتح الغرفة انبعثت منها رائحة عفنة جدًّا لدرجة أن فريدة أوشكت على التقيؤ بسببها ولكن سرعان ما كتمت أنفاسها ومن ثم سعلت وقالت وكل ملامح التقزز قد رسمت على وجهها:

-ما هذه الرائحة يا خالد.

تمالك خالد نفسه وقال لها:

-بعد قليل ستكون رائحتها أفضل، يمكن سبب هذه الرائحة أني لم أقم بفتحها منذ موت أمي.

ضحكت فريدة ضحكة تهكمية وقالت:

-بعد قليل ماذا...؟ هذه الرائحة تحتاج لسنة كي تتخلص منها الغرفة، الرائحة تشبه رائحة جثة متعفنة.

نظر لها خالد وعلى وجهه ملامح جد:

-ليس لهذه الدرجة.

نظرت له فريدة ممازحة إياه:

-أنت تقول هذا لأنك ترتدي كمامة.

لم يرد عليها خالد فرسمت ملامح الإحراج على وجه فريدة وقالت متمالكة الموقف:

-أمزح معك يا خالد، لمَ أنت جد هكذا...؟!

ظل خالد ناظر أمامه وهو يهم بالنزول على ركبتيه كي يقوم بسحب الصندوق من تحت السرير.

ها هي فريدة تقف شاردة لا تدري ما الذي تريده وماذا سوف تستفاد في كل الحالات، ولكن فضولها قادها لهنا وتريد أن تعرف ما يقودها إليه.

أحيانًا ما يقودنا إليه خاطرنا وقلبنا صحيح.

ها هو خالد يلتفت ويقول لها قبل أن يفتحه:

-هل تصدقين أني لم يأتي في بالي قط أن أفتح هذا الصندوق...؟

نظرت له فريدة متعجبة وهي تهم بالنزول أرضًا بجواره وهي تقول له:

-ولكن لماذا...؟

هم خالد بنزع كمامته وقال لها:

-لأن أمي لم ترغب بأن تخبرني شيء، فلم أحب أن أبحث عن حياتي السابقة احترامًا لرغبتها، فبمجرد ما ماتت أمي طلبت

من الخدم يقومون بأخذ كل متعلقات أمي ووضعها في هذا الصندوق ولم أترك لي سوى صورتها المعلقة على الدرج.

نظرت له فريدة ومن ثم نظرت للصندوق بلهفة وقالت:

-وهل سنقوم بفتح الصندوق الآن أم ماذا...؟

-آه أكيد...

لم يكمل خالد كلامه وقال وهو يضرب رأسه بكف يده:

-آوه، إن الصندوق مغلق بقفل.

-وأين هو مفتاحه...؟

-صدقيني لا أعرف.

-يجب أن نبحث عنه الآن.

-ولكن أنا لا...

لم يكمل كلامه لأن فريدة خرجت من الغرفة مسرعةً وهي تقول بلهفة وهي تقف أمام باب الغرفة:

-يجب أن نبحث في كل مكان.

نظر لها خالد متعجبًا:

-ولكن لمَ كل هذا...! أنا صاحب الشأن ولا يشغلني إلى هذا الحد.

دخلت فريدة الغرفة وسحبته وقالت بلهفة صاحبها الجد:

-ولكن يهمني أنا، يجب أن نعرف كل شيء عن ماضيك وعن عائلتك، لا يصح أبدًا أن تعيش جاهل كل شيء عن ماضيك وعن حياتك.

***

ها هو خالد دخل فيلته وأعطى أمر للروبوت للبحث عن مفتاح الصندوق وبالفعل صعدا وراء الروبوت، وها هو الروبوت يقوم بمسح كافة ارجاء غرفة رحاب بعينيه، لدرجة أن فريدة فقدت الأمل أنه غير موجود ولكن سرعان ما تجدد بها الأمل بمجرد ما سمعت صوت النتيجة الصادر من الروبوت:

-المفتاح... غير موجود في هذه الغرفة.

بمجرد ما أكمل الجملة، قلت همتها ولكن سرعان ما قالت لخالد بلهفة:

-لن يضر أن بحثنا في كل الفيلا أليس كذلك.

رفع خالد كتفه بلامبالاة وأردف:

-أنا معكِ للنهاية.

بالفعل قام الروبوت بالبحث في كل ارجاء الفيلا بدون جدوى، وها هي فريدة وخالد في الحديقة.

فريدة شاردة تفكر بصمت فقطع خالد صمتها بصوته:

-فيما تفكرين يا فريدة...؟

-لا أدري فيما أفكر، ولكن أشعر أن في هذا الصندوق شيء مهم بالنسبة لك ولي.

-ما رأيك في أن نكسره...؟!

نظرت له فريدة بلهفة كمن رأى النور من بعد الظلمة وقالت:

-نسينا أن نبحث في الغرفة الموجود بها الصندوق.

***

ها هو الروبوت يمسح الغرفة بعينيه وبمجرد ما سمعت فريدة الصوت النابع من الروبوت وضعت يدها على قلبها:

-المفتاح... هنا.

هم خالد مسرعًا بالبحث تحت السرير وبالفعل قد وجده.

أخذته فريدة من يده مسرعةً بلهفة وهمت بفتح الصندوق.

ها هي تنظر للصندوق بتعجب لأن الصندوق برغم حجمه الكبير لا يوجد به إلا بضعة أوراق.

سألته فريدة متعجبة وهي تبحث في الأوراق:

-هل هذه كل متعلقات أمك...؟!

-كما تعلمي بمجرد موت أمي طلبت من الخدم أن يجمعوا أشيائها، يمكن البعض أخذ أشيائها أو قام بتوزيعها لا يهمني و...

لم يكمل كلامه لأن فريدة صاحت متعجبةً بمجرد ما رأت مجموعة من الصور:

-هل هذه صورة عائلتك...؟

نظر خالد لما في يدها وقال متعجبًا:

-كما تعلمي أنا لم أرى صورة والدي، ولكن هذه المرأة تشبه أمي، يمكن هذه صورتها في شبابها، وهذا الرجل على ما يبدو أكيد هو والدي، وأكيد هذا الطفل كنت أنا.

نظرت له فريدة بشرود غير مستوعبة ومن ثم قالت وهي تعيد نظرها للصورة:

-أنهم فتحي ورحاب اللذان أعرفهما.

نظر لها خالد مستغربًا:

-وما المميز في كلامك ذا، سبق وقلت لكِ اسم أمي وأبي وأكيد سبق ورأيتِ صورة أمي المعلقة على الدرج.

-لم أتعرف على رحاب من الصورة المعلقة على الجدار لأني لم أركز بها بسبب الإضاءة المتذبذبة يومها واليوم لم أنتبه لها لأني كنت أبحث عن ال...

قاطعها خالد متعجبًا:

-آه صحيح، لتوك قلتِ لي "أنكِ تعرفين والداي"...؟ ولكن كيف تعرفين عائلتي...؟ هل نحن أقرباء...!

لم تعره فريدة تقدير لسؤاله وقالت بلهجة غلبها الجد وهي تهم بالوقوف وفي يدها كل الأوراق والصور:

-هل يمكن أن أخذ تلك الأوراق كي أتطلع عليها في بيتي...؟

-ولمَ تستأذنيني وأنتِ بالفعل قد أخذتِها...!

ابتسمت له ولكن وراء ابتسامتها حيرة تغزو كل ملامحها، وهمت بالخروج من الغرفة وهي تتمتم:

-سوف أتركك كي ترتاح قليلًا، أراك غدًا.

قال لها خالد بلهفة وهو يهم كي يلحقها خارج الغرفة:

-لمَ لم تجيبيني يا فريدة...؟ ولمَ لا نتطلع للصور والأوراق سويًا وتفهميني كل شيء...!؟

التفتت له فريدة وقالت:

-لا، بل عليك أن ترتاح الآن وأنا كذلك سوف ارتاح، وبعدما أرتب أفكاري سوف أخبرك بكل شيء.

***

الفصل الخامس

السر

ها هي فريدة تدخل غرفتها وهي تمشي شاردة الذهن، ها هي تلقي بالأوراق على المكتب والصور واضحة أمامها، تنظر للصور شاردة وتسأل في قرارة نفسها:

-أنا لا أفهم شيء، من خالد هذا...؟ هل هو أخ لفارس...؟ ولكني عندما عدت بالزمن لم يكن لفارس أي أخوة... ولكنه أقر أن من في الصورة هي أمه، ورحاب لم تنجب سوى من فتحي وأنجبت فارس فقط...

آه، أنا في حيرة رهيبة كيف لخالد أن يكون هو فارس وفارس مات أمام عيني بل وبين يدي.

من هذا الخالد... من هو...؟ يجب أن أعرف السر الذي وراءه... ولكن كيف لي أن أعرف وأنا قمت بتحطيم جهاز السفر عبر الزمن كما طلب مني زين.

ماذا عليّ أن أفعل...؟ سوف أتصل بدكتور جون هو من صنع لي هذا الجهاز وهو قادر أن يصنع لي غيره.

ها هي فريدة تلمس خاتمها وتتصل برقم دكتور جون ولكن الهاتف مغلق وسمعت صوت الرسالة المسجلة:

-أهلًا أنا دكتور جون، أترك لي رسالة صوتية وسوف أعيد الاتصال بك في أقرب فرصة.

-دكتور جون، اشتقت إليك كثيرًا، وأشعر بحزن رهيب يجتاح صدري لأنك لم تحضر زفافي وأنت تعلم جيدًا ماذا تعني لي، على العموم أنا في انتظار اتصالك، أحبك.

ها هي فريدة تخطو تجاه سريرها وتلقي بجسدها متعبة من كثرة التفكير وهي تتمتم لنفسها:

-بعد قليل سوف يتواصل معي جون وسوف يصنع الجهاز مرة أخرى وسوف أعرف الحقيقة كاملة.

***

ها هي فريدة تفتح عينيها بسبب صوت ارتطام شيء في زجاج شرفتها، تفتح عينها فترى ذلك الطائر في شرفتها يحاول أن يخترق زجاج شرفتها، ها هو ينقر الزجاج بمنقاره وها هو نقره يزداد أكثر وأكثر إلى أن شرخ الزجاج قليلًا ها هي فريدة الذعر احتل ملامح وجهها من بعد ملامح التعجب.

ها هو الطائر ينقر الشرخ أكثر فتحول الشرخ إلى كسر، وكلما زاد الكسر أكثر كلما ازداد حجمه أكثر، ها هي فريدة تهرع هاربة تجاه باب غرفتها وهنا قد تمكن الطائر من دخول الغرفة، وها هي تحاول فتح بابها ولكن بلا جدوى وهي تصرخ من شدة الرعب الذي تعيش به، وفجأة بدأت تشعر

بحرارة رهيبة تأتي من ورائها، بمجرد أن التفتت رأت ذلك الطائر البرتقالي ذا الاجنحة النارية، أجنحة نارية بالفعل ليس مجرد وصف لون، لقد تمكنت الشعلات النارية من ريش جناحية، وعينيه تخرج شرر نار رهيب تجاه فريدة، ولكن سرعان ما تتجنب فريدة تصويبه عليها، وتلبد النار في الباب، ها هو الطائر يتحرك ويجعل ظهره للباب كي يقابل فريدة التي أصبحت تجاه شرفتها، ولكنها لم تتمكن من العبور بسبب كثرة فتات الزجاج في الأرض، ولكن سرعان ما قررت أن تعبر فوق الزجاج وتقفز قفزة كبيرة على أمل أن تهرب من النار التي تخرج من عين الطائر ولبدت في سريرها.

ها هي فريدة سقطت في شرفتها جريحة القدمين بسبب فتات الزجاج المنثور في كل ارجاء الشرفة، ها هي تلهث باكية تنظر لقدميها الدامية ومن ثم ترفع رأسها فترى أن النار قد لبدت في كل غرفتها والطائر يقف أمامها.

ترفع رأسها تنظر لسور شرفتها وهي تمسك بالقطعة الزجاجية من قدمها، ها هي تكتم نفسها وتهم بسحب الزجاج منها، حينها طلقت صرخة قوية لحقتها نعيق الطائر الذي هم بإطلاق شعلة نارية أخرى من عينيه كي تلبد في الشجرتين اللاتي يحطن بشرفتها، ومن ثم نعق كأنما يسخر منها وهي أمامه ضعيفة محاسرة غارقة في دمعها ودمها، كأنه كان تارك لها فرصة للهرب ولكن كان يجب عليها أن تذوق ألم رهيب كي تهرب، وبعد أن يتلذذ بألمها يغلق في وجهها أخر سبيل للنجاة.

ها هو يقترب منها بجناحيه ويهم بضمها كي تلبد النار بها وهي تصرخ ولكن صوت أجش قطع صراخها:

-نهايتك على يدي يا عجيبة.

***

-عجيبة.

ها هي فريدة تفزع من نومها، ولكن سرعان ما تلتقط أنفاسها وتمسك رأسها وتنظر لزين وتقول له متعجبةً:

-ومنذ متى تقول لي يا عجيبة...؟

نظر لها زين مستغربًا وقال:

-لم أقل لكِ يا عجيبة، بل قلت لكِ "لمَ أنتِ نائمة للظهر... عجيبة...!" أقصد أنكِ قلتِ لي أنكِ ستواظبين على مواعيد العيادة الجديدة.

ما زالت فريدة تنظر له بحيرة ولكن سرعان ما تفحصت خاتمها ولم تجد أي مكالمة أو رسالة من دكتور جون فقامت برفع شعرها بعصبية وقلق وسألت زين:

-زين ألا تعرف أي جديد عن دكتور جون بما أنك عدت لتوك من لندن.

جلس زين بجوارها وقال:

-كما تعلمي أن سفري سريع جدًّا، أكمل أمور مهمة في العمل وأعود لكِ من جديد يا عزيزتي.

لمست فريدة خاتمها مرة أخرى وملامح القلق احتلت وجهها وها هي تقوم بتشغيل مكبر الصوت من الشاشة المنبثقة أمامها وهي تتصل بالعمة كرستين، أكملت الاتصال ولم يأتي أي رد.

قامت فريدة من سريرها ووقفت أمام زجاج شرفتها وهي تعاود الاتصال مرة أخرى وفي هذه المرة جاءها صوت العمة كرستين، صوت واهن مكسور:

-ألو.

مما جعل الخوف ران على قلب فريدة التي قالت بصوت مرتجف:

-عمتي كرستين... هل أنتِ بخير...؟

سمعت فريدة صوت العمة كرستين المجهش بالبكاء:

-أنا بخير يا فريدة...

-ماذا حدث يا عمتي...؟ هل حدث لكِ شيء...؟ ولمَ جون لا يرد على اتصالي ولمَ لم تحضرا زفافي...؟

-جون... لقد...

قطع بكائها صوت فريدة القلق المتسائل:

-ما به جون...؟ قولي لي الحقيقة...؟ ما به...؟

-لقد مات جون يا فريدة مات.

هنا لم تعد فريدة قادرة على أن تقف وخرت واقعة فاقدة للوعي.

***

ها هي فريدة تقف هي وزين وأمها وتين على باب بيت دكتور جون، ها هو الروبوت يفتح لهم الباب ويدخلوا غرفة الضيوف التي تجلس بها كرستين التي أصابها العجز أكثر بعد موت زوجها، صارت مثل الوردة التي قطفت وألقت على الطريق كي تلقى مصرعها هي الأخرى بعد موت زوجها.

ها هي فريدة تهرع إليها صارخة باكيةً في حضنها، لأن كرستين وجون اعتبراها أبنتهما بعدما أيقنا أنهما لن ينجبا أبدًا.

ها هي فريدة تصعد لغرفة جون وتلمس صورته وهي تقول في قرارة نفسها وهي تبكي بحرقة:

-كنت أظن أني يتيمة بعد موت أبي ولكن اليوم لقد ذقت كأس اليتم الحقيقي، إن هذا الكأس مُر حقًا، فقد الأب أصعب من السم، لأن السم يجعل المرء يعاني للحظات ومن ثم يرتاح للأبد، ولكن كأس اليتم المرير يجعل الغصة تخنقك كل لحظة في يومك.

ها هي تأخذ صورة جون وتجلس على سريره وتقول له باكيةً:

-تعرف يا جون كنت أظن أني سوف أكون تلك الفتاة القوية دائمًا ولكن موت أبي كسر لي ساق وصرت عرجاء أمشي بصعوبة أدركت حينها أن أبي كان قوتي وسندي، ولكن من هون عليّ كسر ساقي هو أنت يا جون وصرت لي ساقي الأخرى بل وكنت لي السند والأب الذي أحتاجه، بل واختراعك لكي ارجع بالزمن لكي أقابل أبي شد لي ظهري الذي أنحنى بفراقه، ولكن ها أنا الآن بفراقك كسرت ساقي الأخرى وظهري قد أنحنى لأني لن يمكنني أن أرى أبي أو أراك مرة أخرى يا عزيزي.

أنا الآن يتيمة يا جون، أنا الآن يتيمة يا مراد، أنا مكسورة ضعيفة أريدكما أن تأخذا بيدي كي أقف من جديد أو تأخذاني إليكما.

من ثم اجهشت بالبكاء الهستيري، فدخل عليها زين وهم بضمها وهو حزين على حالتها ويقول لها مهونًا عليها:

-أهدئي يا فريدة لا تفعلي بنفسك هكذا أرجوكِ.

-أنا وحيدة يا زين، وحيدة وليس لي نصيب أن يكون لي أب مثل باقي البشر مكسورة الجناح أنا يا زين وتائهة.

-أنا بجانبك دائمًا يا فريدة، أنا ظهرك، أنا سندك لا تقولي هذا الكلام أرجوكِ.

ها هي فريدة تقف أمام قبر جون وتبكي بصمت وزين يربت على كتفها ويقول لها مهونًا عليها:

-هيا يا فريدة، يجب أن تعودي لحياتك في مصر وتكملي حياتك كما كان يتمنى والدكِ، صار لك شهر هنا إلى متى ستظلين هكذا...؟

-متعبة يا زين، لقد فقدت أخر ما تبقى من طاقتي بفراق جون.

-هل تريدين أن تبقي في حالتك تلك، أم ستتركين نفسك في حالة صدمة لمدة أكثر من عام مثل عندما مات أبيكِ، فريدة أنتِ كبرتِ وتعلمي جيدًا أن عليكِ أن تواجهي الحياة بمصاعبها، لا تدعيها تهزمك هكذا، عودي تلك الفتاة المشاغبة مرة أخرى لا تنطفئي يا فريدة، حياتنا مظلمة من دونك، دعي ضوئك يشع مرة أخرى يا شمسنا.

نظرت فريدة نظرة من وجد النجدة بعدما أوشك على الموت والتقاط أخر أنفاسه.

***

ها هي فريدة هاتفها يومض باتصال من خالد ولكنها لا ترد عليه منذ آخر لقاء لهما.

ولكن سرعان ما يقطع تفكيرها صوت جرس الباب وكان القادم هو خالد وبمجرد دخوله لغرفة الضيوف همت فريدة بالخروج فنادى عليها زين متسائلًا:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة، إن خالد جاء إلى هنا مخصوص كي يطمئن عليكِ.

جاء صوت فريدة الخافت من بعيد من دون حتى أن تلتفت لأي منهما:

-أنا متعبة، أريد أن أرتاح.

شعر خالد بالإحراج بسبب عدم استقبال فريدة له فتمالك زين الموقف وهم مرحبًا بخالد وأجلسه بجواره على الأريكة، ولكن خالد سرعان ما شرد عن حديثه مع زين وهم بإرسال رسالة لفريدة.

-فريدة لمَ لا تردين على اتصالاتي وحتى لقائي بكِ تتجنبيه، هل صدر مني أمر أزعجكِ لهذا الحد، في كل الحالات أنا آسف عن كل ما صدر مني بقصد أو من دون قصد، وصدقيني سوف أبتعد ولن أضايقكِ ثانيةً.

من ثم هم واقفًا فجأة فقال له زين متعجبًا:

-لمَ أنت متعجل هكذا يا صاح...؟

هرع خالد مغادرًا وقال معتذرًا:

-اعذرني، يجب أن أذهب الآن.

-هل سوف أراك لاحقًا...؟

-أتركها تأتي على حسب الظروف.

من ثم رحل، وقف زين متعجبًا متمتمًا في قرارة نفسه:

-ماذا يحدث لهما...؟ أشعر أني مثل الأطرش في الزفة.

ها هي فريدة تفتح الدرج الخاص بها وتخرج تلك الصور وتنظر بحيرة وتسأل نفسها:

-كيف لي أن أعرف الحقيقة وراء خالد إن ظهوره في حياتي للغز رهيب ولقد أعتد أن أحل أي لغز يقابلني ولكن كيف...؟

هنا قطع شرودها صوت أحد يطرق على باب غرفتها من ثم دخلت أمها وبيدها كتاب كعادتها وسألتها بقلق:

-فريدة، لمَ تركتِ خالد هكذا ولم تحسني استقباله...!

تنفست فريدة الصعداء وقالت بنفاد صبر:

-لن تتوقفي أبدًا يا وتين عن إقحام أنفك في حياتي أليس كذلك...؟

-فريدة لا تغيري الموضوع وتهربي من الإجابة، هيا قولي لي السبب.

ابتسمت فريدة وقالت مغيرة الموضوع:

-ها قولي لي يا وتين ماذا تقرأين اليوم...؟ ابهريني.

-تغيرين الموضوع للمرة الثانية يا فريدة...!

رفعت فريدة حاجبيها وقالت بثقة:

-تربيتك يا وتين وعليكِ أن تشربي من نفس الكأس التي تجعليني أشرب منه.

-كان يجب عليّ أن اسميكِ عنيدة لا فريدة.

من ثم تنفست الصعداء وقالت:

-حسنًا، ها أنا أقرأ رواية.

-دعيني اطلع عليها.

ها هي فريدة تقرأ اسم مؤلف الرواية ومن ثم التمعت عينيها وقالت بلهفة:

-إن الرواية ل"رانيا رمضان" تلك المؤلفة التي تقتني أغلب أعمالها.

أومأت وتين رأسها موافقة وقالت بثقة:

-أنتِ تعلمين يا فريدة إنها من المؤلفين المفضلين لدي.

شردت فريدة في الرواية التي بين يديها وفتحت الصفحة الخاصة بسنة الإصدار وقالت بتعجب:

-إن هذه الرواية صدرت منذ عامان، هذا يعني أنها على قيد الحياة.

-أي نعم على قيد الحياة إن هذه المؤلفة في مثل عمري تقريبًا.

أومأت فريدة برأسها وابتسمت لأمها، فنظرت لها أمها بحيرة وسألتها:

-ما الذي يدور في خلدك يا فريدة.

ابتسمت فريدة لوتين وأمسكت لها أنفها وقالت لها:

-سوف أخبرك بكل شيء إن توقفتِ عن فضولك ذا وهيا بنا ننزل لكي نأكل أنا جائعة جدًّا.

من ثم همت تجاه الباب بعفوية تتناقض مع ردة فعلها منذ قليل مع خالد، فنظرت لها أمها متعجبة وقالت بنفاد صبر:

-أقسم أني أنجبت مجنونة للحياة لا طبيبة نفسية.

***

بعد منتصف الليل، ها هي فريدة تتحرك في السرير غير قادرة على النوم بسبب كثرة التفكير فقررت أن تجلس على السرير وتتصفح مواقع التواصل الاجتماعي من الشاشة المنبثقة من خاتمها، وفجأة تلمع في ذهنها فكرة أن تبحث عن حساب رانيا رمضان المؤلفة ولكن سرعان ما أبعدت الفكرة عن بالها وقالت:

-ما هذا السخف يا فريدة...؟ ما هو الذي سوف تفيدك به رانيا هذه المرة...؟ في المرة السابقة عدت لعام2020 كي أقابلها لكي استشيرها في مجال لها علم به، بينما الآن ما الفائدة من أن أقابلها في الواقع وليس لي إمكانية السفر عبر الزمن كي أكمل ما سوف أبدئه.

وهل يا ترى لو قابلتها في الوقت الحالي أي بعد مرور أكثر من ربع قرن هل سوف تتذكرني...!

لا أدري ولكن بداخلي شعور يقول لي أن اتواصل معها واحتمال كبير أن تتذكرني لقد كنت بطلة لأحد أعمالها في يوم من الأيام، وحاليًا هي بعمر أمي أكيد سوف تفيدني بخبرتها في الحياة.

ها هي فريدة تبحث عن الحساب الذي قرأته على ظهر الغلاف.

وجدت الحساب ولكنه فارغ تمامًا، قالت فريدة في قرارة نفسها متعجبة:

-يا لها من غريبة، لمَ لديها حسابات على مواقع التواصل ولا تستخدمها...!

من ثم ركزت في الكلمة التعريفية الخاصة بالمؤلفة: " معكم رانيا رمضان بنت البروفيسور أديبة وشاعرة ومفسرة أحلام وعاشقة للماورائيات، هذا الحساب ما هو إلا همزة وصل بيني

وبينكم كي تشاركوني قصصكم المميزة وأظهرها للنور فأنا بكم وإليكم دائمًا".

هنا التمعت فكرة أخرى في عقل فريدة وقالت:

-أوه إنها عاشقة للماورائيات، لذا سوف اتواصل معها وأحكي لها بعض الأمور التي أمر بها وأكيد سوف تساعدني.

ها هي فريدة ترسل رسالة لرانيا:

-أهلًا رانيا أقصد أستاذة رانيا، سامحيني أني لم أقل لقبك في المرة الأولى ولكن أتمنى أن تتذكريني أنا فريدة التي كنت أتي إليكِ من المستقبل عندما كنتِ في بداية شبابكِ، كنا صديقتين ولكن بما أني الآن فقدت جهاز السفر عبر الزمن صرت غير قادرة أن اقابلك في تلك الفترة التي أعتدتِ أن تريني بها، لذا قررت أن أتواصل معكِ في الواقع ضروري، أريد أن استشيرك في أمور كثيرة أمر بها يا رانيا، أرجوكِ رد عليّ أنا في حاجة إليكِ.

ظلت فريدة تنظر للرسالة على أمل أن تراها رانيا ولكن بلا جدوى، قررت فريدة أن تنام ولكن لم تستطع.

ها هو الوقت أوشك على الفجر ومازالت فريدة تفكر، ولكن سرعان ما قطع شرودها صوت رسالة، فلمست خاتمها بسرعة وكانت الرسالة من خالد، فتنهدت بنفاد صبر ولم تعر الرسالة انتباه، بعد قليل سمعت صوت رنين خاتمها انبثق من الخاتم

شاشة تحمل اسم حساب رانيا فهرعت فريدة خارجة من غرفتها مسرعةً وبمجرد خروجها ردت على الاتصال فظهرت أمامها امرأة أوشكت على الخمسين من العمر تعجبت فريدة من رؤيتها وقالت:

-رانيا...! سعيدة جدًّا لرؤيتكِ...؟

-لقد رأيت الصور الموجودة على حسابك وتأكدت أنكِ فريدة، تلك الرسالة لم تكن كفيلة أن اتواصل معكِ فلدي عدد كبير من

القراء الذين يعرفون قصتك ومن السهل عليهم اختلاق هذه الرسالة.

-سعيدة جدًّا لتواصلك معي يا رانيا، ولكن هل يمكن أن أتواصل معكِ الآن، أم أتواصل معكِ في وقت مبكر...؟

نظرت لها نظرة تعجب وقالت بسخرية:

-يبدو أني تسرعت واتصلت بكِ يا فريدة لأنكِ لو كنتِ فريدة صديقتي لكنتِ علمتِ أني كائن ليلي.

ضحكت فريدة وهي تهم بالجلوس على أريكة غرفة الجلوس وقالت:

-أعلم يا رانيا ولكن قلت في قرارة نفسي أن الوضع قد تغير بحكم السن و...

-السن...؟ أتقصدين أني صرت عجوز...؟ حسنًا، يبدو أني تسرعت بالرد عليكِ.

-أمزح معكِ يا رانيا، على العموم دعيني أدخل معكِ في الموضوع أنا أريدك في أمر ضروري هل يمكن أن أقابلك.

-تنوريني أكيد ولكن ها أنا ذا معكِ...!

-لا أريد أن أراكِ وأريكِ شيء مهم وأحكي لكِ موضوع غريب بشكل لا يتصوره عقل.

-ما دام لا يتصوره عقل أكيد يمكن أن تأتي لبيتي سوف أرسل لكِ موقع عنواني الجديد في القاهرة سأكون في انتظارك غدًا السابعة مساءًا.

***

الفصل السادس

الحل

ها هي فريدة تجلس أمام رانيا في حديقة بيتها، وها هي رانيا توماً لها وتقول بحيرة:

-لا أفهم يا فريدة ما الذي تقولينه... كيف تقولين لي أن فارس مات أمام عينيكِ وها هو خالد يدعي أن رحاب وفتحي هما والديه، كيف له أن يكون هو فارس وفارس إذا تم إنقاذه لكان عمره الآن أوشك على الخمسين مثلي.

هنا قالت لها فريدة بحيرة:

-ولكن يمكن لمرض البورفيريا دور في هذا بأنه لا يشيب ويهرب من الشمس لأنها تسبب له حروق جلدية و...

-حسنًا سوف أسايركِ أن المرض هو سر شبابه إلى الآن، ولكنه مات يا فريدة مات أمام عينيكِ بل ودفنته أمه في حديقة بيتها ورأيتِ ذلك بعينكِ عندما عدتِ بالزمن.

هنا ضربت فريدة رأسها وقالت بتعجب:

-آه صحيح، لقد دفنته في الحديقة، وهو قال لي أن أول شيء يتذكره في حياته هو خروجه من غرفة ما في الحديقة.

-إن ما يدور في عقلك الآن يا فريدة لا يصدقه عقل كيف لهذا أن يحدث...!

-كيف هذه أريدك أن تساعديني بها، يجب أن نعرف ونتأكد مما مر به فارس، يجب أن نجد الحلقة المفقودة في حياته، هل خالد هو فارس، أم خالد شخص نصاب أو مخادع ولكن لمَ يفعل ذلك... أم احتمال آخر؟

ظلت رانيا شاردة تفكر لا ترد على فريدة، ولكن فريدة نادت عليها كي تنتبه لها:

-رانيا، أنا أتحدث إليكِ...؟

التمعت عيني رانيا وقالت بحماسة:

-وجدتها، سوف تعرفين الحلقة المفقودة.

-ولكن كيف...؟

-لا تقلقي، دعيني ارتاح اليوم وفي الغد سوف تأتين لي في نفس الموعد وسوف تجدين الحل معي.

-ولكن ما هو...؟

-صدقيني أنا لم أخذلكِ من قبل، خذِ كلامي ثقة.

***

ها هي فريدة في المساء تقف في شرفتها وتنظر لفيلا خالد بحيرة، الفيلا مغلقة مظلمة تمامًا بعدما وعدها أنه سوف يبتعد عنها، ها هي تفكر في قرارة نفسها:

-عليّ أن اقتحم الفيلا ولكن لمَ...؟ لا أدري ولكن لا يضر...!

ها هي فريدة تخرج من فيلتها وتتجه ناحية فيلا خالد، ها هي تهم بتسلق سور الفيلا وكانت مطمئنة لأنها تعلم أن أجهزة خالد أغلب الأحيان معطلة، ها هي تمشي في حديقة الفيلا وتشعر بشعور مقبض وكئيب بسبب الظلمة الموحشة، ها هي وصلت لتلك الغرفة وأخذت تتذكر مكان قبر فارس، ولكن سرعان ما شعرت بحرارة رهيبة وراء ظهرها، وبمجرد أن التفتت رأت ذلك الطائر الضخم الناري، وها هو يهم بإضرام النار عليها، ولكنها هرعت صارخة هاربة، فتلبد النار في غرفة الحديقة، ها هي فريدة تنظر بندم للغرفة المحترقة وهي تصرخ وكأن طرف الخيط التي كانت تريد أن تمسك به قد أختفى من يدها.

ها هو الطائر يقترب منها وهي تنظر له وتعود بظهرها للوراء وهي تصرخ إلى أن ارتطمت ببيت الكلب فسقطت أرضًا فصارت تزحف هاربةً بعدما فقدت قدرتها على الوقوف مرة أخرى، ها هو الطائر يمشي أمامها راغبًا في أن تعود بنفسها إلى مقر النار في تلك الغرفة، وها هي تعود بظهرها وكل ملامح الذعر قد سيطرت عليها ولكن بمجرد أن أوشكت على أن تلامس النار رأت شاب يقف وراء الطائر، لم تضح ملامحه بسبب اللهيب المنبعث من جناحي الطائر.

ها هو الطائر يرفع جناحيه وينعق نعيق قوي كان كفيل أن تفقد وعيها بسببه.

***

-فريدة، فريدة...

ها هي فريدة تفتح عينيها وتنظر بحيرة وتسأل:

-زين...؟ ما الذي أتى بك إلى هنا...؟

-جئت لأني سمعت صراخكِ وأتيت مسرعًا كي أنقذكِ.

ها هي تنظر حولها وتقول بدهشة صارخةً:

-النار، إنها حقيقة يا زين، هل رأيته...؟

-رأيت ماذا...؟

-ذلك الطائر الناري.

-فريدة تعالي معي، يجب أن ترتاحي، لا يوجد أي طائر ناري هنا.

-يا زين ألا ترى النار...!

-نعم أراها.

-إذن ما رأيته كان حقيقي.

-نعم حقيقي لأنكِ من فعلتِ ذلك.

-فعلت ماذا...؟

-أنتِ من أحرقتِ الغرفة يا فريدة، لا أدري لمَ فعلت هذا...! ماذا فعل لكِ خالد كي تقومين بهذا ال...

أبعدت فريدة يد زين عنها وقالت له بريبة:

-هل تريد أن تقنعني أنني جننت يا زين...؟

من ثم امسكت رأسها كمن تذكر شيئًا وقالت بكره له:

-أه تذكرت لقد رأيتك وراء الطائر، رأيت ضحكتك و...

-فريدة لقد جئت لتوي كي أنقذك، لماذا أضحك وأنتِ في مثل هذا الموقف، وأنظري حولك، سوف تكتشفين أنكِ من اضرمتِ النار في المكان، يجب أن تتابعي مع طبيب نفسي إن حالتك تسوء وصرتِ تمشين أثناء نومك وتوهمك إني شخص سيء زاد عن حده.

بدأ الروبوت في إطفاء الحريق بإشارة من زين وها هو يهم زين بالتقرب من فريدة كي يحملها ولكنها تمنعه:

-ابتعد عني يا زين، لا تقترب مني.

-حسنًا ولكن يجب أن تعودي للبيت وترتاحين.

هم زين بحملها وهي تنظر له بحيرة وتشكك، من ثم قطع الصمت صوتها وهي تسأله:

-أنت لا تصدقني يا زين...؟

-أنا أصدقك دائمًا.

-ولكن لمَ لا تصدقني هذه المرة.

-لأني رأيت بعيني ما يثبت عكس كلامك.

نظرت له فريدة بحزن ولم تكلمه فقال لها:

-سأظل بجوارك دائمًا يا فريدة إلى أن تكوني بخير.

***

ها هي فريدة مع رانيا وامرأة أخرى في غرفة الجلوس في بيت رانيا.

-هل تشكين حقًا في زين يا فريدة...؟

-أنا حكيت لكِ ما مررت به يا رانيا، ظهوره كان مفاجئ في حياتي، والكوابيس زادت في حياتي بمجرد ما تقرب مني، وفكرة الشبه بينه وبين جواد رهيب و...

-نعم بما إنه يشبه جواد إذن فهو يشبه فارس.

-صحيح وهذا ما جعلني أحبه، أني رأيت به فارس الذي فقدته ومات بين يدي.

-يعني مجرد كوابيس تجعلك تهدمين كل شيء تجاه زين.

-أكيد أحلامي لها معنى ودلالة يا رانيا.

هنا قطع كلامها صوت تلك المرأة الأخرى.

-ولكن يمكن ظنك في زين خاطئ، والذي يثبت ذلك وجودك في الحديقة و...

قاطعتها فريدة بانفعال:

-يمكن هو من وضع تلك الأشياء كي يجعلني اقتنع أني مجنونة وأسير أثناء نومي.

-لن يضر يا فريدة إن تابعتي مع طبيبة نفسية إن خالة زوجي طبيبة معروفة جدًّا و...

هنا قاطعتها رانيا وقالت موضحة بعدما رأت الانفعال احتل وجه فريدة:

-ريحانة يا صديقتي، إن فريدة طبيبة نفسية كذلك وتعلم...

هنا قاطعها صوت فريدة وهي تقول بانفعال:

-هل هذه هي التي سوف تساعدني يا رانيا، جئتِ بها كي تتهمني بالجنون.

-لا بل كانت تقصد أن تقدم حل منطقي في البداية فقط.

ها هي فريدة تمسك رأسها وتقول:

-لا أدري يا رانيا، لمَ الكل يدافع عن زين، أمي وأنتما، كلكم مصرين أن تشعروني أني ظالمة بظني به لو رأيتم ما رأيته لكان كلامكن غير هذا الكلام.

قاطعتها ريحانة وقالت بثقة:

-ولكني ما زلت عند رأيي بكِ يجب أن تتابعي مع طبيب نفسي، لأن حالتك الآن تكثر بها الهلوسة زائد التشكك المستمر فيمن

حولك، في البداية كان زوجك والآن جارك خالد، عقلك يختلق لكِ نظرية مؤامرة ليس لها وجود في الواقع.

نظرت فريدة كمن خسر النقاش لرانيا وقالت لها:

-وهل أنتِ معها ومع زين كذلك أني مجنونة...؟
تنهدت رانيا وقالت:

-صدقيني أنا لا استبعد أي احتمال سوف نعرف بعد قليل.

نظرت لها فريدة بحيرة:

-ولكن كيف...؟

-أوه ألا تعرفين ريحانة، إنها إحدى بطلات رواياتي، هي بطلة رواية "المهدي المنتظر" وميزتها يا عزيزتي هي تمكنها من الاسقاط النجمي.

-وهل سوف أتمكن من فعل ذلك معها...؟

-لا، لا يمكنكِ ولكنها يمكنها فقط السفر بالروح.

-حسنًا يا ريحانة، ما أريده منكِ هو معرفة ما حدث لفارس منذ موته، ومن هو خالد ذا...؟

نظرت ريحانة بحيرة لفريدة وسألتها:

-ماذا سوف أعرف عن شخص مات ودفن...؟

ضربت فريدة رأسها بعصبية:

-هذا ما أريد أن أعرفه... اعتبرني مجنونة وسايريني أرجوكِ، أنا في حيرة وأريد أن أرتاح من هذا الأمر أولًا.

***

الفصل السابع

سفر الروح

"ترويه ريحانة"

وقفت أمام رحاب المنهارة الباكية بجوار قبر أبنها الوحيد، ولكن سرعان ما يقطع بكائها صوت امرأة ذات لكنة غريبة، يبدو أنها من دولة أفريقية ما واللهجة المصرية صعبة عليها بعض الشيء.

-كفي عن البكاء يا سيدتي أرجوكِ إن البكاء لن يرجع لكِ شيئًا.

اجهشت رحاب باكيةً وقالت بحرقة:

-يا ليت الدمع يرجع لي أبني، مستعدة أذرف دمعي ودمي ومالي من أجل أن يعود لي مرة أخرى ولكن يا حسرتاه، فقدته إلى الأبد، كتب عليّ أن أحرم منه دائمًا.

-ولكن إن قلت لكِ يا سيدتي أن لدي طريقة كي يعود لكِ ولدك للحياة مرة أخرى هل ستصدقينني...؟

تحولت ملامح رحاب إلى ملامح الصدمة وقالت بغضب:

-هل جننتِ أم إنكِ تستغلين لحظة ضعفي وبكائي وتظنين أنني جننت...؟

-حاشا سيدتي، ولكن أنا نيتي صادقة، لا أقدر أبدًا أن أراكِ تتعذبين بسبب فراق ابنك وأنا أعرف الحل وأحجبه عنكِ.

بدأت نظرات رحاب تتحول وكأنها صدقت كلامها وسألتها:

-وما هو هذا الحل...؟

-يوجد ساحر من "توغو" وأنا أعرفه شخصيًا، إنه ذائع الصيت في بلدي ويأتي لمصر مرة واحدة في العام، أي بعد شهر من وقتنا الحالي.

مسحت رحاب دمعها وقالت وهي تزدرد ريقها:

-وما الذي يقدر عليه هذا الساحر يا ألوما...؟

-سوف أشرح لكِ كل شيء يا سيدتي، إن بلدي توغو معروفة بالسحر الأسود لأن ديانة الفودو منتشرة عندنا بشدة وإن كنتِ لا تؤمنين بالسحر إذا رأيتِ بعينك ما يحدث في بلدي لسوف تؤمنين به عين اليقين.

-ولماذا سوف أؤمن بقدرة السحر ماذا يحدث هناك...؟

جلست ألوما تحت قدم رحاب وبدأت تحكي لها:

-في توغو عندنا لكل شيء حل وعلاج عن طريق السحر، وأدوات السحر تباع في الأسواق مثل الأعشاب في العطارة في مصر هنا، والسحرة في بلدنا نلجأ لهم كما تلجئون هنا إلى الأطباء.

-وهل السحر عندكم له جدوى أم مجرد دجالين كما الحال هنا.

-نحن أصل السحر يا سيدتي، السحرة في بلدي لم يختاروا أنفسهم كي يصبحوا سحرة بل الآلهة اختاروهم كي يكونوا يدهم في الأرض كي يساعدوا الناس.

-الآلهة...! هل لديكم أكثر من إله...؟

-في ديانة الفودو يكثر عدد الآلهة عن أربعين إله، وكل إله له دور يلجأ له الساحر على حسب الموضوع الذي جاء له به المحتاج.

-يعني الساحر عندكم قادر على فعل أي شيء.

-نعم يمكنه من خلال الآلهة أن يفعل أي شيء، يوجد الكثير من الفنانين والسياسيين يلجئون لسحرة الفودو من أجل مصالحهم الشخصية.

-يمكن أن أصدق أن الساحر قادر على أن يعطي المرء النجاح أو المال أو الحب ولكنه غير قادر على رد الحياة مرة أخرى لمن هو فقدها.

-ولكني لم أقل إن الساحر هو من يرد الروح، قلت لكِ أن السحرة في بلدنا يتم اختيارهم من قبل الآلهة وكل شيء يتم بيد إله من الآلهة لا بيد السحرة، السحرة ما هم إلا حلقة وصل فقط، ومعروف أن الآلهة هم من وهبونا الروح وهم من يأخذونها متى يريدون.

-عقلي غير مدرك ما تقولينه لي يا ألوما...!

-ما هو الصعب يا سيدتي، كل ما في الأمر أنكِ سوف تجهزين القربان المطلوب من الساحر، ولا تسأليني ما هو القربان أنا لستُ بساحرة، وإن كنتِ غير مؤمنة بالموتى الذين يعودون للحياة مرة أخرى أكيد في مرة من المرات شاهدتي فيلم للموتى الأحياء أي "الزومبي" المشهورة جدًّا في السينما الأمريكية.

رسمت ملامح الذعر على وجه رحاب وقالت صارخةً:

-هل تظنين أني جننت كي أوافق أن يتحول ابني لمسخ...؟

-أبدًا يا سيدتي، أنتِ أسئتِ فهمي، إن ما ترينه في الأفلام ليس له علاقة بالواقع أبدًا، سوف أشرح لكِ.

أكيد تعرفين أن الكثير من الأفارقة تم أسرهم كعبيد في أمريكا فبالتالي انتشرت ديانة الفودو في أمريكا اللاتينية وصارت تمارس طقوس السحر الأسود وانتشرت ومن ضمن هذه الطقوس عودة الموتى للحياة من جديد.

يعود كما كان لا كما في الأفلام التي تظهرهم مثل المسوخ.

لم ترد عليها رحاب وظلت تفكر، فنادت عليها ألوما:

-ها يا سيدتي، هل ترغبين بهذه التجربة...؟

تنهدت رحاب وقالت بنفاد صبر:

-أنا امرأة وحيدة وفقدت أخر من لدي في الحياة فلم يعد لي ما أخسره فلم أعد باقية على شيء، سوف أقدم على هذه الخطوة عسى أن يرجع لي فارس مؤنسي وسندي في الحياة.

***

ها هي الأيام تمر وجاء اليوم الموعود وذهبت رحاب وألوما إلى بيت متهالك معبأ بالكثير من الناس ولكن كالعادة بسبب مال رحاب الكثير كان كفيل أن تدخل فور وصولها بعدما خرج من بالداخل.

رحاب تمسك بيد ألوما وقد أوشكت على فقدان الوعي لأن المكان مقبض للغاية والرائحة به خنيقة جدًّا، ولكنها تمالكت نفسها وبمجرد أن دخلت رأت عجوز شمطاء تجلس على الأرض فنظرت رحاب بتعجب لألوما وهمست لها:

-ألم تقولي لي أنه ساحر لا ساحرة.

قبل أن تنبس ألوما ببنت شفة نطقت الساحرة وقالت بثقة:

-أنا هنا كي أشرح المطلوب للناس لأن الساحر لا يتحدث العربية.

-ولكني أنا أ...

قاطعت الساحرة صوت ألوما وقالت بسخرية:

-أعلم أنكِ من نفس بلد الساحر وتفهمينه جيدًا ولكن أنا هنا كي أساعد الساحر في بعض الأمور لا قول الطلبات، لأنه لو يرغب بتغير صوته ولغته لفعل، ولكن ليس كل شيء يجب ذكره.

من ثم نظرت لرحاب المرتجفة وقالت لها ساخرة من خوفها:

-لمَ أنتِ خائفة هكذا، الدار أمان، المكان مكاني وأنتِ تحت حمايتي، اطمئني.

فجأة بدأ يتضح هيئة شخص يجلس بجوار الساحرة، رجل أسود اللون يرتدي سلسلة من اسنان الحيوانات، وفي أنفه حلقة ضخمة عظمية مما زادت من ملامحه رعبًا، ففزت رحاب من مكانها، ولكن سرعان ما وقفت مكانها بمجرد ما سمعت صوت الساحر الذي ظهر من العدم.

فترجمت لها ألوما بسرعة:

-يقول لكِ لا تتحركِ من مكانكِ وعليكِ أن تلتزمي باحترامه ما دمت بحاجة إليه.

تصلبت رحاب مكانها وأومأت برأسها أي موافقة، فجاءها صوت الساحر وترجمت ألوما في ذات اللحظة:

-أنت ترغبين في أن يعود لكِ ابنك من جديد، لذا عليكِ أن تجلبي للإله ما يريد.

أومأت رحاب أي موافقة وعينيها تذرف الدمع من شدة الخوف، فأكمل الساحر كلامه وترجمت ألوما:

-يجب أن نحضر نسر ذهبي وببغاء برتقالي وغراب أسود قبل منتصف الليل.

ازدردت رحاب ريقها وقالت باكيةً:

-ولكن كيف لي أن أجدهم بكل هذه السرعة.

-سوف أحضرهم أنا بطريقتي ولكن أريد خمسة مليون لكي نبدأ في الطقوس.

-لا يهمني المال، سوف أعطيك ما ترغب به ولكن أعد لي ابني.

-سيعود لكِ ولكن علينا أن نذهب حالًا لبيتك كي نبدأ بالطقوس.

***

ها هي رحاب والساحر والساحرة وألوما في جراج بيتها، ها هو الساحر يشعل الخمس شمعات وفي المنتصف وضع صحن صفيحي به الكثير من الفحم الذي أشعله بمجرد نظرة من عينيه هو والشمعات الخمس وبدأ يرمي بشيء اشبه بالرماد كريه الرائحة، بسبب انبعاثه في الجو كان كفيل أن تحدث رجفة في المكان واهتزاز شعلة الشمعات بل أدى تمامًا لإطفائها، بعدها بلحظة واحدة عادت الشمعات كما كانت مضيئة وفي منتصف الصحن المعدني الضخم نسر ذهبي وببغاء وغراب، وبنظرة من الساحر كانت كفيلة أن تضرم النار بهم، والساحر يتمتم بكلمات لم تفهمها حتى ألوما.

كانت الكلمات تزيد من أجيج النيران في تلك الطيور، وبعد قليل أمسك الساحر بقطة سوداء ظهرت من العدم بين يديه، قام بطعن رقبتها بقوة بناب حيوان من السلسلة التي يرتديها كانت كفيلة أن تنهي حياة القطة في لحظة، ها هو يقوم بإخماد النيران بدم ذلك القط، من ثم سحب يد رحاب التي صرخت من هول منظر الساحر وما يحدث أمامها، أمسك بيدها وشق كفها بناب ذا سن حاد، عصر يدها بقوة وهي تصرخ، فأخذت قطرات دمها تسقط على ذلك الخليط بين الرماد والدم.

وهو مستمر في أن يتمتم بكلام غير مفهوم غير عابئ برحاب أو بصراخها.

من ثم وضع بضع قطرات من سائل ما في زجاجة كانت معه ومن ثم بدأ يمزج الرماد والدم والماء سويًا وهو مستمر في قول تعاويذ مختلفة بسببها تتذبذب الشموع بسبب هبوب الكثير من الهواء وكان هذا دليل على وجود أطياف للجن في المكان.

ها هي ألوما تمسك يدها كي تهدأ من روعها، من ثم ترك الساحر ما بيده وخرج للحديقة كي يجلب جثة فارس ولكن بمجرد أن خرج رأى تلك الغرفة الموجودة في الحديقة فجأت له فكرة، فنادى على الموجودين في الجراج كي يخرجوا، من ثم بدأ بإخراج جثة فارس المتأكلة، سألته رحاب بخوف:

-ماذا تفعل بجثة ابني.

لم يرد عليها وأخذ يخطو تجاه تلك الغرفة ووضع الجثة التي تم تكفينها على السرير ومن ثم أخذ يفتح الكفن عنه، وبدأ يدهن جسده بذلك المزيج الذي احضره من الجراج وهو يتمتم بطلاسم إلى أن أكمل تمامًا دهنة للجثة تمامًا ومن ثم نظر لرحاب وقال لها:

-ابنك سوف يكون معكِ مثل اليوم من الشهر القادم.

بمجرد ما سمعت رحاب ما ترجمته ألوما تركت يدها وتوقفت عينيها عن البكاء وظلت تنظر لجثة ولدها المتأكلة المدهونة بذلك المزيج والأمل قد تجدد في روحها أن يعود إليها من جديد.

من ثم هم الساحر بالخروج من الغرفة واتبعته تلك الساحرة العجوز ولكنها توقفت عند الباب والتفتت لرحاب وقالت موضحةً:

-آه عليكِ ألا تصلي ولا تتوضئي ولا تذكرين أدعية أو شيء من هذا القبيل لا أريد أن أوضح وأنتِ تفهميني جيدًا، لا تخربي كل المجهود بفعل أحمق منك.

من ثم ابتسمت بسخرية لرحاب الذاهلة مما مرت به.

-وبالفعل يا فريدة إنه استيقظ ووجد نفسه في تلك الغرفة كما ذكر لكِ وكان فاقد للذاكرة، هو صادق في كل هذا ولكن كان هناك أمر غريب يجب أن أقوله لكِ لأنه يؤكد شكوكك تجاهه،

إنه من الموتى الأحياء هذا أمر غريب ولكن ما هو أغرب أنه ظل فترة من دون طعام كل الطعام كان لا يستسيغه و...

قاطعتها فريدة وقالت:

-نعم، أنا أعلم أنه لا يأكل مثلنا ولكني ظننت أن هذا بسبب مرضه، بل الحقيقة أن قصته لا يصدقها عقل.

-على العموم تبقى أمر لم أذكره لكِ في يوم انفعل خالد بشدة على أمه لأنه كان جائع جدًّا وأمه لم تكن تعرف ما هو المناسب إليه و...

من ثم قطع كلامها صوت الرنين القادم من سلسلتها، فلمستها وردت على المتصل:

-حسنًا، سوف أتِ حالًا.

من ثم همت مسرعة، فقالت لها فريدة بصوت عالي كي تسمعها لأنها ابتعدت عنها:

-أشكرك كثيرًا يا ريحانة.

ردت عليها ريحانة ولكن صوتها كان خفيض جدًّا، من ثم نظرت لرانيا وقالت لها متعجبةً:

-آوه كيف لها أن تعرف كل ذلك في تلك المدة الوجيزة من دون أي أجهزة مجرد أنها تتمدد هكذا وتعرف ما تريد.

-هذه هبة ربانية وكما تعلمين أن الروح لا يؤثر بها الزمن، الزمن لا يعني شيء في عالم الأرواح الحر الذي يتميز بأنه بلا قيود عالمنا نحن.

-ترى ما هو الذي كانت تريد أن تحكيه...؟

-في أقرب فرصة سوف اتواصل معها وسأعرف لكي كل شيء، ولكن الآن بعد الذي علمتيه ماذا سوف تفعلين...! إن فارس هو خالد ولكنه من الموتى الأحياء.

ابتسمت فريدة لرانيا وقالت لها:

-بل إنه عاد للحياة من جديد من أجلي، وهو ليس من الأموات الآن بل صار خالدًا ولن أحرم منه مرة أخرى.

-هل تؤمنين بأن فارس عاد للحياة من جديد...؟
-هذا ما رأته ريحانة وأنا أصدقها وأصدق ما رأته عيناها وكأنما رأيته أنا.

-الآن صارت ريحانة جميلة وتصدقينها لأن الموضوع على هواكِ.

-نعم أصدقها ولكن هل تظنين أن أمه أسمته خالد لأنه سيكون خالدًا، أم سيكون له حياة أخرى.

-أنتِ منذ قليل قلتِ إنه خالدًا وسيكون معكِ إلى الأبد...!

-صحيح هذا ما قلته، ولكن أنا أسألك، ما رأيك...؟

-أظن أن الخلود فقط لله ولكن يمكن ولا استبعد دور دم ذلك القط أن له دلالة، هل يمكن استخدمه الساحر لأن معروف للقطط سبع أرواح و...

-لا يهم، المهم أن فارس قد عاد لي من جديد.

-أنتِ متزوجة بزين يا فريدة أظن أن فارس صفحة وانتهت وفي كل الحالات هو لا يتذكرك.

-زين...! أنا لم أحب زين قط، أحببته فقط لأني رأيت أن به الكثير من الشبه بفارس، أحببته من أجل فارس ولم أحبه هو قط ولا تنسي أن هناك الكثير من الشكوك حوله بسبب الأحلام التي أراها، لا تنسي أن جواد توعد لي، وفارس وعدني بأني سأكون له ومعه دنيا وآخرة، وها هو قد صدق وعده وعاد لي ولكني خائفة أن يصدق جواد كذلك في وعده ويعود لكي ينتقم مني.

-ولكن هذا لا يعني أن زين هو جواد.

-يجب أن اقابل ريحانة مرة أخرى كي تساعدني في هذا الأمر.

***

الفصل الثامن

العودة

ها هي فريدة تصل لفيلتها، فوجدت زين في استقبالها وملامح القلق على وجهه:
-هل أنتِ بخير يا فريدة...؟
ظلت فريدة شاردة في عيني زين وهي تقول في قرارة نفسها:
-لا يوجد أحد تحمل تقلباتي مثل زين، يجب أن أعطيه فرصة أخرى ولا أهدم كل ما بيننا بسبب تخاريف.
ها هو زين يقترب منها ويهزها ويقول لها متعجبًا:
-فريدة حبيبتي هل تسمعيني...؟!
عادت فريدة لتركيزها وأومأت برأسها أن لا، فأخذ بيدها وأجلسها على الأريكة وقال لها بحنو:
-هل واجهتي كابوس أو موقف ما في خلال يومك...؟
-أتظن أن الجنون قد تمكن مني يا زين...؟
تحسس زين وجهها برفق وقال لها:
-لم أظن هكذا أبدًا كل ما قلته لكِ أنكِ مجهدة بسبب ما مررت به وتحتاجين إلى الراحة والمتابعة مع طبيب نفسي.
شردت فريدة في عينيه وقالت في قرارة نفسها:
-يبدو أنهم جميعًا على حق، يبدو أني متعبة ولا يجب عليّ أن أحكم على زين من مجرد أحلام أو كوابيس وأفعاله في الواقع تثبت حسن نيته تجاهي.
-فريدة، هل أنتِ معي...؟

أومأت فريدة برأسها أي نعم ولكن في ذات اللحظة رأت خاتم زين يومض من دون أن ينبعث منه تلك الشاشة المعلنة عن كنية المتصل، سرعان ما تحولت ملامح فريدة إلى ملامح الشك وسألت زين الذي لمس خاتمه مرتين فأنهى الاتصال:
-من المتصل يا زين...؟ ولمَ فعلت هذه الخاصية مرة أخرى...!
أزدرد زين لعابه وقال وهو يبتسم ابتسامة نابعة من التوتر:
-أوه لقد نسيت أن ألغيها من الأساس يا حبيبتي.
-إذن دعني أرى من المتصل.
هم زين بلمس خاتمه كي يفتحه وفي تلك اللحظة جاءه اتصال مرة أخرى، فهم من مكانه مسرعًا وقال لفريدة وعلى وجهه ذات الابتسامة:
-حسنًا يا عزيزتي، سوف أرد على هذا الاتصال وأعود إليكِ مرة أخرى وسوف أنفذ لكِ مرادكِ.
ظلت فريدة تنظر له بصمت إلى أن خرج من الغرفة، فمددت فريدة جسدها على الأريكة وأخذت تفكر:
-ترى مع من يتحدث زين...؟
من ثم ضربت رأسها وقالت بتعجب:
-لمَ صرتِ تشكين في كل شيء وتعطين الأمور أكبر من حجمها...! يبدو أن ريحانة عندها حق في حالتي، يجب أن أتغير وأعود مثل ما كنت، يجب أن أتوقف عن الشك.
بدأت فريدة تنعس وهي تكلم نفسها:
-يجب أن أتوقف عن الشك، يجب أن .....
***

ها هي فريدة تستيقظ من نومها، تعدل من جلستها وتقول في قرارة نفسها وهي تمسح بيدها على وجهها كي تزيل ما تبقى من النوم:
-يبدو أني عندما قررت أن أتوقف عن الشك وفكرة عودة فارس لحياتي من جديد جلبت لي الراحة وبعدت الكوابيس عني.
ها هي فريدة تلمس خاتمها وترسل رسالة صوتية لفارس:
-فارس، أقصد يا خالد أريد أن اقابلك ضروري اليوم في العيادة، سأكون في انتظارك عصرًا كي أوضح لك كل شيء عن ماضيك.
مر بعض الوقت ولم تصل لفريدة أي رسالة فقررت أن تكمل نومها وتحاول أن تصل لفارس بعد استيقاظها.
***
فريدة في العيادة تنظر لساعتها وهي تفكر هل سيأتي فارس أم لا...؟
ها هي تنظر لتلك اللوحة الموجودة وراء كرسيها التي تظهر طائر الفينيق الناري وتفكر في قرارة نفسها:
-لقد قال لي فارس إن ذلك الطائر يعبر عن...
-أسطورة البعث بعد الموت، يبدو أن هذه اللوحة تعجبك بشدة يا دكتورة فريدة...
التفتت فريدة لمصدر الصوت وملامح الدهشة قد رسمت على وجهها وهمت واقفة وقالت:
-فارس لقد عدت من جديد.
-لم ابتعد إلا بناء عن رغبتك، لا أدري ما هو سبب تجاهلك لي من الأساس، لا أدري لمَ تغيرتِ معي منذ موضوع الصور ذا.

من ثم ضرب رأسه وقال لها:
-أه وما قصة فارس ذا الذي تقولين اسمه بدلًا من اسمي، إذا كان لكِ أن تخطئ في اسمي فقولي لي يا زين لا فارس وذلك للشبه الكبير بيننا.
أشارت له فريدة كي يجلس وهي تبتسم له ولكنه مستمر في تساؤلاته:
-أم إن هناك شخص أخر يشبهني اسمه فارس...؟
ضحكت فريدة وقالت:
-شيء كهذا.
نظر لها فارس بدهشة وسألها:
-تمزحين معي... أليس كذلك...؟ ثلاث اشخاص يشبهون بعضهم في نفس المكان، إن هذا اشبه بفيلم هندي بعض الشيء.
تمالكت فريدة ضحكتها وقالت بجدية:
-إن الأمر ليس كذلك، ولكن سوف أسألك سؤال بسيط وأريد أن أعرف رأيك... هل تؤمن بالبعث بعد الموت...؟
-أكيد أؤمن بالبعث ولكن لمَ هذا السؤال...؟
عدلت فريدة من جلستها وقالت:
-أظن أنك لم تفهم سؤالي جيدًا، أنا أقصد هل تؤمن بالبعث، أي أن يعود الميت للحياة من جديد و...
-نعم أؤمن يا فريدة.
-أنت لم تفهم مقصدي لأنك قاطعتني، أنا أقصد أن يعود الميت للحياة حاليًا في هذه الدنيا لا أقصد يوم البعث والنشور لكل من في القبور.
ابتسم لها فارس وقال لها بثقة:
-أقسم لكِ لقد فهمت مقصدكِ من البداية، نعم أصدق وأؤمن بهذا.

-وكيف لك أن تصدق مثل هذا الأمر...؟ هذه الفكرة لا يصدقها عقل.
-أنتِ سألتني عن رأيي وهذا هو، يوجد الكثير من الأفكار اللاتي أؤمن بها إلى أن يثبت العكس، على العموم فكرة الإيمان بها أفضل بكثير من فكرة نكرانها.
ضحكت فريدة وقالت ساخرة:
-إن أولئك الذين ينكرون وجود الإله والبعث وكل تلك الأمور أولئك في مأزق رهيب، هؤلاء مثل بعض الطلاب الفشلة الذين لا يرغبون في الدراسة فكل ما عليهم أن يتمنوا أن لا يمروا بامتحان أو ان لا يكون هناك امتحان من الأساس ولكن هيهات لا مفر من الامتحان يا عزيزي ودع النكران يفيدهم حينها.
-صحيح لذا الإيمان أفضل من النكران، والاستعداد أفضل في كل الأحوال.
-ولكن الإيمان أيضًا يجب أن يكون مبني على أسس واقتناع، لا مجرد الإيمان بسبب الخوف من فكرة العقاب والعذاب في الحياة الأخرة.
أومأ لها فارس رأسه فقاطعته فريدة ساخرة:
-أنا أقول لك ذلك لا من أجل أن تومأ لي برأسك، بل أريد أن أعرف ما الذي دفعك كي تؤمن بأن هناك بعث، وخاصة البعث في هذه الحياة.
-كما تعلمين يا فريدة، أنا ليس لدي أصدقاء ومنذ أول يوم أتذكره في حياتي وأنا لم يكن لي صديق سوى زين هو أول من تقرب

مني ومن ثم أنتِ، فصرتما أنتما أول صديقين لي، ولكن قبل ذلك كنت أشغل وقتي بالقراءة فقط.
-أوه بسبب قراءتك كل هذه المدة لديك معلومات كثيرة.
-مهما جرعت من بحر العلم أشعر أني ما زلت عطشان ولم أجترع منه ما يكفيني أبدًا.
-أكمل لي يا فيلسوف زمانك أكمل.
-أنا شخص بسيط، لست فيلسوف أبدًا ولكن سوف أقول لكِ ما الذي دفعني على التصديق بهذه النقطة، إن فكرة البعث في هذه الحياة ما هي إلا معجزة في بعض الأديان وأمر طبيعي في بعض الديانات الأخرى.
مثلًا في الهندوسية والبوذية يؤمنون بتناسخ الأرواح وعودة الروح من جديد لهذه الحياة لعدة حيوات مختلفة مرة كرجل أو امرأة أو حيوان أو نبات.
قطاعته فريدة بجدية:
-ولكني لا أتحدث عن تناسخ الأرواح أو عودة الروح من جديد أنا أقصد...
-أعلم تقصيدين عودة المرء بنفس الروح والهيئة التي كان عليها، أنا فقط أسرد لكِ كل ديانة بمعتقدها، ولكن الذي تتحدثين عنه ذكر في القرآن الكريم، ولكن القرآن عكسها كمعجزة إلهية مثلًا في قصة عزير الذي مات لمئة عام هو وحماره وأعاده الله للحياة من جديد كمعجزة لإثبات قدرة المولى على بعث الموتى، وهنا عاد الإنسان ألا وهو عزير والحيوان ألا وهو الحمار وكذلك طعامه وشرابه أي النبات، في هذه القصة إثبات على حدوث هذه المعجزة، وكذلك توجد قصة أخرى تثبت هذه

المعجزة وأنا أقول لكِ أن الإسلام يذكر أنها معجزات إلهية، قصة النبي إبراهيم عندما أراد أن يطمئن قلبه تجاه البعث فطلب منه الرب أن يقسم الطير إلى عدة أجزاء وبأمر المولى عاد الطائر كما كان، وفي هذه المعجزة اثبات لقدرة الرب على البعث حتى وإن كانت الجثة غير موجودة في مكان واحد بل بأمره يجمع شتاتها من جميع البقاع كي تبعث من جديد.
-صدقت ولكنها تظل معجزة.
-وكل ما هو معجزة ربانية يجب الإيمان به، دعيني أكمل لكِ مثلًا ديانة الفودو المنتشرة في...
قاطعته فريدة بلهفة:

-هل تؤمن بهذه الديانة...؟

-مجرد ديانة قرأت عنها مثل باقي الديانات.

-أقصد هل تؤمن بما يفعلونه ومعتقداتهم.

-لا استبعد أي شيء في الحياة، ولكن تلك الديانة لا تمثلني.

-يعني هل تؤمن بقدرة بعض السحرة على إعادة بعض الموتى للحياة من جديد.

-السحرة لا يمكنهم فعل شيء، الديانة والمؤمنين بها يقولون إن من يفعل ذلك هم الآلهة، السحرة ما هم إلا وسيط، يعني مثلًا بما إنكِ مسلمة هذه الفكرة لديهم تشبه القصة التي وردت في سورة البقرة عن قتيل بني إسرائيل وعندما أمر الرب أن يذبحوا بقرة وبالفعل عندما جلبوا تلك البقرة ذات المواصفات المطلوبة عاد

الميت للحياة من جديد وأعترف وقال من هو قاتله وفي هذه القصة نقول الرب هو من بعث الروح مرة أخرى لا نقول نبي الله موسى من رد الروح، وهذا مثال أخر على بعث الروح في هذه الحياة.

ازدردت فريدة ريقها وقالت:

-وهل ستصدقني إن قلت لك أنك متت وبعثت للحياة من جديد...؟

رسمت ملامح الصدمة على وجه فارس وقال متعجبًا:
-ما الذي تقولينه...؟

***

الفصل التاسع

الذاكرة

سردت فريدة كل شيء لفارس عن حياته* فقال لها فارس متعجبًا:
-لذلك كنت أشعر بأني أعرفك، ولكن لا أدري ما هو سبب هذا الشعور.
-نعم كنا سويًا في الماضي في مغامرة أشبه بالخيال.
-ولكن هل تتذكرين أول يوم قابلتك به أنتِ وزين عندما كنتِ داخل السيارة، يوم الحادث...!
-نعم أتذكره.
-في ذات اليوم حلمت بكِ.
دهشت فريدة وقالت:
-وأنا أيضًا ولكن هل يمكن أن تحكي لي حلمك بي.
-حلمت كأني في جِنان واسعة وحولي فتيات حسناوات أشبه ب...
-بحور العين، وأنا كنت ارتدي زي مثل زي الملكات، فوجدتني أنا وأجلستني بجوارك على كرسي أشبه بالعرش، أليس كذلك...!
-ولكن كيف عرفتي ما رأيته في منامي، هل هذا الموقف حدث في الماضي بيننا ويتكرر الآن...!؟
-لا بل هذه نفس الرؤيا التي رأيتها في ذات اليوم.
امسك فارس رأسه وقال بتعجب:

-أنا لا أصدق، كيف لي أن أموت وأعود للحياة مرة أخرى بمعجزة بل وأقابلك مرة أخرى، إن هذا أشبه بأسطورة يجب أن تروى.
ضحك فارس وقال لها:
-تخيلي يا فريدة أن هذه الرؤيا التي رأيناها لا تكون مجرد رؤيا بل جزء من ذاكرتنا لأحدى حيواتنا في الماضي أنا وأنتِ.
-أتقصد أننا على مر العصور يجمعنا القدر.
-ولمَ لا، أنا لا استبعد أي شيء.
-أوه لهذا عندما عدت بالزمن، شيء ما جذبني لدخول هذا البيت، وكان السبب الحقيقي الذي يجذبني إليه هو أنت، وحينها عندما تكرر لقاءنا لم أكن أدري لمَ أنا أقحمت نفسي في حياتك ولمَ أرغب في مساعدتك...؟!
يعني السبب هو أن روحي تعلقت بروحك في زمن من الأزمان.
-حتى أنا عندما قابلتك أول مرة عن قرب عندما زرتني مع زين في البيت، صرت أشعر أن حالتي تتغير، كانت روحي تتأثر بشكل كبير بسبب حضورك.
-يعني هذه الحالة الأشبه بحالة الصرع لم يكن بسبب مرضك...؟
-للحق لا، ولكن روحي شعرت بأن هنالك شيء اخترقها فأحياها أو شيء كهذا.
-أوه لذلك لاحظت أنا وزين اختلاف في ملامحك وظننا أن هناك تحسن بسبب راحتك النفسية معنا.
-وظنكم صحيح، قربكم مني غير بي الكثير، وبخصوص هذا الأمر أريد أن أعترف لكِ بشيء.
-أنا كلي أذان صاغية.

-أنا كذبت عليكِ.
نظرت له فريدة بتعجب:
-كذبت عليّ...! كيف...؟
-كذبت عليكِ بشأن اكتشاف طبيبي الخاص لعلاج حسن من حالتي، بل الحقيقة أنا من بعد لقائي بكِ صرت لا احتاج لجلسات العلاج الخاص بنقل الدم، لم أعد شاحبًا لم أعد متعبًا بمجرد قربك مني لبضع لحظات، لذلك قررت أن أقابلك في كل مرة تأتي لي فرصة للقائك، وبالفعل اكتشفت أثرك عليّ.
فتحت فريدة فمها مندهشة من ثم سألت بجدية:
-ولمَ أنا بالتحديد...؟
-لأن مقابلاتي للناس كانت محدودة ولم ألحظ هذا الأثر على حالتي من قبل، ولا تقولي لي أن زين هو من بادر وقد يكون له تأثير...
-كيف علمت...؟
-مجرد تخمين، هذا الظن استبعدته وتأكد أنكِ وحدكِ السبب لأني قابلت زين عن قرب قبل أن تأتي لزيارتي بأسبوع تقريبًا ولم ألحظ أي تغيير لحالتي، بل يوم ظهورك كان صدمة لروحي، ولكنها صدمة أحيتني فعليًا.
-أن ما نمر به لا يعقل يا فارس.
-أعلم أنه لا يعقل، ولكن بما أنه حدث إذن فإنه يعقل، ولكن أنا متعجب جدًّا لمَ كنتِ منفعلة في هذا اليوم...؟
-لأن يومها رأيت ملامحك وظننت أني جننت لأنك تشبه فارس جدًّا ولكن اليوم الذي وجدت به تلك الصور أثبت لي كل شيء.

-حسنًا، بعد أن تذكرتني ماذا سنفعل وهذا بعد أن علمت بأني قد أحببت زين لمجرد أنه يشبهك.
-لن نفعل شيء.
صدمت فريدة وقالت متعجبة:
-ماذا تقصد بأننا لن نفعل شيء يا فارس...؟
-يجب أن تعلمي أنا الذي بحاجة إليكِ أكثر من حاجتكِ إليّ، ولكن يجب أن تعلمي شيء يا فريدة أن ترضي بقدرك وبزين، إن زين هو نعم الرجل ونعم الصديق والأخ لي، هو أول من تقبلني وأصر على التقرب مني كي يخرجني من قوقعتي، ولولاه لما كنا سويًا الآن.
انفعلت فريدة وقالت بغضب:
-لا بل القدر هو من جمعني بك هذه المرة مثل ما جمعني بك في المرة السابقة.
-عندكِ حق، ولكن ما تفكرين به غير صحيح أبدًا يا فريدة، من فتح لي ذراعه وبيته لن أطعنه وأغدر به وأخذ حب حياته لأنه كان لي في الماضي، يجب أن نترك الحياة تستمر كما كتبها القدر.
هنا قطع كلامهما صوت فتح الباب ففزعت فريدة بمجرد أن رأته.
نظر زين لفارس وقال متعجبًا ولكن لحق تعجبه تهليل بسعادة:
-أوه خالد... نورت العيادة يا رجل.
ابتسم له فارس وقال:
-هذا نورك يا زين، ولكن من الآن قل لي يا فارس.

نظر له زين بتعجب ومن ثم نظر بحيرة لفريدة ومن ثم سأل فارس:
-ألم تقل لي أن اسمك خالد يا رجل...؟
ضحك له فارس وقال له:
-اعتبر إنه كان اسم الدلع لي.
-حسنًا يا فارس ولكن لمَ لم ترد على اتصالاتي...؟
-لم أرغب أن أشعر أني ثقيل عليكم.
-لا تقل هذا الكلام مرة أخرى يا رجل، أنت أخي ولكي نجعل علاقتنا وطيته يجب أن يكون بيننا "عيش وملح".
هيا يا فريدة لكي نأكل سويًا.
هم فارس من مكانه وقال:
-صدقني لست بجائع أبدًا.
من ثم نظر لفريدة وقال مبتسمًا:
-سبقتك يا صديقي.

***

ها هي فريدة في شرفة بيتها تنظر لفيلا فارس شاردة تفكر به ولكن سرعان ما قطع شرودها خروجه لشرفته، فهمت فريدة بدخول غرفتها، وبمجرد أن دخلت غرفتها استقبلت رسالة من فارس:
-أعلم أنكِ كنتِ تفكرين بي كما كنت أفكر بكِ.
التفتت فريدة ودخلت شرفتها من جديد فنظرت لفارس بحيرة ومن ثم أرسلت له رسالة:
-ولمَ أنت متأكد هكذا...؟

-لأن روحك إن لم تنادي على روحي لما كنت خرجت وقابلتك الآن، روحي وروحك مرتبطين سويًا، كلانا توأم شعلة، كلانا منجذب للأخر وكأننا خلقنا لبعضنا.
-ولكنك رفضت أن نغير قدرنا ونكون سويًا.
-ومن قال لكِ أننا لن نكون سويًا بل سنكون قريبين لبعضنا البعض ولكن بشكل يحترم ما قدره القدر.
-لماذا تظن أني أقول لك هذا الكلام وفي الغد سوف ننفصل أنا وزين وسنكون سويًا، يجب أن تعلم أن علاقتي بزين بعد الزواج صارت متذبذبة بعض الشيء، وللصدق أشعر أحيانًا أني ظلمته لأني أحببته فقط لأنه يشبهك لا لكونه هو، وبمجرد ظهورك في الواقع صرت أشعر بداخلي أني هكذا أخنه حتى بظني، لذا أريد أن أقرر وأن تكون مشاعري حقًا للشخص الذي نبض له قلبي منذ البداية ألا وهو أنت.
-دعي اقدارنا تسير كما كتبت لنا، يجب أن نتحمل مرارة القدر أفضل بكثير من اجتراع الحميم بسبب اختياراتنا.
ظلت فريدة تنظر له بصمت من دون أن ترد على أخر رسالة له، فأرسل لها رسالة أخرى:
-فريدة، لمَ لا تردين عليّ فيما تفكرين...؟
لا تفكرين كثيرًا لقد أوضحت لكِ أنا صرت في الحياة لا أرغب في شيء سوى وجودكِ فقط، وفكرة وجود زين أشعر أنه نعمة جميلة لكلانا ويجب أن نحبه كما يحب كلانا.
حينها دخل زين الشرفة وراء فريدة وأشر لفارس وقال له:
-تعال يا فارس نسهر سويًا.

أشر له فارس أي أنه موافق، من ثم نظر زين لفريدة وقال لها برومانسية:
-كنت متأكد أني سوف أجدك هنا، صرت أحفظك يا حبيبتي.
نظرت له فريدة وقالت بحيرة:
-ولكني مهما حاولت لا أفهمك أبدًا يا فارس، أقصد يا زين.
تلعثمت فريدة وشعرت بحرج ولكن سرعان ما قال زين متعجبًا:
-يبدو أن الشبه بين كلانا جعلك لا تفرقين.
-لا، لم أقصد أبدًا أن...
سحبها زين من يدها بعفوية وقال بابتسامته المعهودة:
-لا يهمك يا عزيزتي، أعرف أنكِ متعبة هيا بنا كي تخرجين من قوقعة تفكيرك وتقضين وقت جميل معنا.
***

الفصل العاشر

وهم أم حقيقة...!

فريدة وفارس وزين جميعهم في الحديقة يضحكون سويًا إلى أن ومض خاتم زين فلمست فريدة الخاتم فانبثقت منه شاشة تحمل اسم ليندا، فنظرت بحيرة لزين:

-من هذه ليندا التي تتصل بك الآن يا زين...؟

توتر زين من ثم ابتسم وقال:

-ماذا بكِ يا حبيبتي...؟ إنها ليندا صديقتك.

-غريبة، ولمَ تتصل بك ومنذ متى...؟

-يمكن تتصل لأنها تريد أن تطمئن عليكِ.

-ولمَ لم تتصل بي مباشرة...؟

-يمكن لم تستطع أن تصل لكِ، على العموم اسأليها يا عزيزتي، المهم أني لغيت تلك الخاصية.

من ثم غمز لها، فوكزته فريدة وابتسمت له، فقام زين وقال لها:

-سأقوم باتصال وأتِ في الحال.

من ثم نظرت فريدة لفارس متعجبة:

-ألن تشرب العصير حتى يا فارس...؟

-لا احتاج لشيء ما دمت أمامي.

-هل تريد أن تقنعني أنك لن تأكل أو تشرب أبدًا ما دمت معك.

-صحيح.

-وهل هذا يصدقه عقل...؟

ابتسم وقال لها:

-وهل الميت يعود للحياة...؟!

عاد زين بعدما أنهى مكالمته سريعًا، فقام فارس مستأذنًا كي يرحل فذهب معه زين كي يوصله:

هنا ظلت فريدة تنظر لفارس وهو يهم بالرحيل وتسأل نفسها متعجبةً:

-آه يا ربي ما هذا الذي أمر به...؟ لو كان فارس الذي حكي لي قصة بعثه للحياة مرة أخرى لم أكن لأصدقه ولكن ريحانة لا تربطني بها أي صلة، مجرد أنها قالت لي ما رأته وكفى، ولكن كيف له ألا يأكل أو يشرب، يعني في السابق صدقت أنه يعيش على جلسات علاجية، بينما الآن كيف له أن يكتفي بي...؟ يعني أنا إن لم أكن معه سيعود كما كان شاحب أغلب الأحيان...؟

-فريدة حبيبتي هل ستظلين شاردة هكذا...؟ أرجوكِ أريحي عقلكِ قليلًا.

قالت فريدة في قرارة نفسها:

-كل ما يرده زين أن أتوقف عن التفكير وكفى وكأنني أفكر بعقله.

قال لها زين وهو يقوم بسحبها كي تقف معه:

-كثرة التفكير هي التي تسبب لكِ الإجهاد، هيا معي كي نرتاح في غرفتنا.

نظرت فريدة لعينيه وقالت في قرارة نفسها:

-عليّ أن أعطي فرصة لزين، خاصة وأن فارس وموضوع عدم تناوله للطعام أو أن يشرب حتى يجعلني أضع عليه علامات تعجب واستفهام.

ها هي فريدة تصل غرفتها مع زين، من ثم تفق من شرودها على صوت زين الذي يهمس لها:
-هل تعلمين أني اشتقت إليكِ كثيرًا...؟
تنهدت فريدة وقالت:
-وأنا اشتقت لنفسي كذلك.
-سترتاحين يا حبيبتي صدقيني، سلمي نفسك لي وكل شيء سيكون على ما يرام.
***
فريدة تستيقظ وهي تشعر بأن هناك ألم في بطنها، تفتح عينيها فتجد ذلك الطائر ولكن بحجم أصغر ينقر في بطنها وثوبها تلطخ بالدم، وبمجرد أن نظرت له نظر لها بحدة وطعنها منقاره فانشقت بطنها فخرج منها حميم، ظلت تصرخ بقوة من شدة الألم...
ها هو زين يضرب فريدة على وجهها التي تصرخ بقوة، إلى أن فتحت عينيها:
-فريدة، توقفي عن الصراخ يا فريدة، أنا هنا بجانبك.
فتحت فريدة عينيها تلهث وتنظر بقلق وخوف لزين، فلمس وجهها برفق:
-لا تقلقي يا حبيبتي، أنا هنا معكِ، لا تقلقي من شيء.
أبعدت فريدة يده عنها ومسحت وجهها وقالت:
-لا أدري لمَ عادت الكوابيس لي...؟
-أتقصدين أني السبب وفي كل مرة أقترب منكِ بها يحدث معكِ هكذا...؟
-لا يحدث هذا دائمًا ولكن لا أدري ما سبب تلك الكوابيس...؟

سحب زين الغطاء على جسده ونام على جانبه الأخر وهو يقول بصوت قد غلبه الحزن ونفاد الصبر:

-يجب أن أوضح لكِ أن ما ترينه أغلب الوقت ليس بكوابيس أنتِ الآن كنتِ معي بمجرد ما أغمضتِ عينكِ صرختي، يجب أن تتعالجي يا فريدة، أريد حبيبتي ترجع لي من جديد.

***

ها هي فريدة تصل لعيادتها وتجلس على كرسيها وتتأمل في لوحة طائر الفينق، وتشرد وتقول في قرارة نفسها:

-لماذا أرى هذه الكوابيس...؟ ما الفائدة منها...؟ لم استفد منها شيء إلا إنها زعزعت علاقتي بزين...! وما فائدة ظهور فارس في حياتي مرة أخرى... ما المغزى من الذي أمر به الآن... وما هو هذا الطائر الذي اراه في احلامي...؟ علمَ يدل...؟ هل يمكن أن يرمز لفارس لأن هذا الطائر رمز للبعث مرة أخرى، ولكن إن كان يدل على فارس عليّ أن أحذر منه لأن هذا الطائر يحاول قتلي...

كيف لم انتبه لهذه النقطة...!

يعني احلامي تسببت بأن أشك في زين والآن فارس...؟!

أغمضت فريدة عينيها وقالت بتعب وهي تلمس جفنيها المتعبان:

-يبدو أنكِ متعبة يا فريدة... أفضل شيء أن ابتعد قليلًا وأكون بمفردي كي أصل لقرار.

بمجرد ما التفتت بكرسيها فزعت فريدة:

-صرتِ تخافين مني يا فريدة...!

تنهدت فريدة وقالت:

-لا أبدًا، أنا لا أعرف ما هو الخوف...؟ لم أكن أظن أن تأتي لي باكرًا هكذا للعيادة.

أقترب فارس وجلس على الكرسي أمامها وقال:

-رأيتك تخرجين باكرًا فقررت أن أتِ وأكون معكِ، ولكن أرغب أن تسامحيني أني دخلت هكذا من دون استئذان ولكني وجدت كل الأبواب مفتوحة و...

قاطعته فريدة بتنهد وتعب:

-لا يهمك يا فارس...

ولكن قطع كلامها صوت زين الذي دخل العيادة:

-كنت أعلم أنكِ هنا يا...

قطع صوته الملهوف بمجرد ما دخل مكتب فريدة ورأى فارس معها، ولكنه تمالك حيرته وقال بصوت هادئ متعجب وهو يجلس على الكرسي المواجه لفارس:

-أظن أنكما صرتما مقربان جدًّا، هذه ثاني مرة أتِ للعيادة وأجدك مع فريدة.

-مجرد صدفة يا زين لا أكثر ولا أقل.

نظر زين لفارس نظرة ريبة ومن ثم نظر لفريدة بلهفة:

-أعلم أنكِ حزينة مما صدر مني بالأمس، وبمجرد أني رأيتكِ لستِ بجواري فقررت أن أتِ لهنا ونفطر سويًا.

ابتسمت له فريدة، فهم زين بوضع الطعام على الطاولة الموجودة بين الكرسيين وقال لفارس:

-هيا تفضل معنا يا فارس...

هم فارس من مكانه وقال بابتسامة:

-لا أشكرك يا زين، أترككما على راحتكما الآن.

نظر زين بحيرة لفارس وقال:

-ماذا يجري يا رجل لمَ صرت هكذا عندما أحضر أنا ترغب في أن ترحل.

من ثم ضحك متعجبًا وقال وهو ينظر لفريدة:

-عندما تحضر الشياطين تذهب الملائكة...!

ضحك فارس وقال له:

-يا رجل يقولون عندما تحضر الملائكة تذهب الشياطين.

ضحك زين وهو يهم من مكانه ويمسك بفارس كي يجلس على الكرسي مرة أخرى:

-يا رجل لا أستطيع أن أقول عنك أنك من الشياطين أنت مثل أخي.

هم كي يأخذ كرسي آخر وجعل فريدة تجلس عليه، ومن ثم قال لهما:

-هيا نفطر سويًا...

وبالفعل بدأت فريدة بالأكل وزين كذلك، ولكن فارس لم يمد يده حتى...

هنا ضحك زين وهو يمسك بلقمة في يده وهي ينظر لفارس:

-يا رجل مد يدك معنا لا يصح أن تجلس وتنظر فقط، أتعلم من هم لا يستطيعون مد أيديهم كي يأكلون...

ابتسم له فارس وقال له:

-الملائكة كما شبهتني منذ قليل يا أخي.

ضحك زين وأكل لقمته وهو يومأ برأسه أي نعم، ولكن قطع نظراتهما صوت فريدة:

-لقد شبعت.

نظر لها زين بحيرة:

-ولكنكِ لم...

همت فريدة من مكانها وهي تقول في تعجل:

-يجب أن أخرج الآن يا زين عندي مقابلة مع صديقة لي.

ترك زين الأكل من يده ونظر بحيرة وحزن كمن ليس بيده حيلة.

***

ها هي فريدة تركب سيارتها وتقودها بسرعة وتصل لبيت رانيا وتتصل بها:

-رانيا أريد أن أقابلك ضروري...؟ أنا أمام بيتك.

ردت رانيا بصوت ناعس:

-ولكني لست في بيتي في القاهرة، أنا في الإسكندرية؟

-أريد أن أقابلك ضروري يا رانيا.

-حسنًا سوف أرسل لكي عنواني الجديد في الإسكندرية وسأكون في انتظارك.

***

ها هي فريدة وصلت ل"شاليه" أمام البحر مباشرة، رأت أمام باب الشاليه رانيا في انتظارها تؤشر لها، اقتربت منها فريدة وقالت لها بحيرة:

-رانيا أنا أشعر بحيرة رهيبة... أحتاج أن أحكي معكِ.

-حسنًا تفضلي لا يصح أن تظلي هنا هكذا.

أشارت فريدة كأنها تشعر بخنقة رهيبة وقالت:

-أفضل أن نتكلم أمام البحر.

-وهو كذلك، أنا معكِ.

***

تنفست فريدة بعمق وهي تتأمل في البحر ومن ثم نظرت لرانيا وقالت:

-هل يمكنك أن تدعي ريحانة كي أقابلها مرة أخرى، أنا في حيرة رهيبة...؟

-أنا اتصلت بها عندما طلبتِ مني أن أعرف باقي ما حدث، وبالفعل ردت عليّ.

قالت فريدة بلهفة:

-وماذا قالت لكِ...؟
-قالت لي عليكِ أن تحذري...

نظرت فريدة بحيرة:

-أحذر من ماذا...؟

-لا أدري يا فريدة... لم تكمل كلامها.

-ولمَ لم تكمله...؟
-الاتصال انقطع.

-أتصلي بها مرة أخرى.

رفعت رانيا حاجبها متعجبة ساخرة:

-على أساس لم أفعل ذلك... أنا أحاول أتصل بها يوميًا منذ ذلك اليوم... لذلك لم أتصل بكِ... قلت سوف أتصل بكِ إذا تمكنت من الوصول لريحانة.

-هل تعرفين بيتها...؟

-نعم أعرفه وسألت عنها ولكن لا يوجد أحد يعلم أين ذهبت هي وأسرتها... يمكن سافرت الله أعلم وهذا سبب عدم وصولي لها.

أمسكت فريدة برأسها ومن ثم نظرت للبحر وتنفست الصعداء كي تهدأ من التوتر وبعد تفكير طويل وهي مغمضة العينين قالت بلهفة:

-ريحانة قالت إن لها خالة طبيبة نفسية يمكن أن تساعدنا في الوصول لريحانة.
-بالفعل وصلت لعيادتها ولكنها لا تعلم أي شيء عن ريحانة وأخبرتني أنها ستبلغني في حالة تواصلت معها ريحانة.

تنهدت فريدة بصوت فاقد الأمل:

-آاااااااه، ماذا أفعل الآن...؟

أمسكت رانيا يدها وقالت لها:

-لا تفعلي شيء.

نظرت لها فريدة بحيرة:

-إن الشك أشتعل في كل جوارحي ولا أدرى ماذا أفعل...!؟ أريد أن أرتاح يا رانيا، أريد أن تخمد نيران جوارحي.

-حسنًا يا فريدة يمكنكِ أن تحكي لي ما حدث معكِ وأنا يمكنني من واقع خبرتي في الحياة أن أساعدك.

حكت فريدة الجديد الذي مرت به، ورانيا تنصت لها فقط، وبعد أن انتهت من الحديث نظرت لها رانيا وهي تمسك بيدها كي تهدأ من حيرتها:

-سأقول رأيي لكِ وسوف أتخيل أني مكانكِ تمامًا، لو كنت مكانك لأعطيت فرصة لزين، إنه شاب حنون وتحمل تقلبات مزاجك وشكك وقدر كل ذلك بسبب حبه لكِ.

انسان تحمل شكك تجاهه بسبب مجرد أحلام، والآن تريدين أن تهجرينه لأنكِ وجدتِ حبك الأول...!

هل زين ذنبه أنه أحبكِ كي تجعلينه يعاني هكذا...؟

ولن أتكلم عن فارس وحالته الغريبة سواء في عودته أو تصرفاته، أنا أتكلم وأنا أعتبره أنسان مثله مثلنا ويأكل مثلنا ولا يوجد حوله أي شكوك لا تخترينه لأنكِ متزوجة وزوجك يحبك، احترمي اختيار القدر يا فريدة، ولا تتبعي الضلالات والأوهام...

قطع كلامها صوت رنين هاتف فريدة، فنظرت لها رانيا " أي من المتصل" ابتسمت فريدة وقالت:

-زين...

ابتسمت لها رانيا وهمت من مكانها وهي تقول:

-دعي القدر يسير كما هو، وعليكِ بالرضى وكما قلت لكِ لا تصدقي الضلالات.

أومأت فريدة لرانيا بابتسامة، ومن ثم همت بالرد على الاتصال:

-ألو...

-فريدة حبيبتي، أين أنتِ الآن...؟

-مع صديقتي يا زين.

-هل يمكن أن تعودي لقد حضرت لكِ مفاجأة...؟

-وما هي هذه المفاجأة...؟!

ضحك زين وقال لها:

-ألن تتوقفي عن طبعكِ ذا...! لا لن أقول لكِ يجب أن تري بعينيكِ الجميلتين.

تنهدت فريدة وقالت له:

-ولكن يا زين أرغب في أن أبعد ليومين أو ثلاثة كي أعود بحال أفضل.

قال زين بأسى:

-هل ستتمكنين من البعد...؟

تنهدت فريدة وقالت بأسى:

-أعرف أنك تعبت من وضعي ولكن أحتاج أن أصفي ذهني قليلًا.

تنهد زين فاقد الأمل:

-حسنًا يا فريدة كما تشائين.

***

بعد مرور ثلاثة أيام قررت العودة لفيلتها ولكنها لم تجد أحد في الفيلا، اتصلت بأمها وهي تشعر بقلق ولكنها لم تجب على الاتصال.

من ثم قررت فريدة أن تتصل بزين ولكن زين كان مشغول حاولت ثلاث مرات ولكن بلا جدوى، فقررت أن تذهب لفيلا فارس وها هي تنتظر كي يجيبها ويفتح لها الباب، ولكن بلا جدوى، فقررت أن تعود لفيلتها وألقت بجسدها على السرير ولكن فجأة سمعت رنين هاتفها وكانت أمها فهمت فريدة جالسة:

-أين أنتِ يا وتين...؟

-لمَ أنتِ قلقة هكذا يا فريدة...؟ أنا وجدتكِ سافرتِ أنتِ وزين فقررت أن أسافر لأهلي في دمنهور أفضل من وحدتي التي تقتلني.

غضبت فريدة:

-لا تقولي هذه الكلمة مرة أخرى يا وتين لو سمحتِ، أنا متعبة للغاية ولا أستطيع أن أسمع كلام يصيبني بغصة تخنقني أكثر مما أنا عليه.

-ماذا بكِ يا بنيتي...؟ أحكِ لي.

تنهدت فريدة وقالت:

-أنا بخير يا أمي ما دمتِ أنتِ بخير.

-مصرة تقولي لي يا أمي وهذا الأمر يزيد شكوكي يا فريدة.

تنهدت فريدة ضاحكةً:

-وتين توقفي عن مزحك ها، آه ولا تنسي العلاج في الموعد.

-حسنًا يا ماما فريدة.

ضحكت فريدة وقالت:

-بربك توقفي يا وتين.

-حسنًا يا عزيزتي انتبهي لنفسك ولزين.

***

ها هي فريدة تقوم من على السرير وتقف أمام شرفتها الزجاجية وتنظر بحيرة لفيلا فارس المغلقة تمامًا، فهمت بجعل شاشة خاتمها تنبثق متأهبةً لكتابة رسالة لفارس ولكنها قررت ألا ترسل له شيء وقالت في قرارة نفسها:

-عليّ أن أحترم القدر لن أرسل له شيء هو مجرد جار لا أكثر.

قطع تفكيرها وشرودها صوت رسالة، فاقت من شرودها وقرأتها:

"فريدة خذي حذرك"

فريدة حاولت أن تتصل بزين كي تفهم مقصده من الرسالة ولكنه لا يرد.

أرسلت فريدة له رسالة:

"يجب أن توضح لي لمَ يجب أن أخذ حذري ومن ماذا...! ولمَ لا تجيب على اتصالي...؟"

من ثم قررت أن ترتاح قليلًا حتى يتصل بها زين يوضح لها سبب الرسالة.

من ثم غاصت فريدة في نوم عميق بسبب كثرة التفكير والتشتت التي تمر به.

ها هي فريدة نائمة على سريرها، ها هي تشعر أن هناك شيء يلمس وجهها برفق، شيء ناعم يلمسها، شيء أشبه بنعومة الريش.

فتحت عينيها بتعب، فرأت أن ريش بالفعل يلمس وجهها...!

فزعت فريدة عندما رأت ذلك الطائر على سريرها بجوارها يتأمل بها ويلمس وجهها بريش جناحه الناري.

همت فريدة جالسة تنظر له بفزع وحيرة من نظرة عينيه، كانت تشعر إن الطائر ينظر لها بعينين الدامعتين.

ها هو يقترب منها وبدأت فريدة تتأثر بنظرة عينيه وقل الفزع من قلبها، ها هو الطائر يقترب منها ورأت فريدة في عينيه تلألأ رهيب أتبعه تساقط لدموعه بمجرد ما رأت فريدة دموعه خبئ رأسه في حضنها، ضمته فريدة وهي تحسس على ريشه برفق كي يهدأ، أغلقت فريدة عينيها عندما بدأت تشعر بالراحة والطائر في حضنها، ولكنها سرعان ما فتحت عينها مفزوعة:

-ما هذا...؟ ما هذا الذي يحدث هنا...؟

رأت زين يقف أمامها مصدوم، فقالت له بحيرة:

-متى عدت...؟

اقترب من السرير وهو مستشاط غضبًا:

-هل تريدين أن استأذنكِ قبل أن أعود كي تخونيني براحتكِ...!

من ثم أمسك بفارس وهم بضربه بشده، نظرت فريدة بجوارها رأت فارس يسحب من جوارها فصرخت عندما رأته بجوارها وهمت من السرير تتراجع بظهرها تنظر لزين وهو يضرب فارس بكل قوته الذي لا يدافع عن نفسه حتى، فبدأت فريدة تصرخ وتقول وهي تهذي:

-هذا حلم... أكيد هذا حلم وسوف أستيقظ الآن...

بدأت تضرب وجهها بقوة وهي تقول صارخة باكيةً:

-استيقظي يا فريدة استيقظي...

ترك زين فارس ملقى أرضًا ونظر لفريدة بنظرة غضب وأقترب منها وأمسك شعرها وقال له باحتقار:

-توقفي عن جنانك المتصنع ذا يا خائنة، ماذا تظني أني مغفل لهذه الدرجة كي تستمري في كذبك حتى بعد أن وجدتكِ معه في هذا الوضع...

فريدة تصرخ من قبضته ولكنه مستمر في سحبها من شعرها أكثر ورماها أرضًا وهو يقول لها باكيًا:

-لهذا كنتِ تصطنعي المشاكل كي أبعد عنكِ ويخلى لكِ الوقت معه.

رفعت فريدة شعرها الطويل من على وجهها وقالت صارخةً باكيةً مدافعةً عن شرفها:

-لم أخنك يا زين...؟ ولم أصطنع شيء إنه كان مجرد طائر وجدته بقربي.

اقترب منها زين وسحبها من شعرها وقال لها باكيًا غاضبًا:

-هل تظنين أن بإمكانكِ أن تستغلي حبي وتفعلي ما تشائين، يمكن أن أسامحكِ في أي شيء إلا الخيانة، إلا الخيانة.

من ثم أوقفها أمامه وظهرها للشرفة وبدأ يخنقها بكل قوته وفريدة تحاول أن تدافع عن نفسها وتقول بصوت مخنوق:

-لم أخنك صدقني، كان مجرد طائر صدقني...

من ثم التفت بفريدة ويديه ملتفه حول عنقها، من ثم تحولت نظرة فريدة من نظرة من يقاوم الموت إلى نظرة المصدوم من شيء من الخلف.

نظر زين لفستان فريدة الذي بدأ يُلطخ بالدم فتركها من بين يديه وهو ينظر بحيرة لجسمها من ثم نظر لفارس الماثل أمامه وهو ينظر لجسدها الملطخ بالدم وليده ذات المخالب الطويلة مثل السكاكين...

كلاهما نظرا لفريدة شاردة النظر لكلاهما باكيةً من الألم، هم زين مسرعًا كي يمسك بفارس ولكنه سرعان ما تحول أمام عينيه إلى ذلك الطائر وفر هاربًا من الشرفة.

هنا نظر زين باكيًا متعجبًا من تحوله لطائر من ثم ضم فريدة صارخًا:

-فريدة، افيقي يا فريدة، أنظري لي، ستكونين بخير.

هم يحملها بين ذراعيه وضمها لصدره وطار بحذائه من الشرفة لأقرب مشفى، وهو يبكي بحرقة ويتمتم باكيًا:

-لا تتركيني يا فريدة، لا تتركيني.

***

الفصل الحادي عشر

كشف المستور

ها هو زين يفتح باب غرفة فريدة، تظهر فريدة شاحبة ملقاة على سريرها ومعلق لها محلول، وبمجرد ما دخل الغرفة والتقت عيناه بعيني فريدة، أشاحت بنظرها عنه مسرعةً فتحرك تجاهها باكيًا:

-فريدة، حبيبتي، أرجوكِ أنظري لي...

تبكي فريدة ولا تنظر له فيجثو زين أرضًا باكيًا تجاهها:

-أرجوكِ يا حبيبتي سامحيني، إن الموقف لم يكن هين عليَّ أبدًا.

تنفست فريدة بعمق كي تتمالك نفسها وكي لا تبكي، من ثم أمسك زين يدها:

-أرجوكِ سامحيني، تذكري لي أي لحظة حلوة.

أشاحت فريدة بنظرها عنه، فهم من مكانه كي يواجها مرة أخرى متلهفًا لرؤية وجهها وهو ينظر لها بابتسامة مكسورة:

-إن كنتِ لا تريدين أن تسامحيني لشخصي أنا، فلتسامحيني من أجل أبننا القادم في الطريق.

صدمت فريدة وقالت:

-أبننا...؟ كيف ومتى...؟

اقترب منها زين وقبل يدها:

-تخيلي أن الأطباء يقولون إننا لمحظوظون لقد نجا أبننا ولقد نجيتِ يا حبيبتي.

-منذ متى وأنا هنا...؟

-يومان فقط والحمد لله ها أنتِ معي الآن.
سحبت فريدة يدها من يده ونظرت له محتقرة إياه:
-وما الذي يجعلك سعيد بالطفل الذي في بطني، ما الذي يؤكد لك أنه أبنك...؟
-لأني أثق بكِ يا فريدة...
ضحكت فريدة ضحكة تهكم وهي تذرف الدمع:
-هههه، أضحكتني يا زين... تثق بي أنا...! من هو الذي كان يريد أن أموت بين يديه.
-كنت غبي يا فريدة صدقيني لم أكن بوعي لم أدرك ماذا أفعل من هول الصدمة ولكني رأيت برهان برأتك بعيني وتحول فارس ذا إلى ذلك الطائر.
-لم يعد لتصديقك لي قيمة، إذا كنت صدقتني في تلك اللحظة لكان هذا سببًا لعودة علاقتنا مرة أخرى ولكن بعد الذي فعلته أعتبر أن كل شيء بينا انتهي.
-أرجوكِ يا فريدة فرصة واحدة لا من أجلي أنا بل من أجل طفلنا.
-للأسف لا أثق بمن يشك بي.
-هل تريدين تركي كي تذهبي لفارس...!؟
-مازلت على نفس ظنك يا زين.
تنفس زين وقال كمن استجمع قواه:
-للعلم فارس هذا لغز كبير ولقد اكتشفت عن حقيقته أمور وما زلت سأعرف عنه المزيد.
نظرت له فريدة بغضب وحيرة:
-ماذا تقصد...؟
سأحكي لكِ ما حدث...

بمجرد أن وصلت هنا صرخت بمن في المستشفى كي يلحقوا حالتك حينها أغلقتِ عينيكِ ولم تعدي تردي عليَّ، هموا بسرعة بوضعك على ناقلة ولكن منعني رجل أمن من الدخول معكِ، أبعدت يده عني وقلت بغضب:

-أبعد يدك عني، يجب أن أدخل معها، إن زوجتي تضيع مني.

هم رجل أمن أخر بأن يمسك بيدي الأخرى، استمررت في المقاومة:

-ابتعدا عني، أتركاني أذهب إليها...

ولكن سرعان ما وقعت على ركبتي نادمًا باكيًا:

-أنا السبب في كل ذلك، أنا السبب لم أستطع أن أدافع عنكِ...

فجأة رأيت حذاء رجل يقف أمامي وكزني بالعصا كي أنظر له، بمجرد ما رفعت رأسي رأيت أمامي رجل شرطة ينظر لي بنفاد صبر:

-يا إلهي يبدو إنه يوم متعب، ماذا حدث هنا...؟ الرجال اليوم قرروا قتل زوجاتهم، ما صدقت أن أنهيت استجواب الرجل الأول ها قد جاءني الثاني.

هيا قم من على الأرض وتوقف عن تمثيل هذا الدور، يوجد الكثير غيرك أبدع في تمثيله.

وقفت وقمت بمسح دموعي وقلت:

-ولكني لا أمثل أنا...

هم الضابط بالتحرك تجاه غرفة بالجوار وأشار لرجال الأمن أن يلحقا به ويأخذاني معهما، صرت أنظر بحيرة لكل من بالمستشفى وأقول مدافعًا عن نفسي:

-لم اقتلها، لم أفعل شيء...

قال لي أحد عمال المشفى مطمئنًا إياي:

-لا تقلق إنه مجرد استجواب.

استمررت أدافع وأقاوم وأقول:

-لم أفعل شيء، أتركوني وشأني، دعوني أذهب لحبيبتي.

قطع كلامي صوت الضابط الذي ضرب بكل قوته المكتب وقال بصوت حازم:

-لا أريد أن أسمع صوتك إلا عندما أسمح لك بهذا...

توقفت عن كلامي بمجرد ما رأيت غضب الضابط، فقال الضابط بحزم:

-مفهوم...؟

أومئت له أي نعم ومن ثم أجلسني أمين الشرطة على الكرسي فازدرتُ ريقي وقلت بصوت مهزوز وحزين:

-ولكن يا حضرة الضابط أنا أريد أن...

طرق الضابط المكتب مرة أخرى وقال بحدة:

-أنا هنا من يتكلم أو يأذن بالكلام.

أومئت برأسي موافقًا، من ثم هم الضابط بإشعال سيجارة من ثم بدأ في استجوابه:

-لمَ قتلتها...؟

-لم أقتلها، إذ كنت من قتلها لما كنت جئت بها إلى هنا كي تنقذوها.

نفث الضابط دخان سيجارته بثقة وقال:

-هذا تفكير ذكي من بعض الرجال كي يبعدوا الشك عنهم، ولكن في النهاية يكونوا هم من قتلوا زوجاتهم.

-أقسم لك لم أقتلها.

قال الضابط بنفاد صبر:

-حسنًا أحكي لي ما حدث بالتفصيل.

حكيت له كل ما حدث فضحك الضابط ساخرًا ومن ثم أطفئ سيجارته وتحولت ملامح السخرية إلى غضب:

-هل تستخف بي...؟ رجل يتحول لطائر...؟ يعني تريد أن تخرج من جريمة القتل بسبب خيانة زوجتك لك بأن تدعي الجنون، كان غيرك أشطر يوجد كثيرون مثلوا هذا الدور ونهايتهم كانت أنهم تعفنوا في السجن وآخرين أُعدموا.

بكيت وأنا أدافع عن نفسي:

-أقسم لك أني صادق في كل كلمة قلتها لك، أقسم لك.

هم الضابط من مكانه وقال لأمين الشرطة:

-ضع في يده القيود وتعالى ورائي كي نذهب به هو والحثالة الآخر لقسم الشرطة.

بدأت ادافع عن نفسي وأنا اتحرك وأقاوم وأقول:

-خالد هو من قتلها، فارس هو السبب، ابحثوا عن فارس أو خالد.

كانوا الناس ينظرون إليَّ، منهم من ينظر لي نظرة شفقه ومنهم من ينظر إليَّ نظرة أني مجرم وهذا جزائي.

***

بمجرد أن ركب الضابط سيارة الشرطة وأمر ساعته التي تنبثق منها شاشة به عدة برامج خاصة بالشرطة "برامج ذات إرسال مشفر":

-لقد تركت أميني شرطة لحراسة امرأتين تعرضتا للقتل على أمل أن يتم إنقاذ أي منهما، سوف أصل للقسم ومعي المتهمان، سوف أسلمهما أريد أن يستعد فريق البحث الجنائي كي نبحث في موقعي الجريمة.

قاطعته فريدة بضجر:

-زين ما الفائدة من هذا كله...! هل تريد أن تثبت لي أنك تحبني...؟

-حبي لكِ لا يحتاج إثبات يا فريدة، بل وغيرتي تلك كانت أكبر دليل على حبي لكِ.

-ماذا تريد مني الآن...؟

-أريد أن أقول لكِ أن الشرطة بحثت عن خالد كما قلت لهم أنه هو الذي قتلك ولكن هنا كانت الصدمة.

-ما هي الصدمة...؟

-لا يوجد أي دليل على وجود خالد من الأساس، وإن البيت من الأساس مهجور منذ عدة سنوات.

صدمت فريدة، ومن ثم ازدردت لعابها:

-كيف...؟ ومن هو الذي كنا نزوره في بيته وكان يزورنا...؟

-أنا صدقتكِ حينما تحول لطائر وهذا أثبت لي أنكِ لم تكوني تعلمي بوجوده معكِ ولكن أنا شكي به كان قبلها يا فريدة وعرفت عنه شيء لن تصدقيني إن قلته لكِ.

-شيء مثل ماذا...؟

-أرجوكِ أن تفهميني جيدًا ولا تسيئي الظن في نيتي...

-قل يا زين.

-حسنًا سوف أحكي لكِ كل ما أعلمه عنه.

بصراحة هل تتذكرين عندما قرر خالد أن يرحل من البيت بعد أن احرجتِه أمامنا لم أشك بشيء أبدًا ظننت حينها أنه شعر بالخجل ورحل، ولكنه لم يعد يكلمني أساسًا وبمجرد رجوعك لحياتك وعيادتكِ ذهب إليكِ مباشرة، حينها تأكدت من مكانتي الصحيحة في حياته، أنا لست صديقه بل أنا مجرد مغفل يربطه ويقربه لزوجته ويستغفله.

توترت فريدة وقالت بغضب:

-ما الذي تتفوه به، إنه نقي شريف في نيته.

-وما أدراكِ أنتِ بنيته...؟

-هو قال لي...

ولكن سرعان ما سكتت عندما علمت أنها في مأزق.

-قال لكِ ماذا يا فريدة أكملي.

استجمعت فريدة أفكارها بسرعة وقالت:

-لقد قال لي أننا له أصدقاء وأخوه.

قال زين بتهكم:

-وهل تظني بفعلته تلك أنه صادق في كلامه ونقي وشريف في نيته...؟! إنه خائن ائتمنته على بيتي وعرضي ولكنه لا يؤتمن له، لم يكفه ذلك بل كان يريد قتلي أنا، يريد قتلي كي تكوني له

فقط، كنت أظنه مريض اكتئاب فقط أو غريب الأطوار يحتاج من يظل بصحبته كي ينعشه ويخرج من قوقعة ظلمته ولكن حقيقته أنه مريض بالحقد، إنه يريد أن يحل محلي ويأخذ حياتي.

ظلت فريدة شاردة في زين سارحة مع كلامه الذي يؤيده العقل والمنطق، ولكن سرعان ما أكمل زين وقال:

-ها ماذا فعلت عندما شككت به...؟

أومأت له فريدة أي ماذا...!؟

-سافرت للندن كي أقابل ليندا وأحكي لها ظنوني...

قاطعته فريدة بغضب مكبوت:

-يعني ليندا هي التي تتواصل معها كل تلك الفترة...!

-نعم هي، كنت أتواصل معها من حين لآخر كي أحكي لها تطورات حالتك، ولكن سفري للندن كان لسبب آخر.

-ما هو...؟

-كنت أريد جهاز للسفر عبر الزمن في أسرع وقت كي أعرف ما ينوي له خالد تجاهك.

-وهل تمكنت من الحصول على جهاز...؟

-نعم تمكنت من الحصول عليه قبل الحادثة مباشرة وعندما رأيت ما رأيته عندما استخدمت الجهاز قررت الرجوع لمصر

مباشرة كي أحذركِ، ولكن الذي رأيته أمامي صدمني ونسيت نفسي و...

-زين يكفي، مما كنت تريد أن تحذرني...؟!

-خالد قاتل، بل الحقيقة إنه وحش ومن ضمن ضحاياه أمه...

صدمت فريدة وذرفت عينيها الدمع وقالت مصدومةً باكيةً:

-لا أصدق كل ما أسمعه لا أصدق كل ما يحدث لي لا أصدق.

-إن لم تعدي تثقي بي يا فريدة يمكنكِ أن تسأليه.

مسحت فريدة دمعها وقالت:

-وكيف لي أن أسأله...؟ لقد قلت لي أنه ليس له أي وجود.

-إنه يريدك لذا سوف يظهر من أجلك و...

قطع كلامه دخول أمين الشرطة وهو يقول هامسًا:

-هيا يا سعادة البيه، الباشا على وصول.

نظر زين لها وقال لها بحزن:

-أرجوكِ يا فريدة كوني معي كي أحميكِ مما هو قادم.

-لا لن أكون معك مرة أخرى يا زين.

بكى زين وقال بحسرة:

-يعني سوف تتركيني أتعفن في السجن بتهمة أني حاولت قتلك، أو أكون في مصحة عقلية لأني توهمت معكِ عشيق لا وجود له

ولكنكِ الوحيدة التي تعلمين بوجوده وتشهدي على ذلك معي، أنا تم إطلاق سراحي ولكني ما زلت تحت المراقبة والضابط سيحسم الأمر بشهادتكِ.

-سوف أخرجك منها يا زين لا تقلق سوف تغلق القضية، العشرة التي بيننا لن تهون عليَّ أبدًا.

-هذا يعني أنكِ موافقة أن نكمل حياتنا سويًا مع أبن...

قاطعته فريدة بحدة:

-لا لن أكون معك، إلى هنا وكفى يا زين.

-أريد حمايتكِ يا حبي...

-لا تكملها، أنا قادرة على حماية نفسي.

هنا سحبه أمين الشرطة وهو يتمتم:

-الباشا وصل المشفى لا تضعني في مشكلة.

نظر لها زين وهو يخرج من الغرفة وهو يقول لها بلهفة:

-عيني ستظل عليكِ يا فريدة، سأحيطك دائمًا.

***

دخل الضابط غرفة فريدة وهو يمشي بتبختر وثقة، من ثم جلس على الكرسي المجاور لها، من ثم لمس ساعته فانبثقت منها

شاشة فاختار منها برنامج خاص لكتابة التحقيقات الصوتية إلى كتابية، فسألها:

-هل تعلمين من الذي حاول قتلك...؟

-لا أدري لم أرى أحد.

-من كان معكِ لحظة وقوع الجريمة...؟

-لم يكن معي أحد.

-هل تشكين بأحد...؟

-لا أشك بأحد... ولا أريد أن أشك ها أنا بخير لا يوجد داعي لكل هذا.

-ولكن زوجك هو من احضرك لهذا المشفى ويلقي الاتهام على شخص اسمه خالد وكنيته فارس...!

-أنا صاحبة الشأن يا حضرة الضابط ولا أريد أن يتهم أحد.

-ولكن هذا يعني أنكِ معرضة لتكرار نفس الهجوم مرة أخرى.

لم ترد فريدة وأكتفت بالصمت فقال الضابط وهو يهم بالوقوف والبرنامج مستمر بتحويل المحادثة على الشاشة:

-يعني صمتكِ ذا يدل على أنكِ لا ترغبين في استمرار القضية والبحث عن القاتل أو حتى حمايتكِ.

أومأت فريدة أي نعم، فقال الضابط وهو يهم بالحركة:

-حسنًا، كما تشائين.

أغلقت القضية على رغبة المعتدى عليها فريدة مراد الحبشي.

الضابط/ مصطفى السياف.

الفصل الثاني عشر

القاتل

ها هي فريدة تعود لبيتها بعد عدة أيام من ذاك الحادث التي مرت به، وبمجرد ما دخلت بيتها زعمت على تفتيش بيتها كي تسكت عقلها من كثرة التساؤلات اللاتي تتردد به.
أمرت الروبوت أن يبحث لها عن جهاز للسفر عبر الزمن، وبالفعل بدأ الروبوت بمسح الطابق الأول بأشعة عينيه ولكن لا أثر له.
قررت أن تصعد للطابق الثاني وقالت في قرارة نفسها بثقة:
-آخر مرة عندما وقع الحادث كان زين لتوه راجع من السفر وأكيد كان بصحبته هذا الجهاز، احتمال أجده في غرفتي.
وبالفعل صعدت وأمرت الروبوت بذات الأمر وأخذت هي كذلك في البحث ولكن بلا جدوى.
شعرت فريدة بالتعب فقررت أن تجلس على سريرها وهي تنظر لشرفتها وعينها على فيلا فارس وهي تشعر بتردد رهيب، من ثم نظرت للأرض وهي تشعر بأن ليس بيدها حيلة.
ولكن سرعان ما سمعت صوت جعلها تنتبه بسرعة:
-هل يمكن أن أدخل يا حبيبتي...؟
فزت فريدة بغضب وقالت:
-لا يحق لك أن تدخل هذا البيت بعد فعلتك تلك... أرحل من هنا.
هم زين بدخول الغرفة وشرع يقترب منها بأسى:
-أنا زوجك حبيبك وأب طفلك.

-لم تعد زوجي، سوف تطلقني، ولا تأتِ بسيرة الطفل مرة أخرى، لا تجعلني أنتقم منك فيه، أنا نادمة لأن هناك ما يربطني بك.
بدأ زين يبكي وقال:
-كيف تمكنتِ من كرهي هكذا...؟
-أفعالك هي السبب.
من ثم مسح دمع عينيه وهو ينظر للغرفة بقلق التي قلبتها فريدة فوضى وهي تبحث عن الجهاز وقال لها:
-ماذا حدث في الغرفة يا فريدة، هل تعرضتِ لأي شيء...!
قولي لي... أنا هنا لكي أحميكِ.
ابتعدت عنه فريدة بكره وقالت:
-أنا بخير بك أو من دونك... كل ما في الأمر كنت أبحث عن شيء.
-وما هو هذا الشيء يمكنني أن أساعدك.
-كف عن توددك ذا، إنه يجعلني أشمئز منك أكثر.
-تشمئزين مني أنا يا فريدة...! أنا حبيبك الذي فتحتي له قلبك من أول لقاء، صرتِ تشمئزين مني...؟!
-كف عن الدراما يا زين... تلك الدموع لن تشفع لك بعد فعلتك تلك، ولكي أكون صريحة معك، كنت أبحث عن جهاز السفر عبر الزمن كي أتأكد من صدق كلامك الذي أشعر بنسبة كبيرة أنك قلت كل هذا بسبب غيرتك وسوء ظ...
-توقفي يا فريدة، استحالة أشك في حب حياتي، عليكِ أن تقولي إني شككت في خالد لا بكِ أنتِ.
-النتيجة واحدة يا زين لا يوجد مبرر لفعلتك.

-هل يمكن أن تسمحي لي أن أوضح لكي سبب ظني ذا...؟!
-لا يوجد سبب سوى عدم الثقة...
أمسك زين يد فريدة وأجلسها على السرير وجلس بجوارها وقال لها:
-أرجوكِ اسمعيني يا فريدة، لا تتبعي صوت عقلكِ دائمًا لأنه ليس على صواب في كل الأحيان.
تنهدت فريدة ومن ثم أكمل زين كلامه:
-بدأ شكي في خالد منذ أول يوم دخلت بيته، بيته غريب جدًّا وكنت أشعر أنه غريب الأطوار لا بيته فقط، وعند دخولي لبيته أول مرة لاحظت كلب في حديقته وعند خروجي لم أجده أبدًا.
حاولت فريدة الدفاع عنه ولكن سرعان ما اسكتها زين وقال لها:
-لا تقاطعيني، دعيني أكمل، وفكرة عدم معرفته أي شيء عن حياته وأهله إنه لأمر غريب ولكن ما هو أكثر غرابة رفضه للأكل أو الشرب حتى، كل هذا اعتبرته مجرد بشر فالناس يختلفون عن بعضهم، ومن ثم تودده لكِ وقربه منكِ جعلني أبدأ اتشكك في صدق إخلاصه لي وأنه يكن مشاعر تجاهك، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على شكي به لا بكِ أنتِ ومنذ ذلك الحين قررت الحصول على هذا الجهاز كي أتأكد من أمر مشاعره لكِ ولكن أتذكرين عندما قررت السفر منذ عدة أيام عندما اتصلت بكِ وقلت لكِ أني جهزت لكِ مفاجأة...!
أومأت فريدة رأسها أن نعم من ثم نظرت له بحيرة وهي تنصت له:
-يومها اشتريت لكِ كلب هدية وعندما حل المساء، تركته في بيته وصعدت كي أنام.

ولكن بمجرد ما بدأت نومي سمعت زمجرة الكلب ولكن سرعان ما اختفى صوته.
هرعت مسرعًا وفتحت الشرفة ونظرت لبيت الكلب الذي وجدته فارغًا وفي غمضة عين رأيت رجل ظهر في عتمة الليل في منتصف الطريق، وفي غمضة عين اختفى، وبعدها رأيته في حديقة فيلا خالد.
ولكن سرعان ما اختفى عن نظري، ظللت أنظر لفيلته لا أفهم ما أراه.
حينها قررت أن أنزل وأذهب لبيت خالد.
كان نظام بوابته معطل لدرجة أن باب البوابة كان مفتوح بمجرد أن قمت بلمسه فتح مباشرة، بدأت ادخل وأنا قلبي ينتفض لا أدري ما أنا بفاعل...! وبمجرد ما اقتربت من باب الفيلا الداخلي بدأت أسمع صوت طرقات أي صوت فأس يطرق الأرض، بدأت أتبع الصوت إلى أن وصلت أمام باب يؤدي لسلالم بدروم، حينها قررت أن أنزل ولا أدري لماذا أتبع عقلي...! وبمجرد ما نزلت الغرفة لم أجد أحد ولم أجد شيء، ولكن سرعان ما شعرت بضربة عصا قوية أفقدتني الوعي.
ولم أفق لنفسي إلا ووجدتني على سريري هنا وبجواري خالد وهو يقول لي:
-أعذرني يا زين لما صدر مني، كنت أظنك أحد أقتحم منزلي.
عدلت من نومتي وجلست وأنا أقول له بحيرة:
-ماذا كنت تفعل في البدروم في ذلك الوقت...؟

-إنه بيتي يا زين كنت أقوم ببعض عمليات الترميم به لا أكثر ولا أقل، كما تعلم إن فيلتي تحتاج الكثير من الإصلاحات.
من ثم نظر بحيرة وسألني:
-ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح هو، ما الذي أتى بك إلى منزلي من دون سابق ميعاد، لا أقصد شيء يا صاح إنه بيتك أعلم ذلك ولكني تعجبت.
-لقد فقدت كلبي وجئت لفيلتك كي اسألك إن كنت رأيته ولكني تعجبت من صوت الطرق ذا فأتبعته.
من ثم ازدرت لعابي، وبعد ما أطمئن عليَّ رحل وحينها قررت السفر وحصلت على الجهاز وعلمت جرائم خالد بداية من أمه واشخاص وعدة حيوانات كثر وكل تلك الجثث مدفونة في ذاك البدروم.
نظرت له فريدة وقالت له بحزم:
-أعطي لي هذا الجهاز أريد التأكد بنفسي، لا يمكننا أن نترك ذلك المجرم في الحي هكذا.
وقف زين بحزم وقال بغضب:
-لن أعطيكِ الجهاز مرة أخرى، ألا تري حالتك كيف أصبحت بسببه، لا لن أدع حالتك تسوء أكثر من ذلك يجب أن تأخذي كلامي ثقة ونتحد سويًا ونبلغ عنه الشرطة وسيكون هذا البدروم دليل جرائمه وسوف تبحث الشرطة عنه في كل ارجاء البلاد لأنه ليس له أثر هنا.
همت فريدة بمد يدها في جيب زين كي تبحث عن الجهاز وهي تقول بحزم وغضب:
-أعطي لي الجهاز هذه المرة وكفى.

وبالفعل أخرجته من جيبه فسحبه زين من يدها وقال بحزم وهو يقوم بتكسيره أرضًا:
-لن أدع تلك المغامرات تدمر ما تبقى من عقلك يا فريدة.
نظرت فريدة بدهشة وغضب للجهاز المهشم أرضًا وقالت بغضب:
-قمت بتكسيره لأنك كاذب.
هم زين بالخروج من الغرفة وقال كمن فقد الأمل:
-لقد تعبت أوضح لكِ يا فريدة، إذا كنت كاذب في نظرك فيمكنكِ أن تسأليه أو أن تري بنفسك.
***
ظلت فريدة شاردة في فيلا فارس من ثم قررت أن ترسل له رسالة:
-فارس أريد أن أقابلك من أجل موضوع ضروري.
تمر الساعات ولكن لا يوجد رد من فارس.
حل المساء وفريدة قلقة في سريرها، لذا قررت أن تذهب وتتأكد بنفسها.
همت فريدة بالخروج من فيلتها وها هي تمشي تجاه فيلا فارس وقد غمرها القلق، ولكنها لا يمكنها أن تجمح فضولها بتاتًا.
ها هي تلمس البوابة فتفتح مباشرة أي كأنها تحاول دخول بيت مهجور متهالك كل شيء به معطوب.
ها هي تقدم على دخول الفيلا المظلمة وتتذكر كلام زين وكلما اقتربت أكثر كلما زاد شعورها بصدق كلام زين ولكن تريد أن تسكت أخر نبض من قلبها ينادي بصدق فارس.

ها هي تعتمد على ضوء خاتمها وبدأت في نزول البدروم "القبو".
بدأت تقول في قرارة نفسها:
-حذارِ يا فريدة، يجب أن تنتبهي كي لا يحدث بك ما حدث لزين.
من ثم تنفست بعمق وأردفت:
-ولكن الأدهى أن يحدث لي ما حدث لأمه ولا أدري من غيرها.
بمجرد نزولها للقبو أخذت وضع الاستعداد وجعلت ظهرها يواجه المكان الفارغ في الغرفة ووجهها تجاه الباب كي تتأكد من عدم وجود أحد.
أخذت تنظر جيدًا وبالفعل لم يوجد أحد بالغرفة سواها، فازدردت لعابها، من ثم قررت أن تستخدم الفأس وتقوم بالحفر كي ترى بعينها.
ها هي تحفر أكثر وأكثر ولكنها لا تصل لي شيء، قررت أن تتوقف كي تلتقط أنفاسها وبدأت الظنون تتغير في عقلها وتقول:
-يبدو أن زين أختلق بعض الأمور في حق فارس كي أشك به، ولكن زين لا يعلم أني بما فعله فارس وتعرضي لهذا الموقف بسببه كرهته هو أيضًا، ولكن كذب زين زاد كرهي له أكثر.
فريدة عليكِ أن تكملي الحفر ولا تحكمي الآن، توقفي عن التسرع في الحكم، هيا فلأبدأ.
وبالفعل ها هي تكمل الحفر، تحفر بكل قواها أكثر وأكثر إلى أن وصلت لشيء معدني ارتطم بالفأس.
هنا تعجبت فريدة من وقع الصوت على مسامعها وقالت في قرارة نفسها بحيرة:

-أنا هنا أبحث عن جثث تدين فارس، لم أكن أظن أني جئت لكي أجد كنز.
ومن قال لكِ أنه كنز يا حمقاء، فلتكملي الحفر وكفي عن التفكير قليلًا.
بدأت فريدة بإزالة ما تبقى من تراب إلى أن ظهر أمامها مباشرة طبقة كبيرة جدًّا مصنوعة من حديد، هنا الشكوك تحولت من كونه صندوق كنز إلى شيء لا تعلم ماهيته، جلست وأخذت تنظر للحفرة التي أمامها ولتلك الطبقة الحديدية.
بعد وقت من النظر وجدت أن لها حدود، أي أنها أشبه بالباب، فقالت في قرارة نفسها بلهفة:
-نعم إنه باب...
ولكن سرعان ما خمدت نار لهفتها وقالت بتعجب:
-ولكن إن كان باب فكيف لي أن أفتحه وهو من دون مقبض حتى.
أخذت تنظر حولها فوجدت عتلة، فقامت بغرسها في أحد أطراف الباب وقوة بنيان فريدة ساعدتها على رفعه، كان الرفع بصعوبة ولكنها تمكنت وأمسكت بطرف الباب وقامت بفتحه على آخره فصار موازيًا للحفرة التي قامت بها.
بمجرد ما فتحت الباب هبت رائحة عفنة جدًّا، رائحة أشبه برائحة الجيف والجثث، رائحة جعلت فريدة تتقيأ.
حاولت فريدة أن تتمالك نفسها وتكمل ما بدأته، فقامت بخلع قميصها وثنيه وربطه حول وجهها مثل الكمامة كي يقيها من تلك الرائحة.

حاولت أن تسقط ضوء خاتمها كي ترى ما الموجود داخل هذا المكان، ولكنها لم ترى بوضوح من عل، فقررت أن تنزل للأسفل ولكن عمق المكان كبير جدًّا، فقالت في قرارة نفسها:
-يمكنني أن أقفز بداخله ولكن كيف لي أن أصعد، يجب أن أجد سلم.
أخذت تبحث حولها في البدروم إلى أن وجدت السلم، كان سلم طويل وثقيل جدًّا ولكنه مفيد جدًّا للوصول لهذا العمق، تحاملت فريدة على حمله وقامت بإنزاله وتثبيت طرفه العلوي على أحد أطراف الحفرة التي قامت بحفرها، وتبقى جزء من السلم على ارتفاع بسيط بجوار الحفرة، حمدت فريدة الرب على اجادها للسلم، همت تنزل للمكان وهي تقول في قرارة نفسها:
-هذه أول مرة أجد للبدروم بدروم.
ها هي تنزل وكلما اقتربت من الأرض يرتعش جسدها أكثر وأكثر.
ها هي تمشي في ممر فارغ مظلم لا يضيئه سوى ضوء خاتمها الذي أخذ يخفت شيئًا فشيئًا وذلك لأن بطاريته ضعيفة، فقالت فريدة حينها بغضب:
-ليس وقتك أن تنفد الآن، أكمل معي قليلًا أرجوك.
ها هي وصلت لغرفة مغلقة، فهمت بفتح بابها، وهنا كانت الصدمة.
من هول ما رأته فريدة سقطت أرضًا غير مصدقة ما تراه عينها.

لم تعد قدمها قادرة على حملها فبدأت تزحف وهي تنظر لتلك الغرفة المعبئة بالهياكل العظمية، هياكل عظمية مختلفة الأشكال.
تحاول فريدة أن تلتقط أنفاسها وهي تزحف ولكن سرعان ما أوقف تحركها وجود جسد خلفها.
ها هي فريدة ترفع رأسها كي ترى من خلفها ولكن سرعان ما يسقط على عينيها ضوء البدروم الذي فتح لتوه.
شوش الضوء رؤيتها لأن عينها اعتادت الضوء الخافت، ولكنها تمكنت من الرؤيا بمجرد أن قام بسحبها تجاهه.
ولكن بمجرد ما واجه وجهها وجه فارس رسم الفزع على وجهها وقامت بإبعاده عنها فبمجرد ما ترك يدها فقدت توازنها مرة أخرى وسقطت وبدأت تزحف للخلف تجاه السلم وهي تصرخ وتقول:
-ابتعد عني، أنت قاتل، أنت مجرم.
أخذ فارس يقترب منها ببطء وهو ينظر لها بتعجب ويقول:
-إذا كنت قاتل لمَ لم أقتلك للآن...!
-يمكن لأنك تكن تجاهي مشاعر وبسبب مشاعرك تلك جعلتني أظهر بصورة غير شريفة أمام زين... لمَ جعلت الأمور تنتهي بهذا الشكل.
-يبدو أنكِ لا تفهمين الأمور كما تظنين.
حاولت فريدة أن تتمالك نفسها بمجرد ما ارتطم جسدها بالسلم، حينها همت مسرعةً كي تصعد وتهرب، ولكن قبل أن تضع قدمها حتى على أول درجة في السلم كان فارس أمامها وضرب السلم فسقط أرضًا، حينها التفتت فريدة له وهي تتوسل له:

-أرجوك دعني أخرج من هنا وأعدك بأني لن أخبر أحد بما رأيته.
-لن أدعكِ تخرجي من هنا قبل أن تفهمي الحقيقة كاملة.
بدأت فريدة تلتقط أنفاسها بصعوبة وتقول بوهن:
-أرجوك، دعني أخرج من هنا، لم أعد قادرة على التنفس، أشعر بالدوار، أنا حامل...
من ثم خرت واقعة، فلتقطها فارس وطار بها، ومن ثم أخذ يصعد بها على الدرج ببطء وهو يتأمل ملامحها، إلى أن وصل غرفته فقام بفرد جسمها على السرير وإزالة القميص من على وجهها.
جلب بعض الماء وحاول إفاقتها به، بعدما فتحت عينيها قال لها برفق:
-اشربي الماء يا فريدة والتقطي أنفاسك، لا يمكن للمرء أن يعرف الحقيقة من منظور واحد، وأنتِ أكثر واحدة تعلم ذلك*
حاولت فريدة أن تعدل من وضعها وجلست وهي تنظر له بريبة وهي تشرب الماء، من ثم قطع فارس تساؤلاتها الداخلية فأردف:
-لا أدري ماذا أقول لكِ...! هل أقول الحقيقة بأني بالفعل قاتل...؟ أم أدافع عن نفسي وأنكر هذا الجرم الذي أرتكبه بدون إرادة مني...!
-يعني الحقيقة أنت قتلت أمك يا فارس...؟
-نعم، قتلتها.
-هذا يعني أنك كذبت عليَّ...!

-لا يمكنك أن تقولي إني كذبت، يمكنك أن تقولي إني أجلت الموضوع إلى أن يحين الوقت المناسب الذي تفهمين فيه ما أقوله لكِ.
-لا يوجد مبرر للكذب يا فارس، أنا طلبت منك أن تصارحني بكل شيء في حياتك، ولكنك عاملتني كأني مغفلة كبيرة.
-عليكِ أن تكوني رحيمة يا فريدة في حكمك على من حولك، لا تكوني صارمة هكذا، على الأقل أعطي لي فرصة كي أدافع عن نفسي وأحسن صورتي أمامك.
عليكِ أن تسألي نفسك أولًا لمَ قتلت أمي من الأساس، هل هذا في نظرك أمر طبيعي...؟
لا تقاطعيني يا فريدة دعيني أحكي لكِ كل شيء ولك الحرية الكاملة في ردة فعلك.
بعد عودتي للحياة مرة أخرى، حاولت أمي أن تجعلني آكل معها ولكن بلا جدوى، فشلت في أن يستقر الطعام في جوفي، أغلب الطعام لا أستسيغ رائحته، والبعض حاولت أن ابتلعه ولكن بضع ثوان ويخرج من جديد.
حينها أمها بدأت تتعب عندما رأتني وأنا أذبل أمامها ولا تدري ماذا تفعل لي، حينها قررت أن تجلب لي طبيب كي يتابع حالتي، قرر الطبيب أن يستخدم المحاليل كي تعوضني عن قلة أكلي، ولكن مرور المحلول في عروقي كان يحرقني ويأكل في جسدي، كنت أصرخ بهستيريا، وقمت بإزالته من يدي، وانفعلت على الطبيب فقرر الرحيل بعد الذي فعلته معه.
حينها قررت أمي أن تسأل الخادمة عن الساحر الذي أعادني للحياة مرة أخرى ولكنه لا يأتي إلا مرة واحدة في السنة، لذا

قررت أن تذهب للساحرة التي كانت تعينه، فقالت لها تلك الساحرة العجوز الشمطاء:
-ابنك لن يأكل الطعام العادي مثل باقي البشر، أبنك خالد والخالدين ليسوا مثلنا، إن غذائهم اللحم وشرابهم الدم.
-لحم ودم ماذا...؟
-على الأقل عند كل اكتمال قمر يتم قتل أي روح له.
-روح مثل ماذا...؟
-هل تعلمين القربان...؟
اومأت أمي بقلق أي نعم فأكملت الساحرة كلامها:
-عليكم بتقديم قربان بقتل روح واحدة ويفضل أكثر لو كان إنسان بالغ من ثم الأطفال، وأقل القليل روح حيوان ولكن التأثير ليس بقوي مثل روح البشر.
-ألم تقولي لي أنه خالد بل إنه سيكون أبدي في هذه الحياة.
-كل شيء وله ثمنه وتضحياته يا رحاب.
-وإن لم أفعل ذلك ماذا سيحدث...؟
-إن لم تفعلي ذلك سيفعل هو بنفسه بشكل خارج عن إرادته كي يستمر في الحياة، أقل كمية جثة مع كل قمر وهذه الجثة ستكون كفيلة أن تكفيه لمدة شهر ولن يحتاج لشيء، ولكن إن كانت هذه الجثة جثة حيوان صغير فسيحتاج لشرب الكثير من الدم إلا...
-إلا ماذا...؟
-إلا أنه سوف يواجه الكثير من التعب والإرهاق والشحوب وهكذا أكون شرحت لكِ المطلوب، أنتهي وقتك...
-ولكني لا يمكنني أن أفعل ذلك...

-من بدأ شيء عليه أن يكمله، ومن فعل شيء عليه بتحمل عواقبه، وأنتِ من طلبتي تحضير الروح من جديد فتحملي.

خرجت أمي وهي في حالة صدمة لا تدري ماذا تفعل، صارت تمشي وهي تجر أقدام الخيبة والذل والندم على فعلتها تلك وهي تقول:

-ما الذي فعلته...؟ اعترضت على قدر الله وها أنا أعاني مما اقترفته يداي.

قررت أمي أن تشتري لحم طازج من أجلي ولكن للأسف لم استسيغه أبدًا، فقررت أمي أن تطلب ممرضة لكي ترعاني وتجلب معها دم من أجلي.

قررت أمي أن تقبل أن تجلب لي الدم يوميًا على أمل ألا تقتل أحد من أجلي.

حاولت أمي أن تخرج معي وكي نتقبل الواقع الجديد فخرجنا للسينما، ولكن للأسف حينها لم أكن أتمكن من التحكم في ذاتي، في أول يوم لي في الخارج تعرضت لموقف، الفتاة التي كانت تجلس بجواري، نظرت لها فظنت مني أني أحاول مغازلتها، ولكني انقضضت على رقبتها فصرخت بشدة فهمت أمي مسرعةً وقامت بسحبي وهي تعتذر للناس باكيةً:

-أعذروني، أعذروني، أبني ليس على ما يرام، أبني مريض، لم يقصد ما فعله، أرجوكِ سامحيني يا بنيتي، اتصلي بي يا بنيتي وسوف أعوضك كما تشائين.

من ثم أخرجت كارت خاص بها وأعطته للفتاة وهي تهرع وهي تشعر بالخزي وهي تسحبني مثل الطفل الصغير رغم ضخامة بنيتي.

خرجت وأنا في حالة صدمة من نفسي بمجرد ما رأيت انعكاس صورتي ووجهي ملطخ بالدم.
عدت للبيت وحينها أدركت أمي أن ممارستي للحياة الطبيعية يعتبر خطر جسيم لمن حولي.
ظللت حبيس غرفتي، أشرب بعض الدم، هزيل حزين وحيد بسبب غرابة طبعي، وتعب أمي تعبني أكثر، الندم الذي في عينيها وحزنها على حالي جعلاني أكره نفسي أكثر.
شعور مؤلم جدًّا عندما تصير مصدر الألم لمن يحبك وهو كان يظن أنك ستكون له مصدر السعادة.
الخزي مميت يا فريدة مميت.
يجب على البشر بدلًا من أن يسألوا الشخص المكتئب بتعجب: "لمَ أنت مكتئب...؟"
بل عليهم أن يسألوا برحمة: "ما الذي جعلك مكتئب...؟!".
كل شيء وله سبب يا فريدة.
استمر الوضع هكذا إلى أن أكتمل القمر وهنا تحولت مثل المجنون، لم أستطع أن أجمح نفسي، هنا أول من رأيته كان أمي ولم أفكر حينها في كونها أمي بل أريد أن أسكت الصوت الذي بداخلي.
هنا أمي صرخت عندما رأتني أقترب منها ولكن سرعان ما همت الخادمة كي تدافع عن أمي وكانت هي أول ضحاياي.
أمسكت بها وقمت بمص دمها من رقبتها إلى أن فارقت الحياة، وبمجرد أن فقد جسدها قواه وخرت على الأرض جثوت على جثتها وبدأت في نهش لحمها، وأمي واقفة تنظر لي وهي تصرخ وتبكي بندم على الوحش التي جلبته للحياة، وسرعان ما

رأيتها تتحرك هاربة خارج البيت، فتركت الجثة التي بين يديي، ولحقت بها، كنت أعلم أنها فاض بها وسوف تبلغ الشرطة عني لأني كنت سوف اقتلها هي إلا أن الخادمة ضحت بنفسها بدلًا منها.
وقبل أن تصل لباب الفيلا كنت قد لحقت بها وقتلتها.
لم يتبقى في البيت سوا البواب فخرجت للحديقة وقمت بقتله كي لا يتبقى أحد ويكون شاهد على ما حدث.
منذ ذلك اليوم وأنا وحيد، أخاف من الخروج كي لا اؤذي من حولي، وأخاف أن أحب فيأتي يوم وأقتل أحبتي.
قاطعته فريدة وقالت:
-يعني يمكنك أن تقتلني أنا أيضًا، لا أمان لمن قتل أحد وأنت لم تقتل أي أحد أنت قتلت أمك التي فعلت المستحيل كي تعود لها من جديد.
-ولكن لقد مرت سنوات كثيرة على ذلك الحادث، وتغيرت كثيرًا وصرت مدرك حالتي جيدًا، صرت أضحي بأقل القليل كل شهر مجرد قط أو كلب، وأرضى أن أكون متعبًا هالكًا أغلب الأحيان بدلًا من أقوم بجريمة أخرى.
وهذا كان حالي إلى أن قابلتك حينها شعرت أن قوتي تزيد بقربك مني، تأثيرك عليَّ أشبه بتأثير شرب الدم، لدرجة أني ظننت أن هذا الشهر لن أمر بتلك الحالة التي تدفعني لقتل ضحية جديدة ولكن للأسف أنتِ لم تكوني موجودة فاضطرت أن أقتل مرة أخرى.
-وكان الضحية هذا المرة كلبي.
-على الأقل كلبك لا زوجك.

-لا تقل زوجي كل شيء انتهى بيننا بعد الذي فعلته يومها، لمَ فعلت هذا الفعل الشنيع لمَ...؟!
-سوف أحكِ لكي السبب، أولًا أنا لم أتِ إليكِ كي أضعك في هذا الموقف مع زوجك، بل الحقيقة أنا جئت لكي....
توترت فريدة وقالت:
-لكي ماذا يا فارس...؟
-لكي أقتلك...
حاولت فريدة أن تقوم من السرير ولكنها لم تستطع بسبب ألم جسمها وفارس أمسك بيدها كي لا تقوم فقالت صارخة عاجزة:
-لم يكن عليَّ الوثوق في قاتل مثلك.
فقال لها فارس ساخرًا:
-إذا كنت أريد قتلك فأنكِ أمامي لمَ لم أفعلها...؟
تعقلي يا فريدة وأفهمي ما أقوله لكِ.
بعد جريمة قتلي الأخيرة وقفت أمام مرآتي وكنت أنظر لنفسي بندم رهيب وتمنيت من داخلي ألا أستمر في هذا الوضع باقي عمري، حينها تحرك انعكاسي ونظر لي نظرة شر كلها ثقة وقال لي:
-إن دم البشر أو الحيوانات لا يشبع غريزة الجوع بداخلك سوى شهر واحد فقط وكما تعلم أنت خالد فأحسب معي كم عدد الضحايا التي سوف تحتاجها طوال حياتك.
ولكن هناك حل دائمًا لأي مشكلة.
حينها سألته بتردد:
-وما هو...؟
-أن تقتل فريدة، فريدة ليس مجرد اسم لها فقط بل هي فريدة

كذلك، حتى دمها فريد، فما بالك بلحمها، مجرد هالة روحها وطاقتها تغنيك عن شرب الدماء، فما بالك بدمها ذاته.
صرخت به وقلت بغضب:
-هل جننت...؟ هل تريدني أن أقتل حبيبتي...؟!
خرج انعكاسي من المرآة وهو يضحك في وجهي ساخرًا وبدأ يحوم في غرفتي ويظهر في انعكاس المرآة خلف صورتي:
-ضحية واحدة ومن بعدها حياة طبيعية مستقرة، أم ضحايا كثر وحياة أشبه بحياة الجرذان لباقي عمرك الأبدي.
حينها انفعلت جدًّا فكسرت المرآة وبمجرد ما التفتت رأيته أمامي وقال بسخرية:
-ضحية واحدة، ضحي بفريدة من أجلك، من أجل حياتك، من أجل أرواح أخرين.
وبالفعل عند رجوعك من شهر العسل فكرت أن أذهب لبيتك وأقتلك، ولكني اكتشفت بأني ضعيف أمامك يا فريدة، الموت أهون عندي من أن أقتلك فلم استطع يومها سوى بجرحك جرح بسيط في رقبتك ورحلت، والمرة الثانية عندما دخل زين وكنت أمص دم اصبعك و...
هنا نظرت له فريدة بكره وقالت بغضب:
-يعني أنت كنت تعلم بأني حبيبتك، كنت تعلم وتتذكر كل شيء عني وعن حياتك.
هم فارس بالاقتراب منها ولمس خدها وهو ينظر لها نظرة حب وهو يهمس لها:
-وكيف لي أن أنساكِ يا عجيبتي... ولكني لم أرغب أن أوضح لكِ ذلك وذلك احترامًا لكِ ولحياتكِ الحالية، فأسرت حبي في قلبي.

هنا دخل زين وبمجرد دخوله ارتبكت فريدة وفارس فقال زين بكره وغضب وهو يهم تجاههما:
-كنت أعلم أنكِ هنا، بمجرد وصولي للبيت وعدم إيجادي إياكِ في هذا الوقت المتأخر قلت أكيد أنكِ عند عشيقك يا سافلة.
همت فريدة من الفراش بصعوبة وهي تبكي:
-أنت حقير يا زين، أنت مريض ولديك أسقاط، أنت الخائن لذلك تظن أني خائنة مثلك أيها الوقح.
هنا هم فارس وأمسك بزين بغضب:
-زوجتك شريفة يا عديم الشرف.
ضحك زين ضحكة تهكم وهو لا يقاوم قبضة فارس لها:
-هههه صحيح، شريفة هي من تنام في سرير رجل غير زوجها، ماذا عليها أن تفعل أكثر من ذلك كي أشك بها...؟
هم فارس بضرب زين بقوة ومن قوة اللكمة سقط زين أرضًا ومازال في نفس الحالة الهستيريا من الصدمة وهو ينظر لفريدة التي تبكي من المشهد الذي يحدث أمامها:
-أيتها الشريفة قولي لي، من أب الطفل الذي في بطنك...؟
هنا لكمه فارس لكمة أخرى بغضب وهو يصرخ به:
-توقف يا زين عد لرشدك وكف عن تفوهك بهذا الكلام، كلانا لم نخنك.
ضحك زين بتهكم وقد خانته دموعه:
-تخيل يا خالد بعد الموقف الذي حدث منذ كم يوم لمت نفسي وكنت أظن أني ظلمتها، وبمجرد أن علمت أن هناك رابط بيننا قلت لنفسي أن نعطي فرصة لزواجنا، ولكن بعد الذي فعلته اليوم هذا يثبت خيانتها لي وأنت خنتني يا من كنت أظنك أخي.

أمسكه فارس من ياقته بشدة وهو يهم بجعله يقف:
-أنت لا ترى الموضوع من الموضع الصحيح.
ضحك زين وهو يقوم بإزاحة يد فارس عنه بكره وتهكم:
-مطلوب مني أصدقكما وأكذب عيني مرتين ها...!؟
هنا صرخت فريدة وهي تبكي وهي تهم بالخروج من الغرفة:
-لا أريدك أن تصدق شيء، أريدك أن تطلقني وألا أراك مرة أخرى في حياتي.
هنا أمسك زين بيدها كي يمنعها من الخروج وهو يبكي ويضحك بتهكم:
-لا تريدين أن تري وجه حبيبك وزوجك...!
من ثم ضحك بتهكم ساخرًا بشدة وأكمل كلامه:
واحتمال يكون أب طفلك...!
هههههه تخيلي كم الحمق والحب الذي أحبه لكِ لدرجة أني مستعد أن أكون متعلق بكِ إلى أن يأتِ هذا الطفل للحياة ويثبت أني أبوه كي لا ينتهي حبنا...
من ثم بكى بهستيريا:
-لا أقبل أن ينتهي حبنا يا فريدة، حبنا أقوى من أي شيء.
حاولت فريدة بكل قوتها نزع يده عن ذراعها وقالت بكره:
-بعد الذي فعلته اليوم أنت أطفئت أخر شعلة أمل لعلاقتنا، وصدقني من يشك في شريكة حياته مرة سيظل عمره كله فاقد الثقة بها، علاقتنا انتهت يا زين... انتهت.
فقال لها زين بغضب وهو يصرخ بها:
-أتريدين هجري من أجل هذا الخائن القاتل غريب الأطوار...!
هم فارس بإمساك زين مرة أخرى وهو يدافع عن نفسه:
-أنا لست...

ولكن قبل أن يهم بأي هجوم صرخت فريدة بهما:
-زين لم يتهمك بشيء كي تهم بضربه أنت كاذب ومخادع وقاتل... أنا لا أعرفك، أنت لست فارس الذي أعرفه، أتركني وشأني لا أريد أن أراك أنت كذلك.
من ثم همت بالخروج من الغرفة وهي تتمتم باكيةً:
-كلاكما كاذبان مخادعان... أكرهكما بشدة أكرهكما.
هنا أبعد زين عنه ولحق بفريدة عند باب الفيلا:
-لن أدعكِ تكوني لغيري يا فريدة، أنتِ لي أنا فقط.
لكمته فريدة بكلتا يدها على صدره كي يبعد عنها من ثم قالت وهي تمشي تجاه فيلتها:
-أبتعد عني، لا أريد أي أحد لا أنت ولا غيرك.
وقف زين وقال بصوت عال:
-لن أتركك يا فريدة، ولن تغيبي عن عيني لحظة، لن أتركك، أتفهمين.

***

الفصل الثالث عشر

الجريمة

بمجرد ما دخلت فريدة بهو فيلتها تمكن منها التعب بشدة، فلمست خاتمها آمرة بقدوم الروبوت وبمجرد حضوره سقطت أرضًا وقالت هامسةً وهي تحاول ألا تفقد وعيها:
-أتصل بأمي وأخبرها أني أحتاجها حالًا.

***

ها هي فريدة تقف أمام مرآة ضخمة ذات إطار مشغول يدويًا بتصميم يعود للحضارة الإسلامية، ها هي تنظر لنفسها وتتأمل فستانها الأبيض الطويل وقد خطف نظرها تلك السلسلة ذات دلاية البومة ذات الحجر الروبي، تنظر لها بلهفة وهي تلمسها، من ثم تنظر في انعكاس المرآة فترى حديقة خضراء واسعة من ثم يظهر وراءها نفس الشاب ذا ملابس الملوك، فتلتفت له فيبتسم لها فيهم بسحب يدها بلهفة وهي تتبعه مبتسمة ولكنها تنظر له نظرة معناها: "إلى أين...؟".
فيقف مرة واحدة ويبتسم لها ومن ثم يؤشر للسماء كي تنظر، فترى حصان أبيض ذا أجنحة كبيرة، وها هو يهم بالهبوط.
وما زالت تنظر بلهفة وهي تشعر بكم كبير من السعادة بسبب جمال ذلك الحصان، كان حصان أشبه بالأحصنة الأسطورية فائقة الجمال.
وبمجرد هبوط الحصان، حرك الشاب يده لأعلى فبدأت فريدة بالارتفاع عن الأرض فبدأت ملامح القلق ترسم على وجهها

وخاصة أن توازنها أختل، فنظر لها الشاب مبتسمًا مطمئنًا إياها فطمئنت، فقام بتحريكها إلى أن ركبت الحصان، من ثم صعد على الحصان أمامها، فأمسكت به بشدة وهي في قمة السعادة، بدأ الحصان في العدو وضحكات فريدة تزداد أكثر وأكثر من نشوة السعادة، ومن ثم قفز الحصان وطلق جناحية للريح وأرتفع عاليًا إلى أن وصل فوق البحر، هنا انبهرت فريدة من جمال المنظر، ولكن هذا الشعور لم يدم طويلًا، لأن السماء الصافية بدأت تتحول إلى سماء مليئة بالغيوم وأخذت تلك الغيوم تزداد ظلمة شيئًا فشيئًا هنا بدأت فريدة تقلق وتتمسك بالشاب بقوة لأن الرياح قد اشتدت، فأمر الشاب الحصان بالعودة لمكان أمن يهبطون به، وبالفعل غير الحصان تجاهه ولكن فجأة ظهرت دوامة كبيرة في عمق البحر، كانت الدوامة تجذبهم لأسفل، كان الحصان يقاوم ألا يقع بها، يرفرف بكلا جناحيه، يحاول ويحاول وفريدة تصرخ وهي تتشبث بالشاب و...

-فريدة، فريدة، أفيقي يا حبيبتي...

فتحت فريدة عينيها وهي تلتقط أنفاسها وقالت بلهفة:

-أنا هنا، أنا بخير.

همت أمها بالمسح على شعرها وقالت بحنو:

-كنتِ تصرخين في نومك يا عزيزتي، يبدو أنكِ متعبة جدًّا.

-كيف جئت لسريري يا أمي...؟

-روبوت قام بنقلك لأنكِ فقدتِ الوعي، وبمجرد أن أتصل بي تركت أهلي في دمنهور وجئت إليكِ، ماذا بكِ يا بنيتي طمئنيني عليكِ...؟

-أنا بخير يا وتين، كل ما في الأمر أني في بداية الحمل.

هللت وتين وقالت بطريقة غير مصدقة وهي في قمة السعادة:
-حامل، منذ متى تعلمين...؟
-لا يهم منذ متى يا أمي، المهم أنكِ علمتِ الآن.
-كم اتمنى أن يكون طفلك ذا بال طويل عنكِ يا فريدة.
ابتسمت فريدة بسمة مكسورة أنبتت بداخلها نبتة صغيرة وسط حطامها الداخلي وقالت بلهفة:
-اشتقت إليكِ يا وتين، اشتقت إليكِ بشدة.
ومن ثم خانتها دموعها وذرفت من عينها فقامت وتين بلهفة وعانقتها:
-وأنا أيضًا اشتقت إليكِ كثيرًا يا بنيتي.
تشبثت بها فريدة بشدة مثل الطفلة وهي تبكي بحرقة:
-أرجوكِ يا وتين لا تتركيني، ليس لي سواكِ، لا تتركيني.
مسحت أمها على شعرها وهي تعانقها وقالت بصوت مرتجف:
-سأظل معكِ إلى الأبد يا بنيتي، روحي مع روحك إلى الأبد.
***
بعد مرور بضعة أسابيع وصلت رسالة لفريدة من ليندا:
"فريدة يجب أن نتكلم، يجب أن أطمئن عليكِ"
فقامت فريدة بالرد عليها برسالة أيضًا:
"أنا بخير يا ليندا، وأنا لست مجنونة كما وهمتي زوجي بأني أحتاج لعلاج نفسي، لا أدري لمَ فعلتِ هذا...! هل كنتِ ترغبين في زعزعة صورتي في نظر زين فيلجأ لكي فتتقربين منه وتكوني أنتِ في نظره العاقلة المنقذة وأنا المجنونة، على العموم أنا وزين انفصلنا فهو لكِ الآن، وإن كنتِ قلقة عليّ فأنا في وضع أفضل منكِ بكثير".

ردت ليندا برسالة:
"ما الذي تقولينه ذا...؟ ألن تتوقفي عن جنانك ذا...؟ كنت أظن أن بعد مرور كل تلك الفترة تحسنت حالتك ولكن يبدو أن الوضع لم يتغير، أنا آتية إليكِ يا فريدة، لن أتركك هكذا مرة أخرى".
ردت فريدة برسالة:
"وجودك غير مرحب به هنا، لا أنتِ ولا أي شخص يتشكك بقواي العقلية".
***
بعد مرور بضع ساعات ها هو جهاز إنذار الفيلا يصدر تنبيه بقدوم أحد ما، يظهر على الشاشة المنبثة من هاتف فريدة شاشة منقسمة بينها وبين ليندا، فقالت فريدة بغضب:
-ألم أقل لكِ لا تأتي إلى هنا.
تمالكت ليندا نفسها وقالت:
-اعتبري أن هذا أخر لقاء بيننا يا فريدة، ولكن يجب أن أشرح لكِ بعض الأمور، صدقيني لمصلحتك.
قامت فريدة بفتح البوابة فدخلت ليندا، وبمجرد ما وصلت ليندا أمام باب الفيلا الداخلي وقفت فريدة أمام باب الفيلا بحزم وقالت:
-قولي ما عندك يا ليندا.
نظرت لها ليندا بتعجب وقالت:
-هنا...! على الباب...!
ومن ثم قامت بإزاحة فريدة ودخلت مجلس الضيوف وجلست وقالت بثقة:
-أجلسي يا فريدة دعينا نتكلم بهدوء.
ضحكت فريدة بتهكم:

-هههه، آه تمثلين دور الدكتورة النفسية وأنا المريضة المجنونة.
أشارت لها ليندا كي تجلس وقالت:
-اعتبريني أنا المجنونة يا فريدة وسايريني.
جلست فريدة بضجر وقالت:
-قولي ما عندك يا ليندا، ولكن أسرعي لأني متعبة ويجب أن ارتاح.
تعجبت ليندا وقالت متسائلة:
-متعبة، ما بك...؟
-أنا حامل، وأحتاج لقدر كاف من الراحة.
مسحت ليندا بيدها على وجهها ومن ثم تنفست بعمق وقالت بنفاد صبر:
-يبدو أن حالتك ازدادت سوءًا يا فريدة.
وقفت فريدة وصرخت غاضبةً:
-لمَ أنتِ مصممة أن تجعليني أقتنع أني مجنونة، في البداية أقنعتي زوجي زين والآن تريدين أن تسيطري على تفكيري.
وقفت ليندا بحزم وأمسكت بكلا ذراعي فريدة وقالت بغضب:
-لأن زين لا وجود له أفيقي، أنتِ موهومة.
صدمت فريدة لوهلة ومن ثم عادت لرشدها وقالت بغضب وهي تبعد يد ليندا عنها:
-توقفي أنتِ عن ظنكِ بي أني مجنونة، كيف تنكرين وجوده الآن وأنت رأيته معي في لندن عدة مرات...!؟
حسنًا سوف أثبت لكِ أن زين له وجود وإنه كان زوجي وأب ابني.
من ثم تحركت تجاه الباب وأكملت كلامها:

-سوف أحضر لكِ أمي كي تشهد لكِ بصدق كلامي...
أمي، وتين... تعالي إلى هنا...
اقتربت منها ليندا وقالت:
-لن تأتِ يا فريدة، لن تأتِ لأنها ماتت منذ عام.
التفتت لها فريدة وهي مصدومة وقد امتلأت عينيها بالدمع، وقالت ناكرة:
-توقفي عن كذبكِ يا ليندا، توقفي، أمي هنا، كانت معي منذ قليل، سوف أريكِ بنفسي.
همت فريدة بالتحرك وهي في حالة إنكار وهي تتجه للطابق العلوي وهي تقول لليندا:
-سوف أثبت لكِ أنكِ على خطأ وأني على ما يرام، كل ما في الأمر أن أمي متعبة بعض الشيء ويبدو أنها نائمة.
ها هي ليندا تتبعها وهي تقول لها:
-فريدة أرجوكِ صدقيني، أنا هنا كي أساعدكِ.
هنا فتحت فريدة غرفة أمها ووقفت مذهولة، دخلت ورائها ليندا ومن ثم نظرت لفريدة بيأس وقالت وهي تلمس يدها:
-أرجوكِ يا فريدة عودي معي وستكونين بخير، كل ما في الأمر أنكِ تحتاجين لعلاج و...
تركت فريدة يد ليندا وقالت بحدة وهي تخرج من الغرفة:
-أتركِ يدي لا تتصنعي أنكِ يهمكِ أمري.
وأخذت تنادي على أمها:
-وتين، أين ذهبتِ يا وتين.
من ثم نظرت لليندا وقالت:
-يبدو أنها خرجت من البيت ولم أشعر بها، بعد قليل ستعود.

لمست ليندا سلسلتها فانبعثت شاشة منها وفتحت صورة وقالت لفريدة:
-وتين هذا قبر والدتك، وهذه صورتكِ وأنتِ بجوار قبرها، أنتِ من طلبتي مني أن ألتقط لكِ تلك الصورة، أنظري.
وقفت فريدة تتأمل الصورة وهي مصدومة وعينيها تذرف الدمع وهي تقرأ اسم والدتها وتاريخ موتها وقالت بعد أن أعادت تركيزها ومسحت دمعها:
-كاذبة، إن هذه الصورة ليست حقيقية، أنتِ من قمت ب..
صرخت بها ليندا وقالت:
-ولمَ أفعل ذلك في صديقتي وأختي لمَ...!؟
-هذا السؤال تسألينه لنفسك ليس لي أنا وهيا أخرجي من بيتي...
-فريدة لا يصح الذي تقولينه لي، أنا أريد مصلحتكِ.
بدأت فريدة تمسك بيد ليندا وتسحبها كي تنزل من على الدرج وهي تقول بغضب:
-أنا أعرف مصلحتي جيدًا هيا أخرجي من هنا، لا أريد أن أرى وجهك.
بدأت ليندا تنظر لفريدة بحيرة وأسى وقالت وهي تنزل الدرج:
-فريدة هذه ثاني مرة تطرديني من بيتك وترفضي اهتمامي بكِ.
هنا وصلت فريدة للباب وفتحته وهي تدفع ليندا للخارج وقالت بغضب:
-لعل هذه المرة تجعلكِ تفهمين أنكِ غير مرغوب بكِ.
ومن ثم أغلقت فريدة الباب في وجهها، فقالت ليندا بإصرار من وراء الباب:
-لن أتركك هذه المرة يا فريدة، سأظل هنا لكي تقتنعي بكلامي.

-كلامك كذب لا أريد أن اسمعه.
-أنا أعلم أن فقدكِ لأبيكِ كان صعب وبوجود أمكِ معكِ تجاوزتِ المحنة، ولكن عندما فقدتِ أمكِ منذ عام، كنتِ حديثة التخرج فقررتِ الهروب من الصدمة بكثرة العمل، هربتِ من الصدمة ولم تعطيها الوقت اللازم للتعافي مثل ما فعلتِ بعد فقدكِ لأبيك كي تتعافي من صدمة الفقد، بل كل ما فعلته هو أنك ضغطت على جرحك بفقدك لأمك وأكملتِ عملك لحد الإجهاد وعدم تعايشك للألم وعدم إعطائكِ حقه فعقلك نكر وجحد الفقد من الأساس لذا ساءت حالتك، تصنعك القوة وممارسة حياتك وبدء العمل في العيادة معي والضغط النفسي زاد الأمور سوءًا وذلك بتخيلك لزين الذي لم أره ولا مرة، وبسبب أنكاري لذلك قررتِ أن تبتعدي عني ولم توافقي أن أظل معكِ كي تتجاوزين تلك الصدمة لذلك بعد موت والدتكِ اقتربت أكثر من شخصية زين في عقلك، كي يعوضك عن الفقد الذي مررتِ به، واختلقتِ أحداث جديدة كي تشغلي عقلك وتخرجي من تلك الصدمة، ولكن هذا الوهم يزيد الأمر تعقيدًا أرجوكِ افتحي لي، وسوف أثبت لكِ...
-أرحلي من هنا لا أريد أن أعرف شيء.
***
صعدت فريدة غرفتها ونظرت من شرفتها فرأت ليندا ما زالت في الحديقة إلى أن حل المساء، بدأت فريدة تشعر بالتعب وقررت أن ترتاح في سريرها إلى منتصف الليل، ولكن النوم لم يعرف طريقه إليها بسبب كثرة الاجهاد التي تمر به بسبب كثرة التفكير فقررت فريدة أن تخرج للشرفة كي ترى ليندا.
فخرجت ولم تجدها، حينها علمت أنها تعبت ورحلت كي ترتاح.

هنا وقفت فريدة أمام مرآتها وهي تنظر لنفسها بتشكك وتقول في قرارة نفسها:
-هل أنا مجنونة حقًا، هل أنا أتوهم...؟!
يجب أن أسكت كل هذه التساؤلات وأتأكد بنفسي، يجب ألا أفقد الثقة بنفسي من مجرد ترهات.
***
تجهزت فريدة وخرجت من الفيلا وركبت سيارتها، وفي خلال فترة وجيزة وصلت دمنهور مسقط رأس والديها، فقالت فريدة في قرارة نفسها وهي تقف أمام بيت أهل أمها:
-أكيد أمي عادت للبيت لحدوث أمر طارئ، سوف أجدها هنا.
وبالفعل صعدت فريدة لشقة الدور الأول علوي في البيت وطرقت عدة طرقات على الباب ذا الطراز القديم، فتحت لها خالتها وعلى وجهها امارات النعاس ولكن سرعان ما فاقت وقالت بلهفة:
-فريدة حبيبتي، عاش من شافك يا عزيزتي، كلما كبرتِ صرتِ تشبهين أمكِ أكثر.
ومن ثم عانقتها بشدة بينما كانت فريدة شاردة وهي في حضنها تبحث عن أمها في الأرجاء بعينيها، أخرجتها خالتها من حضنها بلهفة وهي تنظر لها بعينين دامعتين وهي تؤشر لها بالدخول:
-تفضلي يا حبيبتي، البيت بيتك، لقد اشتقت إليكِ كثيرًا.
نظرت لها فريدة بحيرة وهي تبحث عن أمها وقالت:
-أين أمي يا خالة...؟
ذُرفت الدموع من عين خالتها، واقتربت من فريدة وهي تضع يدها على كتفها مواسية لها:

-أمكِ موجودة في كل مكان، أمكِ تعيش بداخل هذا البيت بل وداخلنا كلنا، وتين لم تفارقنا لحظة.
أبعدت فريدة يد خالتها عنها وقالت بغضب وهي تدخل غرفة أمها باحثة عنها:
-توقفي عن ألغازك ذي، أين هي أمي...؟
لحقتها خالتها باكية لداخل الغرفة وقالت:
-أعلم أن فراقها صعب عليكِ يا فريدة بل صعب علينا جميعًا و...
التفتت فريدة وقالت بغضب وقد ثبتت عينيها في محجريهما من الصدمة:
-ماذا تقصدين بفراقها...؟
اقتربت خالتها منها وعانقتها بشدة وهي تقول لها وهي تجهش بالبكاء:
-ماتت يا فريدة، ماتت منذ عام، تقبلي قدر الله يا بنيتي، أعلم أن الفراق صعب ولكن لنا لقاء مرة أخرى بكل عزيز فارقنا ورحل عن دنيانا.
ظلت فريدة واقفة مرخية جسدها بين ذراعي خالتها شاردة وعينيها تذرف الدمع من الصدمة ومن ثم ثقل جسدها تمامًا بين يدي خالتها وفقدت الوعي.
بعد مرور بعض الوقت ها هي فريدة تعود لوعيها وبجوارها خالتها وبيدها كأس عصير وبيدها الأخرى تلمس شعرها برفق وهي تنظر لها بعينين لامعتين بسبب كثرة الدمع التي تجمح سقوطه وقالت بحنو:

-حمد لله على سلامتك يا عزيزتي، هيا يا حبيبتي أشربي هذا العصير.
قامت فريدة بتعب وسئلت بأسى:
-منذ متى وأنا هنا.
مدت لها خالتها العصير بإصرار وهي ترد عليها:
-لم يمر الكثير من الوقت، فقدت الوعي ولكنك لتوكِ أفقتِ، لذا أشربِ هذا العصير يا عزيزتي.
أبعدت فريدة يدها برفق وقالت بصوت مكتوم كمن يلتقط انفاسه بصعوبة وكأن الدنيا كلها بحمولتها وهمومها جثت فوق صدرها:
-لا أريد أن أشرب شيء يا خالة صدقيني، أحتاج أن أتنسم الهواء في الشرفة فقط، وأسمح لي أن أكون بمفردي.
أومأت لها خالتها رأسها بأسى متفهمة رغبتها.
ها هي فريدة تقوم بصعوبة، وكأن وجود أمها في حياتها كان يشكل لها فقرات عمودها الفقري وبرحيلها شلت تمامًا عن الحراك.
قالت فريدة وهي تتقدم نحو الشرفة بأسى وعينين تنهمر بالدمع النابع من حرقة قلبها:
-كل من يشكل لي سند في هذه الحياة رحل عني وتركني، أبي وأمي ودكتور جون، وكذلك ها أنا مجنونة يتوهم لي، لمَ أنا على قيد الحياة...؟
أخذت تتنسم الهواء بصعوبة، ومن ثم رسمت على وجهها ابتسامة مكسورة وهي تبكي عندما تذكرت عندما رجعت

بالزمن ليوم كتب كتاب ابيها وأمها ورأتهما وهما في سن الشباب.
تذكرت اليوم التي كانت تقف في الشرفة مع أمها وهي لا تعلم أنها أبنتها وقد جاءت لها من المستقبل.
قالت فريدة بحيرة وهي تنظر للبيت المهجور الذي أمامها*:
-وهل يا ترى مغامراتي تلك ورجوعي بالزمن كان حقيقي أم لا...؟
ولكن ليندا قالت لي أني تجاوزت فراق أبي لأني ظللت مع أمي إلى أن تمكنت من التعافي وهذا يعني أن رجوعي بالزمن ولقائي بفارس في هذا البيت المهجور حقيقي.
ولكن ليندا قالت لي أني اختلقت شخصية زين وبعد فراق أمي اختلقت شخصيتها أيضًا وهذا بسبب شعوري بالذنب لأني تركتها في مصر بمفردها واخترت أن أكمل حياتي من دونها.
بدأت فريدة تبكي بحرقة وهي تجثو أرضًا وتتكلم بصوت نادم:
-طلبت مني أن استقر معها في مصر بعد موت أبي، ولكني رغبت أن أرضي رغبة من مات عن رغبتها هي التي معي على قيد الحياة.
رغبت أن أرضي أبي الراحل أن أحقق حلمه أولًا وأكون تلك الطبيبة التي تمناها ومن ثم أعود لمصر.
ضحكت فريدة بتهكم باكيةً وهي ترفع رأسها للسماء:
-أين أنت يا أبي يا من رغبت أن أرضيه وتركت بسببه أمي كي أكون طبيبة، بنتك الوحيدة يا حبيبي صارت مجنونة.
كنت تظن أن أبنتك ليس لها مثيل في قرارتها، بل أبنتك تمتاز بحمق لا مثيل له.

من ثم انهارت باكية ووجهها للأرض:
-ولكن أقسم لك يا أبي لم يهن عليّ تركها، كل ما في الأمر أني كنت أرغب أن أرضيك ومن ثم أرضيها بقية عمري.
ولكن مشكلتي دائمًا أني لا أنتبه لكلامها، هي قالت لي لا أرحل وأظل معكما في أخر يوم في حياتك يا والدي، ولكني أصررت ورحلت وتركتك.
ومن ثم تركت أمي ولم أنتبه لرغبتها بوجودي معها، المشكلة يا أبي ويا أمي أن المرء يفعل ما يشاء ويترك أحبائه على ظن منه أنهم دائمين له.
ولكن الحقيقة أن لا شيء ولا أشخاص يدومون في هذه الحياة الغدارة.
من ثم مسحت فريدة دمعها وحاولت أن تقف من جديد وقالت بحزم:
-توقفي يا فريدة، توقفي، ليس من طبعك الندم، أحمد الرب على ظهور ليندا في حياتي، تلك الصدمة بالحقيقة ما هي إلا بداية انقشاع نور الحقيقة في حياتي بعد ظلمة الوهم.
يجب أن أرى الأمور على حقيقتها.
أنا توهمت شخصية زين كي تعوضني عن فراقي لفارس، وكان موت أمي حافز لكي اقترب منه أكثر.
ولكن إن كان زين وهم كما تقول ليندا أنا حامل مِمن...؟
الطبيب في المشفى هو الذي قال لي الخبر.
لا أكيد زين له وجود في الواقع أكيد...
هل يمكن يكون فارس هو من فعل بي هذا...؟!
وكذلك فارس ليس بوهم إن ريحانة أثبتت عودته للحياة.

من ثم نظرت فريدة للسماء وهي تفكر بعمق سارحة في القمر المكتمل وهي تقول في قرارة نفسها:
-يجب أن أعود حالًا كي أقابل ليندا كي أصل لحل و...
ولكن قطع كلامها الداخلي قلق مفاجئ بسببه تحولت نظرتها إلى الخوف وقالت في قرارة نفسها وهي تهرع خارجة من الغرفة مسرعة:
-ليندا، يجب أن ألحق بليندا.
ها هي خالتها تلحق بها وتنادي عليها بقلق:
-فريدة حبيبتي إلى أين أنتِ ذاهبة الآن...؟
ولكن فريدة لم ترد عليها ورحلت.
***
ركبت فريدة سيارتها وهي تتصل بليندا ولكن لا يوجد رد.
ها هي فريدة وصلت شارع فيلتها فرأت أمامها الكثير من الأنوار، قادت سيارتها ببطء تحاول أن تستوعب هذا الحشد من السيارات، وبمجرد وصولها وخروجها من السيارة سمعت صفير سيارات الشرطة وبمجرد أن لمحها شرطي أشر لرجال الأمن أن يقيدوها.
فريدة تجثو على ركبتيها ويقيد يدها من الخلف رجل أمن غشيم.
ولكن فريدة شاردة ذاهلة مصدومة تنظر لما حولها غير مدركة ما تراه وهي تقول في قرارة نفسها:
-هل هذا واقع أم كابوس...؟ ماذا يحدث هنا...؟
هنا يأمر الضابط رجل الأمن أن يقوم بأخذ فريدة في سيارة الشرطة وفريدة مصدومة وعينيها مثبتة لا تقدر على النطق أو السؤال حتى.

وبمجرد ركوبها لسيارة الشرطة بدأت ترى من نافذة السيارة كل شيء يدور أمامها، الأسئلة تكثر في عقلها وتدور والدوار يسيطر عليها إلى أن... فقدت الوعي من جديد.

***

فريدة تجلس على كرسي فاقدة للوعي مقيدة اليدين للخلف، وفجأة تشعر بدلو من الماء البارد سقط عليها، كان كفيل أن يجعلها تعود للحياة إن كانت ميتة لا أن يعيدها لوعيها إن كانت قد فقدته فقط.

فاقت فريدة وهي تشهق شهقة عميقة، ونظرت بصدمة لأمين الشرطة الذي أمامها ولكن سرعان ما قطع تفكيرها قبل أن يبدأ صوت ضابط الشرطة:

-لن نظل ننتظر حضرتك طول الليل أيتها القاتلة النائمة.

نظرت له فريدة بصدمة وقالت بتعجب:

-قاتلة...! من القاتلة...؟

ضحك الضابط وقال:

-الأمين مرسي هو القاتلة.

من ثم حول ضحكته إلى غضب وهو يطرق المكتب بكلتا يديه ويهم واقفًا:

-لا تتصنعي الغباء، لا يوجد امرأة غيرك هنا.

بدأت فريدة تبكي وقالت:

-ولكني لست بقاتلة صدقني.

-المجني عليها آخر من تواصل معها كنتِ أنتِ وكان بينكما محادثة تدور حول شجار على رجل يدعى زين بدافع الغيرة وأظن أنه دافع قوي للقتل...

وكم أنتِ ذكية، بعدما انتهيت من عملية القتل بدأت تتصلين بها كي تبعدي الشبهات عنكِ بل ولم تكتفي بذلك بل حضرتِ لمسرح الجريمة بنفسك كي تبعدي الشبهات أكثر ولكنكِ لم تدركي أنكِ أقحمتِ نفسك في الجحيم.
بدأت فريدة تبكي تدافع عن نفسها:
-صدقني أنا لم أقتلها، كان بيننا سوء تفاهم بسيط ولكني لم أقتلها، بل لم أكن في البيت من الأساس، يمكنك أن تتأكد من وجودي في ذلك الوقت عند خالتي في دمنهور في العنوان التالي.....
بل يمكنك التأكد من الكاميرات في الفيلا لكي تتأكد من صدق كلامي.
-يتم فحصها الآن، ولكن يجب أن تعلمي أن بإمكانك التلاعب في كاميرات بيتك فلن نأخذها دليل قاطع.
-صدقني لم أقتلها.
صاح بها الضابط بحدة وقال:
-إذن من الذي قتلها...؟
وضع أمامها صورة ليندا وجثتها غارقة بالدم وكأن تم طعنها بأربعة خناجر بعرض جسدها.
انهارت فريدة عندما رأت جثة صديقتها وقالت:
-أقسم لك أني لم أفعل ذلك، كان مجرد سوء تفاهم وجاءت لي كي تتحدث معي ولكني رفضت حديثها، ولكني بمجرد أن راجعت نفسي رغبت أن اقابلها ونتحدث سويًا، كنت أتصل بها ولكنها لم ترد عليّ.
-وكيف ترد وأنتِ قمتِ بقتلها.

-لم أقتلها أقسم لك لم أقتلها.
-إذن من فعل ذلك نيابة عنكِ، يمكن أنتِ سلطتِ أحد بدلًا منكِ كي تبعدي نفسك عن مسرح الجريمة.
-لم أفعل ذلك صدقني، هذه صديقتي وأختي لا يمكن أن افعل ذلك بها.
جلس الضابط وتنهد بعمق بعدما أشعل سيجارة وقال:
-هل تشكين في أحد يمكن أن يفعل ذلك بكِ كي ينتقم منكِ بخصوص أمر ما، هل لديكِ أي خلافات مع أحد...؟
انتبهت فريدة وقالت كمن تذكر شيء بعدما ازدردت لعابها:
-نعم، أنا أمر بخلافات مع زوجي، بل كان زوجي أنا حاليًا طلبت الطلاق منه.
نفث الضابط دخان سيجارته وقال بثقة:
-جميل، وما هو سبب رغبتك بالطلاق.
-لأنه يشك بي أني أخونه.
ضحك الضابط وقال ساخرًا:
-هههه أنتِ تخونيه وهو يخونك، يعني أنتما ولاد حرام مثل بعضكما البعض، أكملي.
-أنا لست بنت حرام، لا أسمح لك أنت تقول...
هنا صاح بها الضابط وهم أمسك بياقتها بقوة وسحبها فصارت أمامه مباشرة وقال لها بتهديد:
-إياكِ أن تملي عليّ ما الذي يجب أن أفعله أو أن أقوله، أتفهمين...؟
وهيا أكملي لي أسباب الخلاف وهل تشكين في شخص أخر قد يكون له يد في هذه الجريمة.

ازدردت لعابها وقالت بتردد:
-نعم أشك في فارس، جاري في الفيلا الموازية لفيلتي.
-ولمَ تشكين به.
-لأني اكتشفت أنه قاتل متسلسل وعرفت مكان دفن الجثث، يمكن هو من قتلها.
ابتسم الضابط وقال بثقة:
-الله الله، قاتل متسلسل، وأنت متسترة عليه، هذه جريمة تضاف لكِ فوق جريمتك، يبدو أن سهرتنا طويلة، أحكِ كل شيء بالتفصيل.

***

وبالفعل أكملت فريدة التحقيق وأعطت للضابط كل التفاصيل الخاصة بزين وفارس.
بدأت الشرطة بالبحث عن زين وفارس وهنا كانت الصدمة.

***

ها هي فريدة تدخل مكتب الضابط وهي مكبلة اليدين للأمام وعلى وجهها كل امارات التعب.
هلل بها الضابط وهو يقول ساخرًا:
-أهلًا بحضرة القاتلة المخادعة الخائنة.
قلتِ لي أنكِ تشكين أن زوجك هو من فعل ذلك لما بينكما من خلاف لأنه يظن أنكِ خائنة.
ولكن يا حضرة الطبيبة أنتِ غير متزوجة من الأساس، ولا وجود لهذا الزين الذي تتهمينه أنه زوجك.
قالت فريدة وهي مصدومة:

-كيف لا وجود لزين...؟ أنا حامل منه...! هو من أوصلني للمشفى عندما تعرضت للطعن، بل وقام ضابط بالتحقيق معه، هل راجعت كشف المشفى و...
قال الضابط بغضب وهو يهم واقفًا:
-بحثنا كما قلتِ تمامًا بل وأكثر من ذلك، موظفي المشفى قالوا إنهم وجدوكِ ملقاة أرضًا بعدما هبطتِ من السماء أي أنكِ تحاملتِ على نفسكِ إلى أنكِ وصلتِ للمشفى وهذا ما أثبتته كاميرا المراقبة، ولم يأت أحد لزيارتكِ قط.
-ولكن كيف...؟ كيف لا وجود له...؟
من ثم قالت بقلق:
-إذن هو فارس من فعل ذلك... هو القاتل.
تنهد الضابط بنفاد صبر وقال:
-إن الفيلا الموازية لفيلتك مهجورة منذ عدة سنوات، كانت تملكها امرأة اسمها رحاب كما ذكرتِ ولكنها ماتت وقد سبقها ابنها فارس بالموت.
بدأت فريدة تنظر لما حولها بإنكار وهي تقول بقلق وخوف قد غمرها:
-ولكنه حقيقي، حتى ريحانة قالت إنه حقيقي، أكيد هرب، يجب أن تبحثوا عنه، أنه قاتل... هل فتشتم القبو...؟ القبو سوف يثبت صدق كلامي.
-نعم فتشنا القبو، كان قبو ذا بلاط قديم وعليه الكثير من التراب ولا يوجد لأثر قدم واحدة، مما يدل على عدم دخول أحد هنا منذ سنوات لا أنتِ ولا غيرك.
أنتِ المتهمة الوحيدة بقتل ليندا.

صرخت فريدة وقالت باكية:
-يوجد قبو أسفل القبو صدقني، لم أقتلها، لم أقتلها.
تنهد الضابط وقال بنفاد صبر:
-ما زلتِ تنكرين...؟
من ثم لمس خاتمه فظهرت الشاشة فقام بتشغيل فيديو ووقف بجوارها وقال لها:
-هل ما زلت تنكرين أنكِ لستِ القاتلة...؟ أليس هذا بدليل قاطع...!؟
كان الفيديو يعكس لفريدة صورتها وهي تفتح الباب لليندا وتبتسم لها وتدعوها للدخول، ومن ثم دخلت وراء ليندا لغرفة الضيوف وأغلقت الباب من وراءها، والكاميرا الداخلية للغرفة تعكس هجوم فريدة عليها بعدما ارتدت قفاز ذا مخالب حادة تشبه السكاكين.
قال لها الضابط بثقة:
-قمتِ بطعنها بدون رحمة أي كأنها ألد أعدائك، وبعد هجومك صعدتي لغرفتك ولكن لم نجد كاميرا سجلت ما حدث في غرفتك، ولكن بعد قليل خرجتِ من غرفتكِ بل من الفيلا تمامًا وسافرتِ لخالتكِ كي تلغي الشكوك حولك في وقت حدوث الجريمة ولكن يبدو أنكِ نسيتِ أن الطب الشرعي أثبت موعد قتل المجني عليها، وكان وقت الحادث وقت وجودك في الفيلا.
بدأت فريدة تصرخ وتبكي:
-لست أنا، لست أنا الفاعلة، أكيد زين أو فارس وإذا كان لم يكن لهما وجود إذًا جواد هو من فعل ذلك.
ضغط الضابط بيده على رأسه وقال بتنهد:

-يبدو أنكِ لن تتوقفي عن اتهامك للغير برغم اثبات التهمة عليكِ.
-أقسم لك أنه جواد، جواد من فعلك ذلك، جواد هو السبب.
-خذها يا أمين لغرفة الطبيب النفسي كي يثبت سلامة حالتها العقلية.

***

بدأت فريدة تصرخ وهي تدخل غرفة الطبيب النفسي:
-أنا لست بمجنونة، أنا بكامل قواي العقلية.
فقاطعها الطبيب بصوت رخيم:
-إذا كنتِ بكامل قواكِ العقلية فهذا يثبت قيامك بهذه الجريمة.
بدأت فريدة تبكي وتتكلم بهدوء بعدما آذن لها الطبيب بالجلوس:
-أنا لست مجنونة أنا فقد كنت أعاني من حالة صدمة وكنت أتوهم بعض الأمور ولكني لست بمجنونة.
-أهدئي يا فريدة أنا هنا كي أشخص حالتكِ، أحكِ لي كل شيء وأنا كلي آذان صاغية.
حكت فريدة كل شيء مرت به للطبيب وبعدما انتهى الحديث عادت فريدة لحجزها.

***

بعد يوم أصدر الطبيب تقرير بأن فريدة مريضة باضطراب نفسي بسبب عدة صدمات متتالية فهذا أثر على عقلها بل إنها مصابة بالذهان العقلي الذي يسبب لها توهم مواقف لم تحدث وأشخاص لا وجود لهم.
والاضطراب النفسي يدل على تذبذبها بين الواقع والخيال، بعض حديثها مبني على الواقع، يوجد شخصيات ذكرتهم وكان لهم تواجد حقيقي ولها صلة بهم في الواقع مثل الكاتبة رانيا

صديقتها ولكن زين وفارس وأمها هم مجرد وهم بعد تأكدي بنفسي، لذا أطلب بنقلها لمستشفى الأمراض العقلية كي يتم علاجها وتتجاوز هذا المرض ولا يتعرض أحد للخطر على يدها أو حتى ممكن أن تعرض نفسها وجنينها للخطر.

***

الفصل الرابع عشر

نهايةَ المعاناة

فريدة في الحجز بمفردها والتعب سيطر عليها وبدأ النعاس يغلبها ولكنها تقاوم وتفكر في حالها غير مدركة ما يجري لها، ولكن فجأة رأت ما قطع تفكيرها.

رأت فارس أمامها، ضربت فريدة وجهها وقالت:

-لا وجود لفارس، لا وجود لزين، كل شيء يثبت أني مجنونة واهمة، لا تنساقي وراء وهمك.

قطع همسها صوت فارس وهو يقول بأسى:

-أنا لست وهم يا فريدة وزين ليس وهم، لا تنكري الحقيقة التي تراها عيناكِ حتى لو اقنعك الناس جميعًا بعكس ذلك.

أغمضت فريدة عينيها وقالت بحدة لنفسها وهي تضرب وجهها:

-توقفي عن جنانك يا فريدة لا تسايري وهمك، توقفي.

ولكنها سمعت صوت جعلها ترفع رأسها.

كان الصوت هو صوت ارتطام قضبان الزنزانة، بمجرد ما نظرت أمامها رأت أن قضبان الزنزانة من المنتصف تم ثنيها وفارس ها هو أمامها وقد ازداد جسمه ضخامة ويده ذات مخالب حادة، وقبل أن تفكر أو تدرك الموقف رأت رجال الشرطة يهمون بالدخول، ومن نظرة عينيها فهم فارس والتفت تجاههم وتحول في لمحة عين إلى ذلك الطائر الضخم، هنا وقف رجال الشرطة لوهلة غير مصدقين الموقف الذي أمامهم ولكن في ذات اللحظة صُدر أمر بإطلاق النار على الطائر، ولكن

الطلقات لم تؤثر به قط، ظلت فريدة ورائه تحتمي به من ثم قال لها:
-أصعدي على ظهري يا فريدة.
وبالفعل صعدت فريدة ونامت على ظهره كي تحتمي من طلقات النار.
قام فارس بإطلاق نار لمدى قصير كي يبعد رجال الشرطة عنهما وهو يقول:
-أفسحوا الطريق لا أريد خسائر لأي روح.
ولكنهم استمروا في إطلاق النار، فأضطر فارس بأن يطلق لهيب من فمه لهيب شديد كي يبتعد كل من أمامه وبعد أن خرج من الزنزانة طلق لهيب بشكل دائري في كل الجهات كي يبعدهم عنهما كي لا تصاب فريدة بأي طلقة إلى أن خرج من قسم الشرطة وطار في السماء وحلق عاليًا.
بعد قليل توقفت صوت طلقات النار، فرفعت فريدة وجهها وظلت تمسك بالطائر الذهبي بشدة وهي تقول بحيرة:
-أنا أحلم، أكيد هذا الحلم له نهاية.
ومن ثم نظرت للارتفاع فرأت أنها على ارتفاع شاهق كان المنظر كفيل أن يفقدها الوعي مرة أخرى.
***
فريدة تفتح عينيها فلا ترى أمامها سوى الظلام فقالت:
-مازلت في الحجز، كان مجرد حلم، يبدو أن حالتي تزداد سوءًا.
فجأة بدأت ترى الضوء ينسدل للداخل، الرؤيا بدأت تتضح أمامها ستارة تزاح وتكشف عن جدار زجاجي من خلفة سماء

صافية وأمامها حمام سباحة، وكأن الغرفة بها جهاز حساس في حالة استيقاظ النائم تفتح الستائر مباشرةً.
بدأت تنظر حولها فوجدت نفسها في غرفة فخمة ذات لوني الأبيض والأزرق فقط.
هنا مسكت فريدة رأسها وقالت:
-أنا ما زلت في شهر العسل وكل الذي مررت به مجرد حلم.
من ثم تنهدت بعمق وقالت:
-الحمد لله أنه حلم.
هنا قطع تفكيرها صوت قادم من الخارج:
-حمد لله على سلامتك يا فريدة.
هنا همت فريدة من السرير وقالت بلهفة كي تقابله عند دخوله:
-حبيبي ز...
ولكن قبل أن تكمل كلامها ظهر أمامها فارس.
ترددت فريدة وتوقفت مكانها وقالت بحيرة:
-فارس...! ما الذي أتى بك إلى هنا...؟
ابتسم لها فارس وقال لها بثقة:
-لأني من أحضرتكِ إلى هنا يا عجيبتي.
- هل تقصد أني لست في شهر العسل مع زين وكل ما مررت به مجرد كابوس.
-لا، لقد انتهت علاقتك بزين، ولقد جئت بكِ إلى هنا كي تصفي ذهنك وتتقبلي الواقع بحلوه ومره ولا تجحدي بأي ذكرى مررتِ بها حتى وإن كانت سيئة.
تحركت فريدة تجاه الشرفة وهي تقول بحيرة:
-ولكن كل الأدلة أثبتت أن لا وجود لك ولا وجود لزين.

أقترب منها فارس ووضع يده على ذراعها كي تلتفت وتنظر له وقال:
-أنا أشهد بصدقكِ بوجود زين وزواجكِ منه لأني حضرت زفافكما ولكن كيف تقولين إن أمكِ ماتت منذ عام وأنا قد قابلتها.
نظرت له فريدة بتعجب وقالت:
-وكيف علمت بهذا الخبر...؟
-كنت بجوارك دائمًا أثناء بوحك بكل شيء للطبيب النفسي هل تتذكرين عندما كنتِ بجواري في الموقف ذاته في الماضي*.
ابتسمت فريدة وقالت:
-يبدو أن التاريخ يعيد نفسه.
ولكن سرعان بدأت تفكر وقالت:
-يعني أنت رأيت أمي ولكن كيف...؟
-لا أعرف أدنى فكرة يا عجيبة.
فتحت فريدة الشرفة وخرجت تتنسم الهواء، تجاوزت حمام السباحة وقررت أن تجلس على حافة المكان الجبلي وأخذت تنظر للبحر الذي يقبع بالأسفل.
وبعد صمت استمر لفترة وجيزة نظرت فريدة لفارس وقالت بتعجب:
-إذا كنت تريدني أن اقتنع أن ما مررت به واقع وأني لست مجنونة وأنك رأيت معي أمي وحضرت زفافي بزين لمَ لم تجد الشرطة لك أي أثر.
ومن ثم نظرت بحيرة وسألته:
-آه، وكيف أنت تقف في الشمس هكذا من دون كمامة أو نظارة أو قبعة...؟
ابتسم لها فارس وقال:

-لأني لا احتاج إليهم من الأساس، كنت ارتدي هكذا كي اقنعكِ فقط بمرضي لأن أعلم جيدًا أنكِ تفكرين في كل التفاصيل، ولكن بعد أن عرفتِ الحقيقة فلا داعٍ للاستمرار في الكذب.
بينما سؤالك لمَ ليس لي أثر، فكيف تريدين أن يكون لي أثر وأنا مسجل أني توفيت منذ عدة سنوات...؟ كان يجب أن أترك البيت، لأن قصتي لن يتفهمها أحد.
-والقبو الذي به الجثث...؟!
-لقد قمت بوضع طبقة اسمنتية وبلاط وطبقة من التراب تليق ببيت مهجور منذ عدة سنوات.
-يعني أنت هربت لأنك لا تريد أحد أن يعلم عنك شيء، ولكن لمَ بمجرد وصولي لمصر أنا وزين ظهرت لنا في الشارع...!
-لأني شعرت بكِ يا فريدة.
-وكيف شعرت...؟
-لا أدري كان مجرد شعور فخرجت لكي أتأكد وبالفعل كنتِ أنتِ.
وأنا من همست لكِ في أول ليلة وصلت بها مصر.
هنا نظرت له فريدة بتعجب وقالت:
-يعني أنت من همست لي بعجيبة في هذه الليلة...! لم يكن زين هو من قالها...!
-بل كنت أنا يا عجيبتي.
مسكت فريدة رأسها وتساءلت:
-ولكن لمَ زين أخفى كل شيء يدل على وجوده...؟
-لا أدري يا فريدة.

-توجد حلقة مفقودة يا فارس، بل يمكن تحليل ما أمر به على احتمالين، الاحتمال الأول أن كل ما مررت به وهم وكذلك وجودك أمامي ما هو إلا وهم.
بينما الاحتمال الثاني هو أنك حقيقي لأن ريحانة اثبتت حقيقة بعثك مرة أخرى وهذا يثبت صدق وجودك معي ولكنك تزيد الأمور تعقيدًا بتأكيدك أن زين واقع وأمي موجودة على قيد الحياة وهذا ما أنكرته ليندا وبالفعل تأكدت من موت أمي بنفسي.
-ماذا تقصدين يا فريدة، لم أفهم تحليلك...؟!
-أمي ما هي إلا روح وممكن أنا وأنت لدينا قدرة برؤية الأرواح كأنهم واقع...؟!
نظر لها فارس بتعجب وقال:
-هل تقصدين أن زين كذلك من ال...!
أكملت فريدة كلامها وقالت:
-نعم هو من الأموات، ولكن كيف لي أن أكون حامل من مجرد روح إلا لو كان...
-شيطان...!
نظرت فريدة بصدمة لفارس وقالت:
-هذا يعني أن زين هو...
في نفس واحد وملامح القلق رسمت على وجه كلاهما:
-جواد...!
قالت فريدة وهي تبكي:
-لقد زرع بذرة الشيطان بداخلي يا فارس سأنجب أحفاد للوسيفر، أعلم لا يمكن لأنسية أن تحمل مباشرة من شيطان

ولكن لا أدري ما الحيلة التي فعلها زين معي...!؟ لقد أنتقم مني أشد انتقام يا فارس.
بنفس الصدمة قال فارس:
-بل انتقامه مني كان أشد، لقد نهبكِ مني، لقد سرقكِ الشيطان مني كما سرق الصهيونيين أرض فلسطين.
لقد نهب أرضي وزرع بها زرعه الطالح.
قالت فريدة كمن بدأ تضح له الأمور على حقيقتها:
-لذلك اختفت ريحانة، لقد قرأت قصتها وعلمت أن زوج خالتها من عالم الجن لذلك يمكن يكون هو من حذرها كي لا تقحم نفسها معي.
من ثم أمسك يد فريدة بقوة وهو يقول لها بحدة:
-لا تفكري بريحانة الآن يجب أن تتخلصي من الشيطان الذي في بطنك يا فريدة.
صرخت به فريدة باكيةً:
-يجب أن أجد حل أخر.

***

بعد مرور عدة أشهر ها هي فريدة تقف على حافة الجبل، بفستان أبيض الذي يزيد جماله أكثر جسمها الرشيق، ها هو شعرها الطويل يتطاير مع الهواء وهي مغمضة العينين وهي تتنسم الهواء بعمق، ولكن سرعان ما تفتح عينها عندما تسمع صوت فارس القادم من البيت:
-أنا مستعد يا عجيبتي.
يظهر فارس وهو يحمل طفلة بين ذراعيه.
ها هو فارس يقترب منها وعلى وجهه ابتسامة.

ها هي فريدة تلمس وجهه برفق وتقول له:
-لقد حان الوقت يا عزيزي، ولكن يجب أن تفهم نيتي أنا لا أشك بك أبدًا ولكن يجب أن تعلم أن جواد سكن جسدك في الماضي، أريد أن أتخلص منه كي ننعم في حياتنا سويًا.
-وهل أنتِ واثقة من هذا...؟!
-هذا طقس يحدث في الهند يقوم الوالدان اللذان يشكان بوجود روح شريرة تسكن جسد أبنهما، يقومون بإلقاء من يسكن جسده الشيطان من مكان عالٍ مع وجود ملائة كبيرة كي تلتقطه.
أنا بحثت والبحث أثبت أن السقوط يجب أن يكون من مكان عالٍ، وفي النهاية يصل الجسد سليم معافى والروح الشريرة تنفصل عنه في الهواء ولا تعود له ثانيةً.
-حسنًا يا عجيبتي سوف أفعل ما تقولينه لي، سوف أقوم بذلك أنا وهي سويًا كي نتخلص من أثر أي شر بداخلنا وكي يطمئن قلبك تجاهنا.
لمست فريدة وجه الطفلة ومن ثم نظرت لفارس وقالت له:
-أجعل ظهرك للماء وتمسك بالطفلة جيدًا، كلها ثوان ونعيش في نعيم جميعًا.
ها هو فارس أعطى ظهره للبحر وضم الطفلة جيدًا ونظر لفريدة وابتسم ومن ثم رمى جسده في البحر.
ها هي فريدة تنظر لفارس وهو يسقط في البحر ويدها على قلبها، مر بضع ثوان ولم يخرج فارس من الماء، بدأت فريدة تنادي بقلق:
-فارس، فارس، هل تسمعني، فارس، أخرج، لا تقلقني عليك، لم نتفق على ذلك.

بدأ دم يظهر على سطح البحر صرخت فريدة من شدة القلق وقفزت في البحر، وبمجرد أن غطست رأت ما لم تتوقع أن تراه.
رأت فارس وقد أخترق ظهره عامود خشبي مدبب ومازال يعانق الطفلة، أمسكت فريدة بالطفلة التي لم يخترقها العامود المدبب، سحبتها فريدة ورفعت رأسها هي والطفلة كي تلتقط أنفاسها وشرعت تبكي غير مصدقة ما رأته بأم عينها وهي تصرخ باكية:
-فارس، عد لي يا فارس أرجوك.
بدأت تبكي وهي تنظر لطفلتها وهي تقبلها باكية من ثم أغمضت عينيها:
-حمدًا لله أنكِ بخير ولكن فارس يا صغيرتي فارس.
هنا سمعت صوت أجش:
-قتلتِه للمرة الثانية يا فريدة.
هنا فتحت فريدة عينيها وأخذت تنظر حولها باحثة عن صاحب الصوت، ولكن بمجرد أن نظرت للطفلة رأت على رقبتها علامة الشعلة التي أخذت تضيء أكثر، وعينيها الطفوليتين تحولا إلى جمرتين مشتعلتين، ورسم على وجهها ابتسامة قادمة من قعر الجحيم، ابتسامة تليق بطفلة من نسل لوسيفر.
بدأت الطفلة ملامحها تتحول إلى أن أخذت صورة جواد الذي بمجرد اكتمال هيئته بدأ يضحك متهكمًا منتصرًا وفريدة من هول الصدمة متصلبة مكانها لا تحرك ساكنًا.

-هههههه، لا أدري ما أقوله لكِ هل أقول لكِ أني اشتقت لهذا اللقاء بعدما ظننتِ أنكِ انتصرتِ عليّ منذ عدة أعوام، أم لا يصح أن أقول ذلك لأني لم أتركك للحظة.
أتظنين ايتها الأنسية الضعيفة الساذجة أن تنتصري على ابن لوسيفر، هل تظني أن جنسكم الطيني الحقير ينتصر على جنسنا الأسمى، أم غروركم خدعكم أنكم الأذكى...! بل أنتم لا يوجد لغبائكم مثيل.
هنا فريدة حاولت الهرب ولكن في تلك اللحظة كانت مكبلة من قدمها ويديها تحت البحر بنباتات بحرية تمسك بها بقوة شيطانية.
-لا تحاولي الفرار يا عزيزتي، لقد وصلنا للنهاية.
كنتِ تظني أنك ذكية ولكن الحقيقة أنا كنت أجعلك تصدقين ما أريدك أن تصدقيه، بل واستمتعت بألمك النفسي كثيرًا، كنت متأكد أن الانتقام السريع لن يكون بنفس اللذة مثل العذاب على المدى البعيد.
وهذا ما فعلته مع رحاب، أكنتِ تظنين أني طيب لهذه الدرجة ولن أنتقم منها.
بل انتقمت منها بالألم طويل المدى، جعلتها تفقد ابنها وزوجها وتعاني في حياتها من الحزن بسبب فقد الأحبة، وفي النهاية أعيد لها الأمل بعودة أبنها من جديد بعد موته ولكن الشرط أن تكفر بالقدر وتأمن بقدرة السحر معترضة على قدرة خالقها الذي أخذ منها وحيدها، بل لجأت للخالق لوسيفر العظيم كي ينجدها من بؤسها.
من ثم ضحك بتهكم وقال ساخرًا:

-ولكنها حمقاء أعطت الأمان لمن يكره جنس أدم الطيني الوضيع، بل ولجأت إلى عمة أمي علياء تلك الساحرة الشمطاء التي انتقمت لأمي منها، لذا يجب أن تفهموا أيها الحمقى أننا لن نكون عون لكم أبدًا بل نحن مصيدة نقعكم في شر أعمالكم، نبدأ ندخل لكل واحد منكم من باب يتناسب مع رغباته، باب لا يستطيع فتحه غيرنا، ربكم أغلقه في وجهكم لأنه خير لكم ولكن غبائكم يجعلكم تصرون على فتح هذا الباب لذا نحن كل ما نفعله نبدأ نوسوس لكم بهذا الباب الذي حرمكم ربكم منه، ونظهر لكم أن ربكم غير رحيم كما يصف نفسه لأنه حرمكم مما تتمنونه، لذا نحن نقترح عليكم أن نفتح لكم هذا الباب ونأتي لكم بما تشتهون، كما فعلنا مع أبيكم أدم بالضبط.

أعطاه ربه كل شيء ومنعه من شيء واحد فقط ولم يعبأ بما حرمه ربه منه ولكن كان يجب أن يدخل لوسيفر من ذلك الباب كي يثبت للرب أن أدم لا يستحق التكريم وأنه غير صادق في الإيمان والانصياع للأوامر.

لذا نحن ننتهج نهج أبينا لوسيفر تمامًا فندخل لكم من باب الشهوة، والشهوة معروفة أنها متعددة الأقسام، كل ما نسعى إليه أن نكشف وجهكم الحقيقي الذي تخبؤونه أسفل أقنعة الملائكة التي تردونها.

قاطعته فريدة وهي تنظر له بكره:

-على الأقل نعترف بخطئنا ونعود للرب باكين تائبين له مثل أبينا أدم، لذا يغمدنا الرب برحمته وينعمنا بجنته، لسنا أبالسة متمردين مثلكم تخطئون وتكابرون رافضين العودة للخالق.

نحن بني أدم جنس الأنس خطاء تواب لم نصف أنفسنا أبدًا بكوننا ملائكة، وإذا كنت تظن أن جنسك قوي صدقني أنتم لا تقدرون سوى على القليل منا، لأنكم ليس لكم علينا سلطان.
ضحك جواد متهكمًا:
-هههههه ما زلت تتصنعي أنكِ ذكية ترددين بعد الأقاويل ناكرة ما فعلته بكِ، ألم تري زفافنا الذي حضرة عشيرة من الجن، استمتعت كثيرًا عندما تهيئ أحد من الجن على هيئة أبيكِ كي أتلذذ بعذابك وحزنك، حتى أمك التي كنتي تظني أنها أمكِ طوال هذه المدة بل الحقيقة هي جنية تمثلت بشكلها، وللحقيقة أنتِ لستِ بمجنونة وأنا كنت معكِ في الحياة الواقعية لا مجرد خيال، وليندا شهدت على حبنا... ولكن عندما قبضت الشرطة عليكِ أخفيت كل شيء يثبت وجودي في حياتكِ كي اقنعكِ أنكِ مجنونة.
صاحت به فريدة غاضبة:
-لا تأتِ بذكر اسم صديقتي على لسانك أيها الكاذب، أتريد أن أكذبها وأصدقك أنت...!
ضحك جواد ساخرًا:
-ليندا لم تكن نعم الصديقة لكِ يا فريدة كما تتخيلين، بل كانت خائنة لكِ لذا استحقت نهايتها، وكما قلتِ إن ليس لنا عليكم بسلطان، ولكن يوجد من هم أبالسة الأنس يستحقون أن نتمكن منهم.
-كاذب، مخادع، لن تستطيع أن تشوه صورة صديقتي.
-صدقيني الطعنة لا تأتي لنا من بعيد، يجب من يصوب الطعنة في ظهرنا أن يكون قريب، بل قريب جدًّا منا.

آه وبالفعل أنتِ لم تكوني تعلمي بخبر موت أمك من الأساس، لأني في اليوم الذي ماتت به أمك طلبت من شركة الاتصالات أن تغير رقم هاتفك، فبالتالي لم يصلك أي مكالمة من أهلك كي تعلمي خبر موتها، بل أمرت تلك الجنية أن تتواصل معكِ من حين لأخر كأنها والدتك لذلك لم تشكي في غيابها قط، وبمجرد نزولك لمصر قابلتِها.

ظلت الأمور هكذا إلى أن طلبت من ليندا كي تقوم بهذه المسرحية وتقول لكِ أنكِ كنتِ تعلمي بخبر موت أمكِ وتريكِ صورة مزورة لكِ بجوار القبر وتنكر وجودي كي تقنعك بجنونك.

ذرفت فريدة الدمع وقالت بغضب:

-ولمَ ليندا تفعل هذا...؟

ضحك جواد متهكمًا:

-ألم تفهمي بعد...! قلت لكِ أنها خائنة.

حسنًا سوف أوضح لك.

منذ بداية علاقتنا كانت ليندا شاهدة على هذا الحب، بل تمنت أن تحظى بهذا الحب لا أن تكون شاهدة عليه فقط.

وبالفعل بدأ الكلام بيننا ومن صداقة إلى خيانة لكِ.

وبمجرد أن تزوجت أنا وأنتِ وبدأت لعبتي معكِ بالكوابيس التي أتحكم بها، بل بالمواقف التي كانت تدفعك للجنون، بدأت اشكو لها سوء حالتكِ وأني لم أعد أتحمل حياتي معك، لذا قررت ليندا أن تودعك في مصحة نفسية كي أكون أنا لها.

لذا جاءت وكذبت ليندا وفعلت ما فعلته كي تقنعك وتكسب ثقتكِ وتأتي معها.

من ثم ضحك جواد وأكمل:
وللحق أنتِ ابتلعتِ الطعم وصدقتِ كلامها وشككت في نفسك أنكِ مجنونة وكنتِ تودي أن تعودي لها لأنك واثقة بها لأنك ساذجة ولكني كنت قد قضيت عليها.
مجرد خائنة حاقدة لا يحزن عليها أحد، بل وفعلت ذلك أيضًا كي أنتقم منكِ برؤيتي لكِ تتعذبين عذاب طويل الأمد سواء في السجن أو مصحة المجانين.
بكت فريدة وهي تنظر بكره لجواد:
-ما الفائدة من كل ذلك...؟
-الاستمتاع والتلذذ بألمك، ولقد استمتعت كثيرًا عندما أغلقت في وجهك كل الطرق التي يمكن أن تساعدك في حال شككتِ بي، طلبت منكِ كسر جهازك، بل استمتعت أكثر عندما كسرت جهازي الذي لم يكن حقيقي ولكن فكرة أن أرى قلبك ينفطر مع كل جزء أنكسر في الجهاز جعلني استمتع كثيرًا.
حتى ريحانة أصدرت تهديد لها من خلال الجن ميمون وهي فهمت التهديد جيدًا.
لعبتي معكِ هذه المرة كانت مسلية لأني تلاعبت بفكرك وشتتك بل وجعلتكِ تشكين في حبيب القلب فارس...
هههه، لا بل جعلتكِ تشكين في نفسك وأنتِ ابتلعتِ الطعم أنتِ والأخرق فارس الذي لا فائدة من حمقه أبدًا سواء في حياته السابقة أو حياته الحالية.
دائمًا أزين له طريق الشهوة ولكنه لا ينجرف له، في هذه الحياة خيرته أن يقتلك ويكون له حياة أبدية ولكنه من أجل حبه لكِ

قرر أن تكون له حياة واحدة وها هو الأخرق قد خسرها، مات موتة تليق بمصاص دماء وتد خشبي أخترق أحشائه.
لذا كما تقولين ليس لي عليه بسلطان ولكن في كل مرة بذكائي أجعلك تقتلينه بدلًا مني.
وأنا حاولت أن أجعلك تقعي في الفاحشة ولكنك لم تنجرفي وراء عاطفتك وذلك لأن الشريف فارس أغلق هذا الباب.
لذا قررت أن أقتل صديقتك ليندا وتتهمين بقتلها وتتعذبين في السجن، وطبعًا كان لي سلطان على ليندا لأنها ارتكبت الكثير من الأخطاء كما قلت لكِ.
ولكن للحق لم تسير الأمور كما أردت ولكن كما تعلمي أن أولاد لوسيفر لا تنفد حيلهم.
نظرت له فريدة بثقة وقالت:
-وأنا لا أخاف من حيلك، أتدري لمَ...! لأن الرب قال إني أعظم وأقوى منك، وأنا لست مغفلة كي أقع في شرك وسوستك مرة أخرى أيها الخناس.
ابتسم لها جواد وقال لها متهكمًا:
-لن أقتلك يا فريدة، بل سأجعلك في مكانك هكذا مقيدة إلى أن تموتي... أو أن تختاري طريقي وتكوني زوجتي وتذهبي لعالمي.
هنا تذكرت فريدة حلمها وقالت:
-لهذا كنت أرى تلك القلادة.
ابتسم لها جواد وقال بثقة:
-نعم، قلادة البومة رمز الإلهة ليليث زوجة الإله المتمرد إله النور لوسيفر، ليليث التي تركت أدم وذهبت للقوي لوسيفر.

صدقيني أنا لا أخدعك بل عشيرتي يعجبها قوتك وإصرارك، هذا يعني نسل قوي جدًّا.
ضحكت فريدة وقالت متهكمة:
-فجأة صرت قوية وذكية، منذ قليل كنت تلعنني أنا وجنسي الأخرق... تعفن أنت وعشيرتك وإلهتك ليليث في عالمكم السفلي، ستظلون دائمًا في الدرك الأسفل وسنظل دائمًا المختارين خلفاء الرب ومكانتنا أعلى العليين.
من ثم ضحك جواد متهكمًا وقال:
-إذن أدعى ربكِ كي ينجدك من موقفكِ ذا، ها أنا ذا أنتظر.
بدأت فريدة تقرأ سورة الناس:
-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * بسم الله الرحمن الرحيم.
وها هو جواد يضحك متهكمًا ويقول ساخرًا:
-آه، لا توقفي، أنا أحترق، هههههه.
فريدة لم تعبئ بكلامه وأكملت:
-قل أعوذ برب الناس * ملك الناس *
-هههههه كفى، استعاذتك بربكِ لن تفيدك.
-إله الناس * من شر الوسواس الخناس *
هنا تحولت ملامح جواد إلى ملامح غضب وهو يقول بصوت أجش:
-قلت لكِ كفى.
ملامح القوة بدأت ترسم على وجه فريدة وتحديها زاد أكثر وهي تكمل:
-الذي يوسوس في صدور الناس * من الجِنةِ والناس.
أحمر وجه جواد من شدة الغضب وهو يقول بتحدي:

-توقفي، لن يفيدك ما ترددينه سبق وقمتِ به ووهمتك بأني كنت بداخل جسد فارس وقتلته ولكني كنت قد خرجت منه، ولم يصبني أي مكروه بل قتلتِ حبيب القلب وعشتِ تعاني بسبب قتله.
لم تعبأ فريدة وأكملت:
-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم* بسم الله الرحمن الرحيم*
ضحك جواد ضحكة شيطانية متهكمًا:
-لن ينجدكِ كفي عن الاستعاذة به، توقفي واستغلي عرضي لكِ.
-قل أعوذ برب الفلق* من شر ما خلق*
صاح جواد وقال بتهديد:
-سينتهي الوضع بشكل لا يحمد عقباه.
-من شر غاسق إذا وقب* ومن شر النفاثات في العقد* ومن شر حاسد إذا حسد.
-لقد حذرتك...
هنا غاصت فريدة واختفت عن سطح الماء، فغاص وراءها جواد وهو ينظر لها بحده ولكن في اللحظة التي رأى بها فريدة كان الأوان قد فات.
كانت فريدة تمسك بفرع مدبب وبكل ما أُتت من قوة غرسته في أحشائه وهي تنظر له بتشفي، فبدأ يتحول إلى هيئة الطفلة من جديد ومازال الفرع الخشبي يتوسط أحشاء الطفلة التي فارقت الحياة.

***

الفصل الخامس عشر

النهاية

ها هي فريدة ترتدي فستان ذا طراز عثماني وتمشي في حديقة خضراء، تمشي شاردة وهي تغمرها السعادة إلى أن يقطع شرودها صوت صفير، فتلتفت فريدة وتبتسم بمجرد ما رأته يؤشر لها كي تأتي إليه وتركب خلفه الحصان الأبيض.

وبمجرد ما اقتربت منه قالت ضاحكة:

-هههه الملابس الملكية تليق عليك كثيرًا يا فارس.

نزل من على الحصان وقال لها بلهفة:

-يجب أن تليق بي كي أليق بسموك يا سيادة الملكة.

ضحكت فريدة وهي تلكمه في صدره برفق:

-توقف يا فارس عن مزحك ذا.

ومن ثم غيرت دفة الحديث وقالت مبتسمة وهي تنظر للحصان:

-الآن أنت فارس حقيقي بهذا الحصان الأبيض ولكن لمَ ليس له جناحان مثل الذي رأيته في المنام.

-لم أجد غيره في الواقع، حمدًا لله أني وجدت الحصان الأبيض كان يوجد بني ولكني بحثت جيدًا إلى أن جلبت لكِ مرادكِ.

تنهدت فريدة بعمق وقالت والسعادة تغمرها:

-حمدًا لله أنك معي يا فارسي.

عانقها فارس وقال وهو ينظر للسماء:

-بل أنا من يحمد الرب على وجودك في حياتي يا منقذتي.

قالت فريدة بثقة وهي تضحك ضحكة تهكم:

-جواد لا يختلف عن لوسيفر في شيء، كلاهما نفس الغباء.

ضحك فارس وقال:
-هههه حقدهم يقعهم في شر أعمالهم يا عجيبتي.
ابتسمت فريدة وأكملت بثقة:
-لوسيفر بسبب حقده وكرهه لأدم ورغبته أن يجره معه لحفرة الجحيم لم يفده حقده شيء سوى أنه كتب على نفسه الطرد الأبدي من جنة الرب.
بينما جواد الذي قرر أن يأخذ بثأر أمه وينتقم من رحاب ويجرها للجحيم بسبب نقطة ضعفها ألا وهو أنت، كان رجوعك للحياة هذه المرة هو فرصتي لكي أصلح خطئي السابق بقتلك.
ولكن في هذه المرة كان مقدر لي أن أكون سبب موتك إذا اخترت حبي أو أكون سبب نجاتك وحياتك الأبدية بموتي.
وبالفعل أنت بسبب صدق حبك لي قررت أن تختار حياة واحدة وفي تلك الحياة مقدر لك أن تموت على يدي.
ولكن أنت في هذه الحياة تختلف عن الحياة السابقة بحاجتك إلى دمي، دمي الذي يداويك ويمدك بالقوة، لذا قررت أن أحملك وأخرج ذلك الفرع الخشبي من داخلك وأخرجتك للشاطئ، ولم يكن أمامي حل سوى حل واحد أن أجرح نفسي، جرحت نفسي بدبوس "البروش" في فستان".
جرحت ذراعي وبدأ دمي ودمعي يسقطا على جرحك، وبالفعل التئم جرحك وكأن لا وجود له.
ابتسم لها فارس وقال لها:

-لا يوجد لي سوى حياة واحدة ولكني واثق إن أصابني أي مكروه طيلة حياتكِ ستكونين منقذتي، ولكن صدقيني أنا لا أريد أن أعيش من بعدك.
سأكتفي في هذه الحياة بالقوة التي استمدها من قربك، بينما إذا قدر لي أن أعيش بعدك لن أقتل حيوان واحد كي أعيش شهر من بعد فراقك، أنت الحياة وسبب الحياة يا عجيبتي.
-أنت قدري يا فارس.
-هل تظنين يا فريدة أننا التقينا في حيوات سابقة لا نعلمها على مر العصور...؟
-سبق وقلت لك أني أحيانًا أشعر أننا كنا سويًا خلال أزمنة مختلفة، على العموم دعك من الماضي دعنا في الحاضر الجميل الذي يشبه النعيم.
نظر لها فارس بحيرة وقال لها:
-آه يا فريدة بما أنكِ قلتِ كيف أنقذتني بالأمس هل يمكن أن تقولي لي كيف تمكنتِ من جواد...؟
-كان جواد يقيد يدي ورجلي بنباتات بحرية بقواه الشيطانية، ولكني تذكرت قصة النبي محمد عندما ردت المعوذتين ومع كل آية كانت تحل عقدة، وهذا ما فعلته، كانا الإيمان واليقين يسيطران على قلبي وكل آية أقولها كانت تحل عني عقدة، إلى أن تحررت تمامًا حينها تذكرت أن هناك شجرة صغيرة تحت الماء غصت وكسرت فرعها وفي ثانية قمت بغرسها في جواد ولا تنسى أن الجن إذا مات وهي متهيء على هيئة غير هيئته الحقيقية يكون مات بالفعل، لأن جسده أمامي كان جسد مادي لا أثيري، جنى على نفسه لأنه تحدى خليفة الله.

-ولكن أين الطفلة...؟
-بمجرد أن قتلته على هيئته تحول الجسد إلى جسد الطفلة وكان يتوسطها الفرع.
-هل قمتِ بدفنها...؟
-لا بل تركتها تغرق وقررت أن أنقذك.
-ولكن يا فريدة...
-يجب أن أنسى أني كنت حامل في شيطان في جوفي.
نظر لها فارس بحنو وقال لها:
-بل علينا ألا نفكر في الماضي بعد ذلك، علينا أن نعيش اللحظة كما قلتِ.
ابتسمت فريدة وقالت بحب:
-صفحة جديدة ومن أول السطر.
عانقها فارس وهو يتجه بها تجاه الحصان وهو يهمس لها:
-بل كتاب حياتي الجديد كله لكِ وملك لكِ يا عجيبتي فلتكتبي قدري وحياتي معكِ كما تشائين.
نظرت له فريدة كمن تذكر شيئًا وقالت بلهفة:
-أوه، صحيح بخصوص الكتاب ذكرتني برانيا صديقتي المؤلفة، يجب أن أحكي لها ما مررت به، ستكون الرواية تخطف الأنفاس.

***

تعليق المؤلفة

أهلًا بعزيزي القارئ لا أريد أن أطيل عليك بتعليق طويل، ولكن لدي خبر لك أن الصراع لم ينتهي عند هذا الحد بل للصراع بقية.

وبقيته في "الجزء الثالث من أولاد لوسيفر" بعون المولى.

وتذكروا أن لنا في الخيال حياة ولقاء.

دمتم في أمان الله ويبعد الله عنكم شر أولاد لوسيفر الخناس.

***

ملحوظة:

تلك العلامة في الرواية "*" معناها أن هذا الجزء مرتبط بالجزء الأول.

***

وفي النهاية نختم سويًا بالدعاء الذي تعلمته من شيخي
الجليل الدكتور يسري جبر
اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا
إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلاَةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ
كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ
{لا تنسوني من دعواتكم لي أخوتي بالتوفيق
ولكم بالمثل
والدعاء بالرحمة والمغفرة لوالدي البروفيسور
رمضان عبد الله هو وجميع أموات المسلمين}

أعمال أخرى لبنت البرو فيسور

نركسوس (رواية نفسية اجتماعية)

برو فيتيا (رواية فانتازيا اجتماعية)

لاقيت الفضفضة- كيمياء السعادة (كتاب تنمية ذاتية وخواطر دينية)

جد ولعب وجرح وحب (ديوان باللفصحى والعامية)

طيف أروما (رواية رعب ورومانسية)

البرو فيسور- الخلاصة لفهم الوجه الحقيقي للحياة (كتاب تنمية ذاتية وقصائد شعرية)

المهدي المنتظر (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج1 فارس وجواد (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج2 الخناس (رواية رعب ونفسية)

60قانون لامتلاك السعادة وتجاوز صعوبات الحياة MOVE ON (كتاب تنمية ذاتية)

كتاب "تعلم تفسير الأحلام مع بنت البرو فيسور"

كتاب "تعلم فن كتابة السيناريو مع بنت البرو فيسور"

كتاب "خواطر منتصف الليل"

تمت بحمد الله

رواية "أولاد لوسيفر"

الجزء الثاني

"الخناس"

2023-5-15

رانيا رمضان

بنت البروفيسور

رواية الخليفة

الجزء الثالث من أولاد لوسيفر

تأليف:

رانيا رمضان (بنت البروفيسور)

مقدمة

في الجزء الأول والثاني كنا نظن أن الصراع

بين الجن والأنس فقط.

ولكن في هذا الجزء سنكتشف

أن الصراع أكبر من ذلك بكثير.

(1)

فبراير 2079 . . .

-استيقيظي يا شمس يا احلى شموسة فأنا يومي يكون كئيب من دونك .

نسمع صوت همهمة من تحت الغطاء ونرى حركة بسيطة فيكرر الشاب كلامه وهو يكزها :

-هيا يا شموسة استيقظي ودعي النور يغمرني ويغمر حياتي .

تنفعل الشابة وتزيل الغطاء من على رأسها فيظهر وجهها الجميل وشعرها الناعم الغير مرتب من أثر النوم ومن ثم تقول وهي تهم جالسة:

-آه يا تيمور سوف ألغي هذه الخاصية، لا أحب أحد يوقظني من نومي .

يجلس الشاب بجوارها وهو يضحك كمن اعتاد على طبعها :

-وهل يهون عليكِ أن أشتاق إليكِ ولا أتمكن من رؤيتك أو أن أظهر أمامك وقتما أريد .

-حسنًا سوف أجعل خاصية الهولوجرام مفعلة إلا عند وقت النوم والأوقات الخاصة بي ، لأني سوف أقتلك في المرة القادمة .

ضحك الشاب وهو يهم واقفًا :

-وكيف لكِ أن تقتليني وأنا مجرد هولوجرام أمامك . . . !

تهم شمس واقفةً وترفع شعرها ومن ثم تضغط على زر صغير بجوار عينها فتنبثق منه شاشة أمامها ، فيقول لها تيمور بلهفة:

-ماذا ستفعلين . . . ؟

تقول شمس بنفاد صبر:

-أريد أن ألغي المكالمة كي أذهب للاستحمام .

ضحك تيمور وقال:

-خذيني معك يا شموسة . . .

قالت شمس بغضب ونفاد صبر:

-تصدق أنت لا تستحق فقط أن أغلق المكالمة، بل ألغي تمامًا خاصية الرد المباشر عليك .

يضحك تيمور وهو يحاول أن يقترب منها :

-أنا أمزح معكِ يا شموستي .

تبعد شمس نفسها عنه ومن ثم تقول بجزم:

-لا تلوم غير نفسك يا تيمور .

ومن ثم أغلقت المكالمة وذهبت لأخذ حمام دافئ كي تسترخي قليلًا بمحاولة منها أن هذا سيساعدها على تقليل عصبيتها .

ومن ثم عندما خرجت من الحمام، لمست الزر الموجود بجوار عينها فأنبثقت منه الشاشة فرأت أمامها رسالة فضغطت عليها فأنبثق منها فيديو مجسم هولوجرامي لتيمور وهو يقول:

-حاولت أن اتصل بكِ يا شمس يا مجنونة ولكنك بالفعل الغبية الخاصية، حسنًا عندما أراكِ سوف نتناقش في هذا الأمر، فقط كنت أريد أن أذكرك بموعدنا اليوم .

رأت شمس الرسالة ولم ترد، قررت أن ترد عليه بعد أن تتناول الفطور مع أمها .

خرجت شمس من غرفتها ومن ثم أخذت تنادي على أمها في أرجاء الشقة ولكنها لم تجدها على غير العادة فقررت أن تذهب إلى غرفة نومها فوجدتها مستلقية على السرير، اقتربت منها شمس بلهفة:

-ماما سمية قلقتني عليكِ.

ردت عليها أمها بضعف من تجاوزت السبعين :

-أنا بخير يا بنتي ولكن كل ما في الأمر . . .

قاطعتها شمس بقلق أكثر:

-ماذا بكِ يا أمي ولما صوتك مجهد هكذا، ماذا تشعرين . . . ؟

-كل ما في الأمر انني لا استطيع الحراك منذ الصباح و . . .

قاطعتها شمس بغضب وقالت من شدة القلق:

-ولماذا لم توقظيني يا أمي لَم تفعلين ذلك بنفسك دائمًا، لَم دائمًا تفكرين في غيرك وأنتِ آخر من تفكرين به.

-يا بنيتي كل ما في الأمر أنا أعلم أنك لاغية خاصية الاتصال بكِ، ولم أرغب أن أطلب من الروبوت إيقاظك، قلت أجعلك تكتفي من النوم كي تكوني معي في مثل هذا اليوم المتعب.

جلست شمس بيأس وقالت لأمها:

-قلت لكِ يا أمي جربي الأكسير الذي اخترعته، أنا أدرس من أجلكِ منذ صغري لكي يأتي هذا اليوم الذي أراكِ فيه معافاة وتتخلصي من تلك الشرائح التي تتحكم في جسدك.

-أحمد الله يا بنيتي أنني في هذا الزمن حيث من يعاني من الشلل يمكنه المشي وممارسة حياته بشكل طبيعي، أنسيتي في صغرك تلك البدلة المعدنية التي كانت تساعدني على الحركة وكنت اشبه الرجل الألي بها.

-نعم أتذكرها وأتذكر كيف أبي كان يكرهها بشدة وكلما يراكِ بها ينظر لي بكره شديد وكأنني أنا السبب.

-هذه ردة فعل منه لأنه كان يحبني بشدة وكان من الصعب عليه أن يراني عاجزة في يوم وليلة.

-يعني يا أمي أنا كنت السبب...!

-لا لستِ السبب يا حبيبتي، ولكن تلك الحادث حدثت يوم وجدناكِ و...

أوقفتها شمس بضيق وقالت:

-أمي لا تذكريني به ولا بالحادث ولا بأني لست ابنتكما.

نظرت لها أمها بلهفة وقالت:

-لم أقصد يا عزيزيتي ولكن أريد أن أوضح لكِ وجهة...

-أمي دعكِ من هذا الموضوع ودعيني أعرض عليكِ فكرة الأكسير مرة أخرة.

اشاحت أمها نظرها وقالت بيأس:

-لا يا بنيتي لا أريد أن أجربه.

-وما المانع أن تأخذي الأكسير يا أمي هذا سيجعلك خالدة معافاة من أي مرض، أنا صنعته خصيصًا لأجلك.

ومن ثم نظرت لأمها بحيرة وشك وقالت:

-أمي أنتِ لا تثقي بي ولا بعلمي . . . !

نظرت لها أمها بثقة تامة وقالت:

-ابدًا يا بنيتي أنا واثقة أنكِ أعظم طبيبة في العالم.

-حسنًا فلتجربي الأكسير يا أمي .

أشاحت الأم نظرها عنها ثانيةً وقالت:

-يا بنيتي انسيتي ما حدث لأبيكِ بسبب هذا الأكسير . . . !

-أعلم أنه مات يا أمي ، لأنه أخذ الجرعة الخاطئة، هذا ليس ذنبي أن يدخل المختبر من ورائي .

-اعدكِ يا بنيتي سوف أجربه ولكن بعد أن توثقي هذا الاختراع العلمي .

-أمي هذا الاختراع أنتِ تعلمي جيدًا أنا اجريته منذ أكثر من **13** عامًا وها أنا ذا عمري **31** عامًا وقمت بالكثير من الأبحاث التي أشادوا بها أكبر الأطباء وقمت باستخدام هذا الاكسير على الفئران ومعروف متوسط عمر الفئران **4-6** سنوات

إذا كانوا في المنزل وفي حالات نادرة يصل عمرها 9 سنوات وها هو فأري شمشون عمره 11 عامًا .

ابتسمت لها أمها بوهن محاولة تغيير الموضوع:

-اه من شمشون ذا، ولكن هل سنظل نتحاور أكثر من ذلك وأنا على هذا الوضع .

-حقك علي َّيا أمي ولكني كنت أحاول أن اقنعكِ ولكن كما تشائين .

***

اتصلت شمس بالإسعاف وقاموا بنقل أمها للمستشفى وقبلها أرسلت رسالة لتيمور تعتذر له عن موعدهما .

تم نقل أمها للطابق الثالث وهي في الاستقبال تنهي إجراءات العملية، وبعد أن انتهت من الاجرءات توجهت للمصعد واختارت الطابق الثالث، ولكن أثناء حركة المصعد تم اختيار الطابق الرابع، ظلت تضغط على رقم 3 ولكنه لا يستجيب، أغلق نور المصعد عليها فأصابت بنوبة هلع وصارت تصرخ وبعد ثواني فُتح باب المصعد عليها وعلى وجهها ملامح الفزع فنظرت لها الممرضة التي دخلت المصعد بتعجب ومن ثم ضغطت على زر الطابق ال6 ومن ثم نظرت بحيرة إلى شمس التي ما زالت واقفة لا تحرك ساكنًا لا تفهم ماذا حدث معها وسألتها :

-أي طابق تريدين . . . ؟

نظرت لها شمس بحيرة ومن ثم نظرت حيث يظهر أمامها أنها لا زالت في الطابق الأرضي ولم تتحرك من الأساس ومن ثم قالت:

-الطابق الثالث إذا سمحتِ .

وسرعان ما وقف المصعد وفتح وما زالت في حيرة من أمرها ومن ثم دخلت غرفة أمها وهي ما زالت تفكر في الموقف الذي مرت به .

ولكنها سرعان ما أفاقت من شرودها وبدأت تحكي مع أمها إلى أن جاء موعد العملية.

وفي أثناء انتظارها خارج غرفة العمليات رأت أمامها بالصدفة تيمور وهو يرتدي اللبس الخاص بالاطباء، هو كان يمشي بسرعة فلم ينتبه لها ولكنها نادته وأوقفته:

-تيمور . . . !

التفت متعجبًا:

-شمس . . . !كيف جئتِ إلى هنا . . . !

-جئت لأجل عملية أمي، ولكن هذا ليس موضوعنا، هل تعمل هنا . . . ؟

-نعم هذا مكان عملي الجديد .

-ولكنك لم تخبرني .

-كنت سأخبرك على أي حال.

-حسنًا يا تيمور سوف نتحدث في ذلك لاحقًا .

ومن ثم قال لها في عجالة:

-إذا احتجت أي شيء فأنا موجود .

في المساء وبعد انتهاء العملية ظلت شمس بجوار أمها إلى أن غلبها النعاس، ولكن سرعان ما أفاقت بسبب صوت ارتطام شيء يأتي من الطابق الرابع فوقها .

حاولت أن تتجاهل الصوت ولكن الصوت ما زال يتكرر ولكن العجيب أن أمها لم تستيقظ منه، ومن ثم صوت تحريك أشياء فوقها ، صوت صرير الأَسرة مزعج للغاية، صارت تصم أذنها على أمل أنهم دقيقة وسيتوقفون ولكن بلا جدوى ، فقررت أن تخرج من الغرفة وأن تطلب المساعدة ممن في الخارج.

همت لكي تفتح باب الغرفة ولكنه لا يفتح وكأنه موصد ، ظلت تحاول مرارًا وتكرارًا ولكن بلا جدوى إلى أن قررت أن تطرق على الباب بشدة كي يأتِ من يفتح لها من الخارج، استيقظت أمها على صوتها وقالت لها بحيرة:

-ماذا بكِ يا شمس لِمَ كل هذه الضجة . . . ؟

في هذه الاثناء قد جاءت ممرضة وفتحت الباب من الخارج متسائلة بقلق:

-هل تحتاجان أي مساعدة . . . !

نظرت لها شمس وقالت بغضب:

-الباب كان موصدًا و . . .

ردت الممرضة ببساطة وهي تقلب نظرها بين شمس وأمها :

-ولكنه كان مفتوح، كيف لنا أن نغلقه تمامًا وهنالك من هم في الغرفة .

نظرت سمية بحيرة لبنتها التي سرعان ما أشاحت نظرها عنها وسألت الممرضة:

-أنا كنت أحاول أن أفتح الباب كي أسألكم لِمَ كل هذه الضجة التي تأتِ من الأعلى ، أظن أن ترتيب ونقل الأَسرة يكون في النهار لا في المساء والمرضى نيام .

قالت الممرضة والحيرة قد تملكتها :

-ولكن هذا لا يحدث في المساء نهائيًا .

قالت شمس بغضب:

-ولكني سمعت تلك الضجة الآتية من الطابق العلوي أي الطابق الرابع .

-الحقيقة أن الطابق الرابع تحدث به حاليًا تجديدات ولكنها جميعها تحدث في النهار .

مسكت شمس رأسها لا تدري ماذا تقول، فقالت لها الممرضة برفق:

-هل تحبين أن أطلب لكِ شيء تشربينه قد يكون كل ذلك بسبب الإرهاق و . . .

نظرت لها شمس بنظرة معناها أنها تريد أن تنهي الحوار وقالت:

-لا شكرًا سأجلب لنفسي بعد قليل، شكرًا لكِ.

ومن ثم عادت وجلست بجوار أمها وقالت مطمئنة عليها محاولة الهروب من هذا الموقف:

-كيف حالك الآن يا أمي...؟

-أنا بخير يا بنيتي ولكن ماذا حدث...؟

-ولا شيء يا أمي لا تشغلي بالك، المهم أن ترتاحي الآن.

وبعد أن نامت أمها قررت أن تنزل للكافتريا، قررت ألا تستخدم المصعد خوفًا أن يتكرر الموقف مرة أخرى، فنزلت السلم ولكن في الدور الأرضي مرت بجوار المشرحة سمعت صوت ينادي عليها هامسًا، حاولت أن تسرع من مشيتها وتقنع ذاتها أن هذا من شدة الاجهاد وقلة النوم.

وبالفعل وصلت للكافيتيريا وطلبت القهوة وقررت أن تجلس كي تحتسيها، ولكنها سرعان ما شعرت بالملل بسبب قلة الموجودين في المكان، فقررت أن تأخذ قهوتها وتعود لأمها.

ها هي ترشف من القهوة وبمجرد مرورها من أمام المشرحة سمعت ذاك الصوت الهامس الذي ينادي عليها، قالت في قرارة نفسها، حتى القهوة لم تعد تؤثر بي،

ومن ثم رأت باب المشرحة يفتح بشكل بسيط فقررت أن تلقي نظرة بداخلها كي تتأكد أنها يتوهم لها .

بمجرد أن دخلت رأت جثة أبيها حسن على السرير ينظر لها ففزعت ووقعت منها القهوة أرضاً وتجمدت في مكانها من شدة الرعب عندما شعرت أن هنالك يد على كتفها، ومن شدة خوفها لم تجرأ حتى أن تلتفت، ولكنها بمجرد أن سمعت الصوت استطاعت أن تلتقط أنفاسها :

-شمس ما الذي أتى بكِ إلى هنا في هذا الوقت . . . !

التفتت له وهي في حالة صدمة وهي تقول:

-لقد رأيت أبي يا تيمور و . . .

نظر لها متعجبًا وقال:

-والدك توفي يا شمس كيف رأيته . . . ؟

التفتت وهي تؤشر له على السرير ولكنها لم تجد شيء، فنظرت له مصدومة وهي تقول:

-اقسم لك كان هنا وكان ينظر لي .

ضمها وقال لها بلين :

-يبدو انك متعبة يا شمس فظننتِ ذلك .

ومن ثم سحبها للخارج وهي تحاول أن تلتفت مرة أخرى كي ترى أبيها في الغرفة قبل أن تخرج ولكنها لم تره .

ومن بعد أن خرجت تركت يد تيمور ومسكت رأسها وقالت له:

-لا أدري ماذا يجري لي يا تيمور اليوم .

-مجرد اجهاد لا تقلقي تعالي نشرب قهوة سويًا .

وفي أثناء شرودها وهي تمشي بجواره سألته:

-ولماذا أتيت للمشرحة في هذا الوقت . . . !

-أنا من سألتكِ هذا السؤال ولم تجيبيني عليه، ولكي سأجيبك، رأيت باب المشرحة مفتوح فتعجبت فقررت أن أرى من بالداخل ولكي تفاجأت عندما رأيتكِ، وماذا عنكِ . . . !

-لقد سمعت صوت يهمس لي وينادني و . . .

ربت على كتفها وقال لها:

-سنجلس قليلاً في الكافيتيريا ولكن يجب أن تصعدي بعدها وتنامين لا تجهدي ذاتك أكثر من ذلك .

(3)

بعد مرور شهر . . .

ها هي سمية توقظ شمس:

-شمس حبيبتي هيا استيقظي موعد رحلتك اقترب نحن الآن الساعة ال11 .

-ساعة وسوف استيقظ يا أمي ، أعلم جيدًا أن الساعة ال10 لأنكِ دائمًا تخدعيني .

-شمس حبيبتي هيا استيقظي مرت ساعة الآن .

-امي أنا لم أنم حتى وهذا يدل على أن الساعة لم تتجاوز ال10 وعشر دقائق .

ومن ثم قامت برفع الغطاء عن رأسها بنفاد صبر وقالت وهي تهم جالسة:

-أقول لكِ شيء يا أمي لن أحاول أن أنام ثانيةً لأني أعلم جيدًا أنكِ ستظلين تزنين فوق رأسي .

ضحكت لها أمها وقالت:

-هيا اذهبي للاستحمام والفطور سيكون جاهز .

بعد قليل ها هي شمس تتناول الفطور مع أمها باستعجال وأمها تنظر بشوق وهي تقول لها وهي تلمس يدها:

-شمس سوف اشتاق إليكِ كثيرًا، فأنتِ تعلمين جيدًا أنا لا استطيع أن أعيش من دونك.

ابتسمت لها شمس ابتسامة مكسورة وقالت:

-كلها أسبوع يا أمي، وأنا لو كان يمكن أن أقوم بالمقابلة بالهولوجرام وارسل العينات إليهم لكنت فعلت ذلك ولكن ضروري أن أكون معهم على أرض الواقع، وكلها أسبوع فقط.

-فقط، بل الأسبوع سيكون دهر بالنسبة لي، فأنت الشمس التي تنير حياتي وتشعرني بالدفء والاحتواء، ومن دونك أشعر بالجمود والحزن يسيطر عليَّ.

-يا أمي أنتِ تتحملين انشغالي في المعمل أو المستشفى طوال اليوم.

-ولكني أعلم جيدًا أنكِ ستعودين في نهاية اليوم، أعيش اليوم على أمل لحظة رجوعكِ.

ضحكت شمس تحاول أن تغير من جو الحديث الذي غيم عليه الحزن:

-لا يوجد فرق كبير يا أمي انتظري على أمل نهاية الأسبوع وستجديني بين يديكِ.

سقطت الدموع من عيني أمها وقالت بصوت مهزوز:

-أنتِ لا تعلمين كم أحبكِ وكم انتظرتك، أنا ظللت أكثر من 20 عامًا انتظر الرب أن يهبني ذرية تنمو في رحمي، ولكن لم يشأ الرب، ولم أوافق قط على زراعة الجنين في رحم روبوت لأني أشعر أن عملية الحمل بها مشاعر وترابط عميق بيني وبين طفلي، وكذلك رفضت فكرة التبني كنت أشعر بعدم وجود أي روابط أو مشاعر بينهم، وكلما نظرت لهم كانوا لا يملؤون نقصي ولا حرماني، بل تلك الفكرة كانت تجعلني أشعر بالسخط أكثر وأقول للرب لَمَ حرمتني من أن أكون أم.

لمست شمس يدها وقالت لها:

-اعرف تلك القصة يا أمي لطالما حكيتها لي وأنا مقدرة مشاعركِ تجاهي.

-أعلم اني حكيتها لكِ مرارًا وتكرارًا ولذلك أيقظتك باكرًا مخصوص لأني أريد أن أفضفض معكِ قليلًا قبل رحيلك، فأنتِ تعلمين كم ارتاح في حديثي معكِ.

أومأت لها شمس برأسها وقالت بلطف:

-وأنا كلي أذان صاغية.

-كما تعلمين أن أبوكِ حسن . . .

قاطعتها شمس بغضب وهي تشيح بنظرها:

-لا تقولي أبي فهو لم يحبني قط، الأب هو رب الاسرة والرب هو من يربي ويحب ويحتوي ويضحي ويدبر، وحسن لم يفعل أي شيء من ذلك من أجلي لذا لا يستحق أن أعتبره أب ما دام هو لم يعتبرني ابنة.

-يا عزيزتي أنتِ كل ما تحتاجين أن تعلميه كي تسامحين حسن أن تضعي نفسك مكانه، رجل عشق زوجته ولم يقرر أن يتزوج غيرها وقبل قرارها بالانتظار كل ذلك فقط لأنه يحبها، وفي يوم قلت له أني أريد أن أذهب للبحر هو حذرني لأنه قبطان كما تعلمين.

قالت شمس باحتقار:

-وما دخل القبطان بالطقس، كل الأجهزة تخبرنا وتحذرنا من حال الطقس، لا أدري لما تبالغين في مدحه.

-أقصد انه يعلم حال البحر و . . .

قالت شمس بضجر:

-أمي هل ستجعليني أتأخر من أجل الحديث عن هذا الرجل . . . !

-لا يا عزيزتي بل أريد أن أحكي لكِ شيء لم احكه لكِ من قبل .

تنفست شمس الصعداء وحاولت أن تمالك أعصابها وتتحمل هذا الحديث من أجل أمها :

-حسنًا يا أمي قولي ما شئتِ ولكنكِ يمكنكِ أن تكوني معي في اتصال بالهولوجرام و . . .

-لا أنا لا أحب هذه التقنيات الخاصة بكم أيها الجيل الحديث، لا يوجد أجمل من النقاش وجه لوجه .

-كما تشائين يا أمي ، آه لقد فعلت لكِ خاصية الرد المباشر على اتصالاتي في أي وقت كي اطمئن عليكِ .

-حسنًا يا بنيتي ولكن قبل أن ترحلي علميني كيف اتصل بكِ بالهولوجرام .

تنفست شمس بضجر :

-يا أمي علمتكِ **100** مرة إلى الآن ، ولكن حسنًا سوف اعلمكِ ولكن هيا أكملي لأن وقتي أوشك على النفاد .

-يومها ذهبنا وجلسنا على الشط فأنتِ تعلمين كم أحبه وخاصة في تلك الفترة كان الحزن قد سيطر عليَّ بشدة ويومها أقنعته أن أحياناً يخطأ التنبؤ بالطقس، ظللنا هنالك وضمني كالعادة، فأنا لم أجد رجل في الحياة يحب زوجته مثل حب حسن لي .

قالت شمس متهكمة بأسى :

-آه يحبك فعلاً، لو كان يحبك فعلاً لأحبني لحبكِ لي .

-والله حسن يحبكِ لا تدري في أول لحظة ونحن كنا على الشاطئ ورأينا تلك الفقعة التي كنتِ بها، ذهب ملهوف داخل البحر وأتى بكِ إليَّ .

حينها كنت أبكي ولكن عندما رأيتكِ بكيت أكثر لأني كنت أطلب من الرب أن يكون لي طفل في تلك اللحظة وعند ظهورك في هذه اللحظة اعتبرتها إشارة من الرب بأنكِ دعوتي، ولم اعتبركِ قط مثل الأطفال الذين يمكن أن اتبناهم، بل بمجرد لمستي لكِ شعرت أنك مني، حينها حسن ضمني وبكى وسعد لسعادتي .

وسعد بكِ بشدة وتعرفين هو من اقترح عليَّ اسمكِ .

نظرت لها شمس بعدم رضا وقالت:

-والله، انتِ قلتِ كان يريد أن يسميني نور .

ضحكت أمها محاولة أن تلطف الجو وقالت:

-أي نعم اقترح عليَ اسم نور لأنك ظهرتِ لنا من وسط دائرة الشمس في البحر يا عزيزتي فكنتِ آتية من النور، ولكني قررت أن أسميكِ مصدر الضوء ذاته أي الشمس يا شمس حياتي وروحي .

وقفت شمس وقالت في استعجال وهي تضغط على الزر الموجود بجوار عينها فظهرت أمامها شاشة فاختارت منه الملابس التي سترتديها للسفر:

-ها أنا يا أمي قد استمعت لكِ ولم تقولي لي شيء جديد، سأذهب لكي أجهز الآن .

وقفت أمها بلهفة وقالت:

-بل انتظري يا عزيزتي، عندما وجدتكِ أول مرة كان حول عنقكِ تلك قلادة، ها هي .

اخرجتها من جيبها وهمت كي تحاول أن تلبسها إياها، ولكن شمس ابتعدت وقالت:

-يا أمي أنتِ تعلمين أنا لا أحب ارتداء هذه الأشياء .

-أرجوكِ ارتديها فقط لأجل الحماية فعليها اسم الله .

-حاضر يا امي كما تشائين .

ومن ثم ذهبت مسرعة لكي تجهز وبعد أن جهزت واستعدت للرحيل، ودعتها أمها بكاء شديد ، فقالت لها شمس وهي تمزح معها :

-أمي السفر لمدة أسبوع فقط وسوف أطمئن عليكِ من حين لآخر .

ضمتها أمها بقوة وقالت:

-لا أدري يا بنيتي قلبي يؤلمني على فراقك هذه أول مرة ولا استطيع تحمل فكرة بعدكِ عني ، وأريد أن أقول لكِ شيء لطالما أردت أن أخبركِ به كي أرتاح.

أخرجت شمس نفسها من حضنها وقالت وهي تهرب لأن الدموع ملأت عينها ولا تريد أن تبكي هي أيضاً مع أمها :

-سأتصل بكِ حال وصولي للمطار يا أمي .

ومن ثم صوتها أتى من أسفل الدرج وهي تقول: -أحبكِ يا أمي . . .

وقفت سمية وهي تنظر لها بأسى والدمع ينهمر من عينها : -وأنا احبكِ يا بنيتي .

ها هي شمس وصلت لندن وكان ينتظرها في المطار دكتور توماس، رجل في الستين من عمره شعره فضي مهندم وجسمه رياضي فيظهر عليه أنه أصغر من سنه بكثير، ضمها إليه بحنو رهيب وهو يقول لها:

-وأخيرًا تقابلنا يا شمس.

-تشرفت بلقائك يا دكتور توماس، يبدو أن أمي عندها حق، المقابلة في الحقيقة لها طعم أخر.

أخذها من يدها وهو يبتسم قائلًا:

-وعلى سيرة الطعم هيا بنا نتناول الغداء سويًا.

ضحكت له شمس وهي تقول ممازحةً إياه:

-ولكن على حسابك أكيد.

نظر لها بتمثيل رد فعل رجولي وهو يمزح معها:

-أتظنين أنني أجنبي...؟ أنا عربي الصفات، فأنتِ لا تعرفين قصتي مع العرب بعد وماذا تعلمت منهم.

ظهرت معالم الحماسة على وجه شمس قائلة:

-يبدو أن لدينا الكثير لنقوله اليوم.

-أعدكِ ستكون إجازة ممتعة وستكررينها مرارًا وتكرارًا.

-هههه، أمي تركتني أذهب هذا الأسبوع بطلوع الروح فما بالك بتكرار هذه الزيارة.

غمز لها دكتور توماس وقال لها بثقة:

-دعيها لي المرة القادمة وأنا سوف أقنعها بطريقتي.

ضحكت شمس وقالت له:

-أمي امرأة تجاوزت السبعين أيها الدكتور العازب.

رتب ياقته وهو يقول بثقة:

-العمر مجرد رقم، والشباب شباب الروح لا السن ، سوف اثبت لكِ ذلك.

-بخصوص الشباب الدائم هيا بنا لكي نتناقش في البحث بعد الغداء.

قال لها وهو يدخل سيارته التي وقفت أمامه ذاتيًا بمجرد اقترابه منها:

-لا اليوم اتركِ نفسكِ لي ومن الغد سوف نبدأ في الجد.

وفي المساء وصلت شمس إلى غرفتها في الفندق وقد أوصلها دكتور توماس ومن ثم قال لها بحيرة:

-لقد جذبت انتباهي قلادتك.

لمستها شمس وقالت:

-أمي اعطتها لي هذا الصباح.

-هذه السلسلة لقد رأيت مثلها من قبل مع صديقة لي.

تثأبت شمس وقالت ناعسةً:

-في الغد احكي لي عنها، لأني لم أعد استطيع أن أقف على قدمي أكثر من ذلك.

ضحك دكتور توماس وقال:

-صدقيني أنتِ أول من تحتاجين هذا الاكسير أيتها العجوزة.

همت بفتح باب الغرفة ببصمة وجهها لأن في الاستقبال أثناء الحجز يتم تسجيل الوجوه المسموح لها بفتح الباب خلال فترة محددة.

وقالت له بصوت ناعس وهي تضع يدها على فمها متثاءبة ثانيةً:

-تصبح على خير يا دكتور توماس . . .

من ثم ابتسم لها وودعها . . .

وبعد أن غيرت ملابسها حاولت أن تتصل بأمها ولكن بلا جدوى، حاولت أن تفتح برنامج المراقبة كي ترى أمها ولكنه لم يعمل معها، قالت في قرارة نفسها:

-قد يكون ذلك بسبب عيب في الشبكة عندي أو عندها المهم أن أرتاح الآن فأنا متعبة للغاية وفي الغد سأكلمها .

***

(5)

في الصباح استيقظت شمس على أمل أن تجد رسالة أو مكالمة من أمها ولكنها لم تجد أي شيء يساعدها في الوصول إليها .

بدأت تستعد للمقابلة ولكن عقلها شارد بأنها تريد أن تطمئن على أمها ، جهزت حقيبتها التي تحتوي على الأكسير وكل ما يثبت بحثها العلمي .

ومن ثم ها هي قد وصلت للكافية الذي اتفقا هي ودكتور توماس أن يحتسيا فيه القهوة قبل الذهاب للمعمل .

وبمجرد أن دخلت رفع شاب نظره عليها مندهشًا وناداها :

-دكتورة شمس . . . !

التفتت له متعجبة وسرعان ملامح التعجب تحولت لترحيب:

-أهلًا تامر ، كيف حالك .

أشار لها كي تتفضل وهو يرد عليها :

-أنا بخير الحمد لله .

فهمت اشارته ولكنها رفضت بلباقة:

-أعذرني أنا لدي مقابلة مع دكتور، أنت تعلم أني أود أن أجلس معك ونتحدث .

امسك يدها واجلسها :

-على الأقل اجلسي معي إلى أن يصل .

ابتسمت له وتخلت عن إصرارها وقالت:

-حسنًا يا اخي الصغير، ها قل لي ماذا تفعل هنا . . . ؟

-ألم يقل لكِ تيمور أني أدرس هنا . . . ؟

ضحكت وقالت له:

-أعلم أنك تدرس هنا ، ولكن لَم أنت في هذا الكافية، هل تنتظر أحد ؟

-لا بل أحب أن أجلس بمفردي أحتسي مشروبي ، ها قولي لي ماذا عنكِ . . . !

-ألم يخبرك تيمور . . . ؟

ضحك متهكمًا :

-تيمور ليس له وقت إلا بسيادتك غير ذلك فهو دائمًا مشغول .

-حسنًا سوف أصدقك، لقد جئت إلى هنا كي أناقش بحثي وأثبت اكتشافي .

-وما هو هذا الاكتشاف ايتها العالمة . . . ؟

هنا دخل دكتور توماس ووضع يده على كتف شمس فالتفتت له فقال لها :

-لا تضيعين وقتك حالاً ما كونتِ صداقات .

وقفت وسلمت عليه وقالت وهي تؤشر على تامر كي تعرفه عليه:

-بل أنا أعرفه بالفعل، إنه المهندس تامر أخ صديقي الدكتور تيمور .

سلم تامر على دكتور توماس وهو ينظر لشمس غامزًا لها :

-صديقك تيمور . . . ؟ صديقك فقط .

وكزته شمس واخذت بيد دكتور توماس محاولة الهرب من الموقف الذي وضعت به:

-هيا يا دكتور توماس لدينا الكثير لنتكلم عنه سويًا .

-حسنًا ولكن في المعمل بينما هنا لنتناول الفطور ومن ثم نحتسي القهوة ومن ثم نذهب لكي تكتبي اسمك في التاريخ .

قال لها تامر بلهفة قبل أن تذهب:

-شمس اتصلي بي كي نكون سويًا بعد انتهائك من العمل مع دكتور توماس .

أومأت له شمس أي موافقة ومن ثم جلست هي ودكتور توماس بمفردهما، ومن حين لأخر تجد تامر يحملق بها وكلما رأته يبتسم لها .

وفي المساء حاولت شمس أن تصل لأمها ولكن بلا جدوى فالقلق غزا قلبها، فسألها دكتور توماس:

-ماذا بكِ يا شمس هل تعبتِ اليوم يمكن أن نكمل مناقشة في الغد .

-لا بل من الأمس وأنا لم أتمكن من الوصول لأمي، أنا قلقة عليها بشدة .

-لا تقلقي انتظري لنهاية اليوم وأكيد ستتواصل معكِ .

-لو لم أتمكن من الوصول إليها اليوم سوف أضطر للسفر إلى مصر في الغد .

نظر لها متعجبًا مصدومًا :

-والبحث والمناقشة مع العلماء الذين اتفقت أن تقابليهم و . . .

-أمي يا دكتور توماس، أمي التي قمت بهذا الاختراع من أجلها، هي أهم عندي من أي مقابلة .

-حسنًا دعينا لا نستبق الأحداث، المهم أن تقومي الآن كي ترتاحي، وأنا كنت أريد أن أعزمك على العشاء ولكني أعرف أنك قبلتِ موعد تامر .

قالت مندهشة:

-أوه تامر، لقد نسيت أمره، لقد ذكرتني أن أتصل به كي يأخذني .

بعد قليل جاء تامر لكي يأخذها بسيارته الطائرة، ولكن بمجرد أن ركبت السيارة وهو يقول لها:

-أهلا يا شمس . . .

كانت هي في هذه اللحظة قد ردت على الهاتف فظهر هولوجرام تيمور وهو يقول منفعلًا:

-أين أنتِ يا شمس . . .

أشارت بمنتهي البرود وقالت:

-ها أنا مع أخيك تامر .

-يعني تخرجين وتكونين مع تامر وأنا من الامس لم تردي عليَّ .

-لقد وصلت بالأمس ومنذ وصولي كنت مع دكتور توماس، وفور وصولي للفندق نمت من شدة التعب .

-وفي الصباح لم تكلفي نفسك حتى أن تتركي رسالة كي تجعليني اطمئن عليكِ .

-صدقني ليس لدي وقت، المهم أنا قمت بالرد الآن لأني لم أتمكن من الوصول لأمي ، هل يمكنك أن تذهب لكي تطمئن عليها وتقول لي سبب تعطل الاتصال .

-حسنًا ولكن بمجرد رجوعك للفندق اتصلي بي أريد أن أتحدث معكِ .

فأقترب تامر وقال ممازحًا :

-على الأقل قل أهلًا يا أخي ، وأم كل الاهتمام لحبيبة القلب .

لم يرد عليه تيمور وقال:

-في انتظارك يا شمس .

ومن ثم أغلقت المكالمة فقال لها تامر:

-أرأيتِ لا يهتم بأحد سواكِ .

أومأت له برأسها وبالكاد ابتسمت له ومن ثم قال لها :

-سوف اعزمكِ على مكان سيعجبك الأكل فيه جدًا .

وبمجرد أن نزلا من السيارة مر بجوارها شخص ملثم وسحب حقيبتها بشدة فارتمت أرضًا ومن ثم طار بحذائه النفاث، فصرخت وقالت:

-تامر، الحق به، لقد سرق الحقيبة التي بها البحث.

أوقفها وضمها إليه وقال لها:

-هل أنتِ بخير...

-قالت له بحزم برغم الألم:

-أنا بخير ولكن الحق به بسرعة أرجوك.

قال لها:

-سوف الحق به ولكن انتظريني أنتِ في المطعم.

اقتربت من السيارة وقالت بحزم:

-مطعم ماذا...! أنا أريد أوراقي حالًا.

وبالفعل ركبا السيارة وحلقا بأقصى سرعة وسرعان ما رأى الشخص الملثم، ولكنه سرعان ما نزل أرضًا ودخل في حارة ضيقة لم تتمكن السيارة من الدخول بها فأوقفا السيارة وأخذا يبحثان عنه في كل زقاق ولكن بلا جدوى، ومن ثم جاء صوت اشعار لتامر فنظر لها مصدوم، فقالت له شمس وهي تلهث:

-ماذا ستفعل الآن يا تامر...!

ولكنها لم تكمل كلامها إلا وشعرت أن هنالك من ضربها بإبرة وقبل أن تنظر حولها لترى من ضربها بدأت رؤيتها تختفي شيئاً فشيئاً ومن ثم سقطت أرضاً .

***

ها هي شمس تستيقظ تجد نفسها في غرفة لا تشبه غرفتها في الفندق، فقررت أن تخرج من الغرفة لكي تفهم الوضع.

ولكنها بمجرد أن حاولت أن تفتح الباب كان الباب موصدًا فبدأت تصرخ وتقول:

-افتحوا الباب، هل يوجد أحد هنا . . .

ولكن لم يأتها رد، فحاولت أن تنظر من النافذة ولكنها كانت في مكان اشبه بغابة، فكرت بأن تهرب من النافذة ولكنها خافت أن تكسر قدمها لأنها في الدور الثاني.

فعادت مرة أخرى تنادي ولكن بلا جدوى، حاولت أن تتصل بتيمور أو دكتور توماس ولكن الاتصال كان معطل تمامًا.

ظلت تبكي وتصرخ إلى أن نبحت صوتها، وبعد قليل ظهر أمامها شخص ملثم فنظرت له بخوف وهو يقدم عليها بخطوات ثابته ومن ثم قال لها:

-يجب أن تعرفي أني لا أريد أن أؤذيكِ. . .

قالت له والخوف قد سيطر عليها وهي تكبح دمعها:

-إذن دعني أرحل من هنا، أريد أن أذهب لأمي كي أطمئن عليها .

نزل من وقفته واقترب منها وقال وهو يمسح على شعرها :

-حسنًا إذا كنتِ تريدين الذهاب لأمكِ أعطيني ما أريده منك .

ازداد خوفها وزحفت إلى الوراء وقالت:

-ماذا تريد مني . . . !

ضحك متهكمًا وهو يقترب منها ويضع يده على رأسها وبالأخص على الجهاز الملحق في رأسها :

-ما أريده منكِ هنا، هنا فقط .

قالت له بمنتهى الثقة وكأنها شعرت أنها ستتمكن الخروج من المأزق:

-كل ما أعرفه في الحقيبة التي سرقتها مني .

وقف وقال متهكما :

-وهل تظنين أني إذا كنت وجدته في الحقيبة لكنت أتيت بكِ إلى هنا . . . !

قالت له بمنتهى الثقة:

-اقسم لك كل ما يخص البحث موجود في الحقيبة صدقني .

قال بغضب:

-أين الاكسير . . . ؟

قالت له ببلاها :

-عن أي أكسير تتحدث . . . !

اقترب منها ومسكها من شعرها وقال بحزم:

-أكسير الحياة أين هو . . . ؟

قالت له متألمة:

-مع دكتور توماس، لقد سلمته له .

من ثم فك قبضته عنها ووقف يقول للرجل الضخم الواقف أمام الباب:

-اجلبه من الغرفة المجاورة .

ظهر أمامها دكتور توماس وهو مقيد اليدين ، وتم إغلاق فمه بلاصق، فأقترب منه وقام بإزالة اللاصق من على فمه وقال له:

-هيا اعترف، أين الأكسير، انها تقول انه معك .

اقسم له دكتور توماس بتوتر:

-اقسم لك أنها لم تعطني شيء، حتى الأبحاث معها، هي لا تثق في أحد من الأساس.

ظلت شمس تنظر له بذهول وقالت:

-دكتور توماس، لم أتوقع أبدًا أن تكذب...

قال الرجل الملثم بضجر ونفاد صبر:

-كفوا عن أداء هذه المسرحية...

صرخت شمس وقالت وهي تهم واقفة:

-أقسم لك أني لا أكذب، الأكسير مع دكتور توماس، أرجوك دعني أرحل من هنا أريد أن اطمئن على أمي.

امسكها من يدها وسحبها ومن ثم ألقاها أرضًا وقال:

-دخول المكان ليس مثل خروجه أيتها العالمة...

قالت له متألمة من أثر السقطة:

-صدقني لا أملك ما تريده أقسم لك...

قال لها بتحدي:

-أمامك فرصة يوم بطوله أن تقول لي أين الأكسير، أو تصنعيه لي .

بكت شمس وقالت:

-صنعه مستحيل . . .

قال متهكمًا وهو يهم بالخروج:

-ما دام صنعته مرة سوف تتمكني من صنعه مرة أخرى .

بكت شمس بانكسار وقالت:

-الأمر ليس كما تظن . . .

التفت لها قبل أن يغلق الباب وقال:

-آه نسيت، إن لم تقرري أن تبوحي وتقولي أين الأكسير أو تصنعيه لي سوف أضطر أن أفعل شيء سوف يجعلك تندمين باقي عمركِ .

ومن ثم أغلق الباب وراءه، فظلت تبكي وهي تصرخ وتقول:

-أقسم لك ليس معي، بل مع دكتور توماس، اسألوا دكتور توماس واطلقوا صراحي، أرجوكم . . .

ظلت تبكي إلى أن غلبها النعاس، وبعد عدة ساعات استيقظت، كان الظلام ما زال سائدًا، نظرت من النافذة مفكرةً هل تلقي بنفسها منها أم لا، إلى أن قررت أن تقفز، ولكنها عندما فكرت أن تفتح النافذة كانت مغلقة وغير قابلة للفتح، فقررت أن تستخدم الليزر الملحق في الجهاز الموجود بجوار عينها، لطالما تسألت فيما سوف تستخدمه عندما اشترته، وها قد آن الأوان بعد أن تأكدت أن الغرفة ليست مراقبة، بدأت تحرك الليزر على حافة الزجاج بشكل مربع وحركة الرياح ساعدتها أن تلقي باللوح اتجاهها لا باتجاه الخارج، فالتقطت اللوح الزجاج برفق على صدرها ووضعته أرضًا ولكن الزجاج كان ما زال ساخنًا من أثر الليزر فاحترقت يدها، ولكن لا يوجد وقت للتألم، من ثم سحبت مفرش السرير والستارة وقامت بربطهما في طرف السرير فهي لم تجد شيء أخر تربط به، وتمنت أن تساعدها خفة وزنها في عدم تحريك السرير فيصدر صوت.

قبل أن تبدأ قررت أن تأخذ حافظات الوسائد وتضعها على يدها وقدمها قبل أن تقف على حافة النافذة التي ما زالت به حافة زجاجية، وكي تفعل ذلك قررت أن تقطع الحافظة بيدها ولكن صدر صوت، فانتبهت وتوقفت في تلك اللحظة سمعت صوت خطوات في الخارج، تمنت ألا يأتِ إليها، وبالفعل لم يأتِ أحد.

ومن ثم قررت أن تقطع بالليزر ولكنه كان يحرق القماش فكانت سرعان ما تضع يده عليها كي لا تأكله النار، وقامت بلف القماش على كفيها وقدميها، حينها تمنت لو

كان حذائها النفاث معها لكان الأمر أسهل بكثير ولكن الخاطف أخذ كافة الاحتياطات.

وها هي بمجرد أن مسكت بطرف الملاءة كي تنزل من النافذة بدأ السرير يتحرك شيئًا فشيئًا مصدرًا صريرًا، فهنا قررت أن النزول ببطيء لن يفيدها فسحبت نفسها سريعًا لأسفل فهذا أصدر صوت أعلى بكثير.

هنا هم الحارس لدخول الغرفة مسرعًا ففهم ما حدث فأستخدم حذائه النفاث كي يلحق بها من النافذة، ها هي تجري في الغابة المظلمة لا تدري إلى أين هي ذاهبة، ولكنها تحاول جاهدةً أن تتصل بتيمور، ولكن لم تتمكن من الاتصال، ما زالت تحاول وتحاول، والحارس في السماء يبحث عنها ولكنه لا يراها جيدًا حينها قرر أن يفعل الرؤية الليلية ولكنها لم تفيده لأن الأشجار تخبيء أغلب المكان، فقرر أن يفعل الرؤية الحرارية وقد كان لقد استطاع أن يعرف مكانها وهم بإمساكها ولكن قبل تلك اللحظة كان الاتصال قد بدأ، وبدأت تسمع صوت رنين، ولكن بمجرد أن امسكها كان تيمور قد رد ولم تقل شيء سوى:

-ساعدني يا تيمور أنا . . .

هنا كان الحارس قد اغلق المكالمة، وقام بإعطائها حقنة منومة.

***

ها هي شمس تستيقظ فتجد نفسها في ذات الغرفة التي كانت بها منذ قليل، وتنظر للنافذة وتجدها قد أغلقت بمادة فولاذية، فنظر لها الرجل الملثم وقال لها:

-هذه المرة من فولاذ قوي يحتاج أدوات خاصة لقطعه كي لا تستطيعين الهرب...

حاولت أن تتحرك من نومتها، فضحك وقال:

-لن تستطعين القيام يا عزيزتي لأنك مقيدة كما ترين، ها سأبرم معكِ اتفاق، افك قيدكِ وتدليني على الأكسير أو تصنعيه لي، أم ستجعليني أضطر أن أسحب الجهاز من عقلك تمامًا وتكونين بلا ذاكرة...

بدأت تبكي وتحلف له:

-صدقني ليس معي أقسم لك...

التفت لدكتور توماس وقال له:

-حسنًا يا دكتور توماس فلبتبدأ بسحب ذاكرتها...

نظرت له شمس باكية:

-دكتور توماس اعطه الاكسير أرجوك ودعني أرحل من هنا...

بكى دكتور توماس وقال:

-لم تعطني شيء يا شمس، لو كنت أخذته لما كنت جعلت الأمور تصل لهذه المرحلة.

بكت شمس أكثر وقالت:

-لم أكن أتوقع أن تكون كاذب وتغدر بي يا دكتور توماس لم أتوقع ذلك.

من ثم قال الرجل الملثم بحدة لدكتور توماس:

-هيا قم بتخديرها وسحب جهاز الذاكرة الخاص بها، يبدو أنها لن تتوقف عن التمثيل و سوف تضيع وقتنا.

اقترب منها دكتور توماس ويظهر على وجهه ملامح الندم ومن ثم وكزه الرجل الملثم وقال بعنف: -هيا ليس لدينا وقت لهذه الدراما.

ومن ثم قام دكتور توماس بتجهيز حقنة التخدير، تنظر له شمس والدموع تنهمر من عينها ولم تقل له شيء هذه المرة فنظرة عينها قالت كل شيء بداخلها تجاهه، وبمجرد أن قام بغرس الحقنة في يدها سمعوا صوت اقتحام وقتال بين الحراس في الخارج وسرعان ما دخل الغرفة أربعة رجال ضخام ومعهم رجل خامس وبمجرد أن دخل الغرفة همست شمس وهي تفقد الوعي: -ت...

فتحت شمس عينها وهي تشعر بالدوار فوجدت نفسها في سيارة مع تيمور وقالت:

-تيمور، ماذا حدث...؟

التفت لها وقال بلهفة ويلمس شعرها:

-حمد لله على سلامتك يا حبيبتي، أخي تامر اتصل بي كثيرًا وقال لي أنكِ تعرضتِ للاختطاف، فقمت بالسفر إلى لندن وظللنا في انتظار اشارة كي نجدكِ إلى أن جاءني اتصالكِ وعرفت موقعك وجئت كي أنقذكِ.

ابتسمت له شمس وهي ما زالت تشعر بالدوار:

-يعني عرضت حياتك للخطر من أجلي يا تيمور!

لمس خدها وهو يقول لها:

-أنا أرمي نفسي في النار من أجلكِ يا شمس، أنتِ لا تتخلين كم أحبكِ.

وفي هذه اللحظة انقلبت الموازين خرجت السيارة عن السيطرة وسقطت من عل.

(9)

شمس تفتح عينها تجد نفسها في مستشفى ، تنظر لكل شيء بحيرة وعدم استيعاب

فقتربت منها الممرضة وبابتسامة قالت لها :

-حمدًا لله على سلامتك، الله يحبك فلقد كتب لك عمر جديد .

نظرت لها شمس وقالت:

-ماذا حدث . . . ؟ وأين أنا . . . ؟

-لقد فقدت سيارتك السيطرة فسقطت أرضاً كان حادث أليم ولكنك نجيتِ منه بأعجوبه .

نظرت لها شمس بحيرة أكثر وقالت:

-ولكن أين أنا أو بالأصح من أنا . . . ؟ أشعر أني لا أتذكر شيئًا .

اقتربت منها الممرضة وقالت بلين :

-اصابتك كانت شديدة وكنتِ في غيبوبة لمدة يومان واضطررنا لإزالة جهاز الذاكرة

والتواصل لأنه تعرض للتلف أثناء الحادث .

بدأت الدموع تنهمر من عيني شمس وقالت:

-وكيف لي أن أعرف من أنا وكيف كانت حياتي كيف . . . ؟

دخلت هنا الطبيبة وقالت برحابة:

-حمدًا لله على سلامتك، أووووه لماذا تبكين . . . ؟

لم ترد شمس بسبب الغصة التي تشعر بها فأوضحت لها الممرضة وقالت مطمئنة إياها:

-نحن كنا في انتظار افاقتك كي نقوم بتصويرك ورفع صورتك والفيديو الخاص بحالتك وأكيد أقاربك سوف يتواصلون معنا .

وفي المساء سمعت شمس من يطرق بابها فسمحت له بالدخول، فكانت الممرضة وقالت لها:

-يوجد من يريد زيارتك .

فأومئت لها شمس كي يتفضل وهنا دخل دكتور توماس .

بمجرد أن رأته شمس لم يظهر على ملامحها سوى ملامح التعجب وهي تحاول أن تتذكر من أمامها ، وهنا قطع تساؤلاتها الداخلية الكثيرة وقال:

-شمس، بنتي العزيزة حمدًا لله على كونك بخير .

وهم كي يضمها ، وهنا قالت شمس بتعجب:

-أنت أبي . . . ؟

اخرجها من حضنه وقال لها بحنو وهو يجلس على الكرسي المجاور لسريرها :

-لا يا حبيبتي ، لستِ ابنتي .

قالت له بتعجب وصل لمرحلة الانكار وقالت:

-لا تقل لي أني زوجتك . . . !

ضحك دكتور توماس وقال:

-هههههه، لا لست أنا من أحب من هن في عمر بنتي إذا كنت تزوجت .

قالت له بحيرة ونفاد صبر:

-حسنًا من أنا ومن أنت، وأين أنا ، أنا لا أعرف ولا أفهم شيء . . . !

ربت على يدها وقال لها بهدوء:

-سأحكي لكِ كل شيء يا شمس ولكن تحلي بالصبر .

حكى لها بداية تعارفهما ومشروعها واختراعها وسفرها من مصر إلى لندن

واختطافهما وقال:

-وبمجرد أن خدرتك دخلوا مجموعة من الرجال الضخام وقاموا بضربي وفقدت

الوعي ، وبعد فترة استيقظت وجدت نفسي في البيت الذي تم اختطافنا به،

وجدت نفسي به بمفردي، لا وجود لأحد من أفراد العصابة الذين قاموا باختطافنا ولا العصابة التي دخلت وهجموا على الموجودين.

كنت أشعر بدوار رهيب وحاولت أن اتمالك نفسي وخرجت ومشيت في الغابة إلى أن تمكنت من الحصول على شبكة للتواصل مع سيارتي كي تأتِ لي، وطوال طريقي كل شغلي الشاغل أن أصل إليكِ ولكن لم استطع أن أتواصل معكِ ولم أحصل على إشارة.

هنا شمس اكتشفت أن حياتها لم تكن سهلة بل مليئة بالمغامرات، حينها تمنت في قرارة نفسها أن لو كانت حياتها حياة بسيطة مثل أي بنت تهتم بذاتها وجمالها وتجعل شاب يقع في شباكها وتتزوجه وتنجب وكفى، واقصى همها أن يزيد زوجها المصروف.

قاطع دكتور توماس شرودها وقال:

-شمس، هل أنتِ معي...؟

اومأت له رأسها أي نعم، فأكمل كلامه:

-حينها قررت أن أذهب للمعمل الخاص بي، ووجدته قد قلب رأسًا على عقب أكثر مما تركته بعدما هجموا عليَّ العصابة كي يخطفوني، وهذا يدل أنهم جاءوا مرة

أخرى وبحثوا في كل أركان المعمل وقد تمكنوا من الوصول للاكسير وأهم أوراق البحث، كنت أعلم أن هذا البحث لن يمر مرور الكرام وهنالك من سيمكر بنا لذا وضعته في مكان خاص في المعمل ولكنهم يبدوا يمتلكون تقنية تكشف لهم مكان ما يبحثون عنه وهم في داخل المكان .

نظرت له شمس وقالت:

-ولِمَ انكرت أن الاكسير معك، لِمَ قلت لهم أن الاكسير معي وأنت تعلم أنك بذلك تعرضني للخطر . . .

لأني أعلم أنهم خونة وسوف يغدرون بنا وقد يؤذونك في كل الحالات .

-ولكن من فعل بي كل ذلك، وما الدافع كي يؤذيني شخصيًا . . . ؟

نظر لها دكتور توماس نظرة توحي بكم الضياع الذي يشعر به:

-صدقيني لا أعلم و . . .

ولكن سرعان ما أضاءت فكرة في باله وقال بحماس:

-ولكن يمكنني أن أساعدكِ كي نعرف .

-ولكن كيف . . . ؟ !

وقف متحمسًا وقال:

-سأعرف من المشفى متى يسمح لكِ بالخروج وسوف أقول لكِ كل شيء .

بعد قليل دخل عليها دكتور توماس وقال لها وقد اختلطت ملامح الفرحة والحيرة في آن واحد :

-شمس يمكن أن تأتِ معي الآن، ولكن كيف . . . ؟

نظرت له شمس وقالت:

-ماذا . . . ؟

-كيف مررتِ بهذا الحادث المروع ولم يصيبك أي مكروه . . . !

ضحكت شمس وقالت:

-هل تحسدني يا دكتور توماس . . . !

قال لها موضحًا لها وهو يقترب منها :

-ولكن كيف، جسدك لا يوجد به خدش واحد . . . !

هنا احتارت شمس بدورها وقالت:

-الطبيبة قالت لي اني كنت في غيبوبة ليومين وجهاز الذاكرة تلف من أثر

الحادث.

فقال لها دكتور توماس بعدم اقتناع:

-وهل هذا كلام يقنع طفل صغير، كيف اقنعك أيتها العالمة...؟

قالت شمس وهي تهم من سريرها:

-شكلك أنت من فقدت الذاكرة لا أنا، أنسيت أني لا أتذكر شيء عن هويتي وحياتي...؟

اومأ لها بدون أن يتكلم وكأنه شارد في عالم أخر، فقالت له:

-فمَ تفكر، هل تريد أن تذهب وتسأل الطبيبة القائمة على حالتي...؟

قال لها بثقة وحزم:

-لن تقول لي شيء سوى ما قالته لي ولكِ، وأنا سوف أعرف بطريقتي.

-ولكن كيف...؟

-ستعرفين بعد قليل...

***

في بيت دكتور توماس ها هو يتناول العشاء مع شمس ومن ثم قال لها :

-هيا سأكشف لكِ عن شيء لم أقل عنه لأحد طوال هذه السنوات .

قالت له بدهشة:

-وما هو هذا الشيء . . . ؟

سحبها من يدها بلهفة وقال لها :

-سوف ترين بعينك الآن . . .

ومن ثم دخل غرفة مكتبه ومن ثم مسك برواز موضوع على المكتب فقالت له شمس:

-هل هذه الصورة هي التي تريدني أن أراها . . . ؟

قال لها توماس بثقة:

-بالطبع لا ، ما زلتِ كما أنتِ، لا تعرفين الصبر بتاتاً ، فكم تشبهينها .

اقتربت منه شمس وسألته:

-هل هذه صديقتك التي حكيت لي عنها وأنا في المشفى . . . ؟

التمعت عينا توماس وقال:

-نعم، أنتِ تشبهين فريدة كثيرًا .

-هل هي عربية كذلك . . . ؟

ابتسم وقال لها:

-ألم أقل لكِ أن لي تجارب مع العرب وسوف أحكي لكِ .

قالت شمس بثقة وغيرة انثوية، فالمرأة مهما كانت لا تحب أن يتم تشبيهها بامرأة أخرى ولو يوجد شبه يجب توضيح بأنها أجمل بالتأكيد :

-بصراحة أنا أجمل، هي أشبه بالرجال، و . . .

قاطعها توماس بجدة وقال:

-أولًا هذه صورتنا ونحن مراهقين فلا تحكمين عليها بأنها تشبه الرجال، بل شخصيتها ليس لها مثيل، وفي هذه الصورة كنا في رحلة ومغامرة، أظن أنه من غير المناسب أن ترتدي مثلًا فستان أو تهتم بوضع طلاء الأظافر في وقت كهذا .

-مهلًا مهلًا يا دكتور توماس لمَ كل هذا الدفاع عنها . . .

أشاح بنظره وهو يحاول أن يتمالك نفسه وكي لا تسقط دمعة من عينه وقال:

-ادافع عنها لأني لم أجد مثلها قط في حياتي ، فريدة اسمها وكانت فريدة بالفعل في كل شيء ليس لها مثيل، وأنا من حبي لكِ أشبهكِ بها .

قالت له بحيرة:

-هل تحبني يا دكتور توماس . . . ؟

نظر لها ومن ثم نظر من جديد إلى الصورة وقال:

-أحبك أكيد ، ولكن حبي لكِ كحب أب لبنته، بينما حبي لفريدة كان حبي الأول والأخير .

غمزت له شمس وقالت مداعبة إياه كي تغير جو الحديث قليلًا :

-هل تريد أن تقنعني أن دكتور وسيم مثلك ليس له أي تجارب في الحب سوى الست فريدة هذه . . . !

جلس على الكرسي الموجود بجوار المكتب وقال وهو يهيم عشقًا بتفاصيل فريدة في الصورة:

-من جرب حب فريدة لن يذوق حب مثل حبها ، أتعرفين حب فريدة مثل ماذا . . !

أومأت له شمس أي لا كي يكمل كلامه:

-أكل الأم.

ضحكت شمس بشدة، فقال لها موضحًا:

-لَمَ تضحكين، مهما نأكل من أمهر الطهاه يظل أكل الأم لا مثيل له، ومهما يمر العمر لا نجد نفس طعم أكل الأم في مكان آخر، فها أنا ظللت أبحث عن طعم الحب مثل الذي ذقته في حبي لفريدة ولم أجده ويمكنني أن أقسم لكِ أني لن أجد مثله أبدًا.

جلست شمس أمامه وقالت بعدم اقتناع:

-ولَمَ أنت واثق هكذا . . . ؟

-لأن الفكرة بأولوية الشيء، تجربة الشيء لأول مرة لا تنسى، الفكرة الأولى عن الحب والاعجاب تكونت بداخلي تجاه فريدة تخيلي هذه الفكرة سنين ترسخت في عقلي أن الحب لفريدة، الانجذاب لفريدة، مستقبلي لفريدة، لذا عقلي تبرمج على حبها، وحتى عندما أجرب أن أخوض تجربة حب مع امرأة غيرها حينها أكون ابحث عن فريدة بهن، ولكن للأسف لم أجد من تعوضني عنها.

-لذلك مهتم لأمري لأني أذكرك بها .

-بصراحة أنا التمس بكِ شيء من ريحها ولكن فريدة ذاتها أيقونة صعبة التكرار .

قالت شمس وهي تتصنع الضجر ممازحة إياه:

-يا ربي ، كله فريدة فريدة فريدة، ساحرة لك أكيد ، أنا عربية مثلها وأقول لك نحن نفعل ذلك .

ضحك وهم واقفًا وقال:

-نظرة عيونكم العربية وشخصيتكم كفيلة أن تسحر وتسيطر على أي قلب وتتحكم به .

-حسنًا هيا قل لي ماذا كنت تريد أن تريني . . . ؟

نظر لها ومن ثم لمس الصورة لمدة ثواني فتم إضاءة علامة بصمة على زجاج الصورة ومن ثم تحرك المكتب فكشف عن سطح معدني تحت السطح الخشبي للأرض، وهنا شمس تنظر بذهول له فقام بخلع حذائه فسألته:

-ماذا تفعل . . . ؟

فقال لها متهكمًا:

-أكيد لا استعد لكي أتوضأ وأصلي فأنا مسيحي كما تعلمين .

ضحكت شمس ومن ثم ركزت معه فقام بلمس مكان معين بصمة قدمه ففتح المكان، فانكشف سلم معدني يأخذهم لمكان سري، نزل السلم فتبعته شمس و من ثم بمجرد نزولها قالت له:

-ألم يكن بمقدورك أن تخبأ الأوراق المهمة والأكسير هنا . . . ؟

استمر دكتور توماس في المضي قدمًا وهو يقول لها بثقة:

-وهل تظني أني لم أكن أنوي ذلك، بالفعل كنت أريد أن أفعل ذلك ولكن بمجرد خروجك من المعمل قاموا بمهاجمتي تلك العصابة فلم يكن لدي وقت كي اخبئه هنا .

ومن ثم قطع كلامه بمجرد أن رأى الجهاز على المكتب وقال بلهفة:

-ها هو . . . !

اقتربت شمس وهي تهم كي تمسكه وقالت:

-ما هذا . . . ؟

-هذا جهاز السفر عبر الزمن .

-أنت من اخترعته . . . ؟

-نعم، منذ سنوات عديدة ولكني لم أرغب أن أعلن عنه .

-ولماذا، أنه سيحدث طفرة و . . .

قاطعها وقال بحسرة:

-لأنه مثلما جهاز يجمعنا بمن نحبهم أحيانًا يكشف لنا أشياء كان من الأفضل أن تظل مخفية عنا .

-مثل ماذا . . . ؟

-فريدة . . .

قاطعته شمس ممازحة إياه:

-شكلنا اليوم ليس لنا سيرة سوى الست فريدة !

ابتسم دكتور توماس ومن ثم اكمل:

-فريدة في آخر فترة كنا بها سويًا علمت أن الدكتور جون صنع لها جهاز السفر عبر الزمن كي تقابل والدها الذي فارقها، وبعد سنوات افترقنا أنا وفريدة أنا سافرت أمريكا وهي سافرت مصر وهنا اشتقت لها كثيرًا وأنقطع كلامنا وهي انشغلت في

حياتها وأنا بمجرد أن علمت أنها خطبت قررت ألا أظهر في حياتها ، فشعور صعب أن تشعر أنك تفرض نفسك على أحد ، ولكن كان لدي أمل أن تختارني في يوم ولكن بمجرد أن خطبت قررت أن انسحب، ولكن قررت أن أتحدث مع دكتور جون أن يصنع لي جهاز مثل الذي كان مع فريدة، ولكني علمت انه توفي .

فهنا قررت أن أصنع جهاز بنفسي و . . .

-وفمَ ستحتاجة يا دكتور توماس فمَ! أتريد أن تصنع جهاز كي تقابل من لم تحبك قط و هذا بدل أن تحاول أن تمحيها من ذاكرتك .

قال لها بأسى :

-الحب ادمان ، بل هو اخطر أنواع الادمان يا شمس، تعلمي الحقيقة وترينها في عين من أمامك ولكنكِ تكذبين كل ذلك وتصدقين نبض قلبك الذي ينبض لأجل من يحب، هو وحده وكفى .

اقتربت منه شمس وهي تشعر بأسى على حاله وقالت:

-ألا تريد أن تنساها بعد كل هذا .

ابتسم ابتسامة مكسورة وقال:

-اتعلمين، ذكريات حبي لها هي ما تجعلني على قيد الحياة إلى الآن، ألم أقل لكِ أن قلبي ينبض لأجلها هي وحدها .

-حسنًا وفيمَ كنت تستخدم هذا الجهاز بالتحديد . . . ؟

-كنت أرجع به إلى الماضي كي أشعر بقربها وباللحظات التي عشناها سويًا .

-ولِمَ لا تسافر للمستقبل مثلًا . . . !

-في مرة فكرت، ولكني وجدتها تزوجت، فكان السفر للمستقبل وأرى حياتها التي لا تحتوي حتى على طيفي كانت تؤلمني كثيرًا، لذا فضلت الماضي، فالماضي لطالما نشعر أنه أهون بكثير وأقل رعبًا من المستقبل الذي يخبأ لنا أشياء لا تخطر على البال.

قالت له شمس محاولة أن تغير مجرى الحديث:

-حسنًا، والآن ماذا سنفعل . . . ؟

-سنرجع بالزمن منذ أن خرجتِ من عندي في المعمل ونركز على التفاصيل.

من ثم طلب من شمس أن تضع بصمتها في الجهاز كي يكون لها صورة هولوجرامية ومن ثم لنفسه وكتب التاريخ وفي غمضة عين كانا في المعمل ولكنهما فعلا خاصية أن الاخرين لا يرونهما .

ركزا في كل التفاصيل ولكن من هجموا على المكان كانوا ملثمين وضخام البنية إلا شخص بنيته عادية وهو كان من يعطيهم الأوامر .

من ثم رجعا بالوقت وتتبعا لحظة خروج شمس من المعمل إلى أن وصلت أمام المطعم وركزا في تفاصيل الهجوم، وفي تفاصيل الشاب الملثم الذي سحب منها الحقيبة، ولكن وهما يركزان في هذه التفاصيل خطفت عين دكتور توماس ساعة تامر، ومن ثم نظر لشمس وقال لها :

-ألم تلاحظي شيئًا . . . ؟

اومأت له بانكار أي لا . . .

من ثم كتب وقت وقوع الهجوم في معمله مرة أخرى ، ومن ثم أشار لها على الشاب الملثم الذي يعطي الأوامر وقال لها بدهشة:

-انظري أنه نفس جسم تامر تمامًا بل ركزي نفس الساعة .

هنا صدمت شمس وقالت بحيرة:

-ولِمَ يفعل ذلك. . . ؟ لِمَ!

ومن ثم قطع دكتور توماس تساؤلاتها وقال لها وهو يكتب عنوان المكان الذي تم اختطافهم به:

-لا تعجلي سوف نربط الخيوط ببعضها وسنعلم كل شيء .

وهنا ركزا ووجدا نفس الشخص بنفس الساعة، ومن ثم تتابعت الاحداث ولكنهما قاما بتعديل السرعة فصارت الأحداث تتوالى سريعًا إلى أن جاءت لحظة الاقتحام من العصابة الأخرى، فأسقط الرجال المقتحمين من موجود بالغرفة إلى أن جاء الدور على دكتور توماس وسقط مغشي عليه ومن ثم، التفت الشاب الذي دخل مع العصابة التي قامت بالاقتحام قام بالاقتراب من شمس التي همست: ت. . .

وأغمى عليها ومن ثم اقترب من تامر ورفع القناع عن وجهه وهم واقفًا:

-هيا يا أخي لكي ننفذ الجزء الثاني من الخطة، خذ أنت هذا الجهاز سيساعدك على البحث في المعمل وكشف مكان الاكسير، بينما أنا سأتولى أمر شمس.

قاموا الرجال من على الأرض وهموا خارجين مع تامر وهنا أدرك دكتور توماس

وشمس أنهم كانوا يمثلون وليس هجوم حقيقي ولكن في تلك اللحظة والاصوات كانت كفيلة أن توحي له بالخطر فبالإحاء هناك شعوب تسيطر على شعوب أخرى بمجرد أوهام.

الهجوم الحقيقي الوحيد كان على دكتور توماس وبمجرد أن اغمى عليه حينها، هم تيمور بحمل شمس.

ومن ثم خرج بها ووضعها في السيارة ومن ثم ها هي شمس ودكتور توماس يسمعان الحديث الذي جرى بينها وبين تيمور وهنا صدمت شمس عندما علمت أنها أحبت شخص والشخص الذي كان يتصنع أنه حبيبها هو من مكر بها.

وها هو قام بجعل السيارة تميل على جانبها تجاه شمس ظل يضغط على أكثر من زر يمثل أنه يصلح الأمر ويجعله تحت السيطرة ولكن في حقيقة الأمر أنه اغلق القيادة الذاتية ولكنه سمح للوسائد الهوائية بالعمل وترك السيارة بعد أن ضغط على زر انبعاث غاز منوم.

وبدأت السيارة تهوي بينما هو فتح الباب وطار بحذائه النفاث.

وها هو يرى السيارة مهشمة وينظر لجثة شمس التي قام باخراجها وألقاها أرضاً غير مكترث ولا متأثر لما حدث الآن، كل ما يهمه أن تأتِ سيارة الاسعاف وذهب بها

للمشفى ، وهنا قال للطبيبة:

-ها ، مثل ما اتفقنا ، وبمجرد أن تسلميني الذاكرة سأحول لكِ باقي المبلغ .

هنا انهارت شمس وهي تشاهد كم المكر والغدر فانهارت باكية، فضمها دكتور توماس وضغط زر العودة مرة أخرى لبيته .

انهارت شمس أكثر وأكثر وقالت:

-لَمَ حدث معي كل ذلك، لَمَ الغدر يا دكتور توماس لَمَ، لَمَ الكذب والخداع لَمَ. . . ؟

ضمها بقوة كي يهدأ قلبها الذي انفطر من شدة الصدمة، قال لها وهو يمسح على شعرها ويقبل رأسها:

-الدنيا مؤلمة يا بنيتي ، مؤلمة لدرجة لا يمكن وصفها .

-يعني الشخص الذي لي في الحياة هنت عليه لهذه الدرجة .

امسكها من يدها وجعلها تجلس وطلب من الروبوت أن يحضر لها عصير وقال لها بأسى :

-لذلك لم أرغب أن يعرف أحد عن هذا الجهاز لأنه يجعلنا نعرف أشياء مخفية عنا ، ويكشف لنا حقيقة وجوه من حولنا فحينها نصدم صدمة كبيرة .

من ثم أخذ العصير من الروبوت وقال لها:

-أهدئي يا عزيزتي أنا هنا معك، وكذلك أمكِ تحبكِ.

هنا حاولت شمس أن تتنفس بهدوء وقالت وهي تمسح دمعها:

-وأين هي؟ واحكي لي عنها.

بدأ يحكي لها ما يعرفه عن أمها وكيف وجدتها هي وأبيها والحادث الذي مرت به إلى أن وصل في الحديث إلى أن أمها كانت قلقة عليها من أن تسافر وتتركها وحدها، وأن شمس لم تستطع أن تصل إليها وجهاز المراقبة لم يرسل لها أي صورة عما يحدث في البيت.

وهنا شمس بمجرد أن سمعت هذا الأمر نست ما فعله تيمور بها وفكرت فيما هو أهم ألا وهي أمها وقالت:

-أريد أن أعود حالًا إلى مصر، أريد أن أطمئن على أمي.

وقف دكتور توماس وقال لها:

-ماذا عن تيمور الذي أخذ الأكسير والذاكرة و...

همت شمس تفتح الباب وهي تقول:

-كل هذا لا يهم، أريد أن اطمئن على أمي حالًا .

لحق بها وقال لها بلهفة:

-سأتِ معكِ إلى الفندق وسأسافر معكِ فأنتِ لا تتذكرين شيئًا .

وقبل أن تخرج من باب بيت دكتور توماس التفتت له وقالت:

-خذ جهاز السفر عبر الزمن فيمكن أن نحتاجه فيما بعد .

***

دخلت شمس البيت وهرعت مسرعة وهي تنادي على أمها بقلق يشوبه أمل أن تسمع صوت أمها أو أن تهل عليها، ولكن ها هي الثواني تمر وها هي تمضي قدمًا في البيت ولا تجد أمها وكلما تخطو خطوة للداخل يقل الأمل، إلى أن وصلت غرفة أمها ووجدتها ملقاة على طرف السرير وهنا قل مستوى الأمل من داخلها إلى أن وصل لليأس، حينها جلست شمس بجوار أمها التي رسم على ملامحها ملامح الرعب والألم وهي تهزها:

-أمي، استيقظي يا أمي.

ولكن لا يوجد نبض ولا نفس، التفتت لدكتور توماس الذي وقف مصدوم من المشهد الذي أمامه.

-دكتور توماس إنها لا ترد عليَّ، ماذا أفعل الآن ماذا أفعل...؟

ومن ثم ضمت أمها وبكت بشدة وقالت وهي تنوح:

-لَم تركتك لَم، لَم اسمع كلامك وظللت معكِ يا أمي يا أخر سند لي في الحياة،

لَم تركتني وحيدة يا أمي لَم.

اقترب منها دكتور توماس وبدأ يربت على كتفها وقال:

-أنا هنا معكِ دائمًا يا شمس، ولن اتركِ صدقيني .

التفتت له شمس بغضب واعتراض باكيةً:

-لَم حدث معي ذلك يا دكتور توماس لَم، لَم اظل عمري كله أسعى لصنع اكسير كي تعود أمي معافاة وتتخلص من الشريحة التي تتحكم في حركة جسدها بل وكي تظل خالدة معي طوال العمر ولا أحرم منها لحظة واحدة.

حاول دكتور توماس تهدئتها وقال:

-لله حكمة في ذلك نحن لا نعلمها و . . .

وقفت وزادت حدة غضبها وقالت باكية صارخة بهستيريا:

-لَم يفعل بي ذلك الرب لَم، لم حرمني من أهلي الحقيقين ولم وهبني لأب كان يكرهني ولم يحبني قط، والأم التي ربتني وسعيت أن أفني عمري في سبيل العلم واختراع شيء يحافظ عليها لأنها الوحيدة التي حبتني بدون سبب.

اقترب منها وحاول ان يمسكها وينظر لعينها لتهدئتها ولكنها ابعدته عنها وقالت صارخة:

-لَمَ الرب تركني أمضي كل هذه السنين وفي النهاية كل شيء يتحول لسراب، لَمَ عندما احتجت بالفعل ان استغل الاكسير ضاع مني لَمَ حظي هكذا لَمَ لَمَ. . .

ومن ثم سقطت على الارض منهارة باكية فجلس بجوارها وضمها وهو يمسح على شعرها وقال:

-صدقيني كل شيء في الحياة لحكمة ونحن لا نرى سوى جزء من الحقيقة ولكن مع الوقت سيكشف الرب لنا الحقيقة كاملة.

ومن ثم قال لها وهو يخرج جهاز السفر عبر الزمن من جيبه محاولاً أن يخرجها من تلك الحالة:

-يمكننا استخدام الجهاز لكي نعرف كيف تمت هذه الجريمة.

ظلت شمس في حضنه منهارة لا تنطق بكلمة وضعت بصمتها على الجهاز ومن ثم ها هما في البيت وكانت سمية في غرفتها تشاهد فيلم بتقنية الهولوجرام حيث يظهر الممثلين مجسمين أمامها ولكن فجأة سمعت صوت في الخارج، فقررت أن تطلب الروبوت ولكن جهاز الاتصال الخاص بالأوامر لم يعمل فقررت أن تخرج وترى

من بالخارج ولكنها قبل أن تخرج من غرفتها وجدته أمامها فصارت ترجع للوراء إلى أن اصطدمت بحافة السرير فسقطت، وهنا اقترب منها ولف جسدها وصار وجهها مكتوم في مرتبة السرير وقام باستخدام اشعة الليزر من الجهاز الموجود بجوار عينه وسلط أشعة الليزر على مكان النخاع الشوكي في عمودها الفقري، نقطة الاحتراق تزيد أكثر وأكثر، والنار تأكل لحمها وعضمها وهو يضغط أكثر على وجهها كاتم صوتها وهو يقول لها بكره:

-يجب أن تموتي مثلما قتلتي أبي، موتي أيتها المجرمة موتي .

ومن ثم عندما توقفت عن الصراخ هنا علم أنها ماتت من الخنق ومن شدة الألم

ومن ثم قلبها وجعل وجهها مواجه له وقال:

-تستحقي أن تتعذبي في نار الجحيم.

ومن ثم بصق على وجهها وخرج.

ومن ثم دخل مكتب ومعمل شمس وسحب كل أوراقها وأدوات المعمل كافة ونقل كل ذلك في سيارته ورحل.

هنا نظرت شمس لدكتور توماس وقالت له:

-انه تيمور يا دكتور توماس أليس كذلك. . . ؟

-انه ملثم ولكنه نفس بنيته وأكيد هو من فعل ذلك استغل يوم سفرك وجاء هجم على والدتك.

-ولكن كيف فعل ذلك ولمَ...؟

-أكيد اخترق جهاز الانترنت الخاص بالبيت وعطل كل الاجهزة المرتبطة به سواء مراقبة أو حتى اتصال لأنه مرتبط بشبكة الانترنت لذلك لم تستطعين أن تصلي لأمكِ ولم تستطعين أن ترينها في كاميرات المراقبة، وانتظر إلى أن حل المساء وقام بهذا الهجوم...

قاطعته شمس وقالت باكية بحسرة:

-ولكن لمَ...؟

ضمها وعادا بالزمن وقال لها:

-سنعرف كل شيء يا عزيزتي صدقيني ولكن الآن يجب أن نبلغ الشرطة بهذه الجريمة هل تريدين أن تقولي للشرطة ماذا جرى لكِ في لندن واتهامك لتيمور...!

نظرت شمس لأمها والدموع تنهمر من عينها ومن ثم مسحتها بقوة معلنة الحرب:

-دع الشرطة تقوم بدورها وحتى وإن سجلوها ضد مجهول لا يهمني لأني أريد أن أخذ حقي بيدي لأن هذا سيطفيء النار التي في قلبي .

اقترب منها دكتور توماس وقال:

-ولكن يا شمس لا يصح أن تتعامل مع الخطأ بخطأ مثله .

-هذا عندكم يا دكتور توماس من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الآخر بينما أنا مسلمة بالوراثة وعندي رخصة القصاص وسوف استغلها والبادىء أظلم .

-ولكن القانون يمكن أن يرد لكِ حقك . . . !

-دكتور توماس هذا سوف يريحني فإذا أردت أن تكون معي كن معي ولكن لا تعترض على رغبتي ، بينما إذا أردت الرحيل فالترحل كما رحل الجميع وتركوني .

ضمها دكتور توماس وقال مطمئنًا إياها :

-بل سأظل معكِ، صدقيني لن أخذلكِ أبدًا فمن اجترع من كأس الخذلان لا يحب أبدًا أن يسقيه لغيره .

***

في صباح اليوم التالي، ايقظ دكتور توماس شمس وهو يقول لها:

-شمس، استيقظي.

قالت شمس بصوت ناعس ومتألم يأس:

-ارجوك اتركني أنام فأنا لم استطع أن أنام إلا منذ قليل.

قال لها وهو يرفع الغطاء عن رأسها:

-هذا خبر لا يمكن أن أؤجله...

حاولت أن تفتح عينيها ولكن بمجرد أن رأت صورة الخبر من الشاشة المنبثقة

لجهاز دكتور توماس همت مفزوعة وفتحت عينيها عن اخرهما في حالة صدمة:

-تيمور...

جلس أمامها دكتور توماس وقال لها:

-أهدئي اولاً وسوف نفهم كل شيء.

قالت شمس بحدة وهي تعدل شعرها بعنف:

-أفهم ماذا، كل شيء واضح وضوح الشمس، إنه لص وسارق تقرب مني كي يسرق

مشروعي وينسبه لنفسه وما هذا المكتوب. . . ؟

اقتربت ودققت في تفاصيل الخبر وقالت وهي تقوم بالقراءة ورفع الجمل واحدة تلو الأخرى:

-ما هذا. . . ؟ ولقد استخدم الاكسير في إعادة والده للحياة. . . !

ومن ثم نظرت بتعجب لدكتور توماس وقالت:

-سرق الاكسير كي يعيد والده للحياة الذي قال أن أمي هي من قتلته. . .

اوماً لها دكتور توماس فأكملت تصفح الخبر إلى أن وصلت لصورة جثة أبيه في المشرحة وصورة أبيه بجواره وهنا صعق وقال:

-إنه، إنه حسن. . . !

نظرت له بعدم استيعاب فقال لها:

-أنه ابوكِ، الرجل الذي حكيت لكِ عنه وعن والدتكِ ولطالما قلتِ لي أنه لا يحبك.

سألته بعدم فهم:

-آه قلت لي ذلك ولكن لَمَ لا يحبني. . . ؟

-لأنه كان يظن أنكِ نحس وسبب خراب كل شيء، لأن في اليوم الذي وجدكِ به تعرضا لحادث، وكان يغير من حب أمكِ لكِ لذا كان ينتقص منكِ دائمًا ويكرهكِ لذا انتِ بدوركِ تجاهلته واعتبرت أنكِ يتيمة الأب منذ طفولتكِ.

وقفت شمس وهي تحاول أن تربط الخيوط ببعضها:

-ولكن كيف هو أب تيمور...!

ظل يدور في الغرفة يفكر وهو يقول:

-الذي اعرفه أن حسن وأمكِ لم ينجبا لسنين كثيرة ويمكن هذا دفعه أن يتزوج في السر وينجب من امرأة غير أمكِ، ففكرة الرجل المخلص الوفي هذه صعب أن تكون في الواقع وخاصة من شخص حقير مثل حسن.

-سوف نتأكد من كل ذلك من خلال الجهاز ولكن أهم شيء يجب أن نعرفه هل قتلت سمية حسن بالفعل وما الدافع وراء ذلك...؟

كتبا تاريخ يوم وفاة حسن الذي حصل عليه دكتور توماس من صفحة شمس على السوشيال ميديا وذلك لأن شمس لا تتذكر تفاصيل حياتها.

في الصباح جاء لسمية اتصال وردت:

-ألو، استاذة سمية . . . ؟

-نعم أنا سمية من معي . . . ؟

-ألا تتذكريني ، أنا كارم كنت شريك حسن في . . .

قاطعته سمية متذكرة إياه:

-آه أكيد استاذ كارم، أكيد أتذكرك وكيف لي أن انساك وكل يوم حسن يحدثني عنك وعن عملكما سويًا .

ضحك كارم وقال:

-يعني فالح يحكي لكِ عني ولا يرد على اتصالاتي . . .

صدمت سمية وقالت:

-ولَم تتصل به وهو معك في العمل . . . !

تغير صوت كارم وقال:

-أي عمل يا سمية لقد فضضنا الشراكة منذ ثلاث سنوات، وأنا اتصل به منذ اسبوع ولم يرد علي َوكنت أريد أن اطمئن عليه لذا قررت أن أتصل بكِ تبلغيه سلامي

وأن يتصل بي ضروري .

كانت سمية تسمع كلامه وهي شاردة مصدومة لأنها ولأول مرة تكتشف أن حسن يخدعها .

وقت الظهيرة عاد حسن فسألته متعجبة:

-حسن ، غريبة عدت باكرًا . . . !

-هل قدومي باكرًا صار يضايقكِ . . . !

-لا ولَم يضايقني ولكني متعجبة . . .

-قررت أن ارتح قليلًا في البيت واتناول الغداء معكِ لأني لدي عمل كثير في المساء .

-آه عمل ، حسنًا .

نظر لها حسن بحيرة وقال لها :

-ماذا بكِ يا سمية لَم تتكلمين معي هكذا . . . !

-كلامي ، ما به كلامي ، ها أنا أتحدث معك بشكل طبيعي .

-ولكن نظراتك لي على غير العادة و . . .

قاطعته سمية وقالت له:

-اذهب ارتح يا حسن، إلى أن يجهز الغداء أفضل، فأنت متعب يا حرام.

وها هو يهم بدخول غرفته مر أمام غرفة شمس ففتحها، فلحقت به وسألته ففاق من شروده عندما سمع صوتها:

-ماذا تفعل هنا يا حسن...؟

التفت لها وبلع ريقه وقال بابتسامه على وجهه يخبئ بها توتره:

-لا أفعل شيء، آه لدي سؤال هل شمس تأكدت من مفعول هذا الأكسير حقًا!

قالت له سمية وهي تهم بدخول غرفتهما وتقوم بضبط الاعدادات كي يتم غلق الستائر وتشغيل موسيقى تساعد على الهدوء والنوم:

-قلت لك أنها جربت أكثر من عينة ولكنها تقول وصلت لعينة اثبتت جدارتها.

-يعني من يشرب هذا الاكسير يظل شباب دائمًا.

نظرت له نظرة وهو يهم بفرد جسمه على السرير وقالت:

-آه، هذا ما تقوله...

قال لها وهو سارح في السقف:

-جميل . . .

-الآن تقول جميل، ولكن كلما تراها تنعتها بالفشل، حرام عليك كسرة قلبها .

سحب الغطاء وقال:

-ارحميني من دور المحامية الذي دائمًا تتقمصيه من أجلها ودعيني أريح عقلي قليلًا .

نظرت له بازدراء بعدما التفت واغلق عينيه وقالت بتمتمة:

-ارتاح يا حسن ، يا رب ترتاح الراحة الكبرى لو الذي في بالي حقيقة .

بعد أن تناول الغداء وخرج، قررت سمية أن تتبعه وهذه أول مرة تشك به في حياتها ، وها هي تجده يصف سيارته أمام بيت، أي أنه لم يذهب للعمل كما قال، ومن ثم قررت أن تسأل واحدة من الجيران خرجت لتوها من بيت موازي للبيت الذي دخل به حسن :

-أتعرفين من يعيش هنا . . . ؟

قالت لها بتعجب:

-الاسم مكتوب أمامك أنه بيت الاستاذ حسن عبد السلام . . .

-هل يعيش مع أحد هنا . . . ؟

-أكيد يعيش مع أسرته . . .

-هل يمكن أن تقولي لي تفاصيل عن اسرته . . .

نظرت لها بشك وقالت:

-ولِمَ تريدين أن تعرفي . . . ؟

فكرت وسرعان ما جالت فكرة في بالها :

-لأن بنتي سوف تتزوج ابنه فأريد أن أعرف المزيد عن أخلاق هذه الأسرة، فأنا يمكنك أن تقولي دقة قديمة أحب اتباع التقاليد التي كانت في الماضي .

وهنا تمنت أن يكون له أبن في سن زواج كي تحبك كذبتها، وهنا جاءها صوت المرأة:

-إنها عائلة محترمة وفي حالهم، سواء الاستاذ حسن وزوجته نايدا . . .

قاطعتها سمية وقالت لها :

-اتقصدين نادية . . . ؟

-لا اسمها نايدا المعروفة به هنا وولداها الدكتور تيمور والمهندس تامر يتميزون بالتفوق

والاحترام فإنه لخير نسب، لو كان عندي بنت لزوجتها لأي منهما .

شكرتها سمية وعادت تركب سيارتها وفعلت القيادة الذاتية لأنها كانت تشعر أن الدنيا تدور بها من شدة الصدمة .

وصلت البيت وهي لا تدري ماذا تفعل، ماذا تفعل بحسن الذي استغفلها كل هذه السنوات، فأحياناً الصراحة تكون ألمها أشد وطئة من صدمة الخداع والخذلان .

ولكنها قررت ألا تواجهه، قلبها دلها على شيء وقلبها كان خير دليل .

في المساء ها هي سمية أعدت مسليات السهرة وقامت بتشغيل الفيلم وضمت بنتها ،

وفجأة سمعتا صوت قدوم حسن ، فنادت عليه سمية كالعادة:

-حسن تعالى شاهد معنا هذا الفيلم . . .

جاءهما صوته من بعيد وهو يقول:

-لا أنا متعب أريد أن ارتاح.

كررت سمية كلامها بلهفة:

-إنه فيلم للبطل الذي تحبه و . . .

هنا قالت لها شمس هامسة:

-دعية على راحته ولنكمل سهرتنا . . .

وبعد ثواني سمعنا صوت سقوط حسن ، هرعنا مسرعتان فوجدناه ملقى على الأرض في غرفة شمس وكان يتلوى ألمًا هنا اقتربت منه سمية وهي تتصنع الخوف ومن ثم اقتربت من اذنه بعدما قالت لشمس أن تتصل بالاسعاف:

-هذا جزاء خيانتك يا حسن .

ظل يتألم ويتلوى ومن ثم نازع والتقط أخر انفاسه وفارق الحياة، وهنا صرخت سمية صرخة من قلب أحب بصدق، قلب جُرح بيد حبيبه، ونفس القلب قرر أن يقتله .

في المشفى شخصوا موته أنها حالة تسمم وعندما راجعوا الكاميرات لحظة وقوع الجريمة وجدوه هو من اجترع العينة بنفسه، بعدما عرفا من شمس أنها قائمة على اختراع اكسير الحياة ولكنها طلبت منهم ألا يعلنوا أمر هذا الأكسير لأنها أمامها مدة للأعلان عنه وقالوا أن حسن قد كان يرغب أن يجربه ولكن للأسف أخذ عينة خاطئة .

وفي ممر المشفى من بعيد كان تيمور موجود ولكن شمس لم تنتبه له لأنها لم تكن تعرفه بعد ولكنها انتبهت له الآن هي ودكتور توماس محاولين ربط الخيوط ببعضها .

رأت نفسها خرجت هي وأمها من المشفى، قالت شمس لدكتور توماس:

-أريد أن اتابع تيمور وماذا حدث معه.

أومأ لها أي أنها فكرة جيدة.

عندما دخلا وجدا دكتور تيمور من ضمن الفريق القائم على حالة حسن، وهنا ملامح الصدمة رسمت على وجهه ودخل لأبيه وبكى بكاء شديد وأتصل بأمه وقال لها الخبر، ولكنه طلب منهما ألا يأتيان الآن لأن طلب أبيه أن لا تعرف سمية خبر زواجه أبدًا.

وبعد أن دفن حسن، قال تيمور لأمه وأخيه بأنه سوف يسرق الجثة وعندما سأله تامر لَم سيفعل ذلك، فأوضح لهما أنه علم أن ابيه مات بسبب اجتراع عينة خاطئة من معمل ابنته شمس، فأومأ له تامر وقال:

-وما دخل هذا بسرقة الجثة...؟

-لأن ابنته لديها اكسير الخلود والعودة للحياة مرة أخرى، لذا سأحتفظ بجثة أبي إلى أن أتمكن من الحصول على الاكسير منها.

-وكيف ستفعل ذلك يا تيمور...؟

-الحب يا أخي ، فبه أقدر أن أسيطر على أي بنت في العالم .

ها هو تيمور وتامر قاما بسرقة جثة حسن وهنا قدرت نايدا أن تلمس زوجها الذي فارقها ، وبمجرد أن لمست عينيه تجلى في عينيها أخر مشهد مر به، المشهد الذي همست له سمية بأنه خائن ويستحق الموت، هنا صرخت بهستيريا وهي في السيارة وقالت:

-ابوكما لم يمت . . .

التفتا لها وقالا:

-كيف . . . ؟

قالت باكيةً بحرقة:

-أبوكما مات مقتول، وسمية من قتله . . .

قال لها تيمور وعينه تعكس انتقام شديد :

-كنت ناوي أخذ الاكسير فقط كي يعود لي أبي من جديد ولكن بما أن لهما يد في قتله فانتقامي منهما وخاصة سمية سيكون عسير .

هنا قالت شمس لدكتور توماس وملامح الصدمة والتعب قد غزا ملامحها :

-أرجوك دكتور توماس دعنا نعود بالزمن هذا يكفي . . .

وعندما عادا قالت شمس لدكتور توماس:

-لذلك كانت أمي تريد أن تبوح لي بشيء، حاولت أن تتكلم معي قبل أن أسافر وكانت نظرتها كمن يريد أن يتحرر من عبيء يقيده، هل تظن أنها كانت تريد أن تبوح بسر أنها من وضعت العينة الخطأ عن عمد لأبي كي يشربها . . . !

-احتمال كبير، ولكن هي لم تقصد أن تقتله لأنها فعلت ذلك على سبيل الاحتمال قد يفعل ذلك أم لا، وأظن أن سمية لم تكن ستستطيع أن تقتله قاصدة متعمدة.

-ولكن هذا ما جرى يا دكتور توماس . . .

-ماذا سوف تفعلين الآن يا شمس.

-احتاج أن ارتاح قليلاً، ومن ثم سوف استخدم جهاز السفر عبر الزمن كي أكون ذاكرتي من جديد.

***

شمس ترجع بالزمن لطفولتها وتمر السنين أمامها وترى وتشعر بجنية أمها أكثر وقسوة أبيها ونفوره منها، فتقرر أن تتجاوز بعض السنين لفترة بعد موت أبيها كي تعرف كيف ومتى تعرفت على تيمور، وصلت لليوم المنشود، في يوم بعد انتهاءها من العمل في المعمل جاءتها رسالة على مدونتها الخاصة على وسائل التواصل الاجتماعي، فانبثق أمامها من الرسالة مجسم شاب أمامها مبتسم ويقول لها:

-أهلًا دكتورة شمس، أنا دكتور تيمور، وأنا من أشد المعجبين بمحتواكِ العلمي كثيرًا.

رأت شمس الرسالة ولم تضع منطق وهيأت نفسها كي تنام، وفي الصباح جاءتها رسالة منه كذلك وقال:

-صدقيني أنا حابب أن نتكلم سويًا كي نتناقش في بعض الأمور العلمية

واتمنى أن تحبي أنتِ كذلك، في انتظار ردكِ.

وكالعادة شمس في الصباح لا ترى أمامها ولا تكترث لهذه الرسالة وهمت كي تجهز نفسها للعمل، ولكن عند خروجها من المشفى أوقفها تيمور وقال بلهفة:

-دكتورة شمس أليس كذلك...؟

نظرت لملامحه فأدركت أنه الشاب الذي راسلها ولكنها ردت على السؤال بلا مبالاة:

-نعم أنا الدكتورة شمس .

-أرسلت لكِ عدة رسائل ولكن لا أدري إذا كنت رأيتها أم لا لذا قررت أن أتِ لمحل عملكِ كي أقابلكِ .

-ولِمَ كل هذا الاصرار . . . !

-بصراحة معجب بكِ . . .

نظرت له بجدة محاولة أن توقفه عند حده وألا يتمادى :

-نعم . . . !

حك رأسه محاولًا أن يتدارك الموقف الذي أحرج به:

-أقصد معجب بأفكاركِ .

ومن ثم تمتم بصوت مسموع وقد رسم على وجهه ابتسامة بسيطة:

-ومعجب بكِ كذلك أيضًا .

همت شمس كي تركب سيارتها وقالت بلا اكتراث:

-شكرًا لك، ولكني مشغولة حاليًا إلى اللقاء .

هرع وراءها ووقف بجوار نافذة سيارتها وقال بلهفة:

-ولكني أريد أن أتحدث معكِ ضروري صدقيني .

قالت شمس وهي تهم بإعطاء الأمر للسيارة بالانطلاق:

-في فرصة ثانية .

ولكن دكتور تيمور لم ييأس وظل يراسلها كثيرًا ومعروف (الزن على الودان أمر من السحر) .

تمر الأيام ويأتِ اليوم الذي ذهبت به هي وأمها كي تضع الشريحة الجديدة كي تستطيع الحركة .

وهنا تيمور رآها في المشفى فحب أن يلعب معها لعبة أنها جنت أو يتهيأ لها ، فهو من عطل المصعد عندما كانت في المشفى ، وهو من اتفق مع الممرضة التي ركبت المصعد مع شمس ، وكذلك هو من أتفق مع الممرضتان القائمتان على حالة سمية وطلب منهما غلق الحجرة عليهما ، وتشغيل صوت تحريك أسرة مزعج عن طريق سماعات الغرفة ، وكأن الصوت يأتِ من الطابق الرابع ، كي يقنعوا شمس أنه نفس الطابق الذي كان به ابيها وكأن روح أبيها تحوم .

ومن ثم فتحا الباب لها عندما بدأت تطرق على الباب بشدة فخافا أن ينزعج

المرضى الأخرين ففتحتا لها بسرعة، واقنعاها أن الباب لم يكن موصدًا ولم يكن هناك أي أصوات.

والأم استيقظت على صوت طرق بنتها بينما صوت تحريك الأسرة لم تشعر به لأن أثر البنج كان لا يزال يثقل رأسها ولكن عندما تزايدت المؤثرات المزعجة بطرق وصوت بنتها استيقظت وأدركت فقط صوت بنتها، والممرضتان أقنعا شمس أنها مجهدة كي تنزل تجلب لنفسها قهوة، وهنا تيمور وضع خطتين، الخطة الأولى تحمل الأحتمال أن تنزل في المصعد ويعطله وهي به ويضع مؤثرات بصوت أبيها كي يقنعها أنه عاد لينتقم منها.

والاحتمال الأخر وهو رجحه أكثر وهو يتفق مع تامر أخيه في مكتبه بأن شمس سوف تنزل الدرج لأن شمس لا تحب أن تخطأ مرتين.

وبالفعل نزلت الدرج وهو يعلم جيدًا أن الطريق المؤدي إلى الكافتيريا يجب أن تمر بجوار المشرحة ومن ثم تخرج لممر يؤدي بك للكافيتيريا.

وبمجرد أن مرت سمعت الصوت الذي قاما بتشغيله هو وتامر ولكنها أكملت طريقها وأحضرت القهوة، وهنا تيمور أقسم لتامر أن فضول شمس سيجعلها تدخل في المرة القادمة كي تتأكد هل يتوهم لها أم حقيقة.

فهنا طلب من تامر أن يخبيء نفسه تحت سرير جثة ابيه، بينما هو سيأتِ من

خلف شمس، وفي حين أن يتكلم معها يقوم تامر بالضغط على الزر في أسفل السرير فيهبط اللوح الذي يحمل الجثة قليلاً ولا يتبقى سوى الملاءة، فعندما تنظر شمس تتأكد أنها يتوهم لها وتتشتت.

وبعد شهر فقط حدث ما حدث وغدر بها.

رجعت شمس ودكتور توماس للحاضر وقالت له:

-الآن الصورة بدأت تتضح قليلاً ولكن يوجد الكثير من علامات الاستفهام على اشياء كثيرة، فأنا لم أعرف كيف لهذا الاكسير فاعلية احياء الموتى والخلود، فما قرأته ورأيته في الفترة التي عدنا به أنه مجرد أكسير لزيادة المناعة ومقاومة الشيخوخة و . . .

قاطعها دكتور توماس وقال بلهفة:

-أكيد يوجد مكون سري أنتِ وضعتيه في العينة التي نجحت.

-وكيف لي أن أعرفه، فأنا لا أتذكر شيئًا.

ظل دكتور توماس يفكر وشمس قالت موضحة:

-كل ما رأيته أني أقوم بعدة عينات، ولكن أغلبها عينات مقويات وهنا شعرت بيأس أن حلم الطفولة لم يتحقق لذا اقتنعت أني واهمة نفسي بسراب لأني متأثرة ببعض

الأساطير التي ليس لها أساس في الواقع.

ولكن هنا قال دكتور توماس:

-يبدو أن حدث اكتشاف الاكسير حدث في الفترة التي تجاوزناها عندما عدنا بالزمن، لذا فلنعد بلزمن هذه المرة ولنتحلى بالصبر كي نصل لهدفنا.

مروا بمواقف وأيام كثيرة إلى أن وصلوا لهذا الموقف، وفي يوم طلبت أمها منها أن تحضر لها ملابس لأنها نست أن تحضر قبل أن تدخل للاستحمام والروبوت يومها كان في الصيانة.

دخلت شمس الغرفة كي تبحث عمَ طلبته أمها، ولكن شمس لا تعلم أغلب تفاصيل البيت لأنها أغلب الوقت مشغولة في دراستها وعملها، ها هي أمها تنادي عليها وتقول:

-يا شمس الفستان الأزرق على يدكِ اليمين يا عزيزتي، والملابس الداخلية في الدرج السفلي.

-يا أمي ها أنا أبحث أكملي استحمامكِ وسوف أجهز ما طلبته.

شمس تبحث هنا وهناك ولكنها لا تجد، أحيانًا الشيء يكون أمام أعيننا ولكن من شدة التوتر أو عدم التعود على الشيء لا نلاحظه.

قررت أن تأخذ الملابس الداخلية أولًا صارت تفتح درج والثاني ولفت انتباهها الدرج الثالث فهذه عادة أغلبنا عندما نجد أدراج نحب أن نفتحها بالتوالي، حاولت أن تفتحه ولكنه لم يفتح معها هنا زاد فضولها لمَ هذا الدرج الوحيد المغلق، ومعروف أن المرفوض مرغوب فزاد فضولها ولكن ما قطع حيرتها صوت أمها وهي تنادي عليها:

-يا شمس هل وجدتِ ما قلت لك عليه.

-آه حسنًا يا أمي أنا قادمة...

وهنا بحثت شمس على الفستان مرة أخرى وصارت ترفع الفساتين واحد تلو الأخر إلى أن وجدت تحت أخر فستان بطاقة، وهذه البطاقة يتم استخدامها في فتح الادراج، وضعتها في جيبها وسحبت فستان أبيض وذهبت لأمها وقالت:

-أمي صدقيني قلبت الدولاب على الفستان الأزرق ولم أجده، خذي هذا بدلًا عنه.

تمتمت أمها وهي تأخذ الملابس منها:

-حسنًا سوف أخرج وأريكِ إياه...

استغلت شمس الوقت الذي سوف ترتدي فيه أمها الملابس فدخلت الغرفة مرة أخرى

وفتحت الدرج بالبطاقة وهنا ظهر أمامها كتاب قديم مهترء الأوراق، وهنا سمعت صوت أمها قادمة فخبأت الكتاب تحت ملابسها ومن ثم قالت أمها بجنون:

-سوف أجده لكِ يا شمس. . .

وشمس واقفة تحاول أن ترسم ضحكة تخبيء بها توترها .

-ها هو يا شمس واضح وضوح الشمس أمامكِ .

ابتسمت لها شمس وقالت:

-حسنًا ارتديه الآن، ولا تطلبي من شيء ثانيةً، جهزي اغراضكِ بنفسك مرة أخرى .

-أه من قلة أدبك ولسانك الطويل ذا، سوف أقصه لكِ .

ضحكت لها شمس وتركت الغرفة ودخلت غرفتها وأغلقتها وراءها .

فتحت شمس الكتاب وجدت به رسوم غريبة وكلام أغرب وهنا أدركت أنه كتاب سحر، وهنا شمس تعجبت ولِمَ كتاب سحر موجود في غرفة أمها . . . !

بدأت تقرأ به إلى أن وصلت لطريقة تحضير الجن طوطيائيل وهنا سمعت أمها تطرق عليها الباب كي يتناولا الغداء .

وبعد الغداء تركت أمها بحجة انشغالها في المعمل كالعادة، ولكنها اكملت الكتاب وفي الليل ظل يراودها احساس بأن تجرب طريقة الاستحضار، ولكن صوت بداخلها كان يمنعها، ظلت في صراع بين هذه الفكرة وتلك وهذا ما أرقها كثيرًا ولكنها قررت في النهاية أن تقوم من سريرها، نظرت للوقت وجدته **3:33** وصوت أن تجرب فكرة الاستحضار تمكنت منها .

وبالفعل قامت وأحضرت المبخرة الالكترونية واشعلت خمس شمعات ووضعتهم على زوايا النجمة الخماسية التي رسمتها على الأرض بعد أن قامت بإزالة أي شيء على الأرض ومن ثم جلست في منتصف النجمة بعدما وضعت المبخرة أمامها وأغلقت النور وجلبت فأر أسود صغير من الفئران التي تتدرب عليها وفتحت الكتاب أمامها وبدأت تقرأ العزيمة، وهي تقرأ قامت بذبح الفأر في طبق واخذت دمه وبدأت ترسم طلسم على الأرض وهي ما زالت تردد القسم والعزيمة لتسخير الجني ، وهنا زاد دخان البخور أمامها وهنا بدأ الخوف يتخلل لروحها، ولكنها أدركت أنها دخلت طريق لا يمكنها أن تعود منه بالساهل .

ظلت تردد العزيمة بصوت خائف مهزوز وبدأت تسمع صوت يأتي لها من دخان

البخور الذي بدأ يتشكل تدريجيًا أمامها إلى أن ظهر أمامها جسد ضخم وقرنان وكأنهما تاج ملكي وجسده من أعلى يشبه البشر تمامًا بينما نصفه السفلي دخاني لا تراه شمس جيدًا، وهنا قطع صدمتها وذهولها وترديدها للعزيمة بشكل لا إرادي قوله:

-ما طلبك أيتها الانسية . . . ؟

-ط . . . طل . . . طلبي أن تتعافى أمي بشكل تام وألا تشيخ وتظل خالدة معي إلى الأبد، أي أريد أن اكتشف أكسير الحياة.

-بل سأمكنك من صنع أكسير يعيد من فارق الحياة حتى .

هنا ذهلت شمس وقالت:

-ولكن كيف أن نعيد الروح لمن فارق الحياة من الأساس، أنا سمعت في اساطير ماضية أنه كان هنالك اكسير الشباب لحياة تدوم كثيرًا ولكن ليس ل . . .

قاطعها وقال لها بثقة:

-هههههه، مسكينة أنتِ، ألم تسمعي عن قصص من يدعون بكونهم أنبياء مثل

ابراهيم وموسى وعيسى ، الحقيقة ما هم إلا مجرد سحرة تمكنوا بالتعاون معنا أن يعيدوا الموتى للحياة مرة أخرى .

-بصراحة أنا لا دينية، أي نعم أحمل ديانة أبي وامي ومسلمة بالوراثة ولكني لم أجد أي منهما يقوم بالشعائر الدينية لذا لم أهتم بها قط .

-سأحكي لكِ بعض منها ، ولكنها ليست اساطير مثل أكسير الشباب، قصص مدعيين النبوة السحرة هذه حقيقية .

أولهم ابراهيم الذي يقدسونه الدينيين ويعتبرونه ابو الانبياء ، ذلك الرجل الذي أعلن عن ولاءه للشيطان بتكسير وتحقير أي معلم من معالم التقديس والعبادة .

وفي يوم ترك زوجته وابنه الرضيع في الصحراء عندما اراد الشيطان أن يختبر ثقته به، وبالفعل كان ابراهيم يثق به بأن الشيطان لن يخذله بل سيحمي زوجته وابنه .

وفي يوم ذلك الرجل قرر أن يقدم أبنه قربان للشيطان كي يثبت ولاءه له، وهل تعتقدين يا شمس أن الرب الرحيم كما يقولون يأمر أحد بالقتل . . . !

وهنا عندما اثبت بفعلته تلك أنه مستعد أن يضحي بأقرب الناس إليه قرر الشيطان

أن يهديه كبش يضحي به، وأمره بقطع جزء من أبنه وأن ينزف قليلًا وهذا الدم تعبيرًا عن الولاء للشيطان، حيث قام بختان ابنه، وهذا ما يحدث في أغلب البلاد .

ومرة أخرى قرر أن يطمئن قلبه أن الشيطان قادر على أحياء الموتى مرة أخرى، فأمره الشيطان أن يذبح الطير ويضع كل جزء في مكان وبكلمة منه جمعت الاجزاء وعاد الطير للحياة مرة أخرى .

لذا طلبك يا شمس ليس بمستحيل بالنسبة لنا فلطالما قمنا به، أقول لكِ مثل من أيضاً، أكيد تعرفين موسى الذي وجد نارًا في طريقه فترك أهله كي يتكلم مع النار، وهنا تجسد له الشيطان بها واتفق معه أن يقوم بالتخلص من الرجل الذي رباه أي فرعون فهو بمثابة أبوه الذي رباه وأواه في قصره، والشيطان أعطاه قدرات في السحر هائلة فغلب بها كل السحرة وهنا انبهروا به وصاروا اتباع له .

وبقدرته السحرية كذلك تمكن من أحياء الميت الذي شهد عمن قتله .

وبعصاه السحرية كذلك قدر أن يشق البحر كي يمر هو واتباعه، ومن ثم اغرق فرعون واتباعه يعني قدم عدد مهول من القرابين حينها .

وكذلك عيسى الذي كان يشكل من الطين هيئة الطير وينفخ بها فيصير كائن حي ولكن كل هذا بالسحر وبالسحر استطاع أن يشفي المريض ويرد البصر للأعمى وجذب الاتباع.

قاطعته شمس وقالت:

-ولكن إذ كانت لديه هذه القدرات من السحر لكان حمى نفسه من الصلب وألا يموت هذه الميتة الأليمة. . . !

ضحك طوطيائيل وقال بثقة:

-ومن قال لكِ أنه مات، بل أنه استطاع بفعلته تلك أن يجذب المزيد من الاتباع، بل هو قدر بقوته السحرية التي استمدها من الشيطان أن يتمكن من الانفصال عن الجسد المادي الضعيف المقيد وصار حر بالجسد الاثيري الخالد، وبل وعد وسيعود مرة أخرى في الجسد المادي كي يحقق ما قاله لاتباعه.

وختامًا بمحمد الذي كان يجلس كثيرًا في الغار وأعلن عن ولائه للشيطان والناس كانوا يقولون عنه ساحر ومجنون، هذا ليس ادعاء بل كان ساحرًا يسيطر على العقول بقوة الكلمة.

-إذ كان ساحرًا لما ظل في معاناة لمدة 13 عامًا في مكة . . . ؟

-يا شمس أولئك أذكياء طلبهم السيطرة على العقول بشكل طبيعي يعني لا يريدون بكلمة كل من أمامهم يؤمنون بهم، بل هم يريدون التغيير بشكل منطقي ، مجموعة تؤمن ومن ثم مجموعة أكبر ومن ثم أكثر فأكثر، كي تكون القصة محبوكة جيدًا .

وكذلك كان محمد يشفي المرضى والجرحى وكل من يقول عن نفسه ولي من الأولياء سلك نفس هذا الطريق ومبارك عليكِ أنكِ معنا ولكن يجب أن تعلني ولائكِ لنا الدائم .

-كيف . . . ؟

-أن تتبعي إله النور، لوسيفر، وللعلم هو من يتحدث عنه الدين الاسلامي بأن الرب هو نور السماوات والأرض وتصلون كل صلواتكم مع نور الشمس، وفي المسيحية تسمى مريم بأم النور، لأنها حملت في أبن لوسيفر فأخذ من نور لوسيفر وقوته وقدرته .

اومأت له شمس أي موافقة، فقال لها :

-عليكِ أولًا أن تقومي بالتعاقد معنا والعقد بيننا يكون بالدم، وفي حالة عدم التزامك بالعقد سيكون الحساب بالدم كذلك . . . ؟

خافت شمس وسألته:

-ولكن كيف سيكون الحساب بالدم . . . ؟

هنا اقترب منها وقال لها :

-ولِمَ تريدين أن تعرفي كيف سيكون الحساب مادام أنتِ ترغبي في أن تخلصي وتفي بالوعد وتلتزمي بالعقد . . . !

اومأت له أي أنها موافقه فأقترب منها ومسك يدها وطال ظفره الذي يشبه السكين وقام بجرح يدها وجرح يده وأمسك يدها بيده وضم يدها بقوه فصارتا يداهما تقطران دمًا ، كانت شمس تتألم من قوة قبضته على يدها ولكنها لم تتمكن من الصراخ خوفًا من أن يسمعها أحد .

كانت مغلقة العينين من شدة الألم وبمجرد أن فتحت عينها وجدت نفسها ملقاة أرضًا في وسط النجمة الخماسية والشموع قد ذابت والدم حولها ، ودم يدها متجلط وفي اليد الأخرى وجدت عينتين ، عينه حمراء اللون وعينة أخرى سوداء .

صدمت أن نور النهار قد دخل غرفتها ومن بعيد تسمع صوت أمها تنادي عليها :

-شمس استيقظي يا عزيزتي .

ومن ثم سمعت صوت طرق الباب فهنا همت مفزوعة تحاول أن تلم ما في الأرض

وتلقي بها في القمامة وهي تقول لأمها :

-حسنًا يا أمي ها أنا ذا 5 دقائق وأكون معكِ .

فقامت بوضع مادة مطهرة على الأرض وتخلصت من الرسم والدم وفرشت الغرفة

بسرعة .

ومن ثم دخلت الحمام كي تستحم وهي تشعر بالضياع لا تعلم ماذا فعلت ومن ثم بعد أن خرجت من الغرفة قررت أن تغلقها بالمفتاح.

تناولت الفطور مع أمها وهي شاردة جدًا فسألتها :

-ماذا بكِ يا عزيزتي ، لِمَ لا تأكلين ، لديكِ عمل كثير اليوم فيجب أن تتغذي جيدًا .

ابتسمت شمس وقالت لها بعد أن فاقت من شرودها :

-لم أنم جيدًا يا أمي ، ولكن لدي خبر جميل سأقوله لكِ عندما أعود من العمل .

ومن ثم قبلت رأسها وعادت لغرفتها مرة أخرى .

في المساء بعد تناول العشاء دخلت شمس غرفتها واستدعت طوطيائيل وسألته عن العينتان فقال لها أن الحمراء أكسير الحياة، والسوداء في حالة الرغبة في الموت وتدمير مفعول أكسير الحياة لأن من يأخذ أكسير الحياة لن يتأثر به أي شيء في الحياة لا حوادث ولا حتى سموم، أي سيكون خالد دائمًا حرفيًا، لذا في حالة رغبة المرء في انهاء حياته يجب أن يأخذ هذا الأكسير الأسود أكسير الموت.

بعد ما رحل طوطيائيل أخرجت شمس الفأر الذي تركته في سلة قمامة غرفتها صباحًا ووضعته على مكتب المعمل ووضعت نقطة الأكسير في فم الفأر الميت، مرت ثواني ولم يحدث شيء، ولكن بعد قليل بدأ ضوء يخرج من رأس الفأر وتكونت انسجة تمتد وتصل بين الرأس والجسد ومن ثم صار كما كان قبل أن يذبح وبعد ثواني استيقظ الفأر وبدأ يتحرك وكأنه لم يمت ومن ثم قررت أن تسقيه قطرة من العينة الأخرى فمات مباشرة بعد أن تلوى قليلًا، وهنا سعدت شمس بما وصلت إليه ولم تتوقع قط أن تصل الأمور إلى تلك المرحلة، فمن شدة سعادتها نادت على أمها بلهفة:

فعندما دخلت أمها الغرفة سحبت شمس يدها وقالت لها:

-وأخيرًا الحلم تحقق يا أمي ، ها هو اكسير الخلود وهذا أكسير مضاد له أي من يشربه يموت .

-أي هذا سُم . . . ! !

-يا أمي دعكِ من هذا ، المهم عندي اكسير الحياة .

-مبروك يا أعظم عالمة في الدنيا .

ومن ثم سمعت صوت حسن ينادي عليها فذهبت إليه فقالت له والابتسامة على وجهها :

-شمس اتمت اختراعها يا حسن .

اظهر عدم اهتمامه بما قالته وقال لها :

-تعالي اجلسي معي ، أنا طوال الوقت في الخارج وعندما أتِ تذهبي وتجلسين معها .

هنا قررت شمس أن تعود بالزمن هي والدكتور توماس وقالت:

-ها نحن ذا صرنا نعرف جيدًا ما سيحدث بعد ذلك، أمي ستكتشف أن أبي

متزوج عليها ولديه أبناء وكان يخونها وخدعها كل تلك السنوات، وفي منتصف اليوم عندما سألها عن اختراعي لأنه سمع كلامنا بالأمس، فهنا ظنت أمي أنه يريد أن يجربه، لذا عندما ذهب لكي ينام قامت بترتيب غرفتي كالعادة ووضعت اكسير الحياة في الدرج، وأكسير الموت بجوار بعض الادوات على المكتب كي عندما يأتِ أبي بعد العشاء ويستغل وجودنا في الصالة ومشاهدتنا للفيلم فيأخذ من الأكسير ظنًا منه أن ما وجده هو الاكسير الذي يبحث عنه، ولكنه مات بسبب أمي بطريقة غير مباشرة. . .

وهنا شردت شمس قليلًا وقالت لدكتور توماس الذي رسمت على ملامحه كل ملامح الذهول:

-ولكن لِمَ أمي كان معها كتاب سحر. . . ؟

-ولِمَ تسأليني يا شمس هيا بنا نعود بالزمن ونعرف كل شيء .

-ولكن إلى أي زمن بالتحديد. . . ؟

-بصراحة لا أدري. . .

-حسنًا فلنؤجل هذه النقطة لما بعد، ولكن دعنا الآن نعود بالزمن لليوم الذي سافرت به فأمي كانت تريد أن تخبرني بشيء ولا تتجاوز الوقت سريعًا مثل المرة

السابقة التي كنا نرغب بها أن نرى الهجوم فقط .

وبالفعل عادا بالزمن وبعد رحيل شمس ها هي سمية تجلس بمفردها في غرفتها

ومن ثم قامت بتسجيل فيديو لنفسها وهي تقول:

-هذا فيديو اسجله لكِ يا شمس لأني لم استطع أن أقوله لكِ وجهًا لوجه، عزيزتي منذ موت أبيكِ وأنا أتعذب، أشعر أني مجرمة قاتلة، حتى وإن كان خائن فلم يكن عليَّ أن أؤذيه كما أذاني ، بل أنا لم أؤذيه فقط بل أنهيت حياته .

أشعر أني سأموت بسبب تأنيب الضمير لأني قتلته، لذلك رفضت أن أخذ اكسير الحياة منكِ ليس لعدم ثقتي بك، بل أنا أثق بكِ وحدكِ في هذه الدنيا ، ولكن كل يوم يأتِ عليَّ يعذبني أكثر وأكثر فصرت أرغب في الموت أن يأتيني ، وفي نفس الوقت لم أرغب في أن أخذ أكسير الموت لا أريد أن أموت منتحرة كذلك، فأنا قمت بالكثير من الذنوب التي صعب أن يسامحني الرب عليها .

من ثم بكت سمية ومسحت دمعها وقالت:

-شمس أريد أن اعترف بذنبي ، فالذنب يجعلني أموت كل يوم أكثر وأكثر .

أنا الرب حرمني من الذرية بالرغم أني ظللت أدعيه واترجاه كثيرًا ولكنه لم يسمعني لسنوات لذا قررت ألا أطلب منه ثانيةً، لذا قررت أن استعين بالجن، وبالفعل الجن استجاب لي سريعًا وهنا أيقنت أني اضعت عمري في توجيه وجهي لوهم، قلت كيف هو رب رحيم ولم يرحمني، طلب مني الجني أن أذهب ثاني يوم أنا وزوجي حسن للبحر وقال لي أني سأرى معجزة، كنت أظن أني سأردد بضع كلمات ومن ثم يتم شفائي، ولكن المعجزة هي أن البحر وهبكِ لنا .

وحسن سعد لسعادتي ولكنه تشائم منكِ بسبب تلك الحادثة، وعلاقتنا لم تعد كما كانت بعد تلك الحادث، كنت أظن لأنه يغير من حبي لكِ .

ومن ثم انهارت بالبكاء وقالت:

-ولكن الحقيقة هو تغير معي لأنه كان يوهب حبه لامرأة غيري، وانجب منها بدل من الواحد اثنان .

وها أنا أموت يا شمس وأحيانًا يراودني شعور بأني من فعلت كل ذلك في نفسي، أنتِ لا تتوقعي كمية الحب التي كنت أعيشها مع حسن طوال سنوات

زواجنا قبل أن أقرر الحصول عليكِ، وكأن الرب كان رحيم بي بعدم استجابة دعائي، وكأنه كان عليم بي، بأن عدم انجابي خير لي والله عوضني بحب زوج مثالي لي، ولكني لم أرى ما لدي ولم أرضى بحالي فبحثت عما أفقده وسخطت على حياتي، وعندما استعنت بالشيطان أي نعم صرتِ معي، وبمجرد رؤياكِ شعرت بكمية حب رهيبة لكِ حب لم أكن أظن أني لو أنجبت بنت من صلبي بأني سأحبها هكذا . . .

من ثم اجهشت بالبكاء وقالت:

-ولكن حسن كرهكِ وكره اليوم الذي وجدناكِ به لأني فجأة تحولت أمامه بجسد معدني وكأني روبوت وكلما رأني تحسر على ما حدث لي وما وصلت إليه، ولا أدري أكان هذا هو الدافع لكي يتزوج غيري ويتركني .

ها أنا صرت لم أعد أتحمل أن التزم بالعهد الذي بيني وبين الشيطان أكثر من ذلك، ضميري وقلبي يجذبني أكثر كي أقترب للرب واستغفره وأتوب إليه، وأردت أن أصور لكِ هذا الفيديو كي تعلمين من هم اخوتكِ من أبيكِ وتودينهم وتعطي لهم حقهم سأرسل لكِ عنوانهم في رسالة بعد هذا الفيديو يا

عزيزتي .

أريد في النهاية أن أحذركِ من الشيطان وطريقه، فهو يزين لنا طريق منعنا الله منه، والله لا يمنع إلا لمصلحتنا ، لذا لا تخلعي القلادة التي اعطيتكِ إياها فهي لتحصينك .

من ثم حاولت أن ترسل الفيديو ولكنه لم يرسل بسبب عطل في الشبكة فقالت وهي تهم كي تغسل وجهها وتتوضأ وتصلي :

-أشعر أني ارتحت بمَ بحت به إلان وعندما تعود شمس سأحكي لها الحقيقة كاملة .

من ثم بعد أن صلت وبكت للرب مسحت على قلبها الذي كان يؤلمها من شدة البكاء ، ومن ثم شغلت فيلم كي تنشغل عن تفكيرها الذي يؤلمها كثيرًا وبعدها حدث الهجوم . . .

هنا عادت شمس ودكتور توماس مرة أخرى للواقع وقالت باكيةً:

-هل قتل أمي لأنها عادت للرب، فخسرت حماية الشيطان لها . . . !

-لا أدري يا شمس فالأمور زادت تعقيدًا .

نظرت شمس لقلادتها وقالت:

-نعم هذه القلادة، منذ أن أرتديها وحياتي تحولت جحيم أنا كذلك خسرت الهبة التي وهبني إياها الشيطان أي الأكسير، وأمي بمجرد أن تقربت للرب خسرت هبة الشيطان لها أي أنا، ولكن لماذا لم أمت أنا . . . ؟ لم هي من ماتت . . ؟

-أظن لأن الشيطان قال لكِ إذا لم تفي بالعهد سيكون الحساب بالدم، لذا حرمتِ من أمكِ وهذا عقاب أشد لكِ لأنكِ تعيشين لأجلها وهدفك من الحصول على الأكسير كان لأجلها كذلك، فهو أراد أن يكسركِ ويعذبكِ بفراقها .

بكت شمس وسقطت أرضاً وقالت:

-لم أفهم شيء يا توماس، لا أدري ماذا علي أن أفعل . . . !

ضمها توماس وقال لها:

-سينكشف كل شيء صدقيني وسيهدأ بالكِ .

وبعد أن خرجت من حضنه قالت بغضب:

-لا أريد تلك القلادة التي دمرت حياتي .

فأمسك يدها ومنعها قائلًا:

-لا تخلعينها، فهذه هدية أمكِ لكِ .

-ولكن يا توماس أنت . . .

قاطعها توماس وقال وهو يلمس القلادة قائلًا :

-تلك القلادة قلت لكِ أني رأيت مثلها مع صديقتي أليس كذلك .

توقفت شمس عن بكائها وقالت:

-تقريبًا ، لا تقل أن صديقتك فريدة تلك هي ال . . .

أومأ برأسه قائلًا :

-هي فريدة ومن سواها ، كانت ترتدي تلك القلادة للتحصين كانت هدية من أمها كذلك، أتذكر تفاصيلها ، قلادة سداسية بها نجمة داوود وفي المنتصف لفظ الله و حولها أيات تحصين .

-ماذا تقصد يا توماس . . . !

-لا أقصد شيء بل قلبي يشعر بأن هذه قلادة فريدة يا شمس . . .

-ولكن كيف . . . ؟

-قصتك يا شمس عليها مليون علامة استفهام، فسمية وجدت هذه القلادة معكِ في يوم وجدتكِ في البحر ، بل وشبهك لفريدة أ . . .

قاطعته شمس وقالت:

-أتقصد أن فريدة تكون أمي . . . !

***

وبالفعل عادا بالزمن منذ أن كانت فريدة معه إلى أن أنجبت فريدة بنتها الأولى والقت بها في البحر ومن ثم حدث الصراع بينها وبين أبن من ابناء لوسيفر

(يرجى قراءة الجزء الأول والثاني لفهم التفاصيل*) .

هنا نظر توماس لشمس وقال:

-يبدو أن الشيطان حث فريدة على هذه الفكرة لأنها معروفة أنها تطرد الأرواح الشريرة، ولكنه كان يريد أن تلقي بفارس الذي كان يمسك بكِ وأنتِ صغيرة فيخترقه الوتد الخشبي فيموت لأنها هذه طريقة الموت الوحيدة لكي يموت .

-ولكن أنا كنت على قيد الحياة ولم يخترقني الوتد وفريدة سعدت بنجاتي ولكن سرعان ما ظهرت الشعلة على رقبتي وتحولت لزين أو جواد لا أدري له أسم حقيقي .

-هل هذا يعني أنكِ هو . . . ؟

-لا أتوقع ذلك ولكن اتوقع انه خدع بصرها بينما جسدي أنا ظل في البحر .

-حسنًا دعينا نظل في البحر ولنرى ماذا حدث، أي لا نأخذ زاوية رؤية فريدة .

وبالفعل عادا بالوقت قليلًا وظلا تحت الماء، إلى أن وجدا فارس سقط بظهره على الوتد الخشبي وهنا طوطيائيل أخذ الطفلة وغادر سريعًا .

وهنا رأت فريدة بقعة الدماء في البحر فنزلت ورأت ما رأت وحدث ما حدث .

هنا نظرت شمس لدكتور توماس وقالت:

-وهنا أكيد وضعني طوطيائيل في هذه الفقاعة وفي اليوم التالي أعطاني لسمية .

اومأ لها أي نعم وقال:

-ولكن ماذا حدث بعد ذلك لفريدة بعد أن انتصرت على ابن الشيطان وانقذت زوجها . . . ؟

-ما دخلنا نحن في حياتها يا دكتور توماس . . . ؟ ألم تقل لي أنك لم تحب أن تستخدم الجهاز في أن تعرف شيء عن حياتها و . . .

-يا شمس بل أريد أن أعرف ماذا حدث معها وأين هي الآن كي يجمع شملكما ثانيةً .

ابتسمت له شمس وقالت وهي تغمز له:

-يجمع شملي أنا وهي فقط أليس كذلك . . . !

ضحك لها دكتور توماس وقام بمتابعة الاحداث، وتمر الأيام وفريدة تحمل للمرة الثانية وجاء موعد الولادة وخرج فارس لكي يأتي لها بالطبيب، وكانت فريدة حينها جالسة في مغطس، وهنا فجأة بدأت المياة تتحرك تحتها وهي كانت تشعر أنها على وشك الولادة، وبالفعل بدأ الطفل في الخروج شيئًا فشيئًا ومازالت فريدة ترى حركة غريبة في المياة وظنت أنه يتوهم لها وبمجرد أن شعرت بخروج الطفل مدت يدها كي تمسك به وتخرجه ولكنها شعرت بيدين من نار امسكا بها ، فصرخت متألمة وهي تحاول أن تسحب الطفل وتفلت من اليدين الأتيتان من الجحيم تلك، وهنا ظهر أمامها جواد ضاحكًا:

-أهلًا بالشجاعة، هل ظننتِ أنكِ قدرتِ عليَّ أيتها الانسية البلهاء ، لمولى تقدري عليَّ وقررت ألا أظهر في حياتك إلا في الوقت المناسب كي أكسركِ .

قالت له باكيةً متألمة:

-أخرج ابني من تحت الماء حالًا أرجوك .

ضحك بهستيريا وقال:

-تبدين جميلة وأنتِ ضعيفة هكذا يا فريدة، ترجيني أكثر هيا . . .

اجهشت فريدة باكيةً:

-أرجوك، ابني ليس له ذنب كي تقتله، أنا من بدأت التحدي، خذني أنا ودع ابني وشأنه.

هنا قال متفاجئًا:

-تبدين ضعيفة وأنا لاوي ذراعكِ بأبنكِ.

-أفعل ما تشاء ولكن اخرجه حالًا . . .

ومن ثم حاولت أن تتمتم بأيات في سرها، فضحك قائلًا:

-صدقيني عزيمتك وقوتك الآن ضعيفة للغاية وخاصة ليس معكِ قلادة التحصين تلك، ألم أقل لكِ أني انتظرت الوقت المناسب هذه المرة.

بدأت تحرك قدمها وتحاول أن تسحب يدها ولكن قوتها كانت ضعيفة للغاية وليس بيدها شيء سوى التوسل:

-أرجوك، أنا عند كلامي لك، دع ابني وأنتقم مني كما تشاء.

هنا رفع ابنها بقوة في الهواء أمامها فصارت تترجاه أكثر وتبكي بهستيريا:

-ارجوك لا تؤذيه فهو لم يفعل شيء، خذ روحي أنا وأتركه أتوسل إليك .

وبالفعل انزل الطفل بقوته بجوار المسبح، واقترب منها بيديه الجمرتين وخنقها وهي تنظر لأبنها باكيةً ومن ثم ماتت، في هذه اللحظة كان قد دخل فارس البيت ومعه الطبيب ولكنه فجأة تحجر وتحول لصنم بجاور الطبيب وفجأة انهار وما تبقى منه سوى رماد هنا صدم الطبيب لما رآه ورغب في الرحيل ولكن صوت بكاء الطفل جذبه كي يدخل، فدخل من الباب الزجاجي الذي كان مفتوح ورأى الطفل بجوار المسبح باكيًا ولم يجد أحد معه، لم يدري ماذا عليه أن يفعل، ضم الطفل بين يديه وصار ينادي على من في البيت ولكنه لم يأتيه رد، فقرر أن يأخذه معه بيته، وزوجته أحبته كثيرًا فبمجرد أن شعر الطفل بدفيء البيت صار هادئًا جدًا .

وهنا التفتت شمس لدكتور توماس وسألته:

-ولكن أين ذهبت جثة فريدة، وماذا حدث لفارس . . . ؟

-حياة فارس مرهونة بحياة فريدة .

ضربت شمس رأسها وقالت:

-صحيح تذكرت ذلك، الفكرة نحن نتجاوز الكثير ونركز على حدث معين من

المواقف فصرت لا انتبه جيدًا، ولكن هيا دعنا نعود مرة أخرى كي نرى ما حدث لفريدة ولا نخرج لصوت قدوم الطبيب.

هنا وجدا فريدة وضعها جواد في قفاعة كبيرة ورفعها ونزل بها في البحر لعمق كبير جدًا، وهنا ذهلت شمس لما رأته، رأت مدينة كاملة في باطن البحر، مدينة تمتاز بتقدم رهيب، وها هو يفتح له باب ذهبي كبير، ووضع الفقاعة الكبيرة على شكل دائري في الأرض فصارت أشبه ببلورة تزين المكان، جثة فريدة المتألمة تزين القصر وتشفي غليلهم، هنا قال جواد للمرأة التي ترتدي ملابس ملوك وقلادة على شكل بومة بلون دموي وقالت:

-احسنت صنعًا يا جواد.

-تحت أمر معاليكِ يا ملكتنا، فنحن نسعى جاهدين للانتقام من بني ادم وإظهار ضعفهم واثبات أنهم من يستحقون أن يسجدوا لنا لا نحن من نسجد إليهم.

وبعد ما خرج وجد حورية جميلة، نصفها امرأة جميلة حاول الاقتراب منها ولكنها حاولت أن تتجنب حديثه فوقف أمامها وحاول أن يظهر براعته أمامها:

-اليوم الملكة كرمتني على ما فعلته ببنت انسية .

نظرت له محتقرة إياه وقالت:

-لقد سمعت ما حدث، تلك هي الفتاة التي ذلتك بدل من المرة مرتان، والآن تظهر قوتك وكيف لي أن أراك قوي وأنت استغللت ضعفها وكونها هذيلة لأنها كانت تلد . . .

غضب بشدة ومسك يدها وقال بحدة:

-ماذا علي أَن أفعل كي تقدري ما أفعله ها . . .

نظرت له بتحدي وقالت له:

-أنت ضعيف وفاشل يا جواد، لذا لا تفعل شيء لأني لن أحبك أبدًا ونحن لسنا مثل بعض ولن نكون .

ومن ثم تركته وبدأت تعوم إلى أن وصلت لسطح الماء وهنا جاءها صوت بكاء طفل، فتحولت لطيف وبدأت تحوم بجوار البيوت كي تسمع الصوت جيدًا إلى أن وصلت للبيت، هنا رأت الطفل الصغير أبن فريدة الذي أواه الطبيب، بدأت تلمس الطفل بحنو ولين إلى أن هدأ .

فكان الطفل ينام كثيرًا وهذا ما حير زوجة الطبيب وفي يوم قالت له:

-هذا الطفل غريب جدًا يا أندرو، أنه لا يتسيقظ إلا في النهار فترة بسيطة ويرضع مرة واحدة فقط بينما باقي الوقت ليل نهار نائمًا .

-ولكنه بصحة جيدة ونموه جيد فلا داعي للقلق يا حبيبتي .

-ولكنك كما ترى لدينا من الابناء ثلاثة ولكن هذا لم يحدث مع أي من ابنائنا أبدًا و . . .

-حبيبتي ارتاحي فالأطفال مختلفين، ولو به أي شيء سأقول لكِ .

مرت الأيام وكل يوم تأتِ إليه وتلاعبه وترعاه، وبعد شهر منذ ذلك الحادث، كانت الحورية على سطح الماء فرأت سفينة كبيرة فغطست تحت الماء، ومن تحت الماء رأت قبطان تلك السفينة فخرجت من تحت الماء كي تراه جيدًا وهنا رآها ولم يصدق ما تراه عيناه فغطست مرة أخرى فظهر ذيلها، من ثم التفت من المقدمة إلى زاوية أخرى كي يراها وهي تعوم تحت سطح الماء، من ثم اخرجت رأسها مرة اخرى فرأت في عينيه نظرة انبهار لم ترها من قبل فغمزت له وابتسمت ومن ثم ابتعدت السفينة عنها .

فظلت تخرج يوميًا في نفس المكان إلى أن جاء اليوم وظهرت السفينة ذاتها مرة أخرى ورأته لم يصدق نفسه أنه رآها ثانيةً ومن ثم رحلت السفينة فأختفت عن عينيه.

في اليوم التالي ها هي رأت يخت فكان يلتفت عن يمينه وعن يساره باحثًا عنها، وهي بمجرد أن أدركت أن من على اليخت هو، رفعت رأسها من تحت الماء فهنا رسمت ملامح اللهفة على وجهه وقال:

-وأخيرًا وجدتكِ.

ابتسمت له ولم تتكلم فقال لها:

-أنا حسن، من مصر، هل أنتِ حقيقة أم أنا جننت من بعد تلك الحادث.

فردت عليه بالمصري وقالت:

-لا بل أنا حقيقية...

انبهر وابتسم وقال لها:

-أوه تتحدثين بالمصري، أنا قلت اتحدث باليونانية بما أننا في اليونان و...

-حدثني بما تحب فأنا أفهم جيدًا.

-أنتِ ليس لكِ مثيل يا . . . آه ما اسمكِ . . . ؟

-اسمي نايدا . . .

-اتصدقين يا نايدا لم اتوقع قط أن الحوريات حقيقة، كنت أظن أنها مجرد أسطورة من الأساطير.

-يوجد الكثير من الأمور هي حقيقة ولكن الناس يقولون أنها أسطورة ولكنهم لا يعلمون أن لا يوجد دخان من دون نار . . .

-مثل ماذا . . . ؟

-مثل الجن ، الفضائين ، سكان الأرض، والحوريات مثلًا .

-لا يهمني كل ذلك يهمني أن أنتِ حقيقة وكفى .

ابتسمت له وقال لها:

-هل يمكن أن أراكِ ثانيةً . . . ؟

-كل يوم في هذا المكان . . .

رسمت على ملامحه ملامح حيرة وقال:

-هل يمكن أن أسألك سؤال محير بعض الشيء . . . !

أومأت له أي نعم فقال لها:

-ألا يمكنك أن تخرجي من الماء . . . !

-يمكنني أن أفعل أي شيء يخطر على بالك فأنا من جن البحر .

هنا ظهرت ملامح الصدمة على وجهه فقالت له وهي تبتسم:

-لا تخف مني ، فليس كل الجن كما تظن ، أنا من جن البحر وعشيرتي طيبين إلى أبعد حد .

ابتسم لها محاولاً أن يتحرر من خوفه الكامن بداخله:

-لم أكن أدري أن الجن جميل هكذا . . .

-نحن أمم امثالكم يوجد مننا من هو جميل ومن هو قبيح .

طال الحديث بينهما وتحولت لجسد بشري كامل وركبت اليخت مع حسن وتكررت اللحظات السعيدة بينهما ، إلى أن جاء اليوم الذي عرض عليها الزواج، وهنا قالت له أنها موافقة ولكن بشرط أن تأخذ الطفل الذي ربته قرب 3 شهور بعد أن حكت له كل شيء .

هنا وافق حسن ، وهي اخبرت أهلها بقرار زواجها من أنسي ، وتركتهم

وعاشت مع حسن بعدما أن جهزت بيانات تثبت بكونها بشرية يونانية يمكنكم أن تقولوا أنها مزورة، كي تتمكن من السفر معه وباقي تفاصيل الحياة كذلك.

وكالعادة تجاوزا دكتور توماس وشمس الكثير من الأحداث والأيام إلى أن جاء اليوم و حملت نايدا، بعدها عادا بالزمن للواقع:

-يعني تيمور يكون أخي . . . !

-صحيح، يعني لا تنتقمي منه يا شمس، بل دعينا نهدأ ونفكر كيف لنا أن نوضح له الحقيقة ونصل لحل وسط بينكما و . . .

-قبل أن نذهب لتيمور يا دكتور توماس يجب أن نعلم ماذا سيحدث في المستقبل، فنحن فهمنا أغلب المواقف في الماضي دعنا نفهم ما سيحدث في المستقبل

فأمي حذرتني من طريق الشيطان وأنا اتبعته سعيًا وراء هذا الأكسير، لننظر ما هو أثره على المستقبل، فإذا كان خيرًا نحاول أن نجد حل وسط مع تيمور، بينما إذا كان شرًا فيجب أن نمنعه بكل قوانا .

***

2089 أي بعد عشر سنوات من الوقت الحالي، وجدا العالم صار أكثر تقدمًا عما كان في عام 2079 نظرت شمس بتعجب لدكتور توماس وقالت:

-ما هذا التقدم الخيالي يا دكتور، في عشر سنوات فقط يتغير معالم الكون هكذا، ولكن كيف. . . ؟

هنا كان يبحث دكتور توماس في الشاشة المنبثقة أمامه وقال لها بحيرة:

-تعداد السكان صار 990 مليون فقط بعدما كان تجاوز 10 مليار نسمة، أين ذهب الناس، ماذا حدث يا شمس. . . ؟

هنا مسكت شمس رأسها وقالت بحيرة أكثر:

-يعني أنا اسألك يا دكتور توماس فترد عليَّ السؤال بسؤال فيزيدني حيرة أكثر.

هنا قال لها كمن لا يوجد أمامه حل أخر:

-يجب أن نخرج من وضع الاختفاء ونظهر للناس ونسألهم مباشرةً، اومأت له شمس أي أنها فكرة جيدة وبالفعل ظهرا وعندما يمر تجاههما أحد طائرًا في السماء يرمقهما بتعجب من شكلهما المختلف عنهم، وكلما هبطت سيارة من السماء كي تركن بجوار أحدى الفيلات يرمقهم صاحبها وكأنهما غريبان الأطوار.

كلما فكرا أن يقتربا كي يكلما أحد ما، فجأة تمنعهما نظرات الريبة لهما .

لذا صارا ينتقلان من منطقة لمنطقة أخرى وهما مختفيان عن الانظار، وكلما انتقلا من مكان لآخر ازدادا تعجبًا، لَم البيوت كلها صارت نفس الطراز، ولَم يعد هناك ناطحات سحاب أو عمارات حتى . . . ؟ ولما كل البيوت حولها شيء يشبه قوقعة زجاجية وكأنها درع للحماية . . . ؟

نظر لها دكتور توماس وقال لها بتعجب أكثر:

-أين الفقراء أو العمال أو بسطاء الحال . . . ؟ ماذا جرى للدنيا . . . ؟ كل من نراهم نشعر وكأنهم نسخة من بعضهم البعض، كلهم نفس التصرفات ونفس البيوت . . . ! ماذا تغير في هذه السنوات البسيطة ماذا . . . ؟

هنا وجدا واحدة تهبط من السماء فقررا أن يظهرا من جديد ويقتربا منها كي ينهيا هذه التساؤلات التي لا تنتهي، هنا قال لها دكتور توماس:

-أهلًا بحضرتك، أنا دكتور توماس، وهذه دكتورة شمس و . . .

هزت لهما رأسها وقالت والباب يفتح بمجرد اقترابها منه:

-تفضلا معي لنتحدث بالداخل أفضل .

بمجرد أن دخلا انبهرا بأن أغلب الديكور أخذ الطابع الزجاجي الشفاف الذي لا يخطر على البال حرفيًا، وهنا أثناء انبهار دكتور توماس بالمكان قالت شمس:

-ألم تخافي من فكرة دخول غرباء بيتك هكذا . . . ؟

ضحكت وقالت لهما:

-شكلكما لا يوحي بذلك بتاتًا، بينما إذا كنت تركتكما لكنت خفت عليكما .

قال لها دكتور توماس بدهشة وقال:

-مما تخافين علينا . . . !

-إنه موضوع كبير، العالم صار مهدد بالخطر، منذ **7** سنوات وكل شيء تغير وصارت تأتينا تهديدات .

-كيف تغير العالم، وما هذه التهديدات . . . ؟

-للصدق بدأ التغيير الجذري منذ **10** سنوات بعدما تم الاعلان عن اكسير الحياة الذي تهافت عليه أغنياء العالم وبيع بملايين الدولارات في بداية الأمر .

ومن ثم بدؤا العلماء باستنساخ العينة لعديد من العينات بنسبة أكبر عن العينات التي كانت موجودة في البدء، وذلك بعد أن انتشر وباء بدأ يأكل في صحة البشر وخاصة الفقراء منهم، بينما قاومه بعض الوقت أولئك من كانوا يهتمون بصحتهم

ويأخذون مقويات تدعمهم لمقاومة المرض، ولكن سرعان ما بدأت قواهم تضعف هم أيضًا وما بيدهم حيلة سوى شراء العينة ب**1000**جنية ذهبي فالعملات اختفت ولم يعد سوى العملات الرقمية فقط بينما الأكسير كان ثمنه بالذهب، وهذا كان سعره وكأن الحكومة تدعمه لإنقاذ حياة شعبها، ولكن في حقيقة الأمر هم من صنعوا ذلك الفيروس كي يقتل الضعفاء والفقراء كي يخلصوا العالم من تلك الاعداد الهائلة في ظرف فترة قليلة، بينما يتبقى من هم مستواهم فوق المتوسط والاغنياء فقط.

وبذلك يكونوا خلصوا العالم من الفقر والفقراء الذين هم الأكثر جهلًا ومرضًا.

ومنذ سبع سنوات يا عزيزتي فجأة تحولنا جميعًا لنفس السن كلنا صرنا في سن الشباب أي وكأننا في الجنة الكبير والصغير صاروا في عمر الثلاثين، أتدرين كم كان سيكون عمري الحقيقي إن لم أخذ هذا الأكسير...!

ذهلت شمس وقالت:

-كم...!

-لكان عمري **92** عامًا، ولا أدري هل كنت سأعيش لهذه اللحظة أم لا...!

قال لها توماس بعدم فهم:

-ولكن كيف تغيرت البيوت هكذا وما هذه القوقعة التي تحمي البيوت وكأن حربًا ستقع . . . ؟

-هههههه، وكيف علمت أن هناك حربًا ستقع . . . ؟

صعق دكتور توماس وقال:

-أحقًا سيحدث ذلك . . . ؟

-نعم ستحدث حرب ولكنها ليست حرب مثل التي كانت في الماضي بل هي حرب كونية، فالعالم الآن كله صار دولة واحدة تحكمه قوة واحدة ويتعامل بعملة واحدة . . . ؟

قالت لها شمس:

-اتقصدين حرب مع الفضائيين . . . ؟

-نعم، أنتِ تعلمين زيارة الفضائيين لعالمنا كان منذ القدم من فترة لأخرى في الماضي ولكن لم تكن هنالك أدلة تثبت ذلك إلا بعض قصص على مدار التاريخ، وعندما ظهرت التكنولوجيا اتهمنا أن هذه الأدلة أدلة مزيفة ليست حقيقية .

ولكن منذ **7** سنوات بدأت تتكرر زيارات الأطباق الطائرة على كوكبنا، وتمكنا من تشفير رسالهم أخيرًا وكانت الرسالة المكررة هي، أن هلاكنا قد أقترب .

فهنا فهمنا أن هذه رسالة تهديد مباشرة من الفضائيين بأنهم مستعدين أن يهلكوننا ويبيدوننا ويسيطرون على عالمنا .

لذا منذ ذلك الحين تم إصدار قرار بالاستعداد لهذه الحرب، واقترحوا المهندسون بإنشاء تلك البيوت وما حولها من حصن زجاجي غير قابل للتدمير .

وهنا العالم أصدر قرار بجمع المال من الشعوب، ومن يدفع يتم كتابة أسمه في القائمة التي توفر له انشاء بيت له ولأسرته بهذه التقنية الجديدة، بينما من لم يستطع أن يدفع، يتم اصدار قرار باعدامه . . .

-وكيف يتم أعدامه وقد أخذ اكسير الحياة . . . !

-أوه، لقد نسيت أن أقول لك، أن كل من يدفع ثمن الأكسير الحياة يأخذ معه أكسير الموت، كي يكون المرء هو المسؤول عن حياته إذا كان يريد أن يستمر بها أم ينهي حياته بنفسه، وهنا قد صار المرء مخير حرفيًا في حياته وموته .

لنعد لموضوعنا فكما تعلمون أن أصحاب الطبقة الفوق متوسطة قد باعوا كل ما يملكون كي يحصلون على أكسير الحياة ويتجاوزون إصابة الفيروس اللعين .

فكان من الصعب لهم أن يوفروا ذلك المبلغ الهائل لهذا البيت المحصن، فتم إعدامهم بقرار عالمي، وبذلك تمكنت الدولة محاصرة ممتلكاتهم والحصول من وراءها

على أموال، وتم تدمير المباني القديمة وإنشاء مباني ومدن جديدة، فصرنا أشبه بالمدينة الفاضلة التي لطالما حلم بها افلاطون، مدينة بها علية القوم في كل شيء، في المال والعلم والنظام، بينما أي من يفتقر لأي شيء فليس له نصيب أن يكمل في هذا العالم، فهنا نحن صرنا خليفة الرب ومعروف أن الرب ملك الملوك، فأكيد خليفته ستكون ملوك أو من هم الصفوة في كل شيء، فلا يصح أن يخالف الرب من لم يتصف بصفاته ولم يرتقي من حيوانيته ووصل لقدر عالي من الانسانية والروحانية.

هنا قالت شمس بحرقة:

-وهل كل ما حدث ذلك تسمونه انسانية. . . ؟ وهل هذا هو الرب الذي تقتدون به وتريدون أن تكونون خليفته، تتحكمون في حياة الناس كما هو يتحكم في حياتهم، تظلمون الناس مثل ما هو ظالم، هذا ليس بعدل وأنتم هكذا لا يحق لي أن أصفكم حتى بالحيوانية التي كان عليها الانسان البدائي، بل أنتم صرتم وحوش.

هنا قالت لها:

-هذا ليس تفكيري أنا، بل أنا أقول لكِ تفكيرهم هم. . . !

حاولت شمس ألا تسقط الدمعة من عينها وقالت:

-من هم . . . !

-المتحكمين في العالم من غيرهم.

-ولِمَ لا تعترضون . . . !

-نعترض . . . ؟ وكيف لنا أن نعترض وكل سبل التعبير عن الرأي قد انتهت، أتحسبين أننا متقدمين أحرار، بل نحن سجناء هذه القوقعة وقبل هذه القوقعة نحن حبيسين أفكارنا وأراءنا، أتدرين ماذا كنت قبل هذا التغيير الذي حدث . . . ؟

قالا توماس وشمس في ذات اللحظة:

-ماذا . . . ؟

-كنت مؤلفة، وأجاركم الله عندما يكبت المؤلف أفكاره، الافكار تصرخ في عقلي، تريدني أن أحررها، وبالفعل أحررها واكتبها، ولكن أظل متألمة غير مرتاحة لأن واحد حتى لم ولن يقرأ ما كتبته لأنه أمر ممنوع عالميًا .

وهنا سمعوا صوت مداهمة وتم فتح البوابات بقرار قانوني فمسموح لرجال الدولة اقتحام البيت في حالات الطوارئ وهنا فزعت عندما رأت رجال الشرطة وهم يقولون:

-حاصروهم مطلوب القبض عليكِ ومن معكِ لأنكِ جاسوسة تتعاملين مع الفضائيين . . . !

-نظرت بخوف وقالت:

-أنهم بشر مثلنا صدقني . . .

في ذات الوقت كانا توماس وشمس يترجيان:

-نحن بشر نقسم لكم بذلك . . .

ولكن الترجي لم ينفع مع رجال الشرطة فهم دكتور توماس بكتابة التاريخ ومسك يد السيدة التي أخذتهما بيتها واختفوا من أمام رجال الشرطة وعادوا للحاضر من جديد .

***

نظرت لهما السيدة وقالت وهي تبتسم وقالت بثقة:

-كنت متأكدة أنكما من الماضي، كنت متأكدة من ذلك. . .

قالت لها شمس:

-وكيف كنتِ واثقة من ذلك، بينما بقية الناس كانوا ينظرون لنا بريبة ورجال الشرطة قالوا عنا فضائيين.

-أظن أن الناس الذين رأوا هيأتكم هم من شكوا بكما وأبلغوا الشرطة لكي يتتبعوا طريقكم ويتم القبض عليكم وهذا ما حدث، وذلك لأن الناس وكما رأيتما صاروا يتشككون ويخافون من كل ما هو غريب أو من لا يمشي على النمط الذي رسمه لنا القانون.

بينما أنا كنت أعلم حقيقتكما وذلك لأني عندي تجربة في الماضي عندما كنت شابة بالفعل.

نظر لها دكتور توماس بدهشة وقال:

-هل كان معكِ جهاز سفر عبر الزمن كذلك. . . ؟

-لا لم يكن معي بل كان مع صديقتي فريدة، التي جاءت لي من المستقبل ومررنا بتجربة لا يتخيلها عقل.

صدم دكتور توماس وقال:

-صديقتك كان اسمها فريدة مراد أليس كذلك، وكانت طبيبة صحيح . . . ؟

ابتسمت له وقالت:

-صحيح، هل تعرفها . . . ؟ طمئني عنها لأنها اختفت فجأة، أول تجربتي معها عندما جاءت لي من المستقبل وحولت تجربتي معها إلى رواية أولاد لوسيفر، ولكن شاء القدر أن نجتمعا سويًا في الحاضر كذلك ولكني كنت كبيرة إلى حد ما بينما هي كانت في سن الشباب ومررنا بتجربة ومغامرة رائعة حولتها لرواية الخناس واعتبرتها الجزء الثاني من رواية أولاد لوسيفر.

التفت دكتور توماس لشمس وقال لها:

-يجب أن نبحث عن تلك الروايتان وأن نقرأهما قد نجد بهما تفاصيل كي تساعدنا لأننا تجاوزنا الكثير من الأحداث عندما عدنا بالزمن، وكي نفهم الأحداث من عدة جوانب بشكل أشمل أفضل من تتبع جانب بعينه.

من ثم قالت شمس وهي متأثرة:

-صحيح يمكن من خلالهما أعرف المزيد عن أمي . . .

هنا صدمت وقالت:

-هل أنتِ بنت فريدة . . . !

-نعم، ولكني لم أكن أعلم ذلك، إن حياتي غريبة جدًا و . . .

اقتربت منها وضمتها وهي تربت عليها:

-لا يوجد شيء غريب، كل شيء سيتضح لكِ بمجرد أن ترتبي الأفكار أمام عينيكِ، هيا تعالي نجلس سويًا وأحكي لي كل ما مررتِ به ولكن بالتفصيل، فأنا تهمني التفاصيل بشدة.

وبعد أن انتهت شمس من سرد كل شيء قالت للمؤلفة:

-الآن عرفتِ كل شيء مني، هيا أحكي لي كل شيء تعرفينه عن أمي.

-بصراحة لن استطيع أن أذكر كل التفاصيل التي كتبتها في الروايتان، لذا دعانا نعود لبيتي وأعطيكما شيء نادر جدًا نسختان ورقيتان فهي لم تعد

موجودة في هذا الزمن .

قاطعها توماس وقال:

-اتقصدين بيتكِ في هذا الزمن أم بيتكِ في المستقبل . . . ؟

-بصراحة كنت أريد أن نذهب لبيتي في الحاضر كي أقول لنسختي في هذا الزمن أشياء ضرورية، ولكن بعد ما حكيتما لي كل هذه التفاصيل، ما زلت أشعر أن هناك أشياء عليها علامات استفهام أريد لها اجابات.

سألتها شمس بتعجب:

-اتريدين أن نعود للمستقبل ويتم القبض علينا واعدامنا . . . !

-لا بل أريد أن نختار زمن غير الذي كنا به أريد كما ان تكتبا تاريخ **2097** لكي نرى ما وصل له العالم وهل قامت الحرب أم لا . . . !

وبالفعل كتبوا التاريخ وهنا كانت الصدمة . . .

***

لقد وجدوا نفسهم في خلاء وأرض لا يوجد بها حياة وكأن لم يكن عليها حياة من قبل.

وهنا الأفكار المتضاربة بدأت تجول في خاطرهم وملامح الحيرة والصدمة قد اجتاحت وجوههم إلى أن تكلمت المؤلفة:

-ماذا حدث...؟ هل الحرب قامت وانتهت البشرية...!

قال لها توماس وهو يمسك برأسه:

-لا أدري ولكن هذا لا يبشر بالخير ويجب أن نعود للحاضر ونضع حد لل...

قالت شمس بحزم:

-لا، قبل أن نعود للحاضر، يجب أن نعود لليوم الذي قابلنا فيه المؤلفة...

وهنا سكتت ومن ثم سألت بتعجب:

-آه حقًا ما اسمك...!

-أنا، رانيا رمضان أديبة ومعالجة نفسية ولكني معروفة بلقب بنت البروفيسور.

-تشرفنا، لذا هيا نعود لصباح اليوم الذي قابلنا به رانيا...

سألتها رانيا:

-ولكن لمَ...؟

-ستعرفان عندما نصل إلى هناك، ولكن فعل خاصية عدم الظهور يا دكتور توماس.

وبالفعل وصلوا لبيت رانيا وهنا سألت شمس:

-ها أين تلك الروايات التي قلتِ لي عنها.

هنا ضربت رانيا مقدمة رأسها وقالت:

-أوه تذكرت موضوع الروايات، صدقوني ذاكرتي قوية جدًا ولكن عقلي مسحور بقصتكما وبهذه التجربة ولأني لم أعش تجارب منذ مدة طويلة.

هنا قالت شمس وهي تنهد:

-الآن علمت لمَ أنتِ مؤلفة، لأنكِ لا تتوقفي عن الكلام.

ضحكت لها رانيا وقالت لهما:

-هيا ورائي، وأنا لا أكون هكذا إلا إذا كنت متحمسة...

وقفوا أمام غرفة بها مكتبة كاملة، كل جدران الغرفة تم تعبئتها بالكتب الورقية، هنا قالت شمس بدهشة:

-ما كل هذه الكتب الورقية . . . !

ضحكت رانيا وقالت:

-أتعلمين أن كل هذه مؤلفاتي أنا وحدي . . . !

قال توماس وهو يهم بقراءة عناوين الأعمال:

-واااو يا لكِ من معجزة يا رانيا .

-تسلم لذوقك يا توماس، ها هي هنا . . .

وأشارت على رف وقالت لدكتور توماس أن يجلب الروايتان من على الرف، أخذتهما شمس بلهفة من دكتور توماس الذي كان سيفتح أول صفحة وقالت له:

-السيدات أولًا يا دكتوري العزيز .

ابتسم لها دكتور وقال:

-ها وماذا سنفعل الآن يا شمس هل عدتِ فقط لكي تأخذين الروايات .

-لا بل أريد أن أعرف كيف حدث الهلاك . . .

قالت لها رانيا:

-ولكن كيف . . . !

-سوف نقوم بتسريع الزمن من الآن إلى أن يحدث الهلاك ونعرف متى حدث .

وبالفعل بدأ الزمن يمر أيام تعقبها أيام ومن ثم شهور تعقبها شهور وسنة تعقبها سنة إلى أن وصلنا لعام **2094** وهنا رأوا أن مجموعة من أثرياء العالم قد تجمعوا للقيام برحلة للفضاء تحسبًا للخطر الذي من المحتمل أن يحدث .

بينما من هم ليسوا أثرياء تمنوا أن يكون التحذير ما هو إلا مجرد احتمال وقد لا يحدث .

ولكن للأسف حدث التحذير بتقلبات مناخية لا يمكن السيطرة عليها ، وكل ما يمكن للمرء فعله أن يظل في بيته .

وهنا رأوا أهوال لم تخطر على البال، كل مكان بالعالم حل عليه عذاب بشكل مختلف، الأماكن التي بقرب البحر اغرقتها المياه، واماكن أخرى غطتها الحمم البركانية، واماكن اخرى جاءتها ريح عاصف تكنس كل ما أمامها ، وأماكن اخرى شقت من شدة الزلازل .

وبعد مرور أيام من هذا العذاب الذي وقع على الأرض هدأت الفيضانات والبراكين عن الانصهار والاعاصير والزلازل، ومع مرور الشهور اختفى أثر مياه الفضيان من على الأرض وأظهرت طمي كثير ولا أثر للبيوت التي كانت موجودة قبل الفيضانات.

بينما الحمم المنصهرة بعدما هدأت خلفت مكانها رماد كئيب خفي كل شيء كان موجود.

بينما المدن التي حدثت بها الاعاصير والزلازل فهي بالفعل انشقت الارض وبلعتها.

وهنا صارت الأرض خاوية لا حياة فيها.

من شدة الصدمات والأهوال التي رأوها قرروا العودة للحاضر من جديد.

وهنا قالت رانيا بحيرة بعد أن فاقت من شرودها:

-لدي سؤال يحيرني، أو يمكنكما أن تقولا أنها فكرة غريبة، أولئك من هلكوا من هذا الدمار الجائح هم أشخاص أخذين اكسير الحياة أي أنهم احتمال أن يكونوا . . .

قاطعتها شمس كمن خطر في باله فكرة:

-على قيد الحياة. . .

ابتسمت رانيا وكأنها سعدت بمن مقتنع بفكرتها:

-صحيح هذا ما أظنه.

قال دكتور توماس متسائلًا:

-هل تقصدان أنهم صاروا سكان الأرض التي طالما قرأنا عنهم في القصص والأساطير.

قالت له رانيا بثقة:

-صدقني لا يوجد دخان من دون نار، وأي أسطورة لها أصل في الحقيقة.

قالت شمس مؤكدة على كلامها:

-صحيح وهذا ما أظنه أنا أيضًا.

ومن ثم سكتت رانيا قليلًا وجلست على الأريكة وأخذت تفكر في صمت، بعد قليل قاطعت شرودها شمس وقالت:

-فيمَ تفكرين الآن يا رانيا. . . ؟

رفعت رانيا رأسها وقالت بشرود بعض الشيء:

-أفكر في بوابات جوف الأرض التي قرأت عنها كضرب من ضروب الخيال، كي نحدد وجهتنا القادمة.

قال لها توماس:

-أتقصدين أننا سنذهب لجوف الأرض لكي...

قاطعته رانيا بثقة:

-مضبوط كي تتأكد أن من اختفوا في هذا الهلاك لا يزالون على قيد الحياة أم لا....!

قالت شمس وهي تقرأ من الشاشة المنبثقة أمامها:

-هناك أساطير تربط بين أنفاق تحت الأهرامات وبين عالم جوف الأرض.

نظرت لها رانيا وقالت مضيفة لكلامها:

-والبوابات القطبية فهي المدخل الرئيسي يا شمس لأن في صغري شكلت فترة الفكرة الأكثر رواجًا عن "نظرية الأرض المجوفة"، حيث يُعتقد بوجود فتحات ضخمة عند القطب الشمالي والقطب الجنوبي.

ولا تنسي الأكثر جدلاً على مدار السنين مثلث برمودا .

هزت شمس رأسها أي صحيح أن هذا موجود أمامها فقال توماس:

-لقد سمعت كذلك أن جبال الهمالايا بها بوابات لجوف الأرض ويحرسها رهبان .

قالت شمس وهي تتصفح الشاشة المنبثقة أمامها:

-صحيح في الأساطير البوذية والتبتية، يُقال إن هناك مملكة أسطورية تسمى "أغارتا" تقع في جوف الأرض . ويُعتقد أن لها بوابات فرعية في أماكن مقدسة حول العالم، منها مصر والتبت والمنطقة القطبية .

ولكن في نهاية الكلام يذكرون كالعادة كل هذا ما هو إلا مجرد اساطير و . .

قاطعتها رانيا وقالت:

-دعكِ منهم والآن لنذهب .

سألها توماس:

-إلى أين . . . !

-إلى حيث توقفنا أولاً، لعام 2097 من تاريخنا الخاص بالجهاز ونكون مخفيين وننزل لجوف الأرض ولكن سنظل هنا في مصر وخاصة أسفل الأهرامات التي لطالما كانت لغز حير العالم.

وصلوا لمنطقة الأهرامات ولكن لم يظهر منها سوا قمة الهرم الأكبر الذي تم طلائها بالذهب الخالص والفضة كما كان في الماضي حيث كانت القمة مغطاة بالالكتروم، حيث تم استخدام الأهرامات وتوصيلها بباقي الاهرامات في العالم بمجال مغناطيسي وصارت تستخدم كمولدات لتوليد طاقة هائلة منذ عام 2047، وكذلك تغير شكلها من السطح الصخري الباهت إلى اللون الأبيض الخاص بالحجر الجيري من جديد، بينما عندما وصلوا لم يروا سوى جزء من القمة ولم تعد كلها مطلية كما اعتادوا عليه بل تبقى جزء صغير من طلاء الالكتروم وهنا بدأوا النزول في باطن الأرض وبالفعل وجدوا ممر ومن هذا الممر الذي سلكوه وجدوا عدة ممرات، اختاروا الممر الأيمن واستمروا في النزول أكثر وأكثر وأكثر إلى أن وصلوا إلى عالم، عالم كامل متكامل وكأن هذه الأرض التي اعتادوا عليها لا ما رأوه في الأعلى من خراب ودمار.

صاروا يمشون متخفيين في هذه المدينة التي أخذت الطابع المصري القديم من نقوش ولكنها حضارية لأبعد الحدود.

وقفوا أمام معبد ذا أعمدة عالية عليها نقوش مصرية قديمة لا يمكن وصفها سوى بكلمة تحفة فنية يعجز اللسان عن وصفها.

وبمجرد أن وضعوا قدمهم كي يدخلون المعبد ذا الأرضية الزجاجية جاءهم صوت:

-مكانكم أيها الغرباء .

تصلبوا مكانهم فكيف رآهم وهم مختفين عن الأنظار .

جاءهم الصوت ردًا على تساؤلاتهم الداخلية:

-عندما تكون الروحانيات لديك عالية تكون قادرًا بسهولة أن تشعر بالاطياف والأرواح التي حولك .

الانسان الصافي ذهنيًا يرتقي وتتمثل به ذات الله العليا الذي لا يخفى عنه شيء .

همت شمس كي تنطق ولكنه سرعان ما قال:

-اعرف مرادكم، ظلوا مختفين هكذا وتعالوا ورائي .

ظل يمشي إلى أن وصل لبيته فقال:

-تفضلوا أيها الغرباء .

وهنا بمجرد أن دخلوا رأوا أشخاص يرددون ترانيم باللغة المصرية القديمة، ولكن الكاهن قام بلمس لوح على الجدار فأختفوا الأشخاص، هنا ذهلت شمس وقالت:

-كانوا هولوجرام أليس كذلك . . . ؟

ضحك الكاهن وقال:

-نحن من أسس العلوم والاختراعات كلها هل سنعجز عن صنع تقنية الهولوجرام. . . !

ضغط دكتور توماس على زر الظهور، فأشار لهم الكاهن أن يجلسون، وهنا همت رانيا كي تبدأ الكلام:

-هل أنت كنت مع من هلكوا في هذا الهلاك الأخير أم هلاك أخر لحق بالأرض.

رد عليها الكاهن:

-أنا أبن مصر القديمة ويمكنك أن تقولي عمري 13000 سنة، مصر التي ترونها الآن صحراء كبرى، كانت خضراء وعبارة عن سهول عشبية واسعة تشبه الغابات الافريقية.

وكانت الأمطار في مصر غزيرة وتهطل بانتظام وهذا أدى لظهور بحيرات وأنهار في قلب تلك الصحراء.

وعندما أقول لكم مصر كانت مثل الغابة هذا ليس مجرد تشبيه بل حقيقة، حيث كانت تعيش الزرافات والفيلة والظباء وحتى الأسود وأظن قد رأيتم تلك الرسوم مثل في وادي الحيتان.

في اثناء العصر الجليدي أي قبل 15000عام تقريبًا لم تكن مصر مثل البلاد الأوروبية التي كساها الجليد، بل مصر كما قلت لكم حينها كانت تمر بالعصر المطير وهذا أدى إلى ازدهارها من الناحية البيئية.

وكنا نسكن الهضاب بعيدًا عن وادي النيل لأنه كان محفوفًا بالمخاطر والفيضانات في ذلك الحين.

أسسنا كل العلوم ونحن من أسس الأهرامات.

قاطعته رانيا وقالت:

-ولكن أغلب الدراسات اثبتت أن الهرم الأكبر خوفو بني عام 2580ق.م وهرم...

قاطعها الكاهن وقال:

-اتريدين أن تصدقي التاريخ المزيف الذي يثبت ما يشاء وينكر ما يشاء...!

-لا بل أصدقك أنت أكيد أكمل كلامك أيها الكاهن.

-نحن المصريين القدماء وضعنا أسس كل شيء وخاصة الكهنة كان لنا مكانة هامة لأننا وصلنا لمرحلة عالية من الصفاء الذهني التي مكنتنا من الاتصال

بكائنات أخرى في هذا العالم، تمكننا من الاستفادة من الجن وحتى الفضائين وأهل جوف الأرض كذلك.

هنا صدمت شمس وقالت:

-وهل كان هناك فضائيين وأناس في جوف الأرض حينها . . . !

-نعم، هذا صحيح، استعنا بالجن في الكثير من الأمور فهم يسبقوننا بملايين السنين على هذه الأرض.

واستفدنا من الفضائين في فكرة الأهرامات في توليد الطاقة.

وسخرنا الجن لما لديهم من قدرات تمكنهم عنا في بناء الاهرامات، ألم يذكر عندكم في الإسلام أن سليمان كان يسخر الجن لكي ينشؤون له المباني الضخمة والتماثيل والمحاريب أي أماكن العبادة وغيرها.

قالت رانيا مضيفة:

-نعم صحيح هذا موجود في ديننا الإسلامي، وكذلك قال الرب أن الملاك هاروت والملاك ماروت كانا يعلمان الناس السحر.

-بالفعل ونحن كذلك تعلمنا السحر واستخدمنا السحر في النفع لا في الضرر كذلك.

وتمكننا بعلوم السحر أن نستخلص عينات لإطالة العمر والتعافي من الكثير من الأمراض فكان من الطبيعي أن يصل عمر الشخص لألف عام أو أكثر .

وكذلك تمكننا من الوصول لكيفية تحنيط الجثث، وذلك بعد أن اكتشفنا أكسير الحياة ، وهذا الأكسير كان موجود لدى الكهنة وحدهم .

جاءتنا الكثير من التحذيرات من الفضائين ، وللعلم الفضائين ما هم إلا بشر مثلنا ولكنهم هربوا للفضاء من هلاك سابق، حذرونا كي لا نقع في نفس الخطأ الذي وقعوا به، وكذلك جاءتنا رسائل من جوف الأرض بنفس التحذير ولكننا ظننا أنهم لا يريدوننا أن نصل لما وصلوا إليه أو أن نغلبهم في العلم .

كان تحذيرهم ألا نتدخل في قانون الرب على هذه الأرض، لأن هذا يؤدي إلى غضب الرب وغضب الرب شديد إذا لحق بقوم يجعلهم أسفل سافلين .

لذا قررنا نحن الكهنة أن نستخدم هذا الأكسير عند الضرورة فقط، أي إذا كنا في فترة نحتاج إلى حاكم عادل يجعل البلاد تزدهر أكثر وأكثر فنقوم بإعطاء هذا الأكسير لأكثر ملك كان في عهده الازدهار لذا نحن كنا نحنط جثث الملوك خاصة .

تركنا في برديات طرق التحنيط ولكننا لم نكتب طريقة أكسير الحياة .

ولكن نيتنا لم تستمر كذلك فيوجد من هم علموا بمكان الأكسير وقتلوا الكاهن الحارس وسرقوه وتم استخدامه من علية القوم بنية الخلود، وبعد ذلك حدث ما حدث معكم

بالضبط تم التخلص من المستضعفين الفقراء، بينما الصفوة في الجسم والعلم والمال أخذوا الأكسير، وظننا أننا قدرنا على الدنيا، والكهنة بدأ القلق يقل من أن يتحقق الكلام الذي وصل لنا، وأمنا للواقع.

إلى أن جاء اليوم المشؤوم الذي استيقظت فيه على ذلك الكابوس الذي كان يطاردني بغرق البلاد بأكملها، ولكن هذه المرة لم استيقظ كي اجترع الماء من الكوب الذي بجوار سريري، بل استيقظت بارتطام الماء بجسدي ورأيت هلاك كل شيء، وبلد العلم والتقدم كل ما بها صار تحت الماء.

وكأن الرب عندما يجدنا تجاوزنا حدودنا وتدخلنا في قوانينه يخسف بنا الأرض ويجعلنا من أسفل سافلين ولا نعد نعيش في الأرض العليا مرة أخرى.

قالت شمس مستنكرة:

-ولَم لحق بك الهلاك برغم إيمانك و...

قاطعها الكاهن وقال:

-لأن الرب يسقط العذاب على من تعدى على قوانينه أو من قبل بها أو من حتى لم يعترض على التعدي هذه القوانين، مثل في قصة زوجة النبي لوط أي نعم هي لم تكن تقوم بالفاحشة مثل القوم ولكنها رضت بما يفعلون ولم تعترض فكان حق وقوع العقاب عليها، وهذا ما حدث معي.

قالت رانيا متسائلة:

-وهل خرج في عصركم البعض للفضاء مثلما حدث في عصرنا . . . ؟

-علية القوم فقط من تمكنوا من ذلك وحاشيتهم، فكما تعلمون تلك الرؤية التي كانت تراودني كانت تراود بعض الكهنة والبعض الأخر كان يتجاهل قلقه ويتعايش، فكاهن الأسرة الحاكمة وضح لهم الهلاك الذي من المحتمل أن يحدث، وهنا أمر الحاكم بصناعة مركبة فضائية وقبل أي سؤال سبق وقلت لكم نحن نستعن بالجن في أغلب أمورنا فلم يكن لدينا شيء مستحيل.

قالت شمس متعجبة:

-ولِمَ ربكم يترك علية القوم والحكام ولا يلحق بهم العذاب . . . !

ابتسم الكاهن متحسرًا وقال:

-في كل الحالات هم منبوذون مثلنا، ولكن من هم علية القوم سيظلون فوق كالعادة، ومن هم من الشعب سيظلون في الأسفل دائمًا، ولكن التشريف الحقيقي من يكون خليفة الرب على هذه الأرض، لا من هم في جوفها، ولا المطرودون في فضائها.

قال توماس كمن يربط الأحداث:

-يعني الزمن يكرر نفسه، يعني أنتم عندما وصلتم لذروة العلم والتقدم والتحكم في كل شيء حل عليكم الهلاك، وقد تكون الاشارات التي كانت تأتيكم من الأمة التي سبقتكم هي الحضارة التي كانت قبلكم وقد تكون حضارة اطلانتس وعندما وصلوا لذروة العلم حل عليهم الهلاك فأكيد منهم من في جوف الأرض أو البحر أو الفضاء، ومن ثم جئتم أنتم وأنتم من صنعتم الاهرامات وأبو الهول وتلك الحضارة العريقة التي كانت منذ ألاف السنين ونحن نراها صخرية باهتة ومجرد مقابر أو لغز لا نفهم حقيقتها لأننا لسنا من صنعها .

ومن ثم ضرب رأسه وأضاف:

آه صحيح والدليل الذي يثبت أن أبو الهول كان مدفون من أثر الفيضان الذي خلف من الذوبان العظيم ونهاية العصر الجليدي، أن تحتمس الرابع حلم بأبو الهول وطلب منه أن يزيل عنه الرمال ووعده بالملك فكشف عن رأسه، ومن ثم عمليات كثيرة على مدار السنين منذ 1817 قام مغامر ايطالي جيوفاني كافيجليا بقيادة حفرية حديثة والكشف عن صدر التمثال وقدميه.

ومن ثم عدة حملات واخر حملة لظهوره كانت عام 1925-1936 وهنا ظهر التمثال كاملاً ولكن بشكل صخري بحت، والذي يثبت أنه كان ملوناً، أنهم وجدوا أجزاء قليلة به تحمل طلاء أزرق وأبيض، لذلك نحن في المستقبل قمنا بإعادة هيئة الأهرامات وأبو الهول بشكل زاهي، لأنها أكيد لم تكن في البداية باهتة.

فقالت رانيا محاولة أن تربط الأحداث مع توماس:

-بينما الحضارة المصرية القديمة التي يعرفها جيلنا أنا وأنت يا توماس هي كانت بداية الفرصة الجديدة لجنس أدم على هذه الأرض لكي تتجاوز الاختبار بشكل صحيح ونكون خلفاء للرب في هذه الأرض ونعمرها كما طلب منا ولكن في ذات الوقت نظل مسلمين له أي مستسلمين لإرادته وألا نحول كل شيء لإرادتنا وتغرنا عقولنا فنظن أننا قدرنا على الدنيا وهنا يحل بنا الهلاك.

قال لها توماس:

-صحيح بدأت الحضارة المصرية القديمة بشكل بسيط وتقنيات بسيطة إلى أبعد الحدود أي نعم وصلوا لعلوم، ولكنها علوم مقارنة بعلوم عصر هذا الكاهن فليس بنفس المستوى نهائي.

ومنذ عصر المصريين القدماء الذين نعرفهم أخذنا نتقدم شيئًا فشيئًا على مدار آلاف السنين إلى أن وصلنا لعام هلاكنا كذلك.

قالت لهم شمس:

-أظن الصورة بدأت تتضح لنا، نشكرك أيها الكاهن.

قالت لها رانيا:

-دعينا قليلاً مع الكاهن فأنا أريد أن . . .

سحبتها شمس وقالت:

-أنتِ لا تشبعين من الكلام، سنعود مرة أخرى فها نحن ذا قد علمنا الطريق .

***

وصلوا للحاضر من جديد فجلست شمس على الأريكة بعد أن طلب منها توماس أن يرتاحوا قليلًا، فأخذت رواية أولاد لوسيفر وبدأت تقرأها وبعد قليل نظرت شمس بصدمة وقالت لتوماس:

-ما هذا، ما الذي فعلته بأمي . . . ؟

هنا صدم توماس وقال لها بحيرة وتوتر دفين:

-ماذا فعلت . . . !

مدت له الرواية وفتحت له الصفحة وقالت:

-ما زلت في بداية الرواية وها أنا صدمت بك يا توماس .

هنا توماس كان يتطلع على سطور الرواية وهو يتمنى أن تنشق الأرض وتبلعه ولم يستطع أن ينطق شيء واستمرت شمس في غضبها:

-وتقول لي لِمَ امي تركتك وذهبت لغيرك لأنك لا يؤتمن لك يا توماس، أنت . . .

قاطعها توماس مندفعًا غاضبًا مدافعًا عن نفسه:

-شمس، لا تظلميني أنا لست بكل هذا السوء صدقيني .

تدخلت رانيا كي تقل حدة النقاش:

-اهدأ يا توماس، أهدئي يا شمس، أولاًالموضوع ليس كما تظنين ثانيًا لا تكوني متسرعةً هكذا إذا أردتِ معرفة كل شيء فيجب أن تقرأي الرواية كاملة وتفهمي أن ما حدث كيف حدث وكيف انتهى .

جلس توماس وهو يشعر بالخزي وقال:

-أنا لست سيئًا يا شمس وأنا نادم على ما فعلته ولكن كل ما حدث كان عن غير عمد مني .

أخذت رانيا يد شمس واجلستها وأهدئتها وقالت:

-اجلسي اهدئي واكملي الرواية . . .

ومن ثم التفتت لدكتور توماس وقالت:

-وأنت يا توماس لا تدع الحزن يغيم عليك هكذا ، وأطلب لنا طعام، أكيد تشعران بالجوع، دعونا نفصل قليلًا ونرتاح ونأكل كي نستطيع أن نكمل مغامرتنا .

في المساء قالت لهما شمس بعد أن أكملت الروايتان وفهمت حياة أمها بالتفصيل وفهمت حقيقة الصراع:

-تبقى مكان واحد أريد أن أذهب إليه .

التفت لها دكتور توماس وقال:

-إلى أين العزم هذه المرة . . . ؟

-البحر .

ضحكت رانيا بتهكم وهي تشعر بالضيق لأن شمس سحبتها ولم تدعها تكمل كلامها مع الكاهن ومن ثم قالت:

-هل سترجعين بالزمن لحضارة اطلانتس هذه المرة . . . !

التفتت لها شمس وقالت:

-لا لن ارجع بالزمن هذه المرة لأني لا أدري متى كانت تلك الحضارة من الأساس ولا أريد مغامرة إليها بعد أن غرقت كما فعلنا بزيارتنا للكاهن ، كل ما أريده أن أذهب إلى نايدا . . .

هنا صدم توماس وقال:

-أم تيمور . . . ! ألا تخافين أن . . .

قاطعته شمس وقالت:

-لا أظن أنها ستؤذيني .

اقتربت منها رانيا وهي تشعر بالقلق عليها :

-أتريدين أن تذهبي ونذهب معكِ ونحن متخفين لأجل هدف معين أم تريدنها شخصيًا .

-لا، أريدها شخصيًا ، وأظن موضوع التخفي لن يفلح معها ، فهي جنية أصلًا فهي جسد أثيري في الاساس فأكيد سترى الاجساد الاثيرية .

ظهرت ملامح التوتر على وجهي توماس ورانيا فهنا همت شمس بجدة ومدت يدها كي تسحب الجهاز من جيب دكتور توماس وقالت:

-إذا اردتما البقاء هنا فكما تشائان ، أنا أريد أن أذهب حالًا كي يهدأ بالي .

هم دكتور توماس واقفًا وقال:

-وعدتكِ أني سأظل معكِ وسأفي بوعدي .

وقالت رانيا : -وأنا كذلك معكِ في كل خطوة يا شمس، فالهلاك نصيبي في المستقبل لا محالة، والهلاك علينا حق عاجلًا أم أجلًا .

نظرت لها شمس وقالت: -وقد نستطيع تغيير ذلك القدر من وقتنا ذا ومن الآن يا رانيا .

اومأت لها رانيا : -إن شاء الله يحدث ذلك .

وبالفعل ذهبوا لبيت نايدا وبمجرد أن فتح لهم الروبوت الباب وجدوا نايدا وحسن ، هنا وقف حسن وقال غاضبًا وهو يهم بمسك ذراعها بقوة:

-ماذا جاء بكِ إلى هنا يا وجه النحس . . . !

همت نايدا من مكانها كي تمنع الشجار وهم توماس ورانيا بإبعاده عنها وقالت شمس بتحدي وضحكة تهكم:

-وجه النحس هي السبب في حياتك الآن يا . . . أبي .

نظر لها بكره بعد أن ربتت عليه نايدا وقال:

-بل وكنتِ سبب موتي في الأساس .

نظرت له باحتقار وقالت:

-بل أنت من قتلت نفسك بنفسك أيها السارق يا من تسحبت ودخلت غرفتي ولكنك أخذت العينة الخطأ .

-وماذا تريدين الآن . . . !

-أريد أن أمنع أخي من هلاك العالم .

نظر لها بعدم فهم وقال بصوت مصدوم:

-أخوكِ من . . . ؟

-تيمور أخي ألم تقولي له ذلك يا نايدا . . . !

ترقرقت الدموع في عيون نايدا عندما نظر لها حسن بصدمة وقال:

-هل ما تقوله صحيح . . . ! ؟

اومأت له رأسها وقالت:

-إنه موضوع يطول شرحه يا حسن و . . .

هنا ضحكت شمس وقالت:

-لست أنا وأمي فقط من تم خداعهم، فكما أنت خدعت أمي هناك من يخدعك.

نظرت لها نايدا وهي تدافع عن نفسها:

-لا لم أخدعه ولكن لم تأتِ فرصة كي أوضح له ذلك.

قالت لها شمس بحسرة:

-هل هنت عليكِ أن ترينى طوال كل هذه السنين وأنا أعانى من قسوة أب بينما هو يصب حنانه على تيمور وتامر، لماذا فكرتِ فى ذاتكِ فقط وفى بيتكِ ولم تفكرى بى ولا بأمى سمية.

نظرت نايدا للأرض ومن ثم نظرت لها وقالت موضحة:

-إنه الحب يا شمس، عندما تحبين لا تستطعين أن تفكرى بالمنطق ولا بالعقل، الحب يجعلنا أنانيين لا نفكر سوى بأنفسنا وسعادتنا وكفى، وأنا كنت أظن أن ما تعتقدينه أنه ظلم لكِ ولأمكِ كنت أظنه عدل من وجهة نظرى بأنى تركته مخير بين البيتين ولم أتدخل فى طريقة حبه أو اهتمامه لا ببيته ولا بكِ ولا بزوجته، أى لم أخيره بينى وبينكم، بل بالعكس رضيت بالوضع ولكن طيبتى لم تجعلنى أصل لمرحلة أن أجعله يهتم بكم أكثر أو يحبكِ فهذا ليس شأنى.

نظرت لها شمس من دون أن توجه لها كلمة وكأن بنظرتها تقول أن الكلام لن يفيد شيئاً ومن ثم نظرت لحسن وقالت:

-هل هانت عليك زوجتك سمية أن تموت تلك الميتة البشعة بيد تيمور...؟

التمعت الدموع فى عينى حسن وقال:

-لقد قال لى تيمور أنه فعل ذلك وهو فى نوبة انتقام ولو كنت على قيد الحياة لكنت منعته من فعلته تلك...

من ثم مسح دمعته وقال:

-ولكن تيمور وعدني بأنه سيعيدها للحياة من أجلي، ولكنه سافر ومشغول هذه الفترة بالاختراع و . . .

التفتت شمس لنايدا وقالت:

-هذا ليس الموضوع الذي جئت من أجله، نايدا أنا أحتاجكِ أريد أن أعرف منكِ بعض التفاصيل.

أشارت نايدا كي يتفضلوا بالجلوس وقالت لهم:

-تفضلوا أولاً، لا يصح أن يظل حديثنا هكذا، وأنا معكِ فيما ترغبين به يا شمس.

-هل يوجد بشر يعيشون في البحر . . . ؟

-نعم يوجد بشر يعيشون في البحر منذ آلاف السنين، القصة طويلة يا شمس و . . .

قالت رانيا بلهفة:

-نحن جئنا هنا كي نسمع القصة بحذافيرها.

فأضاف توماس:

-كلنا أذان صاغية لكِ يا نايدا.

وحسن يستمع في حالة ذهول من ثم قالت نايدا:

-كما تعلمون أن العلماء الآن توصلوا أن الأرض عمرها أكثر من 4 مليار سنة وظهرت الديناصورات منذ 230 مليون سنة بينما أول ظهور لبشري كان منذ 200 ألف سنة ويوجد من يقول أنهم وجدوا أثر يدل على انه كانت هناك حياة لمنذ 700 ألف سنة لبشري.

ولكن الحقيقة أن هناك من سبقوا البشر في العيش على هذه الأرض.

نحن الجن أول من جعلهم الرب خليفة له على هذه الأرض، ولكننا فشلنا في الاختبار لملايين السنين إلى أن جاء اليوم التي كانت فيه نهاية الأختبار، فمهما طال الوقت لابد وأن تأتِ النهاية.

سقطت علينا لعنة الرب لعنة أبدية فصرنا مختفين عن الأنظار ولم يتبقى منا سوى جسدنا الأثيري، كما أنتم بداخلكم الروح الأثيرية.

في كل مرة كنا نفشل في الاختبار يعذب الرب من فشلوا في الاختبار بأن يجعلهم في أسفل سافلين في جوف الأرض، أو هائمين في الفضاء، أو في البحار.

ومن ثم عندما أراد الله أن يكرر الاختبار ولكن مع جنس أخر جنس أخر مخير، فالله يريد جنس يختار عبادته وحبه والانصياع لأوامره ولا يتغير مع مرور الوقت ويتجبر ويتكبر ويشيع في الأرض فسادًا .

فعندما أراد الرب أن يخلق جنس أخر من الطين بدلًا من جنس النار الذي فشل في اختبار التشريف والخلافة، هنا قالت الملائكة للرب:

-لَم ستعيد التجربة مرة أخرى، هل ستخلق جنس أخر في الأرض كي يسفك الدماء ثانيةً . . . ؟

فهنا قال لهم الرب أنه يعلم ما لا يعلمون، وأنه عرض الأمانة ثانيةً أمام كل المخلوقات من حيوان وجماد وانسان ووافق الانسان على تحمل أمانة أن يكون خليفة الرب في الأرض، ولكن للأسف التجارب التي مر بها الانسان إلى الآن أي في خلال ال200 ألف سنة الماضية تكرر سقوط غضب الرب على جنس البشر ولكن ما زال هناك محاولات أمامكم إلى الوصول للنهاية التامة التي تحل فيها عليكم اللعنة وتختفون فيها عن الأنظار مثلنا، ولن تتمكنوا من الظهور إلا في حالات معينة في ثواني اثناء التجسيد أو لبس جسد كائن حي .

وهذا ما ترونه من أهل سكان جوف الأرض من الجن، فهم لم يعودوا كائنات مادية مثلكم بل هم لم يعودوا سوى جسد اثيري ولا يتمكنوا من الظهور إذا خرجوا من جوف الأرض إلا مدة قليلة.

بينما سكان جوف الأرض من البشر ما زال يمكنهم التجسيد بجسد مادي لأن لعنة الأختفاء لا تحل إلا بعد أن تنتهي المحاولات كاملة لجنسكم على مدار السنين.

وحتى الكائنات التي يقولون عنها فضائية أولئك بشر منبوذين يأتون كي لا تكرروا غلطتهم ولذلك تستطيعون رؤيتهم لأني كما قلت لكم المنبوذين من البشر ما زال يمكن رؤيتهم، بينما الجن المنبوذ في الفضاء هم الجن الطيار ولا يمكنكم رؤيته إلا إذا تجسد والتجسيد يكون لثواني و. . .

قاطعتها رانيا بحيرة:

-ولكنكِ متجسدة الآن وزين أو جواد الذي قتل فريدة أم تيمور وشمس كان يتجسد و. .

قاطعتها نايدا وقالت:

-لأنه نصف بشري وأنا كذلك نصف بشرية.

ضربت رانيا مقدمة رأسها والتفتت لها شمس وهزا رأسهما في ذات اللحظة كمن تذكر شيئًا ومن ثم قالت رانيا:

-صحيح جواد نصف بشري ونصف جني، ولكن أنتِ...

قالت نايدا موضحة:

-ألم أقل أن هناك جن منبوذ في البحر، وكذلك هناك بشر نبذوا في البحار عندما وقع عليهم الهلاك، وجسدهم البشري لم يتغير ولم يتحولوا لنصف سمكة بل ظلوا كما هم وتمكنوا من العيش في البحار مثل الاسماك، بينما فكرة حوريات البحر جاءت من الشيء الذي يتم ارتدائه على نصف الجسم فهي تعد مثل الملابس على الأرض وتساعد على العوم بشكل أسهل.

قال توماس متعجبًا:

-هل هذا يعني لا يوجد حوريات بحر...!

ضحكت نايدا وقالت:

-لا بل يوجد بشر وجن يسكنون البحر والبشر الذي يسكنون البحر يمكنك أن تقل عنهم انهم الحوريات.

في يوم أحب أبي البشري الذي كان بحار أمي التي كان ابوها من الجن وأمها بشرية منبوذة وقع عليها الهلاك، عندما رأى أبي أمي وتمكن من رؤيتها فكما قلت لكم أن الجنس البشري المنبوذ لزال بقدرته أن يتجسد، على العموم أبي حب جمالها، وطلب منها أن تأتِ معه ولكنها قالت له أنها كتب عليها أن تظل في البحر ولا تقدر أن تعيش على الأرض، تكررت لقاءتهم في يخت أبي في البحر إلى أن جاء اليوم الذي حملت فيه أمي وعندما علموا أهل أمي حرموها من رؤية أبي وأن الطفل لا يمكن أن يعيش مع البشري وللأسف لم أرى أبي قط لأن أمي لم تحكي لي عنه أبدًا في طفولتي، وعندما كبرت أمي حكت لي قصة حبها مع أبي وختمتها أن أبي ميت ولكن أنا كان بداخلي أمل أن يكون على قيد الحياة، فظللت يوميًا اخرج في ذات الوقت الذي قابلت فيه أمي أبي، ولكني لم أقابله هو بل قابلت حسن وعشت معه قصة حب تشبه قصة حب أبي وأمي، ومن ثم خرجت وتزوجت وعشت مع حسن وتمكنت مما لم تتمكن منه أمي لأن أمي كانت اثيريه جنية بشرية، بينما أنا كنت نصف أثيري جني لأمي ونصف مادي بشري لأبي لذلك تجدونني أتمكن من التجسيد مثل جنس البشر الذي لم تلحق به لعنة الأختفاء بشكل تام إلى الآن، وفي ذات الوقت لدي قدرات الجن من الاختفاء وغيرها .

قالت لها رانيا:

-والدافع الدفين الذي جعلك لا تفعلين شيء عندما ترين حسن يقصر في حق وحب شمس هو شعورك بالحرمان من الأب أليس كذلك...!

-صدقيني أنا لم أرد أن اتدخل في حياة حسن لا بالخير أو بالشر ولكن...

قالت شمس مغيرة الموضوع بجدة:

-الكلام في هذا الموضوع لن يفيدنا الآن، أريد أن أسألك يا نايدا هل تعتقدين أن حضارة اطلانتس هي من ضمن الحضارات التي كانت موجودة في الماضي وغرقت...؟

-صدقيني يا شمس عدد من يسكنون البحار أضعاف من يسكنون الأرض، ولكن ستظل الأرض هي مكان التشريف.

وبالفعل أطلانتس من ضمن الحضارات التي غرقت في البحار، والحياة تحت البحر متقدمة ولكن بحدود فصرنا لا نستطيع أن نبتكر أفكار غير التي عرفناها.

ولكن تظل الحياة تحت البحار جيدة للكثير منا سواء الجن أو البشر المنبوذين.

هنا تنهدت شمس وقالت:

-يعني قد تكون أطلانتس هذه كانت حضارة متقدمة جدًا قبل حضارة بناة الاهرامات السابقين وكالعادة كلما وصلوا لدرجة عالية من التقدم والتحكم في كل شيء يحل الهلاك، وقد نظل في هذه الدائرة مثل الجن وفي النهاية يحل علينا العقاب النهائي .

اومأت لها نايدا أي نعم، فقالت لها شمس:

-أريد أن أطلب منكِ طلب سيجعلني اسامحك عن ما صدر منكِ تجاهي وتجاه أمي سمية التي ربتني . . .

قاطعتها نايدا:

-ولكني لم أفعل . . .

قاطعتها شمس واكملت كلامها:

-سواء بقصد أو من دون قصد، أريدك أن تساعدني في ارجاع أمي .

تصنعت نايدا الغباء وقالت:

-تيمور وعد حسن أن يعيدها للحياة عندما يعود م . . .

قاطعتها شمس بحدة وقالت:

-أنتِ تفهمين قصدي جيدًا . . .

توترت نايدا وقالت:

-ولكن هذا به مخاطرة كبيرة يا شمس.

همت شمس واقفة وقالت:

-اعلم ذلك، ولكني ليس لدي ما أخسره، وها قد جئت كي تساعديني في ذلك.

همت نايدا واقفة أمام شمس موضحةً لها:

-شمس، صدقيني ليليث ليست بهذه السهولة، ولا تعلمين كمية كرهها لجنس البشر.

-ولكنكِ قلتِ لي أن البشر المنبوذين والجن يعيشون سويًا في..

قاطعتها نايدا بحدة موضحة:

-نعم نعيش سويًا، ولكن يوجد من الجن بهم كمية حقد رهيبة على جنس البشر، يعني أنا عندما كنت أعيش في البحر وأنا نصفي بشري ونصف جني لم يكن يحبني أغلب من هم جن بشكل كامل.

-ولكن لمَ هذه الكراهية.

-من يعيشون البحر من البشر قد يتعاملون مع الجن ولكن هناك كره دفين من الجن تجاههم ولكن الكره الحقيقي من الجن تجاه البشر خليفة الرب على الأرض، وذلك لأنهم من أخذوا الفرصة منهم وأخذوا التشريف.

لذا الكثير من الجن يستغل أنه جسد اثيري ويوسوس للإنس كي يجعل البشر يخطئون ويثبتون للرب أنهم من كانوا يستحقوا أخذ فرصة أخرى للخلافة لا أن يخلق هذا الجنس الأثم، وكأنهم يقولون للرب، هلكنا لأننا مذنبين فالأنس كذلك مذنبين.

لذا التحدي أمام البشر في الخلافة أصعب، فعلى الانسان أن يغلب شر نفسه وشر وسوسة الشيطان.

هنا قالت رانيا مؤكدة:

-صحيح وهذا يثبت أن برغم أن الرب يكبل حركة الجن في شهر رمضان ألا أن الكثير من المسلمين يظلون يفعلون أفعال سيئة التي يلقي بالتهمة في الأيام العادية على الشيطان أنه السبب بها، ولكن الحقيقة أن بداخل كل بشري شر وخير فعليه أن يحاول جيدًا أن يحارب شره ولكن في الأيام العادية غير رمضان الوسوسة بالشر تكون من النفس ومن الجن المؤذي.

قالت شمس بإصرار:

-أريد أن أذهب، وأنا واثقة أني لن يؤذيني شيء فمعي ما سيحميني.

فنظرت لها رانيا بعدما فهمت مقصدها عندما رأت شمس تمسك بقلادتها وقالت:

-نعم عندك حق يا شمس، وأنا معكِ.

أمسك توماس قلادة الصليب الخاصة به وقال:

-وأنا معكِ يا شمس، فالقوة التي معنا ستشكل لنا أكبر قدر من الحماية.

وقف حسن وقال:

-لن اتركِ يا نايدا سأتِ معكِ.

ومن ثم التفتت لهم وقال:

-أقصد سأتِ معكم.

قالت له شمس:

-ولكن يجب أن تكون مؤمن بالرب وتشعر بقوته بداخلك لأن الله هو وحده الحامي من أي أذى والبعد عن الرب يعني الهلاك.

هنا قال دكتور توماس:

-هيا، أظن أن الجميع جاهزين أليس كذلك.

أومأوا له أي نعم ومن ثم طلبت شمس من نايدا:

-أكتبي عنوان ليليث حيث توجد أمي حبيسة الآن فأنا ودكتور توماس رأينا جواد في الماضي عندما جلب جثة أمي لليليث ولكن لم نتابع الأحداث ولا نعرف ما هي التغيرات التي حدثت، وقررت أن أتِ إليكِ كي توفرين عليَّ الوقت ونذهب مباشرة.

قال توماس موضحًا:

-صحيح أفضل من أن نعود بالزمن ونظل نتابع التغيرات.

قالت لهم نايدا:

-أعلم أنكم كنتم موجودين فلقد شعرت بطيفكم في بعض الذكريات في الماضي.

نظرت شمس لتوماس بصدمة وقالت:

-هذا يعني أن جواد شعر بنا كذلك...!

قال توماس بحيرة:

-ولكننا سنذهب على أي حال . . . !

فاقت شمس من شرودها وقالت بإصرار لنايدا:

-أنا مصرة أن أذهب للحصول على أمي يا نايدا .

نظرت لها نايدا بقلق وقالت:

-صدقيني لا أشعر أن . . .

-نايدا أكتبي الآن . . .

***

ها هم قد وصلوا لقبو قصر ليليث في أعماق البحار، وقفت شمس أمام البلورة المسجونة بها جثة أمها، تلمس زجاج البلورة الضخمة وهي تبكي وتتمنى لو تستطع أن تلمس يدها من وراء هذا الزجاج.

اقتربت منها رانيا وربتت على كتفها وقطع هذه اللحظة صوت توماس وهو يهمس:

-يجب أن نجد طريقة لأخذ الجثة في أسرع وقت قبل أن . . .

لم يكمل كلامه لأنه جاءه صوت جعله بل جعلهم جميعًا يتصلبون مكانهم.

-قبل أن ماذا أيها الحمقى . . .

التفتوا وقد كان الرعب أوشك أن يقتلع عيونهم لما رأوا ليليث تلك الملكة ذات الرداء الأسود والأحمر وقلادة البومة ذات الحجر الروبي الذي يزين رقبتها، أكملت كلامها:

-أتظنون أنكم أذكياء، هل تظنون أن اختراقكم لمثل هذا الصرح سيمر مرور الكرام ولن نشعر بكم، للعلم شعرنا بزيارة طيفكم في الماضي ولكننا كنا نعرف جيدًا أنكم ستأتون في الحاضر وهذا ما يهمنا فهلاككم يجب أن يكون في الحاضر أيها الأغبياء.

قالت شمس بعد أن حاولت أن تتغلب على خوفها:

-لم أقل من ذكائكم كل ما أريده أمي فقط، بدون أن تؤذيكم أو تؤذوننا .

ضحكت ليليث ضحكة ملئت قلب حسن رعب فأمسكت نايدا يده كي يتمالك نفسه وقالت:

-تؤذوننا ، هههه وكيف لجنس أدم الطيني الوضيع الضعيف أن يؤذي بني النار من الجن .

في هذه اللحظة دخل جواد وقال متهكمًا :

-يبدو أنها حمقاء متهورة مثل أمها .

من ثم أقترب قليلاً ووجه نظرته لشمس وقال:

- شعرت بطيفك في الماضي وتلذذت عندما قتلت أمك أمام عينيكِ، وكنت أعلم أنكِ حمقاء مثلها وأنتظرت الوقت المناسب لقدومكِ لكي انتقم منكِ .

نظرت له شمس بتحدي ونظرات الكراهية تنبعث من عينيها :

-أمي التي تصفها بالحمقاء غلبتك بدل من المرة مرتين ، بينما أخر مرة لم تسطع أن تغلبك لأنك استغللت ضعفها وهددتها بمولودها يا خبيث .

اقترب منها بخطواط ثابتة ونظرات تنبعث منها كل معاني الشر:

-ولكن الأمر هذه المرة مختلف أنتم هذه المرة في مملكتنا و . . .

قاطعته شمس وقالت بتحدي:

-صدقني لا أخاف منك ولا من غيرك، لا أنكر أني أخطئت عندما استعنت بنفر من الجن، ولكن بمجرد أن خلفت باتفاقي معه أمي ماتت أنتقامًا من أني ارتديت قلادة قرأنية، ولكن لم يستطع أن يفعل بي شيء لأني محمية و . . .

ضحكت ليليث فضحك جواد وقالت له:

-تلك الحمقاء تظن أن تلك القلادة تحميها .

-إنها مغفلة حقًا .

نظرت لها ليليث باحتقار وقالت:

-نهايتكِ، أوه، بل أقصد نهايتكم ستكون على يدنا الآن أيها البشريون الأغبياء .

أشارت ليليث لجواد فهجم على شمس وهم رافعًا إياها في الهواء وهو يقهقه وينظر للموجودين:

-صدقوني أنتم خلق ضعفاء وما كان يجب أن تكون الخلافة لجنس ضعيف غبي مثلكم.

ومن ثم ارتفع وصار موازي لها ولف يده حول رقبتها وهو يضحك ويقول:

-سأجعلك تموتين مثل ميتة أمكِ، ها ما رأيك . . . ؟

وهنا شمس تحاول أن تسحب يده من على عنقها، ولكنها لم تستطع، فقامت بسحب القلادة من رقبتها ووضعتها على جبين جواد وبدأت تردد ما حفظته من الرواية اثناء مواجهة أمها وجواد، وهنا جبين جواد بدأ يحترق وقواه تضعف وحلت يداه عن رقبتها وصار يهبطا شيئًا فشيئًا، هنا ليليث قالت بغضب:

-أتظنين أنك ستغلبين بني الجن بكلامك هذا . . . !

وقامت بطرقعة أصابعها لحضور جنود من الجن وفي هذا اللحظة صرخت شمس أمرة:

-الآن أبدوا في الأيات وكلكم يقين .

وبمجرد أن بدوءا بالترديد بصوت عالي تلك الأيات القرآنية بينما توماس يقرأ من الأنجيل ويمسك صليبه بيقين للحماية، تشكل حول الغرفة هالة من نور، لم يستطع الجنود اختراقها وكل من حاول اختراقها يخر واقعًا .

ومازالت شمس تردد الأيات إلى أن صار جواد على الأرض لا يحرك ساكنا وجبينة قد ختم بشكل سداسي مثل شكل القلادة، وهنا اقتربت من ليليث التي لم تعرف ماذا ستفعل الآن فالمكان محاصر بتلك الهالة وأمامها هذا الجمع والذي لحق بشمس في الاقتراب منها، قالت رانيا وهي تتهكم عليها:

-نحن خليفة الله وأنتم تعلمون جيدًا أننا أقوى منكم، قد لا نكون بنفس قدراتكم ولكن عقلنا أذكى منكم بكثير، الله عندما قال للملائكة أنه يعلم ما لا يعلمون وأنه علم أدم الأسماء كلها، فالله يعرف جيدًا أن الانسان بعلمه سيميز الخير من الشر وسيستطيع أن يسخر كل شيء لأجله، حتى أنتم يستطيع أن يسخركم، وهذا ما فعله سليمان بكم، بأنه لم يسخركم فقط بل استعبدكم، وعندما مات لم تعلموا بموته حتى إلا عندما رأيتم سقوط العصا، وهذا ما يميزنا عنكم الذكاء والعلم، ويجب أن نفهم خبثكم ونحذر منه لأنكم تريدون أن نقع فيما وقعتم به، ولكني أحب أن أقول لكِ لن نقع.

وما زال الباقين يرددون الأيات بعزم ويقين وشمس تقرب القلادة من رأس ليليث التي وقعت أرضًا وقالت لها:

-أعطي لي المفتاح لكي أخرج أمي، فكما قلت لكِ من البداية نحن لا نريد أن نؤذيكِ.

أعطتها المفتاح، فهمت مسرعة كي تخرج أمها، وأخذ توماس مكانها وسلط صليبه على رأس ليليث، وبمجرد أن فتحت الباب هم حسن ونايدا كي يمسكا بفريدة وأشارا لتوماس هيا أكتب تاريخ الحاضر وكل منهم لمس الجهاز وأمسك هو يد فريدة وهو يرتجف كي تلمس الجهاز وأنتقلوا إلى الحاضر من جديد .

***

بمجرد أن رجعوا وضع توماس وحسن فريدة على السرير وهنا التفتت شمس لحسن وقالت له:

-اتصل بتيمور حالاً أريد الأكسير، أريد أمي تعود على قيد الحياة من جديد .

التفتت لها رانيا وقالت:

-ولكن يا شمس ، يمكنك دفنها في بيتك وتشعرين بقربها منك و . . .

غضبت شمس وقالت بحدة:

-لم أعرض حياتي وحياتكم للخطر لأجل أن احتفظ بجثة أمي فقط، بل أريدها معي .

اقتربت منها رانيا وحاولت أن تهدأها :

-ولكن يا شمس أنتِ تعلمين من خلال المغامرة التي قمنا بها أنه يجب علينا ألا نتدخل في قانون الرب و . . .

التفتت شمس لحسن وكأنها لم تسمع رانيا وقالت:

-أتصل به وأجعله يأتي على الفور ومعه الأكسير وقل له أن الأمر طارئ .

ومن ثم جلست بجوار سرير أمها ومسكت يدها ومن ثم وضعت رأسها بجوار يدها على السرير ومن ثم راحت في النوم.

من ثم شعرت أن هناك يد على كتفها ففزعت عندما رأت صاحب اليد، هنا دخل حسن وقال:

-لا تقلقي يا شمس، لقد حكينا كل شيء لتيمور، ورانيا أوضحت له تفاصيل مغامرتكم وما سيحدث مستقبلاً.

تنفست شمس الصعداء ومسحت وجهها وقالت:

-أريد الأكسير حالاً..

جلس تيمور على طرف السرير وقال:

-عينة من الأكسير موجودة لا تقلقي، ولكن قبل أي شيء أريد أن اعتذر لكِ عن كل ما صدر مني يا شمس.

-سأسامحك لأنك أخي.

ومن ثم أنزل رأسه للأرض وقال:

-ولكن هناك مشكلة هناك شركة كبرى في أمريكا طلبت أن يتم التكتم على المشروع بعد أن أخذ هذا الرواج، وما علمته أنهم سيستخدمون الأكسير في إعادة

شخصيات هامة للحياة مرة أخرى، فأنتِ تعلمين هنالك الكثير من أغنياء العالم الذي يجعلون أموال طائلة للحفاظ على جثثهم بعد الموت، ما سمعته أن الأكسير سيباع بمبالغ طائلة لعائلات تلك الشخصيات و . . .

-وأنت ما كان رأيك . . . !

-لم يكن لي رأي من الأساس، وقعت بالتنازل عن كل شيء وأخذت مبلغ من المال يؤمن لي حياة مرفهة .

ضربت شمس رأسها وقالت:

-عواقب كل ذلك ستكون وخيمة، أنا خائفة أن يحدث ما رأيناه يا تيمور .

ربت تيمور على كتفها وقال :

-صدقيني سنجد حل لذلك، ولكن الآن لنعيد أمنا فريدة للحياة مرة أخرى .

نظرت له شمس وقالت:

-وأمي سمية كذلك . . .

ابتسم لها وقال:

-إنها في الأسفل مع رانيا التي لا تتوقف عن الكلام .

وبالفعل أخذت شمس الأكسير من تيمور وقالت:

-سأشربها أنا الأكسير.

فقال لها بتحدي:

-لا، بل سنشربها سويًا، فهي أمي مثلما هي أمكِ.

وبالفعل وضعوا الأكسير في فم فريدة، وبعد قليل بدأ جسدها الشاحب يرجع له رونقه من جديد ومن ثم شهقت فريدة وفتحت عينيها وقالت:

-ماذا، أين أنا...؟ ومن أنتم...؟

ربت تيمور على يدها بينما تمسح شمس على شعرها وتقبل رأسها:

-أهدئي، أنتِ في أمان.

نظرت لتيمور الذي تكلم وقالت له بتعجب وهي تسحب يدها:

-من أنت...؟

قالت لها شمس وهي تنظر لها:

-أهدئي كي نجعلك تفهمين كل شيء.

وبالفعل بدءا يحكيان لها كل ما حدث وأثناء حديثهما لها دخل توماس والباقين، وبمجرد أن رأها تصلب مكانه والتمعت عيناه بالدموع وقال:

-حمدًا لله على سلامتك يا فريدة.

أشارت له بلهفة وسعادة وقالت:

-توماس، أووووه صرت عجوز يا رجل.

مسح توماس عينيه وقال بابتسامة:

-الزمن يا فريدة، ولكن لا تنكرين لا زلت وسيم أليس كذلك.

***

وتلك السعادة واللمة بين الأحبة لم تدم كثيرًا لأن وبعد عدة أشهر ظهر وباء وحينها أعلنت الدول عن الأكسير ولكن بمبالغ طائلة، بعض الناس ماتوا بلا مقاومة لأن مناعتهم ضعيفة، والبعض قاوم لعدة أشهر ، ولكن ما ساعد الناس أو الكثير من الناس أن يقاوموا المرض ولا يأخذون الأكسير هي رانياورانيا هذه المرة هي رانيا الحقيقية الكاتبة التي تعيش في الحاضر، ذهبوا لها جميعهم بعد أن عادت فريدة للحياة وحكوا لها كل التفاصيل الخاصة بالمغامرة، وبمجرد أن ظهر الفايروس تأكدت أن كل هذا صحيح، فبدأت بتوعية الناس ألا يأخذون ولا يدفعون المال في هذا الأكسير، واقنعتهم بأن هي نفسها مصابة بالفيروس ولن تأخذ ذلك الأكسير الذي سيؤدي إلى هلاكهم.

ملايين الناس تموت يومًا بعد يوم، منهم من يموت لأنه فقير وليس معه حق الأكسير، ومنهم من ترك الفيروس ينهي حياته لأنه لم يعد شيء في هذه الدنيا يفرحه، ومنهم من أعتبر أن هذا الفيروس هو الخلاص من الدنيا واختباراتها التي لا تنتهي .

وحولت رانيا كل تلك الأحداث إلى رواية بعنوان الخلفية واعتبرتها الجزء الثالث من رواية أولاد لوسيفر نشرتها على الانترنت كي يقرأها أكبر قدر من الناس ويفهمون حقيقة الدنيا ، ولكن يوجد من هم ذو مال ونفوذ سلطوا حملات تحارب حملتها ، ولكنها استمرت إلى أخر نفس في حياتها وعلى مكتبها أخر شيء كتبته في مدونتها

على الأنترنت أن الفيروس والأكسير أشبه بقصة المسيخ الدجال الذي يخدع الناس بالشر على أنه خير، ويقنعهم أن الخير هو الشر.

فأعاوانه يقنعون الناس أن الفيروس والموت منه شر بينما الأكسير والخلود الأبدي هو الخير.

فالطالما سمعنا أن المسيخ سيقول للناس أن من سيتبعني سيعيش في جنة على الدنيا، وبالفعل هذا ما سيقتنع به اتباعه بأنهم سيعيشون في النعيم ولكن الحقيقة أنهم سيسلط عليهم العذاب وسيكونون أسفل سافلين.

وسمعنا كذلك أن المسيخ سيقول للناس من سيكفر بي سينهي حياته ويكون مثواه الجحيم، وهذا بالظبط من سيعترض على فكرة الأكسير وسيجعله الفيروس يعاني ويتألم لأيام وشهور ولكن نهايته ستكون النعيم لأنه لم يوافق أن يغير قانون الرب وبأنه وحده المحيي المميت.

وعلى العموم المليارات من الناس الذين ماتوا أغلبهم فقراء وبسطاء وبعضهم واعيين ومؤمنين بالله ولطالما سمعنا من الرسول محمد صل الله عليه وسلم:

"قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ".

والمقصود بأهل الجد هم أصحاب الجاه والسلطان، ولا أقصد أن كل غني سيعذب، بل المقصود من تجبر بملكه وجحد بقدرة ملك الملوك الرب العزيز المقتدر.

وهنا سيحدث التالي الذي طالما سمعنا عنه بداية الهلاك، ولكن الهلاك الرباني، يأجوج ومأجوج، ويأجوج ومأجوج هم جند من جنود الله، هم الماء والنار، هم الفيضانات والبراكين.

فيأجوج تعبر عن فعل تأجج والاندفاع النشط مثل اندفاع البراكين المنصهرة عندما تنشط.

ومأجوج تعبر عن المفعول أو الحالة الجماعية كالأمواج التي تلاطمت بفعل الاضطراب في الفيضانات.

وبهم يهلك ويخسف من هم تجبروا في الأرض أو من هم حتى كانوا مؤمنين بالرب ولكنهم قبلوا ومشوا مع التيار، كل من على الأرض سيكون من أسفل سافلين، والبعض الأخر جهزوا سفنهم الفضائية وصاروا من المنبوذين.

وبعد أن كتبت أخر كلمة ضغطت على زر نشر، وهذه أخر مقالة كتبتها لتوعية الناس قبل أن يحدث الهلاك الالهي بعدة سنوات.

وبعد موت رانيا أختفت النسخة الأخرى منها الأتية من المستقبل لأن بذلك تغير الحدث فلم يعد لها وجود، ومن ثم لحقتها شمس بنفس الفايروس وكذلك تيمور وتامر وتوماس،

بينما نايدا وحسن وسمية وفريدة الذين أخذوا الأكسير قبل أنتشار الفيروس، كانوا يموتون حزنًا على فراق احبائهم أمام أعينهم واحد تلو الأخر.

هنا قالت فريدة لهم بأسى:

-هل سنظل هكذا إلى أن يحل الهلاك ومن ثم نعيش في جوف الأرض إلى أن ينتهي العالم النهاية الأبدية أي بعد ملايين السنين، أظن أن الموت رحمة من الرب لنا، والحياة الأبدية في جنانه أفضل بكثير من هذه الدنيا لأنها دار معاناة وشقاء.

قالت لها سمية بحسرة:

-عندك حق يا فريدة، أنا اشتقت لشمس حبيبتي، أريد أن اجتمع بأحبائي عند الرب.

ومن ثم نظرت فريدة لحسن ونايدا، فنظرا لبعضهما البعض، ومن ثم امسكت نايدا يد حسن وقالت:

-نحن مستعدون يا فريدة.

واجترع كل منهم جزء من أكسير الموت ورحلوا عن هذا العالم في سلام، وارتقت ارواحهم للرب الرحيم، والتقوا بأحبائهم الذين فهموا خطئهم وتابوا للرب العظيم، وعاشوا سويًا في نعيم.

***

تعليق المؤلفة

الصراع بين الجن والأنس لم ينتهي عند هذا الحد، ولكن الأمر اتضح أنه ليس صراع بين الجن والأنس فقط بل صراع الأنس مع نفسه.

صراعنا ألا نكرر خطأ الجن عندما كانت له الخلافة فتجبر.

والأن ها نحن ذا كل فترة تتكرر الحلقة وفي كل مرة نغتر بأنفسنا ونتجبر كذلك، ولا أنكر أن الجن الحاقد علينا يزيد من رغباتنا التي تبعدنا عن احترام قوانين الرب.

فالرب جعل الانسان خليفته واباح له الكثير من الأشياء وحرمه من أشياء قليلة، نفس الفكرة التي بدأت بها قصتنا عندما أباح الرب الجنة وما بها لأدم وحرمه من تلك الشجرة، فتمرد أدم وما ساعده أن يستجب لتمرده على أوامر الرب هو أبليس.

فعلينا أن نفهم اللعبة، ونفهم سبب المكر والكيد لنا، وأن مهما كان وصلنا من علم يجب أن نعلم أن هناك حدود الله فلا يجب أن نتعداها لأن مصيرنا سيكون الهلاك.

وإذا لم نفهم الحكمة الإلهية في الفرص المتاحة لنا، ستضيع منا الخلافة ولا ندري لمن ستكون بعدنا فالله في كتابه العزيز قال:

"وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ".

"وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم".

***

تمت بحمد الله

2026-2-3

د. رانيا رمضان "بنت البروفيسور"

في النهاية نختم سويًا بالدعاء الذي تعلمته

من شيخي الجليل الدكتور يسري جبر:

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمِدَادَ كَلِمَاتِكَ

كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُونَ.

***

لا تنسوني من دعواتكم لي أخوتي بالتوفيق

ولكم بالمثل.

والدعاء بالرحمة والمغفرة لوالدي البروفيسور

رمضان عبد الله هو وجميع أموات المسلمين.

***

أعمال أخرى لبنت البروفيسور

نركسوس (رواية نفسية اجتماعية)

بروفينيا (رواية فانتازيا اجتماعية)

لاقيت الفضفضة– كيمياء السعادة (كتاب تنمية ذاتية وخواطر دينية)

جد ولعب وجرح وحب (ديوان بالفصحى والعامية)

طيف أروما (رواية رعب ورومانسية)

البروفيسور – الخلاصة لفهم الوجه الحقيقي للحياة (كتاب تنمية ذاتية وقصائد شعرية)

المهدي المنتظر (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج1 فارس وجواد (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج2 الخناس (رواية رعب ونفسية)

60 قانون لامتلاك السعادة وتجاوز صعوبات الحياة move on (كتاب تنمية ذاتية)

كتاب "تعلم تفسير الأحلام مع بنت البروفيسور"

كتاب "تعلم فن كتابة السيناريو مع بنت البروفيسور"

كتاب "خواطر منتصف الليل"

كتاب "رحلة ال 90 يوم" للتعافي والتحرر من الإدمان

كتاب "تعرف على اسرار التاروت مع بنت البروفيسور"

كتاب "رسائل الملائكة"

كتاب (اسوياء نفسيًا)

رواية الخليفة ج3 من أولاد لوسيفر

***